خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ

قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه

د. محمّد نبيل طريفي

إشراف

د. اميل بديع يعقوب

الجزء الأوّل

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

دار الكتب العلمية
بيروت — لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أستهلّ هذا الكتاب بحمد الله ، والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله ، وبعد .

فقد أصدرت دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة طبعتها الأولى لخزانة الأدب عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ م بتحقيق المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون . وقد أخرجته إخراجاً محموداً قيماً ، فكان هذا الإصدار أجود ماعرف من مطبوعات الخزانة، وأدقها وأوفاها . ومن ثم رجع إليها أكثر الباحثين والمحققين ، يستعينون بها . ويسترشدون بهدي علمها ، ويعبّون من مناهلها .

وخلال زيارة لي للأخ الدكتور إميل يعقوب في كفر عقا - لبنان ، جرى حديث أدبي مطول وممتع حول كتب التراث ، ومشاكل التحقيق ، وأساليبه ومناهجه ، وخلال هذا الحديث ، تطرقنا لخزانة الأدب / طبعة هارون / . فاجأني الدكتور الباحث بقوله : هل قرأت خزانة الأدب ؟ فأجبته بالنفي ، علماً أنني حاولت أكثر من مرة الحصول على نسخة من هذه الطبعة التامة - وكنت قد عدت إلى أجزائها الأربعة المتوفرة آنذاك عندما كنت طالباً في الدراسات العليا في جامعة محمد الخامس - و لم أوفق ، فدفع لي الجزء الأول منها ، وقال : اقرأها ، وقل لي ملاحظاتك عنها . ولا أخفي عليكم ، لقد قرأت في وجهه الكثير من التساؤلات التي لم أستطع تفسيرها بشكل تام . أخذت معي الجزء الأول إلى اللاذقية ، وأسعفني الحظ بالحصول على الطبعة السلفية - المحاولة الأولى الراقية لتحقيق الخزانة - وبدأتُ رحلة القراءة المتأنية والملاحظة والمقارنة - إضافة إلى طبعة بولاق الأولى - ، ومن خلال تلك المراجعات والقراءات المتلاحقة المتأنية ، تكشف لي بعض الهنات في الكتاب ، زعزع ثقتي به أن يكون مرجعاً علمياً لعلوم البغدادي الغزيرة الواسعة . وحتى لانطيل ؛ نقول :

مع اعترافنا بالجهد العظيم الذي بذله المرحوم عبد السلام هارون في أعماله التراثية الكثيرة – والتي تبقى مفخرة للمنهجية العلمية في تحقيق التراث بدءاً من المفضليات والأصمعيات ، مروراً بالحيوان والبيان والتبيين ، إلى الاشتقاق ونوادر المخطوطات.. إلخ – لكن النظرة المتأنية الهادئة لخزانة الأدب / طبعة هارون/ تجعلنا نخرج هذا العمل من إطار المنهجية العلمية " الهارونية " . لأسباب كثيرة . والذي يراجع نسختنا وحواشينا ويعقد مقارنة يتأكد من صدقنا . وأهم المآخذ التي نسوقها ستكون من ملاحظاتنا على الجزء الأول ، فهو سيكون البداية :

* الشواهد النحوية الشعرية ، لم تضبط بالشكل التام ؛ إضافة أيضاً إلى الأبيات الشعرية الكثيرة التي يسوقها البغدادي على عادته .

* أغلب الشواهد النحوية ، لم تخرّج ، وحتى عندما يحاول تخريج هذه الشواهد النحوية – أو الشعرية – من المصادر والأصول القديمة ، تأتي حاشية المحقق مبهمة ، لا نعلم من خلالها اسم المصدر . فيقول مثلاً : ابن يعيش ، العيني ، وكأني به قد أفهمنا أنه لا للعيني ، ولا لابن يعيش أكثر من كتاب واحد . إضافة إلى كون الشاهد النحوي يرد في هذه المصادر مرة منسوباً لشاعر ، ومرة أخرى يرد منسوباً لشاعر آخر ، لذلك يشعر القارئ حيالها بالضياع .

* عندما يتدخل المحقق في متن الخزانة – وهو يقول في مقدمته ، أنه لا توجد مخطوطة معتمدة لدينا ، فنحن نجهل أين هي المخطوطة التي أخذ عنها الشنقيطي ، إذن في هذه الحالة تبقى عملية المقارنة مع المصادر التي أخذ عنها البغدادي ، هي المحور الأول للعمل ... ونحن نقرأ متن الخزانة (نسخة هارون)– نشعر أننا أمام شخصية لا تقرأ المتن بهدوء وتمعن ؛ وهذا ماحدا بالدكتور يعقوب إلى القول : أنا أشك في أن يكون المرحوم هارون هو الذي حققها ... وحتى لانظلم الرجل ؛ ونحن نعترف بجهده الرائع، وفضله العظيم على التراث العربي ، نعطي بعض الأمثلة التي تثبت صحة رأينا وتؤيدها .

١– في الصفحة رقم /٨/ السطر الحادي عشر سقط مقطع بكامله من نسخة هارون وهو قوله : " وجعل الطبقات بعضهم ستاً ، وقال : الرابعة المولدون وهم من بعد المتقدمين كمن ذكر ، والخامسة المحدثون وهم من بعدهم كأبي تمام والبحتري ، والسادسة المتأخرون وهم من بعدهم كأبي الطيب " .

٢- في الصفحة / ٢٧/ جاء المتن : " والفاخر للمفضل الضبي " . وجاء في حاشية الطبعة : " وإنما هو المفضل بن سلمة الكوفي ، وليس بالضبي " . وكان حقه تصحيح المتن بما يتناسب مع الحاشية .

٣- في الصفحة رقم /٣٤/ يسوق البغدادي قطعة لذي الخرق الطهوي ، ومع أنه لم يضبطها بالشكل - جاء صدر البيت الأول مختل الوزن العروضي . وهو :

* أتاني كلام ابن الثعلبي ابن ديسق * ففيه زيادة / ابن / الأولى .

٤- في الصفحة /٤٢/ في السطر /١٣/ جاء المتن : " فلان عزّ ومنعة " . وحقه أن يقول : فلان في عزّ ومنعة .

٥- في الصفحة /٧٤/ السطر الأخير جاء المتن : " فتزوجها كعب بن المدان ..." . وجاء في حاشية المحقق في الصفحة نفسها : " والوجه : بن عبد المدان " . وهو الصحيح وكان حقه أن يضعها في المتن ، كما فعل في زيادات غيرها .

٦- في الصفحة رقم /٢٦٠/ السطر الثالث . جاء المتن : " قال المبرد في الكامل :

هي الطريق في الجبل والطريق في الرمل ، وإنما ..." . وقراءة هادئة لهذا المقطع المنقول تبين لنا أن هناك خطأ في المعنى . وبالعودة إلى كامل المبرد ، وشرح أبيات المغني للبغدادي ، تم تصحيح المتن ، فأصبح :" ... الطريق في الجبل ، والطريق في الرمل يقال له : الخَلُّ ..." .

٧- في الصفحة رقم /٣٠٣/ السطر الأول بعد الشاهد الخامس والأربعين ، جاء المتن: " أي يبكيه ضارعٌ " . وهو خطأ ، فالفعل المضارع يبكيه حقّه الجزم هنا . فحقّه "أي يبكه ضارع " بحذف حرف العلة .

٨- في الصفحة رقم /٣٠٧/ المقطع الثالث جاء المتن : " ... الأصمعي أن العرب تقول : طاح الشيء في نفسه ..." وهو خطأ ؛ فالعرب تقول : " طاح الشيء بنفسه " بالباء ، وليس بـ " في " .

٩- في الصفحة رقم /٣٢١/ في أسفل هذه الصفحة كتبت حاشية تحمل رقم /٤/ وهي " المعمرين ٦٣ " . ولاذكر في كل الصفحة المطبوعة لكتاب المعمرين .

١٠- أحياناً كثيرة نجد أرقام حواش ، ونبحث عنها في المتن فلا نجد شيئاً منها . مثال الصفحة رقم /٢٨٨/ هنا حاشية وحيدة في هذه الصفحة هي : " المفضليات

٣٢٣ ، وشرحها ٦٣٠ ؛ والموفقيات ٧٧-٧٨ ". وليس في الصفحة كلها رقماً لهذه الحاشية في المتن ، فلا نعلم أين هو موضعها .

١١- في الصفحة رقم /٣٢٨/ السطر التاسع ينقل البغدادي كلاماً عن ابن السكيت ، وابن السكيت ينقله بدوره عن أبي عبيدة ؛ نقرأ الجملة فنشعر أن من يكتب أو يقرأ ، أو يصحح بعيد عن معرفة اللغة القديمة ؛ لذلك عمدنا إلى مقارنتها بشرح أبيات المغني للبغدادي ، وأضفنا إليها بعض الزيادات حتى استقام المعنى .

١٢- في الصفحة رقم /٣٣٤/ جاء المتن : " قال ابن قتيبة : قال أبو عبد الله الجمحي: كان امرؤ القيس ...." والمقطع بكامله في طبقات ابن سلام بشكل أدق وأوضح ، والمعروف عن البغدادي دقته في النقل والأخذ ؛ وهنا سقط المحقق فجاءت جملته ركيكة بعيدة عن المعنى الدقيق الواضح الذي اعتمده ابن سلام .

١٣- الشاهد الرابع والأربعون ، لم يتم تخريجه كالعادة ، ولا نعلم السبب .

١٤- في الصفحة رقم /٤١٠/ وفي حاشية المحقق رقم /٣/ يقول المحقق : " النقائض ١٠٧٢ " . وهي إشارة لرقم صفحة النقائض ؛ وهو ليوم الكلاب الأول ، وهكذا يكون المحقق قد خلط بين يومي الكلاب .

١٥- في الصفحة رقم /٤٥٦/ جاء المتن : " وجملة خولان فانكح فتاتهم " . وفي أسفل الصفحة حاشية تبين أن في طبعة بولاق : " وجملتان " . صحح المحقق المتن دون الانتباه . وحقها : " وجملتا هذه خولان فانكح ..."

إلى أخطاء أخرى كثيرة ومتفرقة ، لا نعلم هل هي من وهم المحقق ، أم من وهم الطابعين .

ومن خلال قراءتي هذه ومقارنتي تجمعت لي استدراكات جمّة ، حملتني على البدء بعمل يستعين به الباحثون .

ولا بد أن أذكر ثانية جهود الذي حققوا وطبعوا الخزانة - الطبعة السلفية ، طبعة الشيخ محي الدين عبد الحميد ، طبعة المرحوم عبد السلام هارون - فلقد عدت لجميع طبعات الخزانة - عدا طبعة عبد الحميد بسبب عدم توفرها - واستقيت منهم مادة كبيرة في صلب قراءة الخزانة ، مشيراً إليهم بأسمائهم ، فلهم مني - رحمهم الله -

جزيل الشكر وعميق التقدير . كما أتقدم بشكري الخالص للأخ الدكتور إميـل بديـع يعقوب الذي تفضل بمراجعة هذا العمل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله

د . محمد نبيل طريفي

اللاذقية نهار الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٤١٧هـ

٢٣ تموز ١٩٩٦ م .

عبـد القادر بن عمـر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ

ترجمة المؤلف[1]

مولده :

ولد عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي [2] في مدينة بغداد سنة ١٠٣٠ هـ في وقت كانت فيه هذه المدينة تتقاذفها قوتان كبيرتان ، الدولة الصفوية وعلى رأسها الشاه عباس[3] الذي عُرف بقسوته وجبروته وطغيانه ؛ والدولة العثمانية . ولقد كان الصفويون الأعداء التقليديين للدولة العثمانية ، فعانت بغداد من جراء ذلك صراعاً عنيفاً ولّد في نفوس أبنائها الذعر والخوف والفزع ، إلى أن عادت أخيراً إلى ظل الدولة العثمانية ، بعد أن التقى جند الشاه عباس الصفوي مع جيش السلطان العثماني مراد الرابع سنة ١٠٤٨هـ ، واستطاع السلطان مراد أن ينتزع أخيراً بغداد من قبضة الصفويين نهائياً .

في تلك الظروف الصعبة كان الشاب عبد القادر يعيش في بغداد ، وينهل من معارف عصره علماً ولغة . إضافة إلى معرفته للغات الفرس والترك ، فشق لنفسه بذلك طريقاً عظيماً مكنه من آداب هذه اللغات .

---

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة على مقدمات طبعات الخزانة / السلفية - هارون/ ؛ ومقدمة كتاب شرح أبيات المغني للبغدادي ؛ إضافة إلى مجلة الزهراء مجلد/٥/ ص٢٠٩ ؛ وكتاب خلاصة الأثر للمحبي ٢/٤٥١-٤٥٢ .

(٢) نقلت نسبته الكاملة عن مخطوطة فرحة الأديب ، لأبي محمد الأعرابي ، كتبها البغدادي لنفسه ، وهي مودعة بدار الكتب المصرية برقم (٧٨ مجاميع م) . جاء في خاتمتها :"تم هذا الكتاب بعون الله على يد الفقير إلى رحمة ربه الغفور عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي ، كتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده ...."

(٣) حكم إيران من سنة ١٥٨٨- ١٦١٩ م . وكان عمره عند توليه الحكم سبع عشرة سنة .بلغ من قسوته أنه قتل ولده البكر صفى ميرزا . (تاريخ الشعوب الإسلامية ٣/١٣٠-١٣٢) .

رحلته الأولى إلى دمشق :

يوم كان اللقاء دائراً حول مدينة بغداد بين جند الشاه الصفوي عباس ، وجند السلطان العثماني مراد الرابع ، آثر الشاب اليافع عبد القادر البغدادي أن ينزح عن بغداد إلى بلد آمن ينعم فيه بالسكينة والاستقرار ، ويتفرغ لمعارفه وعلومه ، فنزح إلى دمشق ينشد فيها الهدوء والسكينة .

وإذا كنا نجهل كلياً نشأة البغدادي الأولى ، فإن المصادر التي ترجمت له لا تسعفنا في إلقاء الضوء على ولادته . وأسرته وحياته الأولى ، وتحصيله العلمي ، كل الذي استطعنا معرفته أنه خرج من بغداد ، وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وهو متقن للغتين الفارسية والتركية[1] إضافة إلى لغته الأصلية العربية .

حط رحاله في دمشق ، ونزل على نقيب الشام ، العلامة محمد بن كمال الدين الحسيني[2] ، كبير آل حمزة ، الذي بوأه منزلاً في المسجد قبالة داره في زقاق النقيب[3]، المعروف إلى يومنا هذا في دمشق، في حي العمارة ، ومكث في جواره سنة كاملة معززاً مكرماً ، صادف منه كل رعاية وعطف وعناية .

وفي دمشق بدأت حياة البغدادي العلمية تتبلور لتأخذ طريقها الواضح في تلقي العلوم على يد الشيوخ الفحول ، ففيها نهل من معين السيد النقيب الذي كان أول

---

(١) يقول عنه المحبي في كتابه خلاصة الأثر ٤٥١/٢ :

"... وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة ، مع التثبت في النقل وزيادة الفضل ، والانتقاد الحسن ، ومناسبة إيراد كل شيء منها في موضعه ، مع اللطافة وقوة المذاكرة ، وحسن المنادمة ، وحفظ اللغة الفارسية والتركية ، وإتقانهما كل الإتقان ، ومعرفة الأشعار الحسنة منهما وأخبار الفرس . خرج من بغداد ، وهو متقن لهذه اللغات الثلاث" .

(٢) محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة الحسيني ، المنتمي الحنفي المذهب . ولد بمدينة دمشق سنة ١٠٢٤ وتوفي فيها سنة ١٠٨٥ . كان نقيب الشام ، فقيهاً ، محدثاً نحوياً شاعراً ، وكان ممن يكثر السفر إلى بلاد الروم ، ثم رجع إلى الشام وأقام بها وتولى النيابة الكبرى . ولما توفي والده تولى مكانه في النقابة وانعقدت عليه صدارة الشام . وله حاشية على شرح الألفية لابن الناظم . انتفع بعلمه خلق كثير .(خلاصة الأثر ١٢٤/٤ - ١٣١) .

(٣) حيّ معروف بدمشق إلى الآن ، كان فيه منزل الأمير عبد القادر الجزائري وبنيه وأحفاده ، وفيه منازل آل حمزة إلى الآن . وبه كان ينزل الشيخ طاهر الجزائري قبل مجيئه إلى مصر ، كما ذكر الأستاذ محب الدين الخطيب .

أستاذ له في دمشق ، ثم التحق بحلقة النجم محمد بن يحيى الفرضي[1] ، أحد أشهر شيوخ الشام آنذاك ، وثمة توسعت معرفته في علوم العربية .

رحلته إلى مصر :

كان البغدادي في العشرين من عمره عندما أزمع على الرحيل إلى مصر سنة ١٠٥٠هـ ، وهناك تفتحت أكمام معارفه ، بعد أن اكتمل نضوجه ، بأخذه العلوم الشرعية بأنواعها النقلية والعقلية عن جمع عظيم من شيوخ الأزهر الشريف - كعبة العلم وقتها - .

وكان أجل العلماء الذين قويت صلته بهم الشيخ شهاب الدين الخفاجي[2] - صاحب ريحانة الألباء وشفاء الغليل - كما جلس إلى شيوخ آخرين منهم الشيخ ياسين الحمصي[3] ، والنور الشّبراملّسي[4] ، وسري الدين الدروري[5] ، والبرهان

---

(١) هو نجم الدين محمد بن يحيى الفرضي ، قال المحبي عنه : " كان أعظم شيخ أدركناه واستفدنا منه ... ولم أر مثله في تفهيم الطلبة والحرص على تهذيب قرائحهم " .
كان عالماً بالعربية والفرائض والحساب . من أشهر تلاميذه الشيخ خليل الحمصاني ، وعز الدين خليفة الحمصي . توفي سنة ١٠٩٠ . (خلاصة الأثر ٤/٢٦٥-٢٦٦) .

(٢) هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي . ترجم لنفسه في ريحانة الألباء ، بأنه قرأ على خاله أبي بكر الشنواني علوم العربية ، وعلى جماعة من العلماء ، ثم ارتحل إلى القسطنطينية ، وولي القضاء ببلاد الروم ، ثم في مصر ، ثم عاد إلى بلاد الروم فمر على دمشق . وكانت وفاته سنة ١٠٦٩ . قال المحبي عنه : والخفاجي نسبة إلى أبيه خفاجي ، ولا أدري معناه . وأصل والده من سرياقوس : قرية من قرى الخانقاه . (ريحانة الألباء ص٣٦٨ ؛ وخلاصة الأثر ١/٢٣١) .

(٣) هو ياسين بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن عليم الحمصي الشافعي القاهري المعروف بالعليمي . ولد بحمص ثم رحل إلى الشام ونشأ بها وقرأ وتصدّر في الأزهر لإقراء العلوم . توفي بالقاهرة سنة ١٠٦١ . وهو صاحب الحاشية المشهورة على شرح التوضيح المسمى بالتصريح . (خلاصة الأثر ٤/٤٩١) .

(٤) هو أبو الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي ، من أهل القاهرة ، وكان من فقهاء الشافعية ، وله حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني ، وأخرى على الشمائل ، وغيرهما . ولد سنة ٩٩٧ وتوفي سنة ١٠٨٧ . قال عنه المحبي في خلاصة الأثر " الشبراملسي بشين معجمة فموحدة فراء فألف مقصورة ، على وزن سكري كما في القاموس ، مضافة إلى ملس بفتح الميم وكسر اللام المشددة وبالسين المهملة ، أو مركبة تركيب مزج ، وهي قرية بمصر " . (خلاصة الأثر ٣/١٧٤-١٧٧) .

(٥) ويقال عنه : سري الدين دوري ، كما في عقد الجواهر والدرر ، نسخة رامبور .

إبراهيم المأموني[1] . وكان أكثر ما استفاده من شيخه الشهاب الخفاجي ، والشيخ ياسين الحمصي . وكان من عادة البغدادي عند ذكر أحدهما ، أن يذكره بلفظ "شيخنا" .

ولقد قرأ على شيخه الخفاجي ، التفسير ، والحديث النبوي ، والآداب ، وأجازه الخفاجي بذلك وبمؤلفاته .

حفظ البغدادي في مقتبل شبابه مقامات الحريري ، وكثيراً من دواوين شعر المتقدمين ، فصارت له ملكة النقد الصحيح ، فكان من أحسن المتأخرين معرفة باللغة، واطلاعاً على أقسام كلام العرب ، نظمه ونثره ؛ راوياً لوقائعها وأخبارها وحروبها وأيامها .

نقل المحبي عن الفاضل مصطفى بن فتح الله ، قال : قلت له – للبغدادي – لما رأيت من سعة حفظه واستحضاره :

– ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك ؟

– فقال لي : جميع ما حفظته قطرةٌ من غدير الشهاب ، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه .

إن المطالع لكتابه هذا – خزانة الأدب – ليعجب أشد العجب من سعة اطلاعه ، وغزارة مادته ، وحسن تأليفه ، واستحضاره للأمثال والشواهد ، وما يتعلق بها من علوم العربية على اختلاف ألوانها ، ما بين تفسير وتاريخ وشعر ولغة .... معتمداً أقوال الأئمة الأعلام فيما ينقله عنهم بأمانة وإتقان ودقة ، مع غربلة وتمحيص ، وموازنة وترجيح ، دون تعصب أو تسفيه ؛ بل كان رائده الصواب والحقيقة . فتجده لايجد في نفسه غضاضة في أن يقول : أخطأ فلان ، وأصاب فلان ، إذا ما اتضحت حقيقة الأمر أمامه .

---

(١) كذا في خلاصة الأثر للمحبي ٣٥٢/٢ في ترجمة عبد القادر البغدادي . لكن في خلاصة الأثر أيضاً في ترجمته : هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن عيسى المصري الشافعي الملقب برهان الدين الميموني . وهو الصواب ، وقال عنه : كان آية ظاهرة في علوم التفسير والعربية ، أعجوبة باهرة في العلوم العقلية والنقلية ... وأبلغ ماكان مشهوراً فيه علم المعاني والبيان حتى قلّ من يناظره فيهما " . وله حاشية على المواهب اللدنية ، وأخرى على تفسير البيضاوي ، وبعض تعليقات على شرح التلخيص للمولى عصام الدين ، المسمى بالأطول . ولد سنة ٩٩١ وتوفي سنة ١٠٧٩ بتربة المجاورين . والميموني نسبة إلى الميمون من الصعيد . (خلاصة الأثر ٤٥/١-٤٦) .

كان شيخه الشهاب على جلالة قدره وعظمته يراجع عبد القادر في المسائل المشكلة لمعرفة مظانها ، وسعة اطلاعه على أوابدها . كما كان يعتمد عليه في نقل الغريب من اللغة .

الشيء المهم الذي يسجل للبغدادي علميته ومنهجيته الواضحة ، لاسيما حين كنا نحاول أن نتتبعه بالعودة إلى المصادر التي كان يذكرها بدقة واضحة ، أو حين كنا نقارن بين الخزانة وكتابه النفيس شرح أبيات المغني ، حيث كنا نقع على نقل حرفي بتمامه ، إن دلّ ذلك على شيء فيدل على المنهجية العلمية والدقة الموضوعية التي كان يتحلى بها البغدادي على الفارق الزمني بين تأليف الكتابين .

مكتبة البغدادي :

يبدو أن فضل شيخه الشهاب عليه كان عظيماً في حياته ومماته ، فبعد وفاة شيخه تملك البغدادي أكثر كتبه[1] ، فلقد كان للشهاب خزانة حافلة بأعظم ما ادخره علماء القرون المتأخرة لما احتوت عليه من نفائس دواوين الأدب ومجاميع الشعر العربي القديم ، وتعليقات أئمة العربية عليها ، وإذا نحن طالعنا خزانة الأدب - مقدمة المؤلف - وأسماء الكتب التي يذكر البغدادي عودته إليها ، لعجبنا من ضخامتها ، واتساع فروعها ، والبغدادي معتزّ فخور بهذه المكتبة ، فهو لا ينسى أثناء تصنيفه أن يشير إلى كرائمها ، وأن يصفها وصفاً دقيقاً يدل فيه على مدى اهتمامه وعنايته بها . يقول البغدادي في إحدى نقولاته عن نوادر أبي زيد - في كتابه شرح أبيات المغني ١٠٨/١ - : " النوادر التي نقلت منها نسخة صحيحة مضبوطة ضبط اتقان ، حسنة الخط ، واضحة الشكل ، كتبها علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، وعليها خطوط جلة من العلماء ، منها زيد بن الحسن بن زيد الكندي ، وهي رواية أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي عن أبي بكر محمد بن السري بن السراج النحوي ، عن الرياشي وأبي حاتم السجستاني وأبي عمرو الجرمي وأبي عثمان المازني عن أبي زيد بن سعيد بن أوس الأنصاري رحمهم الله .

وإذا استعرضنا أسماء الكتب والعلماء المؤلفين الأجلاء الذين وردت أسماءهم في مقدمة الخزانة لعجزنا عن العدّ والقراءة لاتساع عددها ، وتنوع فروعها ، وضخامة

---

(١) جاء في خلاصة الأثر ٤٥٢/٢ : " ولما مات الشهاب تملك أكثر كتبه ، وجمع كتباً كثيرة غيرها . وأخبرني عنه بعض من لقيته أنه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة " .

علومها . يدل على ذلك عناية واهتمام شديدين . هذه العناية الفائقة بكتبه هيأت له أجود المصادر التي أفاد فيها فائدة كبيرة ، فمدّ المكتبة العربية بنفائس من المؤلفات التي تعتبر درّة في جبينها .

ومما يزيد من قيمة هذه المكتبة ، أنها حوت من النقول الحجم الكثير من كتب الأقدمين ، والتي لا يزال أكثرها حتى الآن مخطوطاً صعب المنال ، أوْ سَطت عليه عوادي الزمن .

اتصاله بإبراهيم باشا كتخدا ، وانتقاله إلى أدرنة :

كانت سنواته في مصر أنضج مراحل حياته ، ففي سنة ١٠٧٧ هـ سافر إلى القسطنطينية ، أقام خلالها خمسة أشهر في حاضرة الخلافة ، ثم عاد للقاهرة في ربيع الأول من سنة ١٠٧٨هـ . وفي هذا العام يتولى ولاية مصر إبراهيم باشا كتخدا ، فاتصل به البغدادي ، وحظي عنده بمكانة رفيعة ، فاتخذه نديمه وسميره ، وما زالت حياته كذلك حتى عزل إبراهيم باشا عن ولاية مصر عام ١٠٨٥هـ وخلفه عليها حسين باشا ، فآثر البغدادي الرحيل عن مصر إلى ديار الروم ، صحبة الوالي المعزول ، وكان سفرهما عن طريق الشام . وخلال تواجده في بلاد الروم تعرف البغدادي على الوزير الأعظم أحمد باشا الفاضل الكوبريلي ، وكان الوزير المذكور من أفاضل أهل العلم الذين اشتغلوا به في شبابهم ، فلما اتصل البغدادي به عرف قدره ، فأحله المحل الرفيع، وأصبح من خاصته وباسم هذا الوزير توج البغدادي حاشيته العظيمة على شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام ، كما توج كتابه هذا - خزانة الأدب - باسم السلطان محمد بن السلطان إبراهيم . قال المحبي في كتابه خلاصة الأثر ٤٥٢/١ : "وسافر معه - أي الكتخدا - إلى أدرنة راجياً أن يحل من الزمان محل الفريدة من العقد، فدخل إلى مجلس الوزير الأعظم أحمد باشا الفاضل ، واستمكن منه ، واختص به ، ولما حللت أدرنة في ذلك العهد ، زرته مرة في معهده ، وكان بينه وبين والدي حقوق ومودة قديمة ، فرحب بي ، وأقبل علي ، وكان إذ ذاك في غاية إقبال الكبراء عليه ، فلم يلبث حتى هجمت عليه علّة قاسى منها آلاماً شديدة ، ولم يبق طبيب حتى باشر معالجته ، وكان أمره في نيل أمانيه مأخوذاً على التراخي ، فعاجله الملال والسآمة ، وضاق به الأمر ، فذهب إلى معرة مصرين ، وعاد ثانية ، وأنا بالروم ، فابتلي برمد في عينيه حتى قارب أن يكفّ ، فسافر من طريق البحر إلى مصر " .

وعندما أصيب البغدادي برمد في عينيه ، كان يشرح أبيات مغني اللبيب ، وهو يذكر ذلك في آخر الكتاب ، وأنه اضطر إلى التوقف عن الشرح حتى عادت إليه صحة عينيه ، فباشر إتمام الكتاب حامداً الله على ذلك .

وفاته :

بعد إصابته بالرمد عاد البغدادي إلى مصر ، المكان الذي أزهرت فيه علومه ، ونضجت ثماره ، لكنه لم يلبث طويلاً هذه المرة ، فلقد عاجلته يد المنية ، بعد عامين فقط من تصنيف " شرح أبيات مغني اللبيب " في أحد الربيعين من سنة ١٠٩٣ هـ ، رحمه الله تعالى ، وأسكنه فسيح جنانه ، بعد أن خلف تراثاً ضخماً يعتبر مفخرة لكل الناطقين بالضاد .

مؤلفاته :

المدقق في مؤلفات البغدادي يجدها تدور حول شروح شواهد العربية – فمن شواهد شرح الكافية للرضي ، إلى شرح شواهد الشافية له ، إلى شرح أبيات المغني ، وشرح شواهد التحفة الوردية . بل إن حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام تجعل منه مختصاً بهذا الباب . – فلقد كان البغدادي معنياً فيها بشرح شواهد ذلك الشرح عناية كبرى – حتى صار الرجل مختصاً بهذا الباب ، وفي مقدمة هذه الكتب .

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، وهي شرح لشواهد الكافية للمحقق الرضي. وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل .

* شرح شواهد الشافية ، وهي للمحقق الرضي أيضاً . وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق الأساتذة محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف . ومحمد محي الدين عبد الحميد سنة ١٣٥٦هـ بالقاهرة .

بدأ تأليفه لها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٧٩ وأتمه في يوم الجمعة ليلة الثالثة عشرة من صفر الخير سنة ١٠٨٠ ، أي في أقل من سنة . قال في مقدمته : " وبعد ... فلما فرغت بتوفيق الله من شرح شواهد الكافية لنجم الأئمة الرضي الاستراباذي رحمه الله وتجاوز عنه ، رأيت أن ألحق به شرح أبيات شواهد الشافية له أيضاً ، وهي مائة وتسعون بيتاً ؛ لكونهما ككتاب واحد متناً وشرحاً ، فكذلك ينبغي أن يكون شرح أبياتهما ..." .

وقد ألحق البغدادي به فهرساً على حروف الهجاء لمن ترجم لهم فيه ، أما من ترجموا في الخزانة ، فإنه اكتفى في هؤلاء بالتنبيه على مواضعهم في الخزانة . وعدد من ترجم لهم في هذا الشرح أربعة وثلاثون كما أحصاهم بقلمه .

* شرح مقصورة ابن دريد – مخطوط .

ألفه في شبيبته ، ويعتبر أول تصانيفه وقد ذكره في أثناء كلامه على الشاهد /١٧٨/ في خزانة الأدب وقال : " عدتها مائتان وتسعة وثلاثون بيتاً ، لها شروح لا تحصى كثرة . وأحسن شروحها شرح العلامة الأديب أبي علي محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي .وقد شرحتها أنا شرحاً موجزاً مع إيضاح واف ، وتبيين شاف ، في أيام الشبيبة ، نفع الله به " .

* شرح أبيات مغني اللبيب . وقد طبع الكتاب بدمشق بتحقيق الأساتذة : عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف دقاق سنة ١٣٩٣هـ .

قال البغدادي في خاتمته : " وهذا آخر الأبيات التي ختم المصنف بها كتابه . وقد منّ الله علينا في أن وفّقنا لشرح أبياته من الأول إلى الآخر ، بعد أن يكاد يذهب البصر برمد شديد ، فإني لما وصلت إلى الإنشاد الثالث والأربعين بعد الستمائة حدث لي شقيقة رمدت بها عيني اليمنى ، وانطبقت معها اليسرى ، وذلك في اليوم الرابع من ذي الحجة ختام سنة سبع وثمانين وألف (١٠٨٧) فرمدت عيني بنزلة حادة مدة ثلاثين يوماً ، ففترت النازلة فانفتحت عيناي بعض الانفتاح وهي تحب التغميض ، فما زالت موجعة ونورها ينقص إلى أن كدت لا أبصر شيئاً حتى أنعم الله عليّ بإبصارها ، فرجعت في تكميل شرح الأبيات في غرة ربيع الأول من شهور سنة إحدى وتسعين بعد الألف (١٠٩١) ولله الحمد على هاتين النعمتين . وتمّ شرحها في وقت العصر من يوم الجمعة السادس من شهر رجب من السنة المذكورة ، ولكنا استعجلنا في أواخر هذا الشرح لتصميم العزم إلى القسطنطينية لأمر عرض ، فتمّ قبل السفر بخمسة أيام ." .

* حاشيته على شرح قصيدة بانت سعاد لابن هشام – مخطوط .

ذكر البغدادي في أولها أنه ألف هذه الحاشية لما قرأ هنا الشرح بمصر سنة ١٠٨١ ، وجعلها برسم الوزير الأعظم بن الوزير الأعظم : أحمد بن محمد ، وزير السلطان محمد بن إبراهيم العثماني . يعني أحمد الكوبريلي .

* شرح شواهد شرح التحفة الوردية في النحو لابن الوردي - مخطوط .

كتب البغدادي في آخر نسخة المخطوط ما نصه :

" وتمّ في ليلة الجمعة التاسعة والعشرين من شهر رجب الفرد من شهور سنة سبع وثمانين بعد الألف من الهجرة النبوية ... وكان الابتداء في شرحها في اليوم السادس من الشهر المذكور . ومن الله بالتسهيل في جميع الأمور .

* لغت شاهنامة .شرح فيه باللغة التركية غريب الألفاظ الفارسية في كتاب شاهنامة - نشره في بطرسبرغ سنة ١٨٩٥م . المستشرق الروسي كارل زاليمان معتمداً على مخطوطة مكتوبة بأدرنة سنة ١٠٨٢ .

* شرح التحفة الشاهدية المنظومة باللغة التركية . وقد تخللها بعض الألفاظ الفارسية ، على عدة بحور عربية مختلفة في فن التصوف . وقد قام البغدادي بتفسير ألفاظها ومعانيها - مخطوط .

* رسالة في معنى التلميذ .مطبوع في مجلة المقتطف عدد مارس ١٩٤٥م .

وهي بحث لغوي فيما يتعلق بهذه الكلمة ومادتها وتأصيلها وقد نشرها لمرتين المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون ، الأولى في المقتطف . والثانية في المجلد الأول من نوادر المخطوطات .

* * *

خزانة الأدب

الحقيقة أن الخزانة هي الكتاب الذي خلد اسم البغدادي ، فلا تكاد تذكر الخزانة، حتى يذكر معها اسم صاحبها البغدادي . فهي بحق أضخم موسوعة في علوم العربية وآدابها . فلقد اعتمد البغدادي في شرحه على مكتبة ضخمة ، قلّما توفرت لغيره ، يدلنا على ذلك إلقاء نظرة سريعة على ثبت المراجع والمصادر التي يأتي على ذكرها في مقدمة خزانته . فالبغدادي يقول في مقدمة خزانته ، أنه ممن مرن في علم الأدب حتى صادر يلبيه من كتب ، وأفرغ في تحصيله جهده ، وبذل فيه وَكْده وكدَّه؛ وجمع دواوينه ، وعرف قوانينه ، واجتمع عنده بفضل الله من الأسفار مالم يجتمع عند أحد في هذه الأعصار ؛ فقد أورد البغدادي ثبتاً مستفيضاً للأصول والمراجع التي اعتمد عليها في مصنفاته ، وأفاد منها في شرحه لهذا الكتاب . وقد أوردها مرتبة حسب فنونها المختلفة ، فمنها ماهو في علم النحو ، وماهو في شروح الشواهد ، ومنها ماهو في تفسير أبيات المعاني المشكلة ، ومنها مايرجع إلى فن الأدب ، ومنها ما يرجع إلى أشعار العرب من الدواوين والمجاميع ، ومنها ما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنساب العرب ، وما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم ، وما يرجع إلى كتب اللغة، وما يتعلق بأغلاط اللغويين ، وكتب الأمثال ، وكتب الأماكن والبلاد. وهي نحو (٩٤٥) عنواناً ، إذا ضمّت إلى تلك العنوانات شروحها والكتب المؤلفة في تلخصيها أو نقدها جاوزت أربعة آلاف كتاب ، كثير منها قد فقد أو ضاع[١].

تاريخ تأليفه للخزانة :

يقول البغدادي في ختام كتابه الخزانة :

" وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة في غرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف (١٠٧٣) وانتهاؤه في ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع

(١) اعتمدنا في التعداد على مقدمة المرحوم الأستاذ عبد السلام هارون في الخزانة ص٢٠ .

وسبعين (٧٩) .فتكون مدة التأليف ست سنين ، مع ما تخلل في أثنائها من العطلة بالرحلة ؛ فإني لما وصلت إلى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستمائة (٦٦٩) سافرت إلى قسطنطينية في الثامن عشر من ذي القعدة من سنة سبع وسبعين (٧٧) و لم يتفق لي أن أشرح شيئاً إلى أن دخلت مصر المحروسة في السابع من ربيع الأول من العام المقبل ، ثم شرعت في ربيع الآخر . وقد يسر الله التمام وحسن الختام " .

طبعات الخزانة

١- **طبعة بولاق** : وقد طبعت الخزانة طبعتها الأولى في مطبعة بولاق بمصر سنة ١٢٩٩هـ ، أي منذ ١١٥ سنة في أربعة مجلدات من الحجم الكبير ، وطبع على هوامشها كتاب المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية المعروفة بالشواهد الكبرى للعيني . وستمر معنا خلال طبعتنا هذه باسم " طبعة بولاق " . بينما يسميها محققو الطبعة السلفية :" الطبعة الأولى " .

٢- **الطبعة السلفية** : وهي الطبعة الثانية للخزانة - لكنها وللأسف لم تكتمل - صدرت في مصر سنة ١٣٤٨هـ عن المطبعة السلفية ، جاء في صفحة عنوانها :

" طبعت على نسخة العلامة الشنقيطي / رقم ١ نحو ش بدار الكتب المصرية / ، وهي منقولة من نسخة المؤلف وحليناها بتصحيحات العلامة الجليل صاحب السعادة الأستاذ أحمد تيمور باشا ، وبتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، أستاذ آداب اللغة العربية في جامعة عليكرة الإسلامية بالهند " .

كتب مقدمة هذه الطبعة ، وشارك بالعمل فيها الأستاذ محب الدين الخطيب ، وصدرها بمقدمة تحمل تاريخ ٢٠ رمضان ١٣٤٧هـ . وفي المقدمة يذكر الأستاذ الخطيب ، أن الأستاذ عبد السلام هارون - وكان يومها مايزال طالباً - قد عمل في هذا الجهد العلمي . ولقد صدر منها أربعة أجزاء ، و لم تتم هذه الطبعة .

٣- **طبعة محي الدين عبد الحميد** : وهي الطبعة الثالثة للخزانة - الثانية الناقصة - فهي الأخرى ولأسباب نجهلها لم تكتمل ، فقد صدر منها جزآن ، هما المجلد الأول من طبعة بولاق بعناية الأستاذ الجليل الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد سنة ١٣٤٧هـ . وهي طبعة تعتبر مفقودة .

٤- **طبعة هارون** : وهي الطبعة الثانية التامة - بعد بولاق - والأولى التامة المحققة تحقيقاً علمياً ، وهي تقع في ١٣ جزء مع فهارسها ؛ يقول الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمة طبعته : " أما هذه الطبعة الرابعة ، التي أسأل الله العون في إتمامها فقد دفعني إلى البدء فيها ندرة نسخ الخزانة ، وعدم وجود طبعة كاملة محققة على النهج العلمي الحديث " .

٥- **هذه الطبعة** : وهي طبعتنا التي نسأل الله تعالى العون لإتمامها ، إنه سميع مجيب . أما السبب الذي دفعنا لإخراجها هنات متعددة وجدناها خلال قراءتنا لطبعة هارون الأخيرة ، زعزعت ثقتنا باعتبارها مرجعاً علمياً صحيحاً . إضافة إلى رغبتنا في إخراج الخزانة أقرب ماتكون للصواب .

عملنا في الخزانة :

يمكن لنا إجمال عملنا في هذا السفر اللغوي على الشكل التالي :

* نسخنا الكتاب كله ، وضبطنا شعره بالشكل التام ؛ علماً بأن جميع طبعات الخزانة لم تضبط الشعر فيه .

* صححنا ما وقع فيه من الغلط والتصحيف بالاستعانة بكتب النحو ومصادر اللغة ودواوين الشعراء الأعلام الذين ذكرهم البغدادي في مقدمته وأهمهم :

الأشباه والنظائر للسيوطي ، والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ، وأوضح المسالك لابن هشام ، والخصائص لابن جني ، ونوادر أبي زيد الأنصاري ، والاقتراح للسيوطي ، وشرح شواهد الإيضاح للقزويني ، وكتاب التصحيف للعسكري ، وشرح المفصل لابن يعيش ، وشرح الأشموني ، ومعاهد التنصيص للعباسي ، والمقاصد النحوية للعيني ، وشرح أبيات المغني للبغدادي . ومعاجم اللغة كأساس البلاغة للزمخشري ، وتاج العروس للزبيدي ، ولسان العرب لابن منظور ، وتهذيب اللغة للأزهري ، والصحاح للجوهري ، والمجموعات كشرح الحماسة للمرزوقي ، وللتبريزي ، وللشنتمري ، ... وأشرنا إلى كل ذلك في الحواشي .

* خرجنا الآيات القرآنية ، والأمثال العربية ، والأشعار الكثيرة التي أوردها البغدادي .

* شرحنا الألفاظ - وهي قليلة - التي لم يشرحها البغدادي .

* راجعنا أغلب النقولات التي أخذها البغدادي من كتب العلماء الأقدمين ، وأعدناها إلى مصادرها وأرقام صفحاتها ، وأشرنا إلى التطابق أو الاختلاف الحاصل بينهما .

* أشرنا إلى اختلاف الروايات أو النقولات بين الطبعات الثلاث - عدا طبعة عبد الحميد - التي اعتمدنا عليها ، كما حاولنا جاهدين إبراز هذه الاختلافات ، علماً بأن أول طبعة يمكن أن نسميها محققة كانت " الطبعة السلفية " والتي صدرت عن المطبعة السلفية ، والتي عمل بها مجموعة من العلماء الأفاضل وهم : الأستاذ محب الدين الخطيب ، عبد العزيز الميمني ، وأحمد تيمور باشا ، وعبد السلام هارون .

* أشرنا إلى اختلاف الروايات في الشاهد النحوي عند وجودها فقط ؛ وأهملنا بقية الأشعار بسبب كثرتها ، وحتى لا نخرج عن غرضنا الأساسي ، وهو الخزانة .

* أشرنا إلى النقص الموجود في جميع الطبعات ، لاسيما التصحيفات في طبعة بولاق ، ونواقص المتن في طبعتي السلفية وهارون .

* أضفنا كل الزيادات التي وجدنا أن السياق يقتضيها ، والتي أغفلها أصحاب الطبعات السابقة من مصادرها ومظانها الأصلية ، وأشرنا إليها في صفحاتها .

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

نَحْمدُكَ يا مَنْ شواهدُ آياته غنيّةٌ عن الشّرحِ والبيان ، ودلائلُ توحيده متلوّةٌ بكلِّ لسان . صَلِّ وسلمْ على رسولك محمد المؤيَّد بقواطع الحجج والبرهان ، وعلى آله وصحبه الباذلين مهجَهم في نَصر دينهِ على سائر الأديان . صلاةً وسلاماً دائمين على ممرِّ الأزمان .

أما بعدُ فيقولُ المفتقرُ إلى معونة ربّه الهادي ، عبدُ القادر بن عمر البغداديُّ :

هذا شرحُ شواهدِ « الكافيةِ لنجمِ الأئمّةِ ، وفاضلِ هذه الأمةِ ، المحقّق محمد بن الحسن ، الشّهير بالرضيّ الأستَراباذي ، عفا الله عنه ورحمه . وهو كتابٌ عكَف عليه نحاريرُ[1] العلماء ، ودقّقَ النظرَ فيه أماثلُ الفضلاء ؛ وكفاه من الشّرف والمجد ، ما اعترفَ به السيِّدُ والسّعدُ [2] ؛ لما فيه من أبحاث أنيقة ، وأنظار دقيقة ؛ وتقريرات رائقة، وتوجيهات فائقة ؛ حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة، أو كالأُمَّة الممسوخة ؛ إلا أنّ أبياته التي استشهد بها - وهي زُهاء ألف بيت - كانت محلولةَ العِقال[3] ، ظاهرةَ الإشكال ، لغموض معناها ، وخفاء مغزاها ؛ وقد انضم إليها التحريفَ ، وبان عليها أثرُ التَصحيف . وكنتُ مِمَّنْ مَرن في علم الأدب ، حتى صار يلبِّيه من كثَب ؛ وأفرغَ في تحصيله جُهدَه ، وبذل فيه وُكده و كَدَّه[4] ؛ وجمع دواوينه، وعرف قوانينه ، واجتمع عنده بفضل الله من الأسفار، ما لم يجتمع عند أحد

---

(١) النحارير : جمع نحرير ، وهو الحاذق الماهر العاقل المجرب .

(٢) السيد : هو علي بن محمد بن علي الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ ؛ وهو صاحب التعريفات . قال كاتب جلبي عنه: " له حاشية على شرح الرضي للكافية " .

أما السعد : فهو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى ٧٩٢هـ .

(٣) قوله هذا عبارة عن عدم التقييد والضبط والتحرير .

(٤) الوكد - بضم الواو - : السعي والجهد ؛ والوكد - بفتح الواو - : المراد والقصد والهم . والكدّ : الإلحاح في الطلب .

في هذه الأعصار ؛ فشمَّرتُ عن ساعد الجدّ والاجتهاد، وشرعت في شرحها على وَفق المنى والمراد. فجاء بحمد الله حائزَ المفاخرِ والمحامد ، فائقاً على جميع شروح الشواهد؛ فهو جدير بأن يسمّى:

﴿ خِزانة الأدبِ ، ولُبّ لُباب لسان العرب ﴾

وقد عرضتُ فيه بضاعتي للامتحان ، وعنده يُكرم المرء أو يهان [1] : (الطويل)

على أنّني راضٍ بأنْ أحْمِلَ الهَوى وأخْلُصَ منهُ لا عليَّ ولا لِيا

وقد جعلتُه هديَّةً لسُدّةٍ هي مُقبَّل شفاه الأقيال[2] ، ومُخيَّم سرادق المجد والإقبال: حضرةُ سيِّد ملوك بني آدم ، وواسطة عقد سلاطين العالم ، ملك ألبس الدنيا خِلَع الجمال والكمال ، وأحيا داثِر الأماني والآمال[3] . حامي بيضة الإسلام ، بالصّارم الصّمصام[4] ، وناشر أعلام الشريعة الغرّاء ، والملة الحنيفية البيضاء ، ومُرغم أنوف الفراعين ، ومعفر تيجان الخواقين[5] ، خليفةِ ربّ السّموات والأرضين، ظلِّ الله على العالمين ، وقطب الخلافة في الدنيا والدين ، خادِم الحرمين الشريفَين ، وسلطان المشرقين[6] ، الغازي في سبيل الله، والمجاهد لإعلاء كلمة الله ، ألا وهو السلطان ابن السلطان ، السلطان الغازي «محمد خان[7]» ابن السلطان «إبراهيم خان» ، نخبة آل عثمان . خلّد الله ظِلالَ خلافته السّابغة الوارفة ، وأفاض على العالمين سِجال رأفته المترادفة. ويسّر له النصر المتين ، وسهّل له الفتحَ المبين ، بجاه حبيبه ورسوله محمد الأمين. آمين .

---

(١) البيت للمجنون من قصيدة طويلة هي في شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٧/١٨ .

(٢) الأقيال : جمع قَيْل ، وهو الملك من ملوك حمير يتقيّل مَنْ قَبْلَه من ملوكهم يشبهه .

(٣) كذا في طبعة هارون نقلاً عن النسخة الشنقيطية . وفي طبعتي السلفية وبولاق : " وأدى لأهلها دائر الأماني والآمال " . وهو تصحيف .

(٤) الصارم : السيف القاطع . وسيف صمصام : صارم لا ينثني .

(٥) الخواقين : جمع خاقان ، وهو اسم لكل ملك من ملوك الترك .

(٦) المشرقان : أراد بهما الشرق والغرب ؛ ومنه قوله تعالى : " ياليت بيني وبينك بُعْدَ المشرقين ، فبئس القرين " .

(٧) هو السلطان محمد خان بن إبراهيم خان بن أحمد خان . تولى السلطنة بعد مقتل والده سنة ١٠٥٨هـ وأقام في الحكم إحدى وأربعين سنة ، ثم خلع سنة ١٠٩٩هـ (تحفة الناظرين ص١٦١) .

وهاهنا مقدمة تشتمل على أمورٍ ثلاثة ينبغي ذكرها أمام الشروع في المقصود ، فنقول بعون الله المعبود :

الأمـــر الأوّل

« في الكلام الذي يصحّ الاستشهاد به في اللّغة والنحو والصرف ».

قال الأندلسي في شرح بديعية رفيقه ابن جابر [1] :«علوم الأدب ستة : اللّغة والصرف والنحو ، والمعاني والبيان والبديع ؛ والثلاثة الأوّل لايستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولّدين ، لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم ، إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قُبلَ من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري ، وأبي تمام ، وأبي الطيب وهلم جرّاً».ا.هـ

وأقولُ : الكلام الذي يستشهد به نوعان : شعر وغيره :

فقائل الأول قد قسّمه العلماء على طبقات أربع :

(الطبقة الأولى) : الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الإسلام ، كامرئ القيس والأعشى.

(الثانية) : المخضرَمون ، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، كلَبيد وحسّان .

(الثالثة) : المتقدمون ، ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام ، كجرير والفرزدق .

(الرابعة) : المولّدون ، ويقال لهم المحْدَثون ، وهم مَن بعدهم إلى زماننا ، كبشّار ابن بُرد وأبي نُواس .

---

(١) الأندلسي : هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني المتوفى سنة ٧٧٩هـ .

وابن جابر : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري . (٦٩٨-٧٨٠هـ). وكلاهما نحوي . كان أبو جعفر - أحمد - معروفاً بالبصير . أما أبو عبد الله - محمد - فقد كان معروفاً بالضرير . وبديعيته تعرف ببديعية العميان ؛ واسمها : " الحلة السيرا ، في مدح خير الورى " . كانا يترافقان في تجوالهما وسفرهما مابين الأندلس وبلاد المشرق ، حيث طوّفا زمناً طويلاً في ربوع مصر والشام .

فالطبقتان (الأوليان) يستشهد بشعرهما إجماعاً . وأما (الثالثة) فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها .

وقد كان أبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبي إسحاق ، والحسن البصري، وعبد الله بن شبرُمة ، يلحّنون الفرزدق والكميت وذا الرُّمَّةِ وأضرابهم ، كما سيأتي النقل عنهم في هذا الشرح إن شاء الله ، في عدة أبيات أُخذت عليهم ظاهراً ؛ وكانوا يعدّونهم من المولّدين لأنّهم كانوا في عصرهم ، والمعاصرة حجاب.

قال ابن رشيق في « العمدة » [1] :« كلّ قديمٍ من الشّعراء [فهو[2]] مُحْدَثٌ في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله . وكان أبو عمرو يقول : لقد أحسَنَ هذا المولّد حتّى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره[3] - يعني بذلك شعر جرير والفرزدق - فجعله مولّداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين .وكان لا يعدّ الشّعر إلاّ ما كان للمتقدّمين، قال الأصمعي : جلست إليه عشر حِجَج [4] ، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي» .

وأما (الرابعة) فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً ؛ وقيل يستشهد بكلام مَنْ يوثَق به منهم ، واختاره الزمخشري ، وتبعه الشارح المحقق ؛ فإنه استشهد بشعر أبي تمّام في عدة مواضع من هذا الشّرح .

واستشهد الزمخشري أيضاً في تفسير أوائل البقرة من « الكشاف » ببيت من شعره ، وقال :« وهو وإن كان مُحدَثاً لا يستشهد بشعره في اللّغة فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه » . ا.هـ

واعتُرِض عليه بأنّ قبول الرّواية مبنيّ على الضّبط والوثوق ، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللّغة العربية والإحاطة بقوانينها، ومن البيّن أنّ إتقان الرواية [لا[5]]

---

(١) العمدة في محاسن الشعر ١/٩٠ : " باب في القدماء والمحدثين " .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من كتاب العمدة .

(٣) في طبعتي بولاق وهارون : " برواية شعره " . وفي الطبعة السلفية وكتاب العمدة : " بروايته " .

(٤) في كتاب العمدة : " ثماني حجج " . وفي حاشية العمدة : وفي نسخة : " عشر حجج " .

(٥) زيادة يقتضيها السياق . وفي حاشيتي السلفية وهارون : " وفي حاشية الكشاف للقزويني بدار الكتب المصرية ٨٣ م تفسير " ، مانصه :

يستلزم إتقان الدّراية . وفي الكشف أنّ القول رواية [١] خاصة، فهي كنقل الحديث بالمعنى .

وقال المحقّق التفتازاني في القول بأنّه بمنزلة نقل الحديث بالمعنى : «ليس بسديد ، بل هو بعمل الراوي أشبه ، وهو لا يوجب السماع ، إلاّ ممّن كان من علماء العربيّة الموثوق بهم ، فالظاهر أنّه لا يخالف مقتضاها، فإن استؤنس به و لم يجعل دليلاً ، لم يرد عليه ما ذكر ولا ماقيل ، من أنّه لو فتح هذا الباب لزم الاستدلال بكلّ ما وقع في كلام علماء المحدثين كالحريريّ وأضرابه ، والحجّة فيما رووه لا فيما رأوه . وقد خطّأوا المتنبي وأبا تمام والبحتريّ في أشياء كثيرة كما هو مسطور في شروح تلك الدواوين .

وفي « الاقتراح» [٢] للجلال السيوطي : « أجمعوا على أنه لا يُحتجُّ بكلام المولَّدين والمحدَثين في اللغة والعربية . وفي « الكشّاف» ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول أبي تمامِ الطائيّ . وأوّلُ الشعراء المحدثين بشّار بن برد ، وقد احتج سيبويه ببعض شعره تقرباً إليه ، لأنه كان هجاه لتركه الاحتجاج بشعره ، ذكره المرزُباني وغيره . ونقل ثعلب عن الأصمعي أنه قال : خُتمَ الشِّعر بإبراهيم بن هَرْمَة وهو آخر الحجج [٣] »ا.هـ.

وكذا عدَّ ابنُ رشيق في « العمدة » [٤] طبقات الشعراء أربعاً ، قال: هم جاهلي قديم ، ومخضرم ، وإسلامي ، ومحدث . قال : ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج هكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا.

= " قوله : فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، قيل عليه : عمل الراوي ليس بحجة في مثله اتفاقاً ، إذ لا يدل على عدم العدالة . وإتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية ، لاسيما في الشعر فإنه محل الضرورات . والجواب عنه : إن القول رواية خاصة فهو كنقل الحديث بالمعنى " .

(١) في أصل طبعتي بولاق والسلفية : " دراية " . وهو تصحيف . وفي طبعة هارون : " رواية " .

(٢) في حاشية الميمني في الطبعة السلفية ٢٢/١ : " كتاب الاقتراح في أصول علم النحو وجدله للسيوطي . قال صاحبه في مقدمته ، أنه اختزل فيه من تضاعيف خصائص ابن جني مايتعلق بهذا الفن ، وأنه أول مقيّم لذاك العلم . طبع كتاب الاقتراح مرتين في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣١٠هـ انظر كتاب الاقتراح المقدمة ص٢-٣ .

(٣) في الأغاني ٣٧٣/٤ : " كان الأصمعي يقول : ختم الشعر بابن هرمة ، والحكم الخضري ، وابن ميادة ، وطفيل الكناني ، ودكين العذري " .

(٤) العمدة في محاسن الشعر ص١٠٠:" باب المشاهير من الشعراء " .

وجعل الطبقات بعضهم ستاً ، وقال : الرابعة المولدون ، وهم من بعد المتقدمين كمن ذكر ، والخامسة المحدثون ، وهم من بعدهم كأبي تمام والبحتريّ، والسادسة المتأخرون ، وهم من بعدهم كأبي الطيب المتنبي [١] .

والجيد هو الأول ، إذ ما بعد المتقدمين لا يجوز الاستدلال بكلامهم، فهم طبقة واحدة ، ولا فائدة في تقسيمهم .

وأما قائل الثاني [٢] فهو إما ربنا تبارك وتعالى ، فكلامه - عزّ اسمه - أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذّه ، كما بيّنه ابنُ جنّي في أول كتابه «المحتسب» وأجاد القول فيه ؛ وإما بعض إحدى الطبقات الثلاث الأول من طبقات الشعراء التي قدمناها .

وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوَّزه ابنُ مالك وتبعه الشارح المحقق في ذلك ، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضي الله عنهم . وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان ، وسندهما أمران :

أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما رويت بالمعنى [٣] .

وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصريَن لم يحتجّوا بشيء منه.

ورُدّ الأول - على تقدير تسليمه - بأنَّ النقل بالمعنى إنما كان في الصَّدر الأول قبل تدوينه في الكتب ، وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديلُ لفظٍ بلفظ . يصحُّ الاحتجاج به ، فلا فرق . على أنّ اليقينَ غير شرط، بل الظن كاف .

---

(١) المقطع من قوله : " وهم من بعد ..... وهم من بعدهم كأبي " . ساقط من طبعة هارون .

(٢) أراد النوع الثاني من الكلام ، وهو ما كان غير شعر .

(٣) قال الميمني في حاشية الطبعة السلفية ٢٣/١ :" النقل بالمعنى شيء ليس بمقصور على الأحاديث فحسب ، بل إن تعدد الروايات في بيت واحد من هذا القبيل . والقول بأن منشأه تعدد لغات القبائل ليس مما يتمشى في كل موضع . على أن إثبات ذلك في كل بيت دونه خرط القتاد . زد إلى ذلك ماطراً على الشعر من التصحيف والوضع والاختلاف ، من مثل ابن دأب ، وابن الأحمر ، والكلبي ، وأضرابهم . ورواة الشعر أيضاً فيهم من الأعاجم والشعوبية أمم . على أن المسلمين في القرون الأولى كانوا أحرص على إتقان الحديث من حفظ الشعر والتثبت في روايته ، وقد قيض الله لأحاديث رسوله من الجهابذة النقاد مَنْ نفى عنه ما كان فيه شبهة الوضع والانتحال . وهذا حرم الشعر مثله " .

وردّ الثاني بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدمُ صحة الاستدلال به ، والصواب جوازُ الاحتجاج بالحديث للنحويّ في ضبط ألفاظه . ويُلحقُ به ما رُوي عن الصحابة وأهل البيت ، كما صنع الشارح المحقق .

وإن شئت تفصيل ما قيل في المنع والجواز ، فاستمع لما ألقيه بإطناب دون إيجاز :

قال أبو الحسن بن الضائع في «شرح الجُمَل »: «تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة - كسيبويه وغيره - الاستشهادَ على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلامُ النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه أفصحُ العرب . قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً ، فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمرويِّ فحسن ، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى» ا.هـ .

وقال أبو حيان في شرح « التسهيل »[1] : « قد أكثر [هذا] المصنف [2] من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب . وما رأيتُ أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأوَّلين لعلم النحو ، المستقرئين للأحكام من لسان العرب - كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائي والفراء وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفين - لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على ذلك المسلك المتأخرون من الفريقين ، وغيرُهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس. وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال : إنما ترك [3] العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية . وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوَّزوا النقل بالمعنى ، فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم لم تُقَل بتلك الألفاظ جميعها : نحو ما روي من قوله: « زوَّجتكها بما

---

(١) نقل السيوطي في كتابه الاقتراح ص١٩ ؛ قول أبي حيان هذا .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٢٤/١ : " في الاقتراح (نسختنا المخطوطة) : هذا الرجل . وفي المطبوعة ص١٩ : هذا المصنف " .

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية : " إنما ذكر العلماء ..." وفي طبعة هارون : " إنما ترك العلماء ..." . نقلاً عن كتاب الاقتراح ص٢٠ .

معك من القرآن » « ملّكتكها بما معك من القرآن » ، «خُذها بما معك من القرآن»، وغير ذلك من الألفاظ الواردة ، فنعلم [١] يقيناً أنّه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا نُجزم [٢] بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ [غيرها [٣]] ، فأتت الرواة بالمرادف و لم تأت بلفظه ، إذ المعنى هو المطلوب ، ولا سيما [مع [٤]] تقادم السماع ، وعدم ضبطها [٥] بالكتابة ، والاتكال على الحفظ . والضابط منهم من ضبط المعنى ، وأما من ضبط اللفظ[٦] فبعيدٌ جداً لا سيما في الأحاديث الطوال. وقد قال سفيان الثوري : « إنْ قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدّقوني، إنما هو المعنى» . ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقينَ أنهم [إنما][٧] يروون بالمعنى .

الأمر الثاني : أنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، [ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو][٨] ، فوقع اللّحنُ في كلامهم وهم لا يعلمون ، ودخل [٩] في كلامهم وروايتهم غيرُ الفصيح من لسان العرب . ونعلم قطعاً من غير شك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب [١٠] فلم يكن يتكلّم إلاّ بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها ، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز ، وتعليم [الله [١١]] ذلك له من غير معلم . والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد

---

(١) في الاقتراح ص٢٠ : " فنعلم " . وفي طبعات الخزانة : " فتعلم " . وهوتصحيف .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " بل لانجزم .." . وفي طبعة هارون : " بل لا يُجزم ..." والروايتان صحيحتان .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ؛ أخذت من كتاب الاقتراح ص٢٠ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ؛ أخذت من كتاب الاقتراح ص٢٠ .

(٥) كذا في جميع الطبعات ؛ وفي كتاب الاقتراح ص٢٠ : " عدم ضبطه " .

(٦) في الاقتراح ص٢٠ : " وأما ضبط اللفظ " . وهي عند هارون : " وأما من ضبط ..." .

(٧) زيادة يقتضيها السياق من كتاب الاقتراح ص٢٠ .

(٨) وردت الجملة في طبعات الخزانة بالشكل التالي : " ويتعلمون لسان العرب بصناعة النحو " . وهو خطأ . والتصويب من كتاب الاقتراح .

(٩) في طبعتي بولاق والسلفية : " ودخل في كلامهم ..." . وفي طبعة هارون ، نقلاً عن النسخة الشنقيطية ، وكتاب الاقتراح ص٢١: " وقد وقع في كلامهم " .

(١٠) في الطبعة السلفية وكتاب الاقتراح : " الناس " . وفي طبعة هارون نقلاً عن النسخة الشنقيطية : " العرب " .

(١١) التتمة من نسختي السلفية وهارون ؛ نقلاً عن كتاب الاقتراح ص٢١ .

في الأثر متعقباً بزعمه على النحويين؛ وما أمعن النظر في ذلك ، ولا صحب من له التمييز. وقد قال لنا [قاضي القضاة [١]] بدر الدين بن جماعة - وكان ممن أخذ عن ابن مالك - قلت له : ياسيدي، هذا الحديث رواية الأعاجم ، ووقع فيه من روايتهم مانعلم أنه ليس من لفظ الرسول. فلم يجب بشيء. قال أبو حيان : وإنما أمعنت الكلام في هذه المسألة لئلا يقول مبتدئ : ما بال النحويين يستدلون بقول العرب ، وفيهم المسلم والكافر ، ولا يستدلون بما روي في الحديث بنقل العدول، كالبخاري ومسلم وأضرابهما ؟! فمن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذي لأجله لم يستدلَّ النحاة بالحديث » ا.هـ [٢] .

وتوسط الشاطبي فجوّز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتُنِيَ بنقل ألفاظها . قال في «شرح الألفية » :

« لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم ، الذين يبولون على أعقابهم ، وأشعارهم التي فيها الفُحش والخَنى ، ويتركون الأحاديثَ الصحيحة، لأنها تُنقل بالمعنى ، وتختلف رواياتها وألفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم، فإنّ رواته اعتنَوا بألفاظها ، لما ينبني عليه من النحو ، ولو وقفتَ على اجتهادهم قضيت منه العجب، وكذا القرآن ووجوه القراءات .

وأما الحديث فعلى قسمين: قسم يعتني ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان. وقسم عُرِف اعتناء ناقله بلفظه لمقصودٍ خاص ؛ كالأحاديث التي قُصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم، ككتابه لهمْدان ، وكتابه لوائل بن حُجر ، والأمثال النبويّة ؛ فهذا يصح الاستشهاد به في العربية . وابن مالك لم يفصّل هذا التفصيلَ الضروريّ الذي لا بد منه ، وبَنى الكلام على الحديث مطلقاً؛ ولا أعرف له سلفاً إلا ابنَ خروف؛ فإنه أتى بأحاديثَ في بعض المسائل حتى قال ابن الضائع: لا أعرف هل يأتي بها مستدلاً بها ، أم هي لمجرد التمثيل؟ والحق أنّ ابن مالك غير مصيب في هذا ، فكأنه بناه على امتناع نقل الحديث بالمعنى ، وهو قول ضعيف»ا.هـ .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من كتاب الاقتراح ص٢١ .

(٢) في كتاب الاقتراح للسيوطي ص٢١ : " انتهى كلام أبي حيان بلفظه " .

وقد تبعه السُّيوطي في « الاقتراح »[١] . قال فيه : « وأما كلامه صلى الله عليه وسلم فيُستدل منه بما أُثبت أنه قاله على اللفظ المرويّ ، وذلك نادرٌ جداً ، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلّة أيضاً ، فإنّ غالب الأحاديث مرويّ بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فرووها بما أدّت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدّموا وأخّروا ، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ؛ ولهذا ترى الحديث الواحد [في القصة الواحدة] [٢] مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثَمَّ أُنكرَ على ابنِ مالك إثباته القواعد النحويةَ بالألفاظ الواردة في الحديث » .

ثم نقل كلام ابن الضائع وأبي حيان وقال[٣] : « ومما يدل على صحة ما ذهبا إليه ، ... أن ابن مالك استشهد على لغة أكلوني البراغيث بحديث الصحيحين : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » . وأكثرَ من ذلك حتى صار يسميها لغة يتعاقبون . وقد استشهد به السهيلي، ثم قال : لكني أنا أقول : «إن الواو فيه علامة إضمار ، لأنه حديث مختصر . رواه البزار مطولاً [٤] . فقال فيه : « إن لله تعالى ملائكةً يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار[٥]» . وقال ابنُ الأنباري - في الإنصاف - في منع « أنْ » في خبر «كاد» . وأما حديثُ «كاد الفقر أن يكون كفراً » فإنه من تغيير الرواة ، لأنّه صلى الله عليه وسلم أفصح من نَطق بالضاد»اهـ.

وقد رَدّ هذا المذهب الذي ذهبوا إليه البدر الدماميني في « شرح التسهيل»، و لله درُّه! فإنه قد أجاد في الرد ، قال :

« وقد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية، وشنّع أبو حيّان عليه وقال : إن ما استند إليه من ذلك لا يتم له ، لتطرّق احتمال الرواية بالمعنى، فلا يوثق بأن ذلك المحتجَّ به لفظه عليه الصلاة والسلام حتّى تقوم به الحجة . وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوّب رأي ابن مالك فيما فعله ، بناءً على أن اليقين ليس بمطلوب في

---

(١) كتاب الاقتراح ص١٩ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من كتاب الاقتراح ص١٩ .

(٣) كتاب الاقتراح ص٢٢ .

(٤) في كتاب الاقتراح ص٢٢ وشرح الأشموني للألفية : " مطولاً مجرداً " . وفي حاشية طبعة هارون ١٤/١ : "أي: مجرداً من علامة الجمع الموجودة مع الاسم الظاهر لعدم إسناده في تلك الرواية التالية إلى الظاهر ، بل إلى الضمير " .

(٥) قال الأشموني بعده : " وحكى بعض النحويين أنها لغة طيئ ، وبعضهم أنها لغة أزد شنوءة " .

هذا الباب ، وإنما المطلوب غلبة الظن الذي هو مناطُ الأحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقّف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب ، فالظن في ذلك كلّه كاف . ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتجّ به لم يبدَّل، لأن الأصل عدم التبديل ، لا سيما والتشديد في الضبط، والتحري في نقل الأحاديث ، شائع بين النَّقلة والمحدّثين . ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فإنما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي لا ينافي وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرّون في الضبط ويتشدّدون ، مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ؛ فيغلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدّل ، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً ، فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها. ثم إن الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدوّن ولا كتب ، وأما ما دوّن وحصِّل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم . قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى : « إنّ هذا الخلاف لا نراه جارياً ولا أجراه الناس – فيما نعلم– فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنّف ويثبت فيه لفظاً آخر » ا.هـ .

وتدوين الأحاديث والأخبار بل وكثير من المرويات ، وقع في الصّدر الأول قبلِ فساد اللغة العربية ، حين كان كلام أولَئك المبدِّلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ [1] يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال ؛ ثم دُوِّن ذلك المبدل – على تقدير التبديل– ومنع من تغييره ونقله بالمعنى، كما قال ابن الصلاح ، فبقي حجَّةً في بابه . ولا يضرّ توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر ، والله أعلم بالصّواب » ا.هـ كلام الدماميني.

وعلم مما ذكرنا – من تبيين الطبقات التي يصحُّ الاحتجاج بكلامها– أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يُعرف قائله ، صرح بذلك ابن الأنباري في كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف» ؛ وعلة ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً ، أو لمولَّد ، أو لمن لا يوثق بكلامه .

ولهذا اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح ، وفحصنا عن قائليها ، حتّى عزونا كل بيت إلى قائله – إن أمكننا ذلك – ونسبناه إلى قبيلته أو فصيلته ، وميّزنا الإسلاميّ عن الجاهليّ، والصحابيّ عن التابعيّ ، وهلمّ جرّاً ، وضممنا إلى البيت ما يتوقف عليه

(١) في النسخة الشنقيطية سقطت كلمة : " بلفظ " .

معناه؛ وإن كان من قطعةٍ نادرة أو قصيدة عزيزة ، أوردناها كاملة ، وشرحنا غريبها ومشكلها، وأوردنا سببها ومنشأها ؛ كلٌّ ذلك بالضبط والتقييد ، ليعمّ النّفع ، ويؤمن التّحريف والتّصحيف ، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ، ويدفع احتمال ضعفه .

قال ابن النحاس في التعليقة :« أجاز الكوفيون إظهار « أنْ »بعد «كي» واستشهدوا بقول الشاعر [1] :(الطويل)

أردتُ لكيما أنْ تَطِيرَ بِقُربَتِي ... فَتَتْرُكَهَا شَنًّا بِبَيْداءَ بَلْقَعِ

قال : والجواب أنّ هذا البيت لا يعرف قائله ، ولو عرف لجاز أن يكون [من] ضرورة [الشعر] .

وقال أيضاً : ذهب الكوفيون إلى جواز دخول « اللام » في خبر «لكنّ »، واحتجّوا بقوله [2] :(الطويل)

* ولكنّني مِن حُبّها لعميدُ *

والجواب أنّ هذا البيت لا يعرف قائله ولا أوله ، ولم يذكر منه إلاّ هذا ، ولم ينشده أحد ممّن وثّق في اللّغة ، ولا عُزي إلى مشهور بالضّبط والإتقان» ا.هـ.

ويؤخذ من هذا أنّ الشاهد المجهول قائله وتتمّته ، إنْ صدَر من ثقة يعتمد عليه قُبل ، وإلا فلا . ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحَّ الشواهد ، اعتمد عليها خلفٌ بعد

(١) البيت بلا نسبة في الإنصاف ٥٨٠/٢ ؛ وأوضح المسالك ١٥٤/٤ ؛ والجنى الداني ص٢٦٥ ؛ وجواهر الأدب ص٢٣٢ ؛ ورصف المباني ص٢١٦/٣١٦ ؛ وشرح الأشموني ٥٤٩/٣ ؛ وشرح التصريح ٢٣١/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٥٠٨/١ ؛ وشرح المفصل ١٦/٩ ، ١٩/٧ ؛ ومغني اللبيب ١٨٢/١ ؛ والمقاصد النحوية ٤٠٥/٤ .

والشن : القربة الخلق . وبيداء بلقع : خالية .

(٢) عجز بيت لم يعرف قائله ؛ وتمامه :

* يلومونني في حبٍّ ليلى عواذلي *

والبيت بتمامه بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٨/٤ ؛ والإنصاف ٢٠٩/١ ؛ وتخليص الشواهد ص٣٥٧ ؛ والجنى الداني ص١٣٢،٦١٨ ؛ وجواهر الأدب ص٨٧ ؛ والدرر ١٨٥/٢ ؛ ورصف المباني ص٢٣٥، ٢٧٩ ؛ وسر صناعة الإعراب ٣٨٠/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٥٩/٤ ؛ وشرح الأشموني ١٤١/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٦٠٥/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٨٤ ؛ وشرح المفصل ٦٢/٨،٦٤ ؛ وكتاب اللامات ص١٥٨ ؛ ولسان العرب (لكن) ؛ ومغني اللبيب ٢٣٣/١،٢٩٢ ؛ والمقاصد النحوية ٢٤٧/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٤٠/١ .

والعميد : الموجع المثخن .

سلف ، مع أنّ فيها أبياتاً عديدة جُهل قائلوها ، وما عيّب بها ناقلوها . وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة ، ونُظر فيه وفتّش ، فما طعن أحد من المتقدمين عليه ولا ادّعى أنّه أتى بشعر منكر . وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللّغة معرفةَ جميع ما فيها ، ولا ردُّوا حرفاً منها .

قال الجرمي : « نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً ، فأمّا الألف فقد عَرفت أسماء قائليها فأثبتّها ، وأمّا الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها »[1] . فاعترف بعجزه و لم يطعن عليه بشيء .

وقد روي هذا الكلام لأبي عثمان المازنيّ أيضاً .

ولكون أبياته أصحَّ الشواهد ، التزمنا في هذا الشرح أن ننصَّ على ما وُجد فيه منها بيتاً بيتاً ، ونميّزها عن غيرها ، ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها . وربّما رُوي البيت الواحد من أبياته أو غيرها على أوجه مختلفة، ربّما لا يكون موضع الشاهد في بعضها أو جميعها ، ولا ضير في ذلك ، لأنَّ العرب كان بعضهم ينشد شعره للآخر فيرويه على مقتضى لغته التي فطره الله عليها ، وبسببه تكثر الروايات في بعض الأبيات، فلا يوجب ذلك قدحا فيه ولا غضًّا منه . فإذا وقع في هذا الشرح من ذلك شيء نبّهنا عليه .

والتزمنا في شرح هذه الشواهد عدَّها واحداً بعد واحد ، ليسهل موضع الحوالة فيه ، ويزول التّعبُ عن متعاطيه .

---

(١) في حاشيتي طبعتي السلفية وهارون ما نصه : " كتب المغفور له أحمد تيمور باشا على هامش الخزانة ؛ في هذا الموضع ما نصه :

" ذكر شيخنا العلامة محمد محمود الشنقيطي رحمه الله في كتابه الحماسة السنية ، أن واحداً منها عرف اسم قائله ، وهو :

* أَفَبَعْدَ كِنْدَةَ تَمْدَحَنَّ قَبِيلا *

قال : وصدره :

* قَالَتْ فُطَيْمَةُ حَلِّ شِعْرَكَ مَدْحَهُ *

وهو لامرئ القيس من قصيدة عدتها ثمانية عشر بيتاً نادرة الوجود ، أوردها كلها في الحماسة المذكورة " .

والبيت من قصيدة هي في ديوان امرئ القيس ص٣٥٨ .

حلِّ ، أراد بها حلئ ؛ والمحلأ : المطرود عن الماء .

يريد : حلّ شعرك عن المديح ؛ أي : كفّ واعدل .

الأمــر الثانــي

في ذكر الـمواد التي اعتمدنـا عليها وانتقينا منها

وهي ضروب وأجناس

فمنها ما يرجع إلى «علم النحو» وهو كتاب **س**[1] . و«الأصول» لابن السراج. و«معاني القرآن » للفرّاء. و« معاني القرآن » للزجّاج . وتآليف أبي علي الفارسي : كـ « التذكرة القصرية »، و « المسائل البغدادية » ، و«المسائل العسكرية»، و«المسائل البصرية»، و«المسائل المنثورة »، و«نقض الهاذور على ابن خالويه»، و«كتاب الشعر». وتآليف تلميذه ابن جنّي : كـ « الخصائص» ، و«المحتسب»، و«شرح تصريف المازنيّ» ، و«سر الصّناعة»، و« إعراب الحماسة»، و« المبهج في شرح أسماء شعرائها»[2] و«شرح ديوان المتنبي ». و « الإنصاف في مسائل الخلاف» لابن الأنباري. و« تذكرة » أبي حيان ، و« ارتشاف الضرَب » له أيضاً . و«الضرائر الشعرية» لابن عصفور . و« الأمالي»لابن الحاجب . و« الأمالي» لابن الشجري . و«شروح الكافية ». و«شروح التسهيل » . و« مغني اللبيب »، وشروحه . وغير ذلك من المتداول.

ومنها ما يرجع إلى «شروح الشواهد » وهو شرح أبيات الكتاب : لأبي جعفر النحاس ، وللأعلم الشنتمري ، ولابن خلف ، ولأبي محمد الأعرابي المسمى « فُرحة الأديب ». و«شرح أبيات الجمل » لابن السيِّد البطليوسي ، ولابن هشام اللخمي ، ولغيرهما . و«شرح أبيات المفصَّل» لابن المستوفي الإربليّ ، ولبعض علماء العجم المسمى بالتخمير [3] . و« شرح أبيات شروح ألفية ابن مالك » للعيني ، و«شرح أبيات ابن الناظم » لابن هشام الأنصاري ، ولم يكمل . و«شرح أبيات الكشّاف»

---

(١) يرمز المؤلف بالحرف " س " إلى سيبويه ؛ وهو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، المتوفى ١٨٠ هـ .

(٢) اسم الكتاب : " المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة " . وقد صدر الكتاب محققاً في دمشق عام ١٤٠٨هـ . عن دار الهجرة .

(٣) كذا في جميع الطبعات : " التخمير " . وسيرد هذا الاسم في مواضع أخرى من هذا الكتاب باسم " التحبير " .
وفي معجم ياقوت ٢٥٣/١٦ ؛ في ترجمة ابن المستوفي :"... وله من التصانيف كتاب المجمرة في شرح المفصل - صغير - ؛ وكتاب السبيكة في شرحه أيضاً - وسط - ؛ وكتاب التجمير في شرح المفصل أيضاً ..."
وفي شرح أبيات المغني للبغدادي يرد اسم " تحرير التحبير " لابن أبي الإصبع في عدة مواضع من الكتاب .

للحموي . و«شرح أبيات التفسيرين» لخَضْر الموصلي [١] . و« شرح أبيات الإيضاح والمفتاح في علم المعاني». و«شرح أبيات التلخيص » للعباسي . و« شرح أبيات إصلاح المنطق» ليوسف بن السيرافي[٢] . و« شرح أبيات الغريب » المصنّف له أيضاً. و« شرح أبيات أدب الكاتب» للجواليقي ، ولابن السيِّد البطليوسي ، وللَّبْلي[٣] . وشرح أبيات الآداب المسمى بـ « العباب » وغير ذلك .

ومنها ما يرجع إلى « تفسير أبيات المعاني المشكلة »، وهو « أبيات المعاني» للأخفش المجاشعي ؛ و« أبيات المعاني » للأشنانداني[٤] بخط ابن جنّي وعليها أجازة أبي علي له. و« أبيات المعاني » لابن السكيت. و« أبيات المعاني » لابن قتيبة [٥] في مجلدين ضخمين . و« أبيات المعاني » لابن السيِّد البطليوسي وغير ذلك .

ومنها ما يرجع إلى « دفاتر أشعار العرب » وهو قسمان : دواوين ومجاميع «فالأول»: ديوان امرئ القيس الكندي ، وديوان الأعشى ميمون ، وديوان علقمة الفحل، وديوان ابن حِلِّزة ، وديوان أبي دُواد الإيادي ، وديوان طَرَفة بن العبد ، وديوان عمرو بن قميئَة ، وديوان طُفيل الغَنوي ، وديوان عامر بن الطفيل ، وديوان بشر بن أبي خازم ، وديوان أوس بن حَجر ، وديوان أعشى باهلة ، وديوان عوف بن عطية بن الخَرِع، وديوان مَطير بن الأشيم ، وديوان الحادرة ، وديوان المثقِّب العبدي ، وديوان لقيط بن يعمُر الإيادي ، وديوان نابغة بني شيبان ، وديوان النابغة الذبياني ، وديوان زهير بن أبي سُلمى ، وديوان أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم . «ومن شعر الصحابة »: ديوان حسان بن ثابت ، وديوان لبيد بن ربيعة العامري ،

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣١/١ :" يوجد منه نسخة بحيدر آباد ، وأخرى ببانكي بور ، واسمه : الإسعاف بشرح شواهد القاضي والكشاف . وخضر هذا ترجم له الخفاجي في الريحانة ص١٠٦ سنة ١٣٠٦هـ " .

(٢) السيرافي المشهور ، هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان النحوي القاضي ، شارح كتاب سيبويه سنة ٣٦٨هـ . وابنه هو أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ، شارح أبيات الكتاب ، والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٣) هو أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري . واللبلي نسبة إلى لَبْلة (كتمرة) ، لغوي ، ولد في لبلة من أعمال إشبيلية ، زار مصر والشام . مات بتونس سنة ٤٩٢هـ (الاعلام ٢٦٠/١ ؛ ومعجم المؤلفين ٢١٢/٢) .

(٤) طبع هذا الكتاب في دمشق عام ١٣٤٠هـ باسم " معاني الشعر " لأبي عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني ، برواية ابن دريد .

(٥) طبع هذا الكتاب في حيدر آباد الدكن عام ١٣٦٨ هـ باسم " كتاب المعاني الكبير " عن نسخة وحيدة كانت في خزانة أيا صوفيا في إستانبول . وصورت هذه النسخة عدة مرات .

وديوان كعب بن زهير ، وديوان حُميد بن ثور ، وديوان أبي محجن الثّقفي ، وديوان النمِر بن تولب ، وديوان عمرو بن معدي كرب، وديوان خفاف بن ندبة ، وديوان الخنساء أخت صخر، وغير ذلك . « ومن شعر الإسلاميين »: ديوان رافع بن هُريم اليربوعي، وديوان القَطامي ، وديوان جران العَود ، وديوان محمد بن بشير الخارجي[١]، وديوان ابن همام السَّلولي ، وديوان الشمَّاخ ، وديوان عدي بن الرِّقاع ، وديوان عُروة بن حِزام العُذري ، وديوان عبيد الله الهذلي [٢]، وديوان أبي دَهْبَل الجُمحيِّ ، وديوان الحطيئة ، وديوان عمرو بن الأهتم المِنقَري، وديوان ابن قيس الرُّقيَّات ، وديوان الفرزدق ، وديوان جرير، وديوان الأخطل النصراني ، وديوان ذي الرُّمّة ، وديوان جَميل العذري، وديوان المغيرة بن حبناء ، وديوان رجز رؤبة بن العجاج ، وديوان رجز الزَّفيان السعدي ، وديوان رجز أبي الأخزر الحِمَّاني وغير ذلك. «ومن دواوين المولّدين والمحدَثينَ » ديوان مسلم بن الوليد ، وديوان ابن الوكيع، وديوان العباس بن الأحنف ، وديوان علي بن جَبَلَة الطوسي ، وديوان أبي نواس ، وديوان ابن المعتز ، وديوان ابن الرومي ، وديوان أبي تمام الطائي ، وديوان البحتري[٣] ، وديوان الشريف المرتَضى [٤] ، وديوان المتنبي ، وديوان أبي فراس الحمداني ، وغير ذلك . «والمجاميع» منها أشعار بني محارب للشيباني . و«المفضليات» للمفضل الضبيّ . و«أشعار الهُذليين» للسكري وشرحها له ، وللإمام المرزوقي . و«أشعار لصوص العرب» للسكري أيضاً. و«النقائض» لابن حبيب[٥] . و «مختار شعر الشعراء الستة»: امرئ القيس والنابغة وعَلقمة وزهير وطَرَفة وعنترة ، وشرحها للأعلم الشنتمري .و«أشعار تغلب»لأبي عمرو الشيباني . و«مختار شعراء القبائل»[٦]

---

(١) محمد بن بشير الخارجي ، منسوب إلى خارجة بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان . شاعر أموي فصيح . (الاشتقاق ص٢٦٧ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٦/١٩٥) .

(٢) كذا في جميع الطبعات : " عبيدِ الله " . ويقال له : " عبد الله " أيضاً .

(٣) " وديوان البحتري " الكلمة ساقطة من طبعة هارون .

(٤) طبع هذا الديوان لأول مرة عام ١٩٥٨م ، بتحقيق الأديب العراقي رشيد الصفار . وقد صورت هذه النسخة عدة مرات .

(٥) في جميع الطبعات : " أبي حبيب " . وهو تصحيف .

وهو محمد بن حبيب ، وحبيب اسم أمه لا يصرف . وقد طبعت النقائض لأول مرة في مدينة ليدن الهولندية عام ١٩٠٥م ، بتحقيق المستشرق بيفان ، وبرواية محمد بن حبيب عن أبي عبيدة .

(٦) وفي غير هذا الموضع من الكتاب : " أشعار القبائل " .

لأبي تمام ، و«الحماسة » أيضاً وشرحها للنمري وأبي محمد الأعرابي وللإمام المرزوقي، وللخطيب التبريزي ، ولأبي الفضل الطَّبرسي . و« الحماسة البصرية»، و«حماسة الشريف الحَسنيّ »[1] ، و«حماسة الأعلم الشنتمري »، و«أشعار النساء» للمرْزُباني . وشروح المعلقات لابن النحاس ، وللزّوزني، وللخطيب التّبريزي. و«جمهرة أشعار العرب ». و« منتهى الطلب من أشعار العرب »: فيه أكثر من ألف قصيدة . و« اليتيمة» للثعالبي . و«كتاب المُغْربين»، و«كتاب النساء الفوارك »، و«كتاب النساء النواشز»؛ والثلاثة للمدائني . و« المجتنى » لابن دُرَيد [2] . و«شروح لامية العرب »: للخطيب التبريزي، وللزمخشري، ولغيرهما. و«شرح بانت سعاد» لابن الأنباري ، ولأبي العباس الأحول، ولابن خالويه ، ولابن هشام الأنصاري ، ولابن كُتَيلة البغدادي[3]. و«شرح البردة» لابن مرزوق[4] . وغير ذلك . «ومن المجاميع »: النوادر والأمالي .

أما النوادر فهي « نوادر أبي زيد » الأنصاري وشرحها لأبي الحسن الأخفش ولغيره. و« نوادر ابن الأعرابي » ، وشرحها لأبي محمد الأعرابي. و«نوادر أبي علي القالي»، وشرحها لأبي عبيد البكري . وأما الأمالي فهي «أمالي ثعلب»، و«أمالي

(١) في جميع الطبعات عدا طبعة هارون : " الحسيني " . وهو تحريف . وهو هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن علي بن عبيد الله بن حمزة بن محمد بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ، المعروف بابن الشجري المتوفى عام ٥٤٢هـ . وقد طبعت حماسته محققة في دمشق عام ١٩٧٠م . مطبوعات وزارة الثقافة السورية .

كما أننا لم نجد ذكراً لكتاب حماسة البحتري - بين كتب الحماسات - ، كما سيرد نفياً وتعجباً للبغدادي من وجود حماسة للبحتري . علماً بأن مخطوطة هذه الحماسة موجودة في ليدن بهولندة ، وقد صدرت بتحقيقنا في جزأين .

(٢) في طبعة بولاق الأولى : " المجتبى " . وفي حاشية الميمني على الطبعة السلفية ٣٣/١ : " في الطبعة الأولى : "المجتبى ، لابن حديد " . والتصحيح للأستاذ الراجكوتي . وفي الشنقيطية ؛ وبها أثر إصلاح : " المجتبى لابن دريد". كما جاء البغدادي في شرحه لأبيات المغني ٢٥٣/١ على ذكر الكتاب فقال : " وابن دريد في المجتبى " .

وفي حاشية طبعة هارون ٢٢/١ -ح٥ :" وقال ابن دريد في مقدمته : سميناه كتاب المجتنى لاجتنائنا فيه طرائف الآثار ، كما تجتنى أطايب الثمار " .

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحداد البجلي البغدادي . ألف شرحه في بغداد سنة ٧٢٤هـ ، كما نص على ذلك البغدادي في الخزانة ٨/٤ . وذكر أن حجم هذا الشرح في حجم شرح ابن هشام ، وأن عصري تأليفهما متقاربان .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المتوفى ٧٨١هـ .

الزجّاجي» الصغرى والكبرى ، و« أمـالي أبـي علـي القـالي »، وشـرحها لأبـي عبيـد البكري[١] ، و«ذيل أمالي القالي» للقالي أيضاً، وصلة ذيل الأمالي لـه أيضـاً ؛ و«أمـالي الصُّولي »، و«أمالي السيد المرتضى» المسـماة بـالغرر والـدرر، في مجلديـن ضخمـين . و«أمالي شيخنا الشهاب الخفاجي».

ومنها ما يرجع إلى فن الأدب وهي : «البيان» للجاحظ ، و«المحاسن والأضداد» له أيضاً، وكتاب « الشعر والشعراء » له أيضاً[٢] . و« الكامل» للمبرد، وشرحه لابن السِّيد البَطْليوسي ، ولأبي الوليد الوَقَّشي[٣] ، ولغيرهما. و«العقد الفريـد» لابـن عبد ربِّه . و«زهر الآداب » للحُصْري ، و«جواهر النكـت والملـح» لـه أيضـاً . و«ديـوان المعـاني» لأبـي هـلال العسـكري . و«الأغـاني» للأصفهـاني في عشـرين مجلـداً . و«العمدة» لابن رشيق ، في مجلدين .و«المثل السائر» لابن الأثير . و«تحرير التحبـير» لابن أبي الإصبَع . و«مساوي الخمر»لابن الحباب السـعدي . و«الأوائـل» لابـن هبـة اللـه الموصلي في مجلدين . و«مدرج البلاغة» لابن فضالة المجاشعي[٤] . و«نقد الشِّعر» لـقُدامة الكاتب ، وشرحه لعبد اللطيف البغدادي . و«سفر السعادة» للسخاوي .

ومنها مايرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة وأنسـاب العـرب وهـو : «سـيرة ابن هشام» وشرحه : «الروض الآنف» للسهيلي . و«سيرة الكَلاَعي». و«سـيرة ابـن سيِّد الناس». و«سيرة الشامي». و«الاستيعاب» لابـن عبـد الـبر . و«الإصابـة» لابـن حجر. و«جمهرة الأنساب» لابن الكلـبي ، ومختصرهـا ليـاقوت الحمـوي . و«أنسـاب قريش»، للزُّبير بن بكّار . و«مقدمة الاستيعاب» لابن عبـد الـبَرّ . و«المعـارف» لابـن قتيبة . و«تنكيس الأصنام»لابن الكلبي[٥] .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٤/١ للأستاذ الميمني : " اشتبه على البغدادي أمر الأمالي والنـوادر . والأعجـب أنه عدد شرح الأمالي أيضاً للبكري مع أنه شيء واحد ، فإن كل ما نقله عنه يوجد في اللآلئ شرح أمالي القـالي سـواء نقله بلفظه شرح الأمالي ، أو شرح النوادر . وقد حققنا الأثر في مجلة الزهراء ٥٩٢/٣ " .

(٢) لم يأتِ البغدادي على ذكره إلا في هذا الموضع من الخزانة .

(٣) الوقّشي – بتشديد القاف – نسبة إلى وقّش ؛ وهي مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة . ومنها أبو الوليد هشام ابن أحمد بن هشام الكناني الحافظ المعروف بالوقشي الجليل عالم الزمن . (معجم البلدان ٣٨١/٥ – " وقش ") .

(٤) كذا في جميع الطبعات . وفي حاشية الميمني في الطبعة السلفية ٣٤/١ :" ابن فضالة غلط ، صوابه ابـن فضّـال – كشداد – ، ترجم له في معجم الأدباء ٢٨٩/٥-٢٩٥ " .

(٥) هو الكتاب المعروف بكتاب الأصنام ، نشره أحمد زكي باشا في مصر سنة ١٣٣٢ هـ .

ومنها ما يرجع إلى طبقات الشعراء وغيرهم وهو : « كتاب الشعراء » لابن قتيبة. و«المؤتلف والمختلف» للآمدي . و« الموشَّح» لأبي عبيد الله المرزُباني[١] . و«كتاب المعمّرين» لأبي حاتم السجستاني . و« كتاب المقتولين غِيلة »لابن حبيب، و« كتاب مَن نسب إلى أُمه من الشعراء » له أيضاً . و« كتاب المنسوبين إلى أمهاتهم» للحلواني بخطه . و« طبقات النحويِّين » للتاريخي[٢] . وطبقاتهم أيضاً لأبي عبد الله اليمني . و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي ، في عدة مجلدات .

ومنها ما يرجع إلى كتب اللغة وهو : « الجمهرة» لابن دريد . و«الصحاح» للجوهري . و« العباب» للصاغاني[٣] . و« القاموس » لمجد الدين . و« اليواقيت» لأبي عُمَر المطَرِّزي[٤] . و« كتاب ليس» لابن خالويه . و« النهاية » لابن الأثير . و«الزاهر » لابن الأنباري . و« المصباح » لخطيب الدهشة[٥] . و« التقريب في علم الغريب » لولده[٦] . و« كتاب النبات » في مجلدات كبار ستّة لأبي حنيفة الدِّيَنَوَري. و«إصلاح المنطق» لابن السِّكّيت ، وشرحه لِلّبْلي ، ومختصره للخطيب التبريزي . و«كتاب الألفاظ» لابن السكيت . و« أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وشرحه للجواليقي، ولابن السيد البطْلَيوسي، وللزجَّاجي ، ولِلّبْلي ، ولابن بَريّ . و«الفصيح»

(١) في حاشية الطبعة السلفية يقول الميمني ٣٥/١ : " صوابه لأبي عبيد الله . والموشح ظنه البغدادي في طبقات الشعراء ، وللمرزباني كتب في هذا المعنى . إلا أن الموشح في ما أخذوه على الشعراء ليس إلا " .

وفي حاشية طبعة هارون ٢٤/١ : "وليس الموشح في طبقات الشعراء ، وإنما هو في نقد الشعراء وإن كان مظهره مظهر الطبقات " .

(٢) هو أبو بكر محمد بن السريّ السرّاج المتوفى سنة ٣١٦ هـ . (مراتب النحويين ص١٣٥) .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٣٥/١ :" نسبة إلى صغانيان . والصغاني نسبة أخرى إليها ، وبها ينعت صاحب العباب أحياناً .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : " لأبي عمرو المطرزي " . وهو تصحيف . وفي طبعة هارون : " لأبي عمر المطرزي " .

وهو أبو عمر الزاهد – غلام ثعلب – محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أحد الرواة الأثبات ، كانت صناعته تطريز الثياب ، توفي سنة ٣٤٥هـ . (إنباه الرواة ١٧١/٣ ؛ ومراتب النحويين ص٢٧) .

(٥) في حاشية الطبعة السلفية ٣٥/١ : " هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي ؛ وكان يعرف بخطيب جامع الدهشة. توفي سنة ٧٧٠ هـ " .

(٦) واسمه محمود بن أحمد الفيومي المتوفى سنة ٨٣٤هـ . وكتابه في غريب الموطأ والصحيحين . (كشف الظنون ٣١٨/١) .

لثعلب ، وشروحه لابن درستويه ، وللهرويّ ، وللمرزوقي ، ولِلَّبْلي ، ولابن هشام اللخمي ، ولغيرهم . و«ذيل الفصيح » لعبد اللطيف البغدادي. و«كتاب الأضداد » لابن السكيت، ولعبد الواحد اللغوي ، ولغيره . و« كتاب الفروق» لأبي هلال العسكري . و« كتاب البيضة والدرع »لأبي عبيدة . و«خَلق الإنسان » للزجَّاج . و« المعرّبات » [١] للجواليقي . و« المثلّثات » لابن السيِّد البَطلَيوسي . وكتاب «التفسُّح » في اللغة لأبي الحسين النحوي. و« المرصّع »لابن الأثير . و«المزهر» للجلال السيوطي. و«كتاب القلب والإبدال » لابن السكيت [٢] و«كتاب المذكر والمؤنث » له أيضاً ولغيره . و« كتاب الأيام والليالي» للفرّاء . و«كتاب اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر » لأبي عُمر المطرّزي[٣] . و« كتاب الأنواء وأسماء الشهور» للزجّاج. و« الأنواء » لأبي العلاء المعري [٤] وغيره . و«المقصور والممدود» لابن الأنباري ، وللقالي ، ولابن ولّاد ، ولغيرهم ، وغير ذلك.

ومنها ما يتعلق بأغلاط اللغويين وهو : « التنبيهات على أغاليط الرواة»[٥] لعلي ابن حمزة البصري وفيه :« أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي »، و« أغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني» ، و« أغلاط النبات »لأبي حنيفة الدِّينَوَري ، و«أغلاط الغريب المصنّف » لأبي عبيد ، و«أغلاط إصلاح المنطق » لابن السكيت ، و« أغلاط الجمهرة »لابن دريد، و« أغلاط المجاز » لأبي عبيدة، و«أغلاط الفصيح » لثعلب، و« أغلاط الكامل» للمبرد ، وغير ذلك. و«كتاب التصحيف للحسن العسكري»[٦]، و«كتاب التنبيه على حدوث التصحيف» لحمزة الأصفهاني . و«لحن العامة» للجواليقي [٧] ولأبي بكر الزُّبيدي . وحاشية ابن بَريّ على صحاح الجوهري .

---

(١) طبع هذا الكتاب مرتين باسم " المعرب " .

(٢) كذا في أصل بولاق والسلفية . وفي حاشية الطبعة السلفية ، يقول الميمني ٣٦/١ :" الصواب " القلب والإبدال" . وكتاب مطبوع " : ولقد طبع الكتاب ببيروت باسم القلب والإبدال سنة ١٩٠٣م .

(٣) في أصل الطبعات : " لأبي عمرو " . وفي حاشية طبعة هارون ٢٦/١ : " وفي ش - الشنقيطية - لأبي عمر ، مع أثر تصحيح ، وهو الصواب " .

(٤) لم نجد مَنْ ذكر اسم هذا المؤلف في تآليف المعري .

(٥) في أصل جميع الطبعات : " أغلاط " . وهو تصحيف صوبناه . وأغلاط ، جمعها أغاليط .

(٦) كلمة : " كتاب التصحيف " للحسن العسكري ؛ ساقطة من طبعة هارون .

(٧) طبع الكتاب محققاً باسم : " تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة " . في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٣٥ .

و«أغلاط الجوهري للصلاح الصفدي ». و« درة الغَوّاص » للحريري ، وشرحها لابن بريّ ، [ولابن ظَفر[١]] ، ولابن الحنبلي ، ولشيخنا الشهاب الخفاجي.

ومنها كتب الأمثال وهي : « أمثال أبي عبيد القاسم بن سلاّم »، وشرحها لتلميذه . و«أمثال أبي فيد »: مؤرِّج السَّدوسي . و«الفاخر» للمفضل بن سلمة[٢] والأمثال التي على « أفعَل »لحمزة الأصفهاني . و«مجمع الأمثال» للمَيداني . و«مستْقصى الأمثال» للزمخشري . وغير ذلك .

ومنها كتب الأماكن والبلاد وهي : « المعجم فيما استعجم »لأبي عبيد البكري في ثلاث مجلدات كبار . و« معجم البلدان » لياقوت الحموي في عشر مجلدات كبار، وغير ذلك مما لو سردتُه لطال ، وأورث السأم والملال .

الأمر الثالث

يتعلق بترجمة الشارح المحقق والحبر المدقق ، رحمه الله وتجاوز عنه

و لم أطّلع على ترجمة له وافية بالمراد ، وقد رأيت في آخر نسخة قديمة من هذا الشرح ما نصه : « هو المولى الإمام ، العالم العلامة ، ملك العلماء ، صدر الفضلاء ، مفتي الطوائف، الفقيه المعظم ، نجم الملة والدين ، محمد بن الحسن الأستَراباذي . وقد أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية [٣] في ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة ».

هذا صورة ما رأيته . وهذا التاريخ غير موافق لما أرّخه هو في آخر شرْحه قبل أحكام هاء السكت . قال فيه : « هذا آخر شرح المقدمة ، والحمد لله على إنعامه

---

(١) في أصل طبعتي بولاق والسلفية ساقط قوله : " ولابن ظفر " . والتكملة من طبعة هارون نقلاً عن الشنقيطية .

(٢) في جميع الطبعات : " والفاخر للمفضل الضبي " . وهو تصحيف . صوابه : الفاخر لأبي طالب المفضل بن سلمة اللغوي الكوفي ؛ أما المفضل الضبي ، فهو المفضل بن محمد بن يعلى ، صاحب كتاب المفضليات .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٣٧/١ : " هي المدينة المنورة . ومن ضواحيها الغرو ، والغراء . ومن آطامها غرة ، وهو الذي بنيت منارة مسجد قباء مكانه . والغري كغني .." .

وفي حاشية طبعة هارون ٢٨/١:"نسبة إلى الغري ، وهو مشهد الإمام علي بن أبي طالب بالنجف".وهو الأرجح .

وإفضاله ، بتوفيق إكماله ، وصلواته على محمد وكرام آله . وقد تمَّ تمامه وختم اختتامه ، في الحضرة المقدسة الغروية على مشرِّفها أفضل تحية رب العزة وسلامه ، في شوّال سنة ست وثمانين وستمائة » .

وقد أورده الجلال السيوطيّ في « معجم النحويين »[1] ولم يعرف اسمه ، قال : «الرضيّ الإمام المشهور ، صاحب « شرح الكافية » لابن الحاجب الذي لم يؤلف عليها بل ولا في غالب كتب النحو مثلُه جمعاً وتحقيقاً وحسنَ تعليل . وقد أكبّ الناس عليه وتداولوه ، واعتمده شيوخ العصر فمن قبلهم في مصنفاتهم ودروسهم . وله فيه أبحاث كثيرة واختيارات جمّة ومذاهب ينفرد بها. ولقبه نجم الأئمة ، ولم أقف على اسمه ولا على شيء من ترجمته . إلا أنه فرغ من تأليفه هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وأخبرني صاحبنا شمس الدين بن عزم بمكة أن وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وستمائة ، الشك مني . وله شرح على الشافية ».

هذا ما ذكره السيوطي ، والتاريخان غير موافقين لما ذكرناه . وقد ذكر البقاعي «في مناسبات القرآن » تاريخ هذا الشرح كما نقلنا ، قال : « هو محمد بن الحسن الأستِراباذي العلامة نجم الدين ، وتمم «شرح الكافية » في سنة ست وثمانين وستمائة. ولم ينقل الشرح من العجم إلى الديار المصرية إلا بعد أبي حيان وابن هشام » ا.هـ .

وعلى هذا لا يمكن أن يكون تاريخ وفاته ماذكره السيوطي ؛ فإنه عاش مدة يحرر شرحه ، ولهذا تختلف نسخه اختلافاً كثيراً ، كما نقله السيد الجرجاني في إجازته الآتية . وشرحه للشافية متأخر عن شرحه للكافية فلا يصح ذلك التاريخ. وعصره قريب من عصر ابن الحاجب، فإن وفاة ابن الحاجب كانت في سنة ست وأربعين وستمائة .

وقد رأيت أن أكتب هنا صورة إجازة الشريف الجرجاني لمن قرأ عليه هذا الشرح، فإنه بالغ في تقريظه وأطرى ، ومدح الشارح بماهو اللائق والأحْرَى . وهي هذه : « أحمده على جزيل نواله، وأصلي على نبيه محمد وصحبه وآله . وبعد فإن صناعة الإعراب لا يخفى شأنها ، في رفعة مكانها ، تجري من علوم الأدب مجرى الأساس ، وتتنزل منها منزلة البرهان من القياس . وبها يتم ارتشاف الضَّرَب ، من تراكيب كلام العرب . بل هي مِرقاة منصوبة إلى علم البيان ، المطلِع على نكت نظم

(١) هو الكتاب المعروف باسم بغية الوعاة انظر ص٢٤٨ فيه .

القرآن . وإنّ شرح الكافية – للعالم الكامل نجم الأئمة ، وفاضل الأمة ، محمد بن الحسن الرضيّ الأستَراباذي ، تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه – كتاب جليل الخطر ، محمود الأثر، يحتوى من أصول هذا الفن على أمهاتها ، ومن فروعه على نكاتها ، قد جمع بين الدلائل والمباني وتقريرها، وبين تكثير المسائل والمعاني وتحريرها ، وبالغ في توضيح المناسبات ، وتوجيه المباحثات ، حتى فاق ببيانه ، على أقرانه ، وجاء كتابه هذا كعقد نُظم فيه جواهر الحكم ، بزواهر الكلم. لكن وقع فيه تغييرات ، وشيء كثير من المحو والإثبات ، وبدّل بذلك صور نُسخه تبديلاً، بحيث لا نجد إلى سيرتها سبيلاً . وإني – مع ما منيت به من الأشغال ، واختلال الحال ، وانتكاس سوق الفضل والكمال ، وانقراض عصر الرجال ، الذين كانوا محط الرحال، ومنبع الأفضال ، ومعدن الإقبال [(١)] ، ومجمع الآمال ؛ وتلاطم أمواج الوسواس ، من غلبة أفواج الشوكة وظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس – قد بذلتُ وسعي في تصحيحه بقدر ما وفى به حسّي مع تلك العوائق ، ووسعه مقدرتي مع موانع العلائق ، فتصَحّح إلا ما ندر ، أو طغى به القلم أو زاغ البصر . وقد قرأه عليّ من أوله إلى آخره ، المولى الإمام ، والفاضل الهمام ، زبدة أقرانه في زمانه ، وأسوة الأفاضل في أوانه ، محمد حاجي ابن الشيخ المرحوم السعيد عمر بن محمد – زيدت فضائله كما طابت شمائله – قراءة بحث وإتقان ، وكشف وإيقان . وقد نقرّ فيها عن معضلاته ، وكشف عن وجوه مخدَّراته . هذا ، وقد أجزتُه أن يرويه عنّي مع سائر ما سمعه عليّ من الأحاديث وفنون الأدب والأصولين ، راجياً منه أن لا ينساني في خلواته، وفي دعواته عقيب صلواته ، لعل الله يجمعنا في جناته ، ويتغمدنا بمرضاته ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير . كتبه الفقير الحقير الجاني ، علي بن محمد الحسيني الجرجاني . وذلك بمحروسة سمرقند سنة اثنتين وثمانمائة » .

وهذا آخر الإجازة . وقد حان أن نشرع فيما انتوينا ، ونتوجه إلى ما انتحينا ، راجين من الله إخلاص العمل ، والعصمة عن الزيغ والخطل . ومن هنا نقول ، وعلى الله القبول .

أنشد في

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " ومدن الإقبال " . وهو تصحيف . وفي طبعة هارون : " ومعدن الإقبال " . بالتصحيح . وفي حاشية الطبعة السلفية ٣٩/١ : " لعله " معدن الإقبال " .

خـواص الاســـم

(الطويل) [1] :

١ - يَقُولُ الخَنَى وأَبغَضُ العُجْمِ ناطِقاً
إلى ربِّنا صَوتُ الحِمَارِ اليُجَدَّعُ

أورده الشارح ، وابن هشام في «مغني اللبيب» ، على أن «أل» في «اليجدع» اسم موصول ، دخل على صريح الفعل لمشابهته لاسم المفعول، وهو مع ذلك شاذّ قبيح لا يجيء إلا في ضرورة . وقال الأخفش : أراد الذي يجدع كما تقول : هو الـ «يضربك»، تريد الذي يضربك . وقال ابن السراج في «كتاب الأصول » : لما احتاج إلى رفع القافية قلب الاسم فعلاً ، وهو من أقبح ضرورات الشعر . قيل : لا ضرورة فيه فإنه يمكن أن يقول «يجدع» بدون «أل» لاستقامة الوزن ، وأن يقول «المتقصع».

أقول : هذا مبني على أن معنى الضرورة عند هذا القائل ما ليس للشاعر عنه مندوحة، وهو فاسد كما يأتي بيانه . والصحيح تفسيرها بما وقع في الشعر دون النثر سواء كان عنه مندوحة أوْ لا.

قال شارح « شواهد الألفية » : « ذاك مسلم في « يجدع » دون « المتقصع » فإنه يلزمه الإقواء وهو عيب ».

أقول : لا يلزمه الإقواء ؛ فإن اليربوع مرفوع ، والمتقصع وصفه كما يأتي بيانه . وقيل « أل » فيه زائدة والجملة صفة الحمار أو حال منه ، لأن «أل » في الحمار جنسية ، وهذا لا يتمشى في أخواته .

---

(١) هو الإنشاد السادس والستون من شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لذي الخرق الطهوي في تخليص الشواهد ص١٥٤ ؛ والدرر ٢٧٥/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٩٢/١ ؛ وشرح شواهد المغني ١٦٢/١ ؛ واللسان (جدع) ؛ والمقاصد النحوية ٤٦٧/١ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ١٥١/١ ؛ وتاج العروس (لوم) ، وتذكرة النحاة ص٣٧ ؛ وجواهر الأدب ص٣٢٠ ؛ ورصف المباني ص٧٦ ؛ وسر صناعة الإعراب ٣٦٨/١ ؛ ومغني اللبيب ٤٩/١ ؛ وشرح المفصل ١٤٤/٣ ؛ وكتاب اللامات ص٥٣ ؛ واللسان (عجم ، لوم) ؛ونوادر أبي زيد ص٦٧ ؛ وهمع الهوامع ٨٥/١ .

أراد بقوله : " اليجدع " . الذي يجدع .

وقول الشارح المحقق « لمشابهته لاسم المفعول » يريد أنها إذا دخلت على مضارع مبني للمفعول إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم المفعول ، نحو « اليجدع واليتقصع » .

وقول الفرزدق [1] : (البسيط)

ما أنْتَ بالحَكَمِ التُرْضَى حُكومَتُهُ ولا الأصِيْلِ ولا ذِي الرَّأيِ والجَدَلِ

وإذا دخلتْ على مضارع مبني للفاعل إنما تدخل عليه لمشابهته لاسم الفاعل كقوله [2] : (الطويل)

وليسَ اليَرَى لِلخِلِّ مثلَ الَّذي يَرَى لهُ الخِلُّ أهلاً أن يُعَدَّ خَلِيلا

وقوله [3] : (البسيط)

ما كاليَرُوحُ ويغْدُو لاهِياً فَرِحاً مُشَمِّرٌ يَستَدِيمُ الحَزْمَ ذُو رَشَدِ

وقوله [4] : (السريع)

لاتبعَثَنَّ الحَربَ إنِّي لكَ الْـ ـيُنذِرُ مِنْ نِيْرَانِهَا فَاتَّقِ

وقوله [5] : (الطويل)

فَذُو المَالِ يُؤتِي مالَهُ دُونَ عِرضِهِ لِمَا نَابَهُ والطَّارِقِ اليَتَعمَّلُ

---

(١) البيت للفرزدق في الإنصاف ٢/ ٥٢١؛ وجواهر الأدب ص٣١٩ ؛ والدرر ١/ ٢٧٤ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١/ ٢٩٢ ؛ وشرح التصريح ١/ ٣٨،١٤٢ ؛ وشرح شذور الذهب ص٢١ ؛ واللسان (أمس،لوم) ؛ والمقاصد النحوية ١/ ١١١. وهو ليس في ديوانه .وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ٢٠ ؛ وتخليص الشواهد ص١٥٤؛ والجنى الداني ص٢٠٢؛ورصف المباني ص٧٥، ١٤٨ ؛وشرح الأشموني ١/ ٧١؛ وشرح ابن عقيل ص٨٥ ؛وهمع الهوامع ١/ ٨٥ .

(٢) البيت بلا نسبة في تخليص الشواهد ص١٥٤ ؛ وجواهر الأدب ص٣٢٠ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١/ ٢٩٢.

والخل والخليل : الصديق .

(٣) البيت بلا نسبة في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/ ٢٩٣ ؛ وتخليص الشواهد ص١٥٤ ؛ وجواهر الأدب ص٣٢١ ؛ والدرر ١/ ٢٥٧ ؛ وهمع الهوامع ١/ ٨٥ .

(٤) البيت بلا نسبة في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/ ٢٩٣ .

(٥) البيت بلا نسبة في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/ ٢٩٣ .

وقوله[١] : (الطويل)

أحِينَ اصْطَبَانِي أَنْ سَكَتُّ وإنَّنِي لفِي شُغُلٍ عَنْ دخْلِيَ اليُتَتَبَّعُ

وقول أبي علي الفارسي في « المسائل العسكرية »: إن دخول « أل » على الفعل المضارع لم يوجد إلا في « اليجدع واليتقصع »، وأظن حرفاً أو حرفين آخرين، ليس كذلك كما ذكرنا ؛ وسكت عن دخولها على الظرف نحو [٢] : (الرجز)

مَنْ لايزالُ شَاكراً على المَعَهْ فَهْو حَرٍ بِعَيشَةٍ ذاتِ سَعَهْ

وقوله [٣] : (الطويل)

وغيَّرني ما غَالَ قَيساً ومَالِكاً وعَمراً وحُجراً بِالمشَقَّرِ أَلْمعَا

يريد اللذين معا - وقال الكسائي : أراد معا و « أل » زائدة - وعن دخولها على الجملة الاسمية نحو[٤] : (الوافر)

بلِ القومُ الرّسولُ الله فيهم هُمُ أهلُ الحُكومَةِ مِنْ قُصَيٍّ

---

(١) البيت لسلامان الطائي في تهذيب اللغة ٢/٢٨٥ ، ١٣/١١٩ ، ١٥/٤٦٣ ؛ واللسان (تبع) . وهو بلا نسبة في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/٢٩٣ ؛ واللسان (أمس ، لوم) مع اختلاف بسيط في الرواية .

(٢) هو الإنشاد الرابع والستون في شرح أبيات المغني للبغدادي . والرجز بلا نسبة في الجنى الداني ص٢٠٣ ؛ وجواهر الأدب ص٣٢١ ؛ والدرر ١/٢٧٧ ؛ وشرح الأشموني ١/٧٦ ؛ وشرح شواهد المغني ١/١٦١ ؛ وشرح ابن عقيل ص٨٦ ؛ ومغني اللبيب ١/٤٩ ؛ والمقاصد النحوية ١/٤٧٥ ؛ وهمع الهوامع ١/٨٥ .

وفي شرح أبيات المغني للبغدادي ١/٢٩٠ : " أي : على الذي معه . ومن : موصولة بمعنى الذي ، وضمن معنى الشرط ، ولذا جاء في خبره الفاء ، وهو جملة قوله : فهو حرّ " .

(٣) البيت لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك هو في ديوانه ص١١٤ ؛ وجمهرة أشعار العرب ص٧٥٥ ؛ والمراثي ص٧٨ ؛ والمفضليات ص٢٦٩ ؛ واللسان (لمع ، لوم) . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢/٤٢٤ ؛ والمخصص ١٢/٢٠٩ .

وفي كتاب المراثي : " ... وحكوا عن خالد بن كلثوم ، أنه قال : أراد معاً ، فأدخل الألف واللام " .

غال : أهلك . والمشقر : حصن بالبحرين .

(٤) هو الإنشاد الخامس والستون في شرح أبيات المغني للبغدادي ، مع خلاف يسير في الرواية . وهو بلا نسبة في الإنصاف ٢/٥٢١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١/٢٩١ ؛ وشرح ابن عقيل ١/١٣٧ ؛ والدرر ١/٦١ ؛ وهمع الهوامع ١/٨٥ .

وفي شرح أبيات المغني :" يريد : الذين رسول الله .... وقصي : أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم " .

لأنه لا يرد النقض بها وإن كانت موصولة اسمية شاذة كشذوذها مع الفعل والكل خاص بالشعر .

قال الشاطبي في « شرح ألفية ابن مالك »: وأما « أل » فمختصة بالأسماء على جميع وجوهها : من كونها لتعريف العهد ، أو الجنس ، أو زائدة، أو موصولة أو غير ذلك من أقسامها .

واعلم أنّ صريح مذهب الشارح المحقق في « الضرورة » هو المذهب الثاني وهو ما وقع في الشعر ، وهو مذهب الجمهور . وذهب ابن مالك إلى أنها ما ليس للشاعر عنه مندوحة ، فوصلُ « أل » بالمضارع وغيره عنده جائز اختياراً ، لكنه قليل ، وقد صرح به في « شرح التسهيل » فقال : وعندي أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة لإمكان أن يقول الشاعر : صوت الحمار يجدع ، وما من يَرى للخل ، والمتقصع ، وإذا لم يفعلوا ذلك مع الاستطاعة ففي ذلك إشعار بالاختيار وعدم الاضطرار . وما ذهب إليه باطل من وجوه :

« أحدها » إجماع النحاة على عدم اعتبار هذا المنزع وعلى إهماله في النظر القياسي جملة. ولو كان معتبراً لنبهوا عليه .

« الثاني » أن الضرورة عند النحاة ليس معناها أنه لا يمكن في الموضع غير ما ذكر، إذ ما من ضرورة إلا ويمكن أن يعوض من لفظها غيره ، ولا ينكر هذا إلا جاحد لضرورة العقل. هذه « الراء » في كلام العرب من الشِّياع في الاستعمال بمكان لا يجهل ، ولا تكاد تنطق بجملتين تَعريان عنها ، وقد هجرها واصل بن عطاء لمكان لُثغته فيها ، حتّى كان يناظر الخصوم ويخطب على المنبر فلا يسمع في نطقه راء ، فكان إحدى الأعاجيب حتى صار مثلاً . ولا مرية في أن اجتناب الضرورة الشعرية أسهل من هذا بكثير وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد أدّى أن لا ضرورة في شعر عربي. وذلك خلاف الإجماع ، وإنما معنى الضرورة أن الشاعر قد لا يخطر بباله إلا لفظة ما تضمنته ضرورة النطق به في ذلك الموضع إلى زيادة أو نقص أو غير ذلك ، بحيث قد يتنبه غيره إلى أن يحتال في شيء يزيل تلك الضرورة .

« الثالث » أنه قد يكون للمعنى عبارتان أو أكثر ، واحدة يلزم فيها ضرورة إلا أنها مطابقة لمقتضى الحال ، ولا شك أنهم في هذه الحال يرجعون إلى الضرورة ، لأن اعتناءهم بالمعاني أشد من اعتنائهم بالألفاظ . وإذا ظهر لنا في موضع أن ما لا ضرورة

فيه يصلح هنالك فمن أين يعلم أنه مطابق لمقتضى الحال.

« الرابع » أن العرب قد تأبى الكلام القياسي لعارض زِحاف ، فتستطيب المزاحفَ دون غيره أو بالعكس ، فتركب الضرورة لذلك .

وقد بَسط الردَّ عليه الشاطبي في « شرح الألفية » ، وهذا أنموذج منه . ثم قال : وقد بيَّنت هذه المسألة بما هو أوسع من هذا في باب الضرائرمن أصول العربية .

وهذا البيت ثاني أبيات سبعة أوردها أبو زيد في نوادره لذي الخِرَق الطُّهَويّ وهي[1] : (الطويل)

أتاني كَلامُ الثُّعْلَبيِّ ابنِ دَيْسَقٍ ... ففي أيِّ هذا ويلَهُ يَتَتَرَّعُ

يقولُ الخَنَى وأبغضُ العُجْمِ ناطِقاً ... إلى ربِّنا صوتُ الحِمارِ اليُجَدَّعُ

فهَلاَّ تمنّاها إذِ الحربُ لاقِحٌ ... وذو النَّبَوان قَبرُه يَتَصَدَّعُ

يَأتِكَ حَيّا دارمٍ وهُما معاً ... ويأتكَ ألفٌ من طُهَيَّةَ أقرعُ

فيُستخرجَ اليَربُوعُ من نافِقائِهِ ... ومِنْ جُحره بالشِّيحَةِ اليُتَقصَّعُ

ونحنُ أخَذْنَا الفارسَ الخَيْرَ منكُمُ ... فَظَلَّ - وأَعْيَا ذُو الفَقار - يُكَرَّعُ

ونحنُ أخذنا -قَدْ عَلمتُمْ- أسيرَكُمْ ... يَسَاراً فنُحْذِي مِنْ يَسَارٍ ونَنقَعُ

قوله « أتاني كلام الثعلبي » هو بفتح المثلثة وسكون العين المهملة كما في «نوادر أبي زيد » في نسخة قديمة صحيحة ، نسبة إلى ثعلبة بن يربوع[2] : أبي قبيلة ، لا بمثناة فوقية فغين معجمة نسبة إلى تغلب بن وائل : أبي قبيلة كما ضبطه بعضهم . فإن «ابن ديسق » هو أبو مذعور طارق بن دَيسق بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع .. كذا سرد نسبه الأسود أبو محمد الأعرابي الغُندِجاني في شرحه نوادر ابن الأعرابي ، وأورد له شعراً جيداً .و« ديسق » علم منقول ، قال الصاغاني في «العباب» : قال الليث : « الديسق » خوان من فضة ، والطريق المستعمل ، والحوض

---

(١) القطعة في خمسة أبيات في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/٢٩٢-٢٩٣ ؛ ونوادر أبي زيد ص٦٦-٦٧ لذي الخرق الطهوي ، نقلاً عن نوادر أبي زيد .

وفي طبعة هارون روي الصدر : "أتاني كلام ابن الثعلبي ابن ديسق " . وبهذه الرواية اختل الوزن .

(٢) في طبعة بولاق : " ثعلب بن يربوع " . وهو تصحيف . وفي طبعتي السلفية وهارون : " ثعلبة بن يربوع " . وفي شرح أبيات المغني للبغدادي ، نقلاً عن نوادر أبي زيد ص٦٦ : "... بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع " . وانظر في ذلك جمهرة أنساب العرب ص٢٢٤ .

الملآن ، والشَّيخ ، والنُّور ، وكل حلي من فضة بيضاء صافية ، ووعاء من أوعيتهم ؛ مأخوذ من الدَّسَق بفتحتين وهو امتلاء الحوض ، يقال : ملأت الحوض حتى دسق ، أي : ساح ماؤه . وقيل هو بياض الحَوض وبريقه . وقوله « يتترَّع » التترُّع بفتحتي التاء المثناة فوق والراء ، في « العباب »: ترِع الرجل كفرِحَ ، إذا اقتحم الأمور مرحاً ونشاطاً . وقيل ترع سارع إلى الشرّ والغضب ، وتترّع إليه بالشر أي : تسرع . وكأنه توعده بالقتل والسبي والنهب وماأشبه ذلك . يقول : إلى أي هذه الأمور يسابق بشرِّه وبَلائه. وقوله « يقول الخنى ..» البيت ، قال الجوهري وتبعه الصاغاني: «هذا من أبيات الكتاب » وهذا لا أصل له . وقد تصفّحتُ شواهد سيبويه في عدة نسخ و لم أجده فيها . قال الصاغاني : لم أجد هذا البيت في شعر ذي الخِرق ، وقد قرأت شعره في أشعار بني طُهيَّة . وساق له أبياتاً سبعة لم يكن هذا البيت فيها ، وذكر له بيتاً بدل ماقبل البيت الأخير، وهو [١] : (الطويل)

ونحنُ حَبسْنا الدُّهمَ وَسْطَ بيوتِكُمْ   فَلَمْ تَقْـربُوها والـرِّمَـاحُ تَـزعْـزَعُ

و« الخنى » بالخاء المعجمة والنون : الفحش من الكلام ، وألفه منقلبة عن ياء ، ولهذا كتبت بالياء . يقال : كلام خَنٍ وكلمة خنيّة ، وقد خنِيَ عليه بالكسر وأخنى عليه في منطقه ، إذا أفحش . وهو منصوب بالقول لتضمنه معنى الجملة كقلت قصيدةً، فلا حاجة لتأويل يقول بيفُوه ويتكلّم . وجملة « يقول الخنى » تفسير لقوله أتاني كلام التغلبي . و«أبغض» اسم تفضيل على غير قياس ، لأنه بمعنى اسم المفعول من أبغضته إبغاضاً فهو مبغَض ، أي : مقتّه وكرهته ، ولأنه من غير الثلاثي ، أوْ هو[٢] من بغُض الشيء بالضم بغاضة بمعنى صار بغيضاً ، فلا شذوذ . قال السخاوي في «شرح المفصل»: قالوا هو أبغض لي من زيد وأمقت لي منه ، أي : يبغضني أكثر مما يبغضني زيد ، وقالوا إنه مردود إلى بغُض ومقُت ، يقال بغُض بغاضة ، إذا صار بغيضاً . قال ابن بَرِّيّ : إنما جعل شاذاً لأنه جعل من أبغض ، والتعجب لا يكون من أفعل إلا بأشد. وليس كما ظن الجوهري ، بل هو « من بغض فلان إليَّ ». وحكى اللغويون والنحويون « ماأبغضني له » إذا كنت أنت المبغض له ، و«ماأبغضني إليه» إذا كان هو المبغض لك . انتهى . و« إلى » في التفضيل غير ماذكر في التعجب . فإن «إلى » هنا بمعنى «عند »ومجرورها فاعلٌ معنى . و «العُجم»: جمع أعجم وعجماء،

(١) البيت لأبي الخرق الطهوي في تاج العروس (جدع) .

(٢) في طبعة بولاق : " وهو " . وهو تصحيف . وفي طبعتي السلفية وهارون : " أوْ هو " .

وهو الحيوان الذي لا ينطق . والأعجم أيضاً : الإنسان الذي في لسانه عُجمة، وإن كان بدوياً ، لشبهه بالحيوان . و « ناطقاً » فاعل من النطق، قال الراغب: النطق في التعارف : الأصوات المقطّعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان.. ولا يقال للحيوانات ناطق إلا مقيداً أو على طريق التشبيه، كقول الشاعر [1] : (الطويل)

عَجِبْتُ لها أنَّى يكونُ غِناؤُهَا فَصِيحاً ولَمْ تفغَرْ بِمَنْطِقِها فَمَا

انتهى . وهو هنا مجاز عن الصوت ، من إطلاق الخاص وإرادة العام ، وهو منصوب على التمييز للنسبة ، وأصله : وأبغض نطق العجم، أي : تصويتها ، فلما حذف صارت نسبة البغض إلى العجم مبهمة ففسرت بالتمييز ، ولا بد من هذا المحذوف ليصح الإخبار . أراد الشاعر تشبيه صوته إذ « يقول الخنى »، في بشاعته بصوت الحمار إذ تقطع أذناه . وصوت الحمار شنيع في غير تلك الحال، فما الظن به فيها ؟! وزعم جماعة أن « ناطقاً » حال ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : هو حال من العجم . ويَرد عليه أنه مفرد وصاحب الحال جمع . ومن صححه بإنابة المفرد مناب الجمع ، أو أَن « ناطقاً » بمعنى ذات نطق ، فقد تكلّف . وقال بعضهم : هو حال من أبغض ، ويرد عليه أن الأصح أن المبتدأ لا يتقيد بالحال . وجوز هذا القائل أن يكون حالاً من ضمير يقول ، مع اعترافه بأنه يلزم الفصل بين المبتدأ والخبر بالأجنبي . وذهب بعضهم إلى أنه حال من ضمير « أبغض » ، وهذا سهو ، إذ ليس فيه ضمير، ولو كان خبراً لتحمله . وقوله « إلى ربنا » متعلق بأبغض . وروى ابن جنّي في «سر الصناعة»: «إلى ربه » فالضمير يرجع إلى ابن ديسق . وقوله « اليجدَّع » قال الصاغاني : « الجَدْع بالدال المهملة : قطع الأنف ، وقطع الأذن ، وقطع اليد ، وقطع الشَّفة. وجدعته أي : سجنته وحبسته ». ثم قال : « وحمار مجدّع مقطوع الأذنين». وأنشد هذا البيت عن « نوادر أبي زيد » . وزعم شارح« مغني اللبيب »- وهو الحق- أنّه من جدعت الحمار : سجنته ، قال : لأن الحمار إذا حبس كثر تصويته ، وإذا جعل من الجدع الذي هو قطعِ الأذن لم يظهر له معنى. قال السيوطي: « وليس كما قال ، لأنّ صوت الحمار حالةَ تقطيع أذنه أكثر وأقبح . وكأنه ظن أن المراد صوته بعد التجديع ؛ وليس كذلك ، بل المراد وقت التجديع ». هذا كلامه، وفيه

---

(١) البيت لحميد بن ثور في ديوانه ص٢٧ ؛ وديوان المعاني ٣٢٩/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٩٥/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٣٣١ ؛ واللسان (فغر ، غنا) . والمخصص ٩/١٣ .

البيت قاله في وصف حمامة . ويعني بالمنطق بكاءها . وفغر فمه : فتحه وشحاه .

نظر فإنه قيل لا يصوت عند قطع أذنه أصلاً، وقيل : إن الحمار إذا كان مقطوع الأذن يكون صوته أرفع ، وإنما كان صوت الحمار مستكرهاً لأنّ أوله زفير وأخِره شهيق؛ وهذه الحالة تنفر منها الطباع . وقد ورد تمثيل الصوت المرتفع بصوت الحمار في القرآن ، قال تعالى في وصية لقمان لابنه [١] : «واغضُضْ من صوتك إنّ أنكَر الأصواتِ لصوتُ الحَمير»، أي : أوحش الأصوات وأقبحها . قال القاضي [٢] : «وفي تمثيل الصوت المرتفع به [٣] ثم إخراجه مُخرَج الاستعارة مبالغة شديدة» . وقال معين الدين الصفوي [٤] : «شبّه الرافعينَ صوتَهم بالحمير من غير أداة التشبيه ، مبالغةً في التنفير . ولما كان صوته لا يكاد يختلف ، وأصواتُ سائر الحيوانات مختلفة جداً ، أفرد وجمعت . والحمير بمنزلة أسماء الأجناس على الأصح . والظاهر أن أنكر الأصوات إلخ كلام لقمان ، وقيل هذا من كلام الله» انتهى. وهذا القول الأخير يناسبه قول الشاعر « إلى ربنا » فإن « إلى » بمعنى «عند». وقال النسفي : ولو كان في ارتفاع الصَّوت فضيلة لم يُستشنع صوت الحمار الذي هو أرفع الأصوات . وقوله: « فهلا تَمنّاها » الضمير راجع إلى معهود في الذهن، أي : فهلا تمنى الحرب حين كانت حُبلى بمنايا الرجال ، ومقارعةِ الأبطال. و« لاقح » من لقِحت الناقة لقَحا ، من باب تعب، فهي لاقحٌ مطاوع ألقح الفحل الناقة إلقاحاً : أحبلها ؛ كذا في المصباح . وقوله «وذو النَّبوان » في شرح « نوادر أبي زيد » « وذُو النبوان [٥] لم يعرفه أبو زيد ». و«النبوان» - بفتح النون والباء الموحدة - اسم ماء بنجد لبني أسد ، وقيل لبني السيِّد من ضبّة. كذا في « معجم البلدان » لياقوت الحموي [٦] . ويقال له نبوان أيضاً بلا

---

(١) سورة لقمان : ١٩/٣١ .

(٢) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ، صاحب التفسير المتوفى سنة ٦٨٥هـ ؛ ونسبته إلى البيضاء ، وهي بلدة بفارس قرب شيراز . واسم تفسيره : " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " .

(٣) لفظ القاضي : " بصوته " .

(٤) صاحب كتاب " جامع البيان في تفسير القرآن " . وفي حاشية الطبعة السلفية ٤٦/١ : "... ولعل هذه منقولة من كتاب آخر له ، لأننا لم نجدها في تفسير آية " إن أنكر ..." من كتابه جامع البيان .

(٥) في أصول جميع الطبعات : " والنبوان لم يعرفه أبو زيد " .

وفي شرح أبيات المغني للبغدادي ٢٩٦/١ ، وكذلك في نوادر أبي زيد ص٦٧ :" وفي شرح نوادر أبي زيد : ذو النبوان : لم يعرفه أبو زيد ، وأقول : قال ياقوت في معجم البلدان - نبوان - : النبوان - بفتح النون والباء الموحدة- : اسم ماء بنجد لبني أسد ، وقيل : لبني السيد ، فالمراد بذي النبوان : رجل ، وهو إما ...." .

(٦) معجم البلدان (نبوان) .

لام، قال أبو صخر الهُذَلي [١] : (الكامل)

ولـهـا بِـــذِي نـبَـوانَ مَـنـزِلَـةٌ قَـفـرٌ سِوى الأرواحِ والـرِّهَـمِ

أي : لها بأراضي نبوان منزلة . والمراد بـ « ذي النبوان » هنا رجـل ، وهـو إمـا صاحب هذا الماء أو لأنه دفـن في أرضهـا . و « التصـدع »: التشـقق، يقـال صدعتـه صدعاً ، من باب نفع : شققته . وصدعت القوم صدعاً فتصدعوا : فرّقتهم فتفرقـوا . والمراد به هنا الحَفر والنبش ، أي : هلا تمنيتَ الحرب إذ قتلنا منكم ذا النبوان فحفـرتَ له قبراً وواريته فيه، وأنت شديد الحزن عليه و لم تقـدر علـى الأخـذ بثـأره ؟! وقولـه : «يأتِكَ حيا دارم » فيه التفـات مـن الغيبـة إلى الخطـاب ، جـزم « يـأت » في جـواب شرط مقدر ، أي : إن تمنيت حربنا يأتك الحيان من دارم دفعـة . ودارم : أبـو قبيلتـين من تميم . و« طُهيَّة » : حيّ من تميم ، سموا باسم أمهم ، وهي طهية بنت عبـد شمس ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهـي أم أبـي سُـود وعـوف بـن مـالك بـن حنظلـة ، والنسبة إليهـا طُهْـوي بسـكون الهـاء وبعضهـم يفتحهـا علـى القيـاس . و« أقـرع » بالقاف: تام ، يقال ألف أقرع، ودرهم أقرع ، ومائة قرعـاء . وقولـه : « فيسـتخرجَ اليربوع .. الخ » الفاء للسببية ، و« يستخرجَ » منصوب بأن مضمـرة وجوبـاً ، وهـو مبني للمفعول ، ويجوز بالبناء للفاعل نسبة إلى الألفِ . و« اليربوع » : دُويْـبَّةٌ تحفـر الأرض - والياء زائدة، لأنّه ليس في كلام العرب فَعلول سوى صَعْفُوق على ما فيه - وله جحران أحدهما : القاصِعاء وهو الذي يدخـل فيـه . وأمـا قـول الفـرزدق يهجـو جريراً [٢] : (الكامل)

وإذا أخذتُ بقاصعـائك لـم تَـجِـدْ أحداً يُعِيـنُكَ غَيـرَ مَنْ يَتقَـصّـعُ

فمعناه إنما أنت في ضعفك إذا قَصدتُ لك كأولاد اليرابيع لا يعينـك إلا ضعيـف مثلك . والآخر : « النافقاء » وهو الجُحر الذي يكتمـه ويُظهـر غيره ، وهـو موضعٌ يرقّقه ، فـإذا أُتـيَ مـن قِبـل القاصعـاء ضـرب النافقـاءَ برأسـه فـانتفق ، أي : خـرج . وجمعهما قواصع ونوافق. ونافق اليربوع : أخذ في نافقائه ، ومنه المنافق، شبّه باليربوع

---

(١) البيت لأبي صخر الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص٩٧٢ ؛ وديوانه ص١١٥ ؛ وتاج العروس (نبا) ؛ ومعجم البلدان (نبوان) .

والرهم : جمع الرهمة ، وهي المطر الضعيف الدائم الصغير القطر .

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ٤٢٤/١ ؛ وتاج العروس (قصع) ؛ وتهذيب اللغة ١٧٥/١ ؛ واللسان (قصع) .

لأنّه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه ، وقيل لأنه يستر كفره ، فشبه بالذي يدخل النفقَ - وهو السَّرَب- يستتر فيه . والجحر يكون للضب واليربوع والحية ، والجمع جِحَرة ، كعنبة . وانجحر الضب على انفعل : أوى إلى جحره . وقوله «بالشيحة » رواه أبو عُمر الزاهد وغيره تبعاً لابن الأعرابي : « ذي الشِّيحة » وقال : لكل يربوع شيحة عند جحره . وردّ الأسود أبو محمد الأعرابي الغُندِجاني على ابن الأعرابي وقال [1]: ماأكثر مايصحِّف في أبيات المتقدمين ، وذلك أنّه توهم أن ذا الشيحة موضع يُنبت الشيح ، وإنما الصحيح : « ومن جحره بالشِّيخة» بالخاء المعجمة، وقال : هي رملة بيضاء في بلاد بني أسد وحنظلة . وكذا رواه الجرمي أيضاً. و«الشين» في الروايتين مكسورة . وقوله « اليتقصّع » رواه أبو محمد الخوارزمي عن الرياشي بالبناء للمفعول . يقال : تقصَّع اليربوع دخل في قاصعائه ، فتكون صفة للجُحر وصلته محذوفة، أي : من جحره الذي يتقصّع فيه ، كما قدّره ابن جنّي في «سر الصناعة». وروي بالبناء للفاعل ، فيكون صفة اليربوع ولاحذفَ . ورواه أبو زيد « المتقصَّع» بصيغة اسم المفعول وقال: «والمتقصّع متفعّل من القاصعاء» ، فيكون صفة اليربوع أيضاً لكن فيه حذف الصلة . قال أبو الحسن الأخفش في شرح نوادر أبي زيد : رواه لنا أبو العباس ثعلب« اليَتقصّع واليجدّع»، قال : هكذا رواه أبو زيد. قال : والرواية الجيدة عنده « المتقصّع والمجدّع ». وقال: لا يجوز إدخال « أل » على الأفعال ؛ فإن أريد بها «الذي»كان أفسدَ في العربية . وكان لا يلتفت إلى شيء من هذه الروايات التي تشذ عن الإجماع والمقاييس . ومعنى البيت : إنكم إن حاربتمونا، جئناكم بجيش لُهَام ، يحيطون بكم فيوسعونكم قتلاً وأسراً ، ولا نجاة لكم ولو احتلتم بكلّ حيلة ، كاليربوع الذي يجعل النافقاء حيلة لخلاصه من الحارش ، فإذا كثر عليه الحارش ؛ أخذوا عليه من نافقائه وقاصعائه ، فلا يبقى له مهرب البتة .

وروى بعض شراح الشواهد هذا البيت بعد البيتين الأولين ، ولم يزد على الثلاثة، وظن أن قوله « يَستخرج » اليربوع بالبناء للمعلوم - معطوف على قوله « يقول الخنى » فقال : ووصفه أخيراً بالخديعة والمكر .

ثم أخذ الشاعر في الفخر عليه بما فعل قومُه فيهم من القتل والأسر في الحروب

---

(١) المقطع بكامله في نوادر أبي زيد ص٦٧ ؛ وحرفيته في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/٢٩٧ ؛ وفيه زيادة وهي قوله : " وردّ أبو محمد الأعرابي على ابن الأعرابي في ضالة الأديب " .
بينما أنقص أبو زيد في نوادره ص٦٧ القول : " بالبناء للمفعول " .

السابقة فقال : « ونحن أخذنا .. الخ » الخير هنا إما أفعل تفضيل أي : أفضلكم ، وإما مخفف خيّر بالتشديد ، أي : الجيد الفاضل . « ومنكم » على التقديرين متعلق بأخذنا . وقوله « فظلّ » أي : استمرَّ في أسرنا . وقوله « وأعيا ذو الفقار » هو بفتح الفاء ، قال الصاغاني : هو معشر بن عمرو الهمْداني . وهو فاعل « أعيا » ، من أعيا في مشيه أي: كلّ ، بمعنى لم يقدر على شيء . وجملة « يكرَّع » بالبناء للمفعول حال من الفاعل ، ومعناه تقطع أكارعه : جمع كُراع بالضم وهو - كما قال ابن فارس - من الإنسان : مادون الركبة ، ومن الدوابّ : مادون الكعب. وروى الصاغاني : «وأضحى ذو الفقار يكرع » فجملة «يكرع » إما خبر « أضحى » ، أو حال أيضاً إن كانت تامة . وقوله «ونحن أخذنا قد علمتم » الخ يقول : نحن قد فككنا يساراً - الذي أسرتموه - من أسركم بأموالنا . فنحن نُعطي ونضيف من ثروة ، وأنتم صعاليك لا تقدرون علي شيء من ذلك . و« يسار »الأول اسم رجل، والثاني بمعنى الغنى والثروة . و« نحذِي » بضم النون وسكون المهملة والذال المعجمة بمعنى نُعطِي، من الإحذاء . وهو الإعطاء . و«ننقع» بالنون والقاف ، يقال : نَقَع الجزورَ ينقَع بفتحتين نقوعاً ، إذا نحرها للضيافة . قال الصاغاني : وفي كلام العرب إذا لقى الرجل منهم قوماً يقول : ميلوا يُنقع لكم ، أي : يجزر لكم ، كأنه يدعوهم إلى دعوته. والنقيعة : الجزور التي تجزر للضيافة . وفسر بعض مَن كتب على نوادر أبي زيد «ننقُع » بقوله نُروى . وهذا غير مناسب . وقال الرياشي : حفظي « ونمنع » ومصدره المنعِ إما مقابل الإعطاء ، وإما بمعنى الحياطة والنصرة . يقال فلان [في][1] عزّ ومنعة بالتحريك ، وقد تسكن النون ، وكلاهما مناسب لنُحذي . قال الصاغاني : والمانع - من صفات الله تعالى - له معنيان: أحدهما مقابل الإعطاء ، والثاني أنّه يمنع أهل دينه ، أي : يحوطهم وينصرهم .

﴿ تتمة ﴾

نسب أبو زيد في « نوادره » هذا الشعر **لذي الخِرق الطُّهوي** قال : «وهو جاهلي»[2] . ومن لقّب من الشعراء من بني طهية ذا الخرق ثلاثة : «أحدهم» خليفة

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في شرح أبيات المغني للبغدادي ١ / ٢٩٨ : " وقد أنشد أبو زيد في نوادر هذه الأبيات لذي الخرق الطهوي ؛ وقال : إنه جاهلي ، وفيه نظر ، فإن له ولطارق بن ديسق أشعاراً في قصة نحر غالب ، والد الفرزدق....."

ابن حمل بن عامر [١] بن حميريّ بن وقدان بن سُبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة بن طهية ، ولقّب ذا الخرق بقوله [٢] : (البسيط)

مـا بَـالُ أمِّ حُبَيْشٍ لاتكلّمُنـا لَـمَّا افتـقَرنا وقَدْ نُثْري فَنَنْتَفِقُ
تُقطِّعُ الطَّرْفَ دُونـي وهْي عَابسةٌ كمَـا تَشَاوسَ فيكَ الـثّـائِرُ الـحَنِقُ
لَـمّـا رأتْ إبـلِـي جَاءتْ حُمُولَتُها غَرثَى عِجَـافاً عليها الرِّيشُ والخِرَقُ
قـالتْ : ألا تـبْتَغِي مَالاً تَعيشُ بـهِ عمَّا تُلاقِي وَشَرُّ العِيشَـةِ الرَّمَـقُ [٣]
فِيْئِـي إليـكِ فـإنّـا مَعْشَرٌ صُبُرٌ فـي الـجَدْبِ لا خِفَّـةٌ فِينَا ولا مَلَقُ
إنّـا إذَا حُطمَـةٌ حَتَّتْ لـنَا وَرقَـاً نُمَـارسُ العَيشَ حتَّى يَـنبتَ الـوَرقُ

« الثاني » قُرط ، ويقال له : ذو الخرق بن قرط [٤] أخو بـني سعيدة بـن عـوف ابن مالك بن حنظلة بن طهية ، وهو فارس أيضاً .

« الثالث » شَمير بن عبد الله بن هلال بن قُرط بن سعيدة ، كـذا في «المؤتلف والمختلف » للآمدي. و لم يذكر هذا صاحب « العباب» و لم أر من قيد أحد هذه الثلاثة بكونه جاهلياً ، فلا يظهر أن هذا الشعر لمن هو من هؤلاء الثلاثة . وقال العينيّ: إن ذا الخرق الطهوي صاحب الشعر اسمه دينار بن هلال . ولا أدري مـن أين نقله . وقال شارح شواهد المغني : وفي «المؤتلف والمختلف » للآمدي أن اسمه قرط ، شـاعر جاهلي ، سمّي بذلك لقوله :

* جـاءتْ عِجـافـاً عليـهـا الـرِّيـشُ والـخِـرقُ *

---

(١) في المؤتلف والمختلف ص١٥٦ : " خليفة بن عامر " . بإسقاط " حمل " . وفي شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠١/١ : " أحدهما : خليفة بن حمل بن عامر بن حميري بن وقدان بن سبيع ..." . ولم يسقط " حمل " .

(٢) الأبيات في شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠١/١ ؛ والمؤتلف ص١٥٦ . والأبيات ٣-٦ في الأصمعيات ص١٢٤ ؛ بخلاف يسير في الرواية ؛ والثالث في اللسان والتاج (خرق) . انظر في ترجمته شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠٠/١ .

الطرف : العين . وتشاوس : نَظَرَ نَظَرَ ذي نخوة وكبر . والغرثى : الضامرة . والعجاف : الهزلى التي لا شحم ولا لحم عليها . والرمق : القليل من العيش . وفيئي إليك : ارجعي إلى نفسك . والحطمة : السنة الشديدة لأنها تحطم كل شيء . وحت الورق : قشره . ونمارس : نعالج .

(٣) في الأصمعيات ص١٢٤ روي العجز : " مما تلاقي وشر العيشة الرمق " .

(٤) في شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠٠/١ : "... واسمه قرط ، ويقال : ذو الخرق بن قرط أخو بني سعيدة ...". ورواية البغدادي في شرح أبيات المغني مأخوذة عن المؤتلف.وفي المؤتلف والمختلف:"ويقال : ذو الخرق بن قرط" .

وفيه ثلاثة أمور [١] : الأول أن الآمدي لم يذكـر هـذا الشعر فكيـف ينسبه إلى قرط. الثاني أنّه لم يقيد قرطاً بكونه جاهلياً . الثالث أنّ هذا الشعر ليس لقـرط ، وإنمـا هو لخليفة بن حمل كما تقدم آنفاً . وفيه أيضاً أن الرواية «غرثى عجافاً » لا «جاءت عجافاً » .

بقي من يلقب بذي الخرق من الشعراء من غير طهيّة . وهـم اثنـان: أحدهمـا ذو الخرق اليربوعي أحد بني صَبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد منـاة بـن تميـم . والثاني : ذو الخرق بن شُريح بن سيف بن أبان بن دارم . وهذا والذي قبله من شعراء الجاهلية .

ومن غير الشعراء « ذو الخرق » النُّعمان بن راشد بن معاوية بن عمرو بن وهب ابن مرّة، كان يُعلِمُ [٢] نفسه في الحرب بخرق حمر وصفر .

و« ذو الخرق » أيضاً : فرس عَبّاد بن الحارث بن عـدي بـن الأسـود[٣] ، كـان يقاتل عليه يوم اليمامة . والخرق : جمع خرقة وهي القطعة من الثوب .

و« **الأسود الغُندِجاني** » ترجمَهُ ياقوت الحمـوي في « معجـم الأدبـاء » المسـمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب [٤] ، قال : هو الحسن بن أحمـد أبـو محمـد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة ، وغندجان بلد قليل الماء لا يخرج منـه إلا أديب أو حامل سلاح . في القاموس : غَندجَان بالفتح [٥] بلد بفارس بمفازة مَعطشَـة. وكان الأسود صاحبَ دنيا وثروة ، وكان عارفاً بأيام العرب وأشعارها ، قيِّمـاً بمعرفـة أحوالها . وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبي النـدى. وكـان قـد رزق في

(١) المقطع بكامله مع اختلاف يسير في شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠٢/١ . وفيه : " وفيـه نظر من وجهين : الأول : أن الآمدي لم يقيد قرطاً بأنه جاهلي . الثاني : أن هذا الشعر إنما أورده الآمدي لخليفة بن حمل كما تقـدم ، مع أن الرواية " غرثى عجافاً " . وقـال العيـني : اسمه دينـار بـن هـلال ، ولا أدري من أين أخـذه ، واللـه تعالى أعلم...".

(٢) أعلم الفارس نفسه أو فرسه ، جعل أولها علامـة ؛ والمعلـم : الفـارس الـذي جعـل لنفسه علامـة الشـجعان في الحرب .

(٣) انظر في ذلك القاموس (خرق) وأسماء الخيل للغندجاني ص١٠٨ .

(٤) معجم الأدباء ٢٦١/٧-٢٦٤ .

(٥) ضبطه ياقوت في معجم الأدباء ومعجم البلدان : " غُنْدِجان " . انظر في ترجمته معجم البلدان (غندجان).

أيامه سعادة ، وذاك أنه كان في كنف الوزير العادل أبي منصور بهرام بن مافنّه ، وزير الملك أبي كالَنْجار [١] ابن بهاء الدولة ابن بويه صاحب شيراز ، وقد خطب له ببغداد بالسلطنة . وكان الأسود إذا صنف له كتاباً جعله باسمه . وكان يُفضل عليه إفضالاً جماً، فأثرى من جهته . ومات أبو منصور الوزير في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة . قال ياقوت : وقرأت في بعض تصانيفه أنّه صنفه في شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقرئ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. وله من التصانيف : «فُرحة الأديب» ، في الرد على يوسف بن أبي سعيد السيرافي[٢] في شرح أبيات سيبويه. وكتاب « قيد الأوابد » في الرد على ابن السيرافي أيضاً في شرح أبيات إصلاح المنطق. وكتاب «ضالّة الأديب » في الرد على ابن الأعرابي في « النوادر » التي رواها ثعلبٌ عنه . وكتاب « الرد على أبي علي النمري في شرح مشكل أبيات الحماسة » . وكتاب «نزهة الأديب » في الرد على أبي علي في التذكرة. وكتاب « السَّلّ والسرقة». و«كتاب الخيل » : مرتب على حروف المعجم. وكتاب « في أسماء الأماكن » . وأكثرها عندي ، ولله الحمد والمنة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني من شواهد سيبويه [٣] : (المتقارب)

٢- ولا أرْضَ أبقَلَ إبْقالَها

أوله :

---

(١) في جميع الطبعات : " أبي كالنجار " . وفي معجم الأدباء : " كاليجار " .

(٢) أبو سعيد السيرافي ، هو الحسن بن عبد الله .

(٣) هو الإنشاد التسعون بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيت لعامر بن جوين في تخليص الشواهد ص٤٨٣ ؛ والدرر ٢٦٨/٦ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٧/٨ ؛ وشرح التصريح ٢٧٨/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٣٣٩ ، ٤٦٠ ؛ وشرح شواهد المغني ٩٤٣/٢ ؛ والكتاب ٤٦/٢ ؛ والتاج (ودق) ؛ واللسان (أرض ، بقل) ؛ والمقاصد النحوية ٤٦٤/٢ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٣٥٢/١ ؛ وأوضح المسالك ١٠٨/٢ ؛ وجواهر الأدب ص١١٣ ؛ والخصائص ٤١١/٢ ؛ والرد على النحاة ص٩١ ؛ ورصف المباني ص١٦٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٥٧/١ ؛ وشرح ابن عقيل ٢٤٤ ؛ وشرح الأشموني ١٧٤/١ ؛ وشرح المفصل ٩٤/٥ ؛ ولسان العرب (خضب) ؛ والمحتسب ١١٢/٢ ؛ ومغني اللبيب ٦٥٦/٢ ؛ والمقرب ٣٠٣/١ ؛ وهمع الهوامع ١٧١/٢ .

(فــلا مُزْنَــةٌ وَدقَــتْ وَدْقَـهــا)

أورده نظيراً لعرفات : في كونها مؤنثة لا يجوز فيها التذكير إلا بتأويل بعيد، وهو أن يراد بهما المكان . وأورده أيضاً في باب المذكر والمؤنث على أنّه لا يحذف علامة التأنيث من المسند إلى ضمير المؤنث المجازي إلا لضرورة الشعر . وهو من شواهد الكتاب و«مغني اللبيب » . قال ابن خلف : الشاهد فيه أنّه ذكّر « أبقل » وهو صفة للأرض ضرورةً، حملاً على معنى المكان ، فأعاد الضمير على المعنى وهو قبيح . والصحيح أنه ترك فيه علامة التأنيث للضرورة واستغنى عنه مما علم من تأنيث الأرض. وإلى هذا الوجه أشار أبو علي . وقال غيره : وإنما قبح ذلك لاتصال الفاعل المضمر بفعله ، فكأنه كالجزء منه حتى لا يمكن الفصل بينهما بما يسدُّ مسدّ علامة التأنيث . ولا يخفى مافيه . وعند ابن كيسان والجوهري أن الفعل إذا كان مسنداً لضمير المؤنث المجازي لا يجب إلحاق علامة التأنيث .

وقول بعضهم : وهذا ليس بضرورة لأنه كان يمكنه أن يقول « ولا أرضَ أبقلتِ إبقالها » بنقل حركة الهمزة إلى ماقبلها وإسقاطها - ليس بجيد ، لأن الصحيح أن الضرورة ماوقع في الشعر ، سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا . وأجاب السيرافي بأنه يجوز أن يكون هذا الشاعر ليس من لغته تخفيف الهمزة ، وحينئذ لا يمكنه ماذكره . وذكر ابن يسعَون أنّ بعضهم رواه بالتاء بالنقل المذكور . وقال ابن هشام: فإن صحت الرواية وصح أن القائل ذلك هو الذي قال و« لا أرض أبقل » بالتذكير صحَّ لابن كيسان مُدّعاه ، وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم بعضاً ، وكلٌّ يتكلم على مقتضى لغته التي فطر عليها ، ومن هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات .

وزعم جماعة أنه لا شاهد فيه ، فقال ابن القوّاس في « شرح ألفية ابن معطي » أنه روى « إبقالها » بالرفع ، مسنداً إلى المصدر . ويردّه أن إبقالها منصوب على المصدر التشبيهي ، أي : ولا أرض أبقلت كإبقال هذه الأرض . ولو كان كما زعم كان معناه نفي الإبقال ، وهو نقيض مراد الشاعر . وزعم بعضهم أن ضمير أبقل عائد على مذكر محذوف ، أي : ولا مكان أرض ، فقال أبقل باعتبار المحذوف ، وقال إبقالها باعتبار المذكور . وهذا فاسد أيضاً ، لأن ضمير إبقالها ليس عائداً على الأرض المذكورة هنا ، فتذكير « أبقل » باعتبار المحذوف لا دليل عليه، ولو قال إن الأرض مما يذكر ويؤنث - كما قال أبو حنيفة الدّينَوَري في «كتاب النبات» عندما أنشد هذا البيت : إن الأرض تذكّر وتؤنّث ، وكذلك السماء ، ولهذا قال أبقل إبقالها

- لكان وجهاً .

قال ابن الحاجب في أماليه : الضمير في « ودقها » و « إبقالها » ، راجع إلى غير المزنة والأرض المذكورتين ، ولا يستقيم أن يعود إليهما لئلا يصير مخبراً أنّه ليس مزنة تدق مثلَ ودق نفسها ، وهو فاسد . وإن لم تقدّر محذوفاً كان أفسد ، إذ يصير المعنى أنه ليس مزنة تَدِقُ وَدْق نفسها ، والأمر على خلافه ، إذ لا تدقُ مزنة إلا ودق نفسها. فوجب أن يكون التقدير ، فلا مزنة ودقت ودقاً مثل هذه المزنة ، المحذوفة . وزعم الصاغاني في « العباب » [١] : أن الرواية «ولا روض أبقل إبقالها » ، وهذا لا يصادم نقل سيبويه لأنه ثقة ، والاعتماد عليه أكثر .

فقوله : « فلا مزنة الخ » « لا » الأولى نافية للجنس على سبيل الظهور عاملة عمل ليس أو ملغاة ، والثانية نافية للجنس على سبيل التنصيص، و«مزنة» اسم « لا » إن كانت عاملة عمل ليس ، أو مبتدأ إن كانت غير عاملة ، وصح الابتداء بالنكرة إمّا للعموم وإما للوصف . وجملة «ودقت » محلها نصب : خبر لا ، أو رفع : خبر المبتدأ، أو نعت لـ «مزنة» والخبر محذوف ، أي : موجودة أو معهودة . وجملة « أبقل » خبر لا فقط، ولا يجوز كونها صفة لاسم لا ، كما جوزه شراح الشواهد ؛ لأنه يجب حينئذ تنوين اسم لا لكونه مضارعاً للمضاف. والمزنة - واحدة المزن- السحابة البيضاء ، ويقال المطرة . والمعنى هنا على الأول . انتهى . وكلاهما غير صحيح ، أما الأوّل فلأن السحابة البيضاء لا ودق لها ، وأما الثاني فيرده قوله تعالى [٢] : « أأنتُمْ أنزلتُموهُ مِنَ المُزْنِ» . والودق : المطر ، قال المبرد في « الكامل » : يقال ودَقت السماء يافتى تَدِق ودقاً ، قال تعالى [٣] : « فترى الوَدْقَ يخرجُ منْ خِلالـه » ، وأنشد هذا البيت . و «أبقل » قال الدّينَوري في «كتاب النبات » : يقال بقل المكان يَبْقُل بقولاً إذا نبت بقله ، وأبقل يبقل إبقالاً وهذا أكثر اللغتين وأعرفهما ، وأكثر العلماء يردّ بقل المكان. وقال بعض الرواة : أبقلت الأرض وأبقلها الله وبَقل وجهُ الغلام إذا خرج وجهه [٤]. وقال بعض علماء العربية : أبقل المكان ثم يقولون : مكان باقل ،

(١) النص في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٧/٨ ؛ وفيه : " وزعم الصاغاني ... " ولا روض أبقل إبقالها " . ولو كان البيت كذلك ، لقال : " ولا روض أبقل إبقاله " بتذكير الضمير ..." .

(٢) سورة الواقعة : ٥٦/ ٦٩ .

(٣) سورة الروم : ٤٨/٣٠ .

(٤) أي : خرجت لحيته .

قال : ولا نعلمهم يقولون بقلِ المكان . ومثله قولهم أدْرستِ الأرض ونبت دارس ، ولا يقولون غيرها، وقال أيضاً : أعشب البلد ثم قال : بلد عاشب ، وكذا قال أبو عبيدة والأصمعي ، وتبعهما ابن السّكّيت وغيره ، قالوا : يقال : بلد عاشب ، ولا يقال إلاّ « أعشب » ، وباقل الرِّمْث - وهو نبت - وقد أبقل ، ودارس الرمث وقد أدرس ، فيقولون في النعت على فاعل ، وفي الفعل على أفعلَ ، كذا تكلمت به العرب. قال الدّينَوَري -وتبعه علي بن حمزة البصري في « كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة»- : وقد جاء عن العرب ما يردّ عليهم ، قال رؤبة [1] : (الرجز)

* يُمْلحنَ من كلِّ غَميس مُبقلِ *

وقال ابنُ هَرْمة [2] : (الطويل)

لرُعْتُ بصفراءِ السُّحالةِ حُرَّةً لها مَرتعٌ بينَ النَّبيطَينِ مُبقلُ

وقال آخر :

* ولا أرضَ أبقل إبقالها *

فجاء به على أبقل يقل فهو مبقل . وقال النابغة الجعدي [3] : (المتقارب)

على جَانِبَيْ حَائِرٍ مُفْرطٍ بِبَرْثٍ تَبوَّأنَهُ مُعْشبِ

وقال الدِّينَوَريّ في موضع آخر : « النبات كله ثلاثة أصناف : شيء باق على الشتاء أصلُه وفرعه . وشيء آخر يُبيد الشتاء فرعه ويبقى أصله ، فيكون نباته في أرومته الباقية . وشيء ثالث يبيد الشتاء أصله وفرعه ، فيكون نباته من بزره . وكل

(١) الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ص١٨١ ؛ والمخصص ١٠/١٧٤ ، ١١/٤٢ . وهو لأبي النجم في التاج (بقل) واللسان (بقل) .

ملح : ورد . والغميس : الجدول الصغير بين البقل والنبات .

(٢) البيت في ديوان ابن هرمة ص١٦٥ ؛ واللسان (بقل ، برث) .

راع : أدهش . والحرة : الفتاة العربية الحسناء . والنبيطين : اسم موضع . والسحالة : موضع .

(٣) البيت في ديوان النابغة الجعدي ص٣٢ ؛ والتنبيه والإيضاح ١/١٧٨ ؛ والتاج (برث) ؛ واللسان (برث ، بقل). وهو بلا نسبة في التاج (فرط) .

الحائر : ما أمسك الماء . والمفرط : المملوء . والبرث : الأرض البيضاء الرقيقة السهلة . وتبوأنه : أقمن به ؛ والضمير يعود على نساء تقدم ذكرهن .

ذلك يتفرق ثلاثة أصناف أخر : فصنف يسمو صعداً على ساقه مستغنياً بنفسه عن غيره . وصنف يسمو أيضاً صعداً لا يستغني بنفسه ، ويحتاج إلى ما يتعلق به ويرتقي فيه. وصنف ثالث لا يسمو ولكن يتسطّح على الأرض فينبت مفترشاً . فيقال لكل ما سما بنفسه : شجر ، دقّ أو جلّ ، قاوم أو عجز عنه . وقيل له شجر لأنّه شجرَ فسما، فكلُّ ما سمكتَه ورفعته فقد شجرته . وما كان منه ينبت في بزره ولا ينبت في أرومته فاسمه البقل .وكل نابتة بقلةٌ في أول ما تنبت ، ولذلك قيل لوجه الغلام أوَّلَ ما يخرج : بَقَل . وما نبت في أرومة وكان مما يهلك فرعه فاسمه الجَنْبة ، لأنه فارق الذي يبقى فرعُه وأصله ، وفارق البقل الذي يبيد أصلُه وفرعه فكان جَنبةً بينهما . وماتعلق بالشجر فرقَى فيه وعصَب به فهو في طريقة العَصْبَة . وما افترش و لم يسمُ فهو في طريقة السُّطَّاح، وقد زعم أبو عبيدة أنّه النّجم. على أنّ كل ما طلع من الأرض فقد نَجَمَ ، فهو نجم إلى أن تتبين وجوهه» ا.هـ .

وقال الجواليقي في « لحن العامة » : يذهب العامة إلى أنّ البقل ما يأكله الناس خاصة دون البهائم ، من النبات الناجم الذي لا يحتاج في أكله إلى طبخ . وليس كذلك ، إنّما البقل العشب ، وما يُنبت الربيع مما تأكله البهائم ، قال الشاعر :

* ولا أرضَ أبقل إبقالها *

وقال آخر [١] : (الكامل)

قومٌ إذا نَبَتَ الرَّبيْعُ لَهُمْ نَبتَتْ عِداتُهُمُ معَ البَقْلِ

وقال زهير [٢] : (الطويل)

رأيتُ ذَوي الحَاجَاتِ حَولَ بُيُوتِهمْ قَطِيناً لَهمْ حتّى إذا أنْبتَ البَقْلُ

يقال منه : بقلت الأرض وأبقلت ، لغتان فصيحتان ، إذا أنبتت البقل . قال أبو النجم يصف الإبل [٣] : (الرجز)

---

(١) البيت للحارث بن دوس الإيادي في اللسان (بقل) .والرواية فيه : "عداوتهم مع البقل" .وهو في سمط اللآلئ ص٧ بلا نسبة .

(٢) البيت في ديوان زهير ص٩٢ ؛ وتاج العروس (نبت ، قطن) ؛ وجمهرة اللغة ص٢٥٧، ١٢٦٢ ؛ وشرح شواهد المغني ١/٣١٤ ؛ واللسان (نبت ، قطن) . القطين : أهل الرحل وحشمه . يقول : يلزمونهم فيسكنون عندهم .

(٣) الرجز لأبي النجم في أساس البلاغة (بقل)؛والأشباه والنظائر٤/٢٠٠؛والأغاني ١٠/١٥٨؛والتاج(حبب،بقل)=

* تَبقَّلتْ في أوَّلِ التَّبقُّلِ *

والفرق بين البقل ودِقّ الشجر : أنّ البقل إذا رعي لم يبق له ساق، والشجر يبقى له.

﴿ تتمة ﴾

قال شراح شواهد الكتاب : هذا البيت لعامر بن جُوين الطائي ، وهو أحد الخلعاء الفُتّاك ، قد تبرّأ قومه من جرائره . وله حكاية مع امرئ القيس ، وستأتي في ترجمته إن شاء الله . وصف به أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث . ولم يذكروا مما قبله ولا مما بعده شيئاً . وقال شارح شواهد المغني : قال الزمخشري : أوله[1] : (المتقارب)

وجَاريةٍ مِنْ بَنَاتِ المُلو ... كِ قَعْقَعْتُ بالرُّمْحِ خَلخَالَها
كَكِرفئَة الغَيثِ ذاتِ الصَّبيْـ ... ـرِ تَرمِي السَّحابَ ويُرمَى لَها
تَواعَدْتَها بَعْدَ مَرِّ النُّجُو ... مِ كلفاءَ تَكْثُرُ تَهْطَالَها
فَلا مزنةٌ وَدَقتْ وَدْقَها . . .. (البيت)

انتهى . وقد رأيت البيتين الأولين في شعر الخنساء من قصيدة ترثي بها أخاها صخراً [2] أولها : (المتقارب)

ألا مَا لِعَيْنِي ألا مَالَهَا ... لَقَدْ أخْضَلَ الدَّمعُ سِرْبالَهَا

- وسمط اللآلئ ص٥٨١ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٣١٢-٣١٣ ؛ والطرائف الأدبية ص٥٧ ؛ واللسان (بقل) ؛ ومجمل اللغة ١/٢٨١ .

(١) البيتان ١-٢ في التاج واللسان (كرفأ ، صبر) لعامر بن جوين الطائي .

أي : ربَّ جارية من بنات الملوك قعقعت خلخالها لمّا أغرت عليهم فهربت وَعَدَتْ فسُمِع صوت خلخالها ، ولم تكن قبل ذلك تعدو . وقوله : ككرفئة الغيث ذات الصبير أي : هذه الجارية كالسحابة البيضاء الكثيفة تأتي السحاب .

(٢) في طبعة بولاق بعد قوله : " ... ترثي بها أخاها صخراً .." " صخراً ، وهو حرم بن عمرو بن الغوث بن طيئ" . وفي حاشية الطبعة السلفية بعد ذكر ذلك : " وشطب عليه في ش - أي في النسخة الشنقيطية - وواضح أنه سهو كتابي ، وإنما هو اسم لقبيلة عامر بن جوين كما سيأتي " . والأبيات في ديوان الخنساء ص١٢٠-١٢٣ باختلاف يسير.وفي الأغاني ١٥/٩١-٩٢في خبر الخنساء مايثبت أن هذه القطعة هي في معاوية،وليست في صخر .

أخضل : بلل . والسربال : القميص . وبيضها : فوارسها .

ثم وصفت جيشاً فقالت :

ورَجــراجَــةٍ فَوقَهَــا بَيْضُهــا عَلَـيْها المُضَاعَفُ زِفْنـا لَـهَـا

ككِـرفِئَة الغَيـثِ ذاتِ الصَّبِيْـ ـرِ . . . (البيت المذكـور)

وقـال شـارح ديوانهـا الأخفـش : « الرجراجـة » : الكتيبـة ، كأنهـا تتحـرك وتتمخض من كثرتها . و« المضاعَف » من الدروع : الـتي تنسج حلقتـين حلقتـين . و«زفنا لها » : مشينا لها باختيال ، وهـي بـالزاي المعجمـة والفـاء ، زاف يَزيـف زيفـاً وزيَفاناً : تبختر في مشيته . وشبه الرجراجة في كثرتها وحركتها وتمخضها بالكرفئـة ، وهي السـحابة العظيمـة الـتي يركـب بعضُهـا علـى بعـض حَمـلاً للمـاء . والحَمـل - بالفتح- : ماكان في الجوف مستكناً. والحِمل - بالكسر - : ظـاهر مثـل الوقـر علـى الظهر . شبه الكرفئة بالناقة يكـثر لحمهـا وشـحمها ، يقـال : إنّ عليهـا لكرافـئ مـن اللحم والشحم . و« الصبير » : سحاب أبيض . ترمي السـحابَ هـذه الكرفئـة أي : تنضم إليه وتـتّصل به ، و« يُرمى لها » بالبناء للمفعول ، أي : يُضمّ إليها حتى يستويَ ويخلولق .

قال ابن الأعرابي : هذا البيت لعامر بن جوين الطائي . وقال الأصمعي : الكرفئة وجمعه كرافئ : قِطع من السحاب بعضها فوق بعض . والصبير : السحاب الأبيـض . ثم قالت تخاطب أخاها [1] :

وبِيــضٍ منعــتَ غــداةَ الصَّبـاحِ وقد كَفَّـتِ الـرَّوعُ أذيَـالهــا

وهَــاجِــرةٍ حَــرّهــا وَاقِــدٌ جـعلتَ رِداءك أظْـلالَـهــا

وجَامِعــةِ الجَمْـعِ قَـدْ سُـقْتَهَـا وأعْلَمْتَ بـالـرُّمْحِ أغْـفَـالـهـا

ورُعْبُـوبَــةٍ مِـنْ بَنَــاتِ المُـلو كِ قَـعقَـعَتَ بـالرُّمحِ خَـلخَالـهـا

« بيـض » ، تعـني جـواري سُـبين . « كفـت » : كشـفت . و« الـروع »: الفزع [2]. وروى ابن الأعرابي : « تكشف للروع أذيالها » . «واقد» : شـديد الحـر. جعلت رداءك أظلالها، أي : استظللت فيها بالرداء . وتعني بجامعة الجمع إبـلاً كثـيرة. قد سقتها إمّا لـتزويج وإمـا لسباء تفكّـه . وروى ابـن الأعرابـي : « ومُعلَمـة سقتها قاعداً» .معلمة : إبل . قاعداً : أي : قـاعداً علـى فرسـك . و« الأغفـال » : الـتي لا

(١) الأبيات من قصيدتها التي مرت آنفاً في ديوانها ص١٢٠-١٢٣ .

(٢) أنّث " الروع " لتضمينه معنى الحرب .

سماتٍ عليها ولا علامات. تقول : أعلمتَ منهـا مـا كـان أغفـالاً . و« الرُعبوبـة » : الناعمة الرخصة اللينة. قعقعت خلخالها ، أي : تزوجت بها أو سبيتها ، فهو سلبها .

ولا يخفى أن هذه الأبيات غير مرتبطة ببيت الشاهد،ولا مناسبةَ لها به.والله أعلم.

وقد نسب أبو محمد الأعرابي في « فُرحة الأديب » الأبيات التي نقلت عن الزمخشري إلى عامر المذكور .

وقال المظهري في « شرح المفصل » كلاماً يشبه كلام المبرسَمين وهذيان المحمومين، وهو قوله : قصة هذا البيت أنّ جارية هربت من غارة وفي رجلها خَلخال، يقول الشاعر: إنّ هذه الجارية تعدو ويصوّت خلخالها كصوت الرعد ، فليس مزنة تمطر مطراً مثل السحاب الذي يشبه هذه الجارية ، وليس أرض تخرج النبات مثل أرض أصابها ذلك السحاب . هذا كلامه [1] .

و « **عامر بن جوين** » صاحب الشاهد : هو - كما قال محمد بن حبيب في أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام [2] - : هو عامر بن جُوين بن عبد رُضاء بن قمران الطائي ، أحد بني جَرم بن عمرو بن الغوث بن طيئ ، كان سيداً شاعراً فارساً شريفاً ؛ وهو الذي نزل به امرؤ القيس بن حجر. وكان سبب قتله أن كلباً غزت بني جَرم، فأسر بشر بن حارثة وهُبيرة بن صخر الكلبي ، عامر بن جُوين - وهو شيخ - فجعلوا يتدافعونه لكبره ، فقال عامر بن جُوين : لا يكن لعامر بن جُوين الهوان ! فقالوا له : وإنك لهو ؟! قال: نعم . فذبحوه ومضوا ، فأقبل الأسود بن عامر فلما رأى أباه قتيلاً تتبعهم فأخذ منهم ثمانية نفر - وكانوا قتلوا عامراً وقد هبت الصّبا - فكعمهم ووضع أيديَهم في جفان فيها ماء ، وجعل كلما هبت الصبا ذبح واحداً حتى أتى عليهم .

قال أبو حاتم السجستاني في « كتاب المعمَّرين »[3] : عاش عامر بن جُوين مائتي سنة.

---

(١) في اللسان (صبر) عن ابن بريّ :" قال : أيّ ربَّ جارية من بنات الملوك قعقعت خلخالها لَمّا أغَرْتَ عليهم ، فهربَتْ وَعَدَتْ ، فسُمِع صوت خلخالها ، و لم تكن قبل ذلك تعدو ، وقوله : لكرفئة الغيث ذات الصبير ، أي هذه الجارية كالسحابة البيضاء الكثيفة تأتي السحاب ، أي تقصد إلى جملة السحاب ..." .

(٢) نوادر المخطوطات ، المجلد الثاني ص٢٠٩ .

(٣) المعمرون ص٥٣ . وانظر في ترجمته أمالي القالي ١٧٧/٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٥١/٧ ؛ المعمرون ص٥٣ .

ورُضاء بضم الراء والمد ؛ قال ابن الكلبي في كتاب « الأصنام » [1] : وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبّدونها لا أدري أعبّدوها للأصنام أم لا : منها عبد رُضاء ، كان بيتاً لأبي ربيعةً بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر في الإسلام وقال[2]: (الكامل)

ولقَدْ شَدَدتُ على رُضاء شَدّة فتركتُها تَلاً تُنَازِعُ أسْحَما

وقمران – بفتح القاف وسكون الميم وبعدها راء مهملة – . وجَرم اسم ثعلبةَ حضنته أمةٌ يقال لها جَرم فسمِّي بها ، وابنه الأسود كان شريفاً شاعراً . وقبيصة بن الأسود وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذه نسبة عامر بن جُوين من « الجمهرة » : عامر بن جُوين بن عبد رُضاء بن قمران بن ثعلبة بن جيّان « وهو جَرم » بن عمرو بن الغوث بن طيئ.

« **وأبو حنيفة الدِّينَوَريّ** » هو أحمد بن داود بن وَنَند [3] . أخذ عن البصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السّكيت ، وكان نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه . مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ؛ قال أبو حيان التوحيدي : أبو حنيفة الدِّينَوَريّ من نوادر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم . وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، وأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عروضٍ كلامٍ أبدَى بدويّ ، وعلى طباع أفصح عربيّ . ولقد قيل لي إنّ له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً – وما رأيته – وإنه ما سُبق إلى ذلك النمط مع ورعه وزهده وجلالة قدره . وله من الكتب[4] : « كتاب الباءة » . «كتاب ما تلحن فيه العامة». «كتاب الشعر والشعراء » . «كتاب الفصاحة » . « كتاب الأنواء ». « كتاب في حساب الدور» [5] . « كتاب البحث في حساب الهند ».« كتاب الجبر والمقابلة ».

---

(١) انظر كتاب الأصنام ص٣٠ ؛ وفيه النص بشيء من التصرف مع البيت الشعري ؛ والسيرة النبوية ٨٧/١ .

(٢) هو المستوغر ، عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة . والأسحم : الأسود من كل شيء .

(٣) هذه الترجمة بكاملها منقولة من معجم الأدباء ٢٦/٣-٣٢ . وانظر في ترجمته الفهرست ص٨٦ .

(٤) المقطع بحرفيته بتقديم وتأخير في الفهرست ص٨٦ .

(٥) في معجم الأدباء : " حساب الدور " . وفي كشف الظنون ٤٣٦/١ ، وسماه : " الدور والوصايا " . وفي الفهرست :" كتاب حساب الدّور " .

«كتاب البلدان » ، كبير . «كتاب النبات » ، لم يصنف مثله في معناه . «كتاب الجمع والتفريق » . «كتاب الأخبار الطوال » . « كتاب الوصايا » . « كتاب نوادر الجبر» . « كتاب إصلاح المنطق » . « كتاب القِبلة والزوال». « كتاب الكسوف». وله غير ذلك .

روي أنّ أبا العباس المبرد ورد الدِّينَوَر زائراً لعيسى بن ماهان ، فأول مادخل عليه وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ما الشاة المجثمة التي نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها ؟ فقال : هي الشاة القليلة اللبن ، مثل اللَّجْبة ، فقال : هل من شاهد ؟ قال : نعم ، قول الراجز : (الرجز)

لَمْ يَبْقَ من آلِ الحميدِ نَسَمَهْ   إلا عُنيْزٍ لَجْبَةٍ مُجثَّمهْ

فإذا الحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدِّينَوَريّ ، فلما دخل عليه قال: أيها الشيخ ، ما الشاة المجثَّمة التي نُهينا عن أكل لحمها ؟ فقال : هي التي جثِّمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها . فقال : كيف تقول وهذا شيخ أهل العراق يقول هي مثل اللَّجْبة ؟! وأنشده الشعر . فقال أبو حنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة ، إن كان هذا التفسير سمعه هذا الشيخ أو قرأه ، وإن كان الشعر إلاّ لساعته هذه . فقال أبو العباس: صدق الشيخ ، فإنني أنفت أن أرِد عليك من العراق ، وذكري ما قد شاع ، فأول ما تسألني عنه لا أعرِفه. فاستحسن منه هذا الإقرار .

* * *

وأنشد بعده لامرئ القيس، وهو الشاهد الثالث، وهو من شواهد **س**[1] : (الطويل)

٣- تَنَوَّرتُها مِنْ أذْرِعاتَ وأهلُها
بِيَثْرِبَ أدْنَى دَارِها نَظَرٌ عَالِ

وقال الشارح : يروى بكسر التاء بلا تنوين ، وبعضهم يفتح التاء في مثله مع

---

(١) البيت من مطولة لامرئ القيس في ديوانه ص٢٧-٣٩ . وهو في الدرر ٨٢/١ ؛ ورصف المباني ص٣٤٥ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٤٩٧ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢١٩/٢ ؛ وشرح التصريح ٨٣/١ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٣٥٩ ؛ وشرح المفصل ٤٧/١ ؛ والكتاب ٢٣٣/٣ ؛ والمقاصد النحوية ١٩٦/١ ؛ والمقتضب ٣٣٣/٣، ٣٨/٤ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٦٩/١ ؛ وشرح الأشموني ٤١/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص٤٤ ؛ وشرح المفصل ٣٤/٩ . تنورتها أي : مثلت نارها ، وتوهمتها . وعالٍ : مرتفع .

حذف التنوين ، ويروى « من أذرعاتَ » كسائر ما لا ينصرف . فعلى هذين الوجهين التنوين للصَّرف بلا خلاف . والأشهر بقاء التنوين في مثله مع العلمية.

أقول : أراد بهذا الكلام تقرير ماذهب إليه تبعاً للربعي والزمخشري - وإن خالفهما في الدليل - من أن تنوين جمع المؤنث السالم تنوين صرف لا تنوين مقابلة ، فإن حذف التنوين في بعض اللغات مما سمي بهذا الجمع ، دليلٌ على أن تنوينه قبل التسمية تنوين صرف . فاستند أولاً إلى تجويز المبرّد والزجّاج حذف التنوين منه مع العلمية ، وثانياً إلى رواية منع الصرف فيه مع العلمية بوجهين : سماعي وقياسي ، فالأول نقله ابن جنّي في«سر الصناعة » عن بعض العرب فقال : واعلم أنّ من العرب من يشبه التاء في مسلمات - معرفةً - بتاء التأنيث في طلحة وحمزة ، ويشبّه الألف التي قبلها بالفتحة التي قبل هاء التأنيث ، فيمنعها حينئذ الصّرف فيقول : هذه مسلماتُ مقبلة . وعلى هذا بيت امرئ القيس : « تنورتها من أذرعاتَ » ، وقد أنشدوه من أذرعاتٍ بالتنوين . وقال الأعشى [1] : (الوافر)

تَخيّرها أَخُو عَانَاتَ شَهراً ورَجَّى خَيْرَها عَاماً فَعَامَا

وعلى هذا ماحكاه **س** من قولهم : هذه قرشياتُ [2] غير منصرفة. انتهى. والثاني أن بعضهم - أي بعض النحاة - يفتح التاء في مثله ، أي في مثل «أذرعات » مما سمي بجمع مؤنث سالم ، مع حذف التنوين، أي : يفتح التاء ويحذف التنوين منه ، ويروي ذلك البعض من « أذرعاتَ » بفتح التاء قياساً على سائر مالا ينصرف . فعلى هذين الوجهين أي حذف التنوين مع كسر التاء وحذف التنوين مع فتح التاء التنوين للصرف أي : التنوين الذي كان قبل التسمية. فإنّ النحاة اتفقوا على أن التنوين الذي يحذف فيما لا ينصرف إنما هو تنوين الصرف .

و« أذرعات » قال ياقوت في « معجم البلدان » : وهي بلد في أطراف الشام يجاور البلقاء وعَمّان ، وينسب إليه الخمر . وقد ذكرتها العرب في أشعارها لأنها لم

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " فخيرها " . وهو تصحيف لا يناسب المعنى ، صوابه من ديوانه .
والبيت في ديوانه ص٢٤٧ ؛ وأساس البلاغة (برر) ؛ وسر صناعة الإعراب ٤٩٧/٢ ؛ واللسان (برر،عون) . وهو بلا نسبة في المقتضب ٣٣٣/٣.وفي اللسان (عون) :"وقال :عانات : موضع بالجزيرة تنسب إليه الخمرة العانية " . أراد ظلّ تاجرها في عانات شهراً يختارها وينتقيها ، ثم حبسها عنده ، يرجي مايعود عليه منها عاماً بعد عام .

(٢) في كتاب سيبويه : " قريشيات " . والنسبتان صحيحتان .

تزل من بلادها . والنسبة إليه أذرعيّ . و« يثرب » زاد الصاغاني : وأثرِب [١] . اسم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ياقوت – نقلاً عن الزجّاجي – : «سُمّيت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ،فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طَيبَة وطابة ، كراهيةً للتثريب . وسميت مدينةَ الرسول صلى الله عليه وسلم لنزوله بها . ثم اختلفوا فقيل : إن يثرب اسم للناحية التي منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون : بل يثرب ناحية من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم [٢] ، وقيل هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال ابن عباس : من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً إنما هي طَيْبَة » . وقال في المصباح : ثرب عليه من باب ضرب : عتب ولامَ ، وبالمضارع بياء الغائب سمي رجلٌ من العمالقة ، وهو الذي بنى المدينة سميت باسمه، قاله السهيلي. وأما « يترب » بالمثناة الفوقية بدل المثلثة ، فقال ياقوت : هي بفتح الراء قيل : قرية باليمامة عند جبل وَشَم. وقيل اسم موضع في بلاد بني سعد . وقال الحسن بن أحمد الهمْداني اليمنيّ [٣] : هي مدينة بحضرموت نزلها كِندة . وإياها عنى الأعشى بقوله [٤] : (الطويل)

* بِسِهامِ يَتْرَبَ أوْ سِهَامِ الوادي *

ويقال : إن عرقوباً صاحب المواعيد كان بها . ثم قال : والصحيح أنه من قدماء يثرب . وأما قول ابن عبيد الأشجعي [٥] : (الطويل)

---

(١) في طبعة بولاق : "ويترب". وهو تصحيف . وفي حاشية الطبعة السلفية :"والتصحيح من نسخة الشنقيطي" .

(٢)في حاشية الطبعة السلفية :" كانت في الطبعة الأولى " يثرب من ناحية مدينة الرسول" . وصححناها من معجم البلدان ".

(٣) هو صاحب كتاب الإكليل ؛ وصفة جزيرة العرب ، توفي سنة ٣٣٤هـ .

(٤) عجز بيت للأعشى في ديوانه ص١٨١ . والقافية فيه " بلاد " .

وصدره : * مَنَعَتْ قِياسُ الماسِخِيَّةِ رأْسَهُ *

وهو في تاج العروس(أخن)؛وتهذيب اللغة ٥٨٧/٧ ؛واللسان (أخن،ودي).وهو بلا نسبة في تاج العروس(ودي).

(٥) نسب هذا البيت لأكثر من شاعر . فهو لابن عبيد الأشجعي في اللسان (ترب،عرقب) ؛ ولعلقمة في جمهرة اللغة ص١١٢٣ ؛ وللشماخ في ملحق ديوانه ص٤٣٠ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٤٣/١ ؛ وللشماخ أو للأشجعي في الدرر ٢٤٥/٥ ؛ وشرح المفصل ١١٣/١ (بروايتين مختلفتين في الصدر) ؛ وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٧٣،٢٥٣ ، ١١٩٨ ؛ وشرح قطر الندى ص٢٦١؛ والكتاب ٢٧٢/١ ؛ والمقرب ١٣١/١ .

وعدتَ وكان الخُلْفُ مِنْكَ سَجيّةً مواعيدَ عُرقوبٍ أخاهُ بيَتْرَبِ

فهكذا أجمعوا على روايته بالتاء المثناة ؛ قال ابن الكلبي[١] : «وكان من حديثه أنه كان رجلاً من العماليق يقال له عرقوب ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عرقوب : إذا أطلَعَتِ النخلة فلك طلعها . فلما أتاه للعِدَة قال : دعها تصير بلحاً . فلما أبلحت قال : دعها تصير زهواً؛ ثم حتى تصير بسراً ؛ ثم حتى تصير رطباً ؛ ثم تمراً . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدّها ولم يعطه شيئاً ، فصار مثلاً في الخلف» .

و« التنوُّر » قال المبرد في « الكامل » : المتنوّر الذي يلتمس ما يلوح له من النار. ورد عليه أبو الوليد الوقّشي - في شرحه عليه - بأن المتنوّر إنما هو الناظر إلى النار من بعد، أراد قَصْدها أو لم يرد ، كما قال امرؤ القيس : « تنورتها من أذرعات » ، ولم يرد أن يأتيها ، كما لم يُرِدِ القائل [٢]: (الطويل)

وأُشرِفُ بالقُورِ اليَفاعِ لعلَّنِي أرى نارَ لَيلَى أوْ يَرانِي بَصِيرُها

والنظر إلى نارها إنما هو بنظر قلبه ، تشوقاً إليها . كما قال ابن قتيبة في أبيات المعاني [٣] : هذا تحزُّن وتظنُّنٌ منه [٤] ، ليس أنه رأى بعينه شيئاً إنما أراد رؤية القلب. ومثله قول الآخر : (الطويل)

أليسَ بَصِيراً مَنْ رأى وَهْو قَاعِدٌ بِمكّةَ أهلَ الشَّامِ يختَبِزُونا

وقال الأعشى [٥] :(الوافر)

أريتُ القومَ نارَكِ لمْ أغمِّضْ بواقِصَةٍ ومشْرَبُنا زَرُودُ

---

(١) المثل وخبره في مجمع الأمثال ٢/٣٤٦-٣٤٧ ؛ واللسان (عرقب) .

(٢) البيت لتوبة بن الحمير - صاحب ليلى الأخيلية - في ديوانه ص٣١ ؛ وأمالي القالي ١/٨٨ ؛ وتاج العروس (بصر) ؛ ولسان العرب (بصر) . وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (قوز) ؛ ومقاييس اللغة ٤/١٥ ، ٥/٤٠ ؛ ومجمل اللغة ٤/١٣١ ؛ وكتاب العين ١/٨٩ .

القور : جمع قارة ، وهي الجبيل الصغير . واليفاع : المشرف من الأرض والجبل .

(٣) كتاب المعاني الكبير ص٤٣٥ .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ١/٦٤ : " كانت في الطبعة الأولى -بولاق- " تحزّن وتمنّ منه " . وفي نسخة الشنقيطي من الخزانة : " تَحَزُّنٌ وتَظَنُّنٌ منه " .

(٥) البيتان في ديوانه ص٣٧١ .واقصة : ماء لبني كعب ، وهو موضع بطريق الكوفة دون مرخ ، وموضع باليمامة. وزرود : موضع قرب الكوفة في طريق الحاج.وزهر:أضاء وتلألأ .ونظرة: اسم مرّة من نظره ، إذا مدّ طرفه إليه .

فَلَــمْ أرَ مَـوقِـداً مِنْهـا وَلكِـنْ لأيَّـةِ نَظْـرَةٍ زَهَـرَ الـوَقُـودُ

وجوّز أرباب البديع في الإغراق من المبالغة أن يكون نظراً بالعين حقيقة . قالوا : لا يمتنع عقلاً أن يرى من أذرعات من الشام نار أحبّتهِ ، وكانت بيثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم على بعد هذه المسافة ، على تقدير استواء الأرض وأن لا يكون ثمّ حائل من جبل أو غيره ، مع عظمِ جرم النار ، وإن كان ذلك ممتنعاً عادة . وجملة « تنورتها » استئنافية ، و « أدنى دارها » مبتدأ و «نظر عالي » خبره بتقدير مضاف. قال أبو علي في « الإيضاح الشعري » : ولا يجوز أن يكون نظرٌ خبر أدنى لأنه ليس به، لأن أدنى أفعل تفضيل ، وأفعل لا يضاف إلا إلى ما هو بعضٌ له، فوجب أن يكون بعض الدار ، وبعض الدار لا يكون النظر فإما أن يحذف المضاف من النظر ، أي : أدنى دارها ذو نظر ، وإما أن يحذف من الأوّل ، أي : نظرُ أدنى دارها نظر عالي ، ليكون الثاني الأوّل. في المصباح: علا علواً ، من باب قعد : ارتفع ، فهو عال . يريد أن أقرب مكان من دارها بعيد . فكيف بها ودونها نظر عال ! والجملتان الاسميتان حال من ضمير المؤنث في تنوّرتها ، وجاءت الثانية بلا واو كقوله :(السريع)

والله يُبقيكَ لنا سالماً بُرْداكَ تَعظِيمٌ وتَبجيلُ

وهذا البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس عدتها ستة وخمسون بيتاً ، وهي من عيون شعره ، وأكثرها وقعت شواهد في كتب المؤلفين: هنا ، وفي مغني اللبيب ، وفي كتب النحو والمعاني . فينبغي شرحها – تتميماً للفائدة – وإن شرحت هنا بأجمعها طال الكلام . فلنوزعها مع الأبيات التي ذكرت منها في هذا الكتاب متفرقة ، فنذكر هنا من أول القصيدة إلى البيت الذي شرحناه[١]:

ألا عِمْ صَبَاحاً أيُّها الطَّلَلُ البَالِي وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخَالِي
وهَلْ يعمنْ إلا سَعيدٌ مُخَلَّدٌ قَلِيلُ الهُمُومِ مَا يَبِيْتُ بأوجَالِ

قوله « عم صباحاً » هذه الكلمة تحية عند العرب ، يقال : عم صباحاً وعم مساءً وعم ظلاماً . والصباح من نصف الليل الثاني إلى الزوال ، والمساء من الزوال إلى نصف الليل الأوّل . قال ابن السيد في « شرح شواهد أدب الكاتب » : « يقال: وَعَمَ يَعِمُ ، كوعد يعد ، ومق يمق . وذهب قوم إلى أن يعم محذوف من ينعم ، وأجازوا عم صباحاً بفتح العين وكسرها ، كما يقال أنعَم صباحاً وأنعِم . زعموا أن

---

(١) من مطولة في ديوانه ص٢٧-٣٩ .

بعض العرب أنشد :

* ألا عَـم صباحـاً أيُّهـا الطـلل البالـي *

بفتح العين . وحكى يونس أن أبا عمرو بـن العلاء سئل عن قول عنترة [١]: (الكامل)

* وعِمِـي صَباحـاً دارَ عبلـةَ واسْلَمِـي *

فقال : هو من نعم المطر إذا كثر ، ونعم البحر إذا كـثر زَبَدُه ، كأنه يدعو لها بالسقيا وكثرة الخير . وقال الأصمعي والفرّاء : إنما هو دعاء بالنعيم والأهل وهو المعروف ، وما حكاه يونس نادر غريب .ولم يذكر صاحب الصحاح مادة وعم قال: « وقولهم عم صباحاً كأنه محذوف من نعم ينعم بالكسر » . وزعم ابن مالك في «التسهيل» أن عم فعل أمر غير متصرف . قال أبو حيان : ليس الأمر كما زعم ، بل هو فعل متصرف ، وقد حكى يونس وعمتُ الدارَ أعم ، أي : قلت لها انعمي . قال الأصمعي : عم في كلام العرب أكثر من انعَمْ . وقد روى « ألا انعم صباحاً الخ » . ونَعُم الشيء نعومة صار ناعماً ليناً ، من باب كرم وحذر وحسب . ويقال انعم صباحَك أيضاً ، من النعومة. وصباحاً ظرف أو تمييز محول عن الفاعل . والطلل : ما شخص من آثار الدار . والرسم : مطلق الأثر . والبالي : من بلي الثوب من باب تعب، بِلًى بالكسر والقصر وبَلاء بالفتح والمد: خلق . أو من بليَ الميتُ : أفنته الأرض. وقوله « وهل يعمن » هو استفهام إنكاري، استشهد به ابن هشام في «شرح الألفية » علىأن مَن يستعمل في غير العقلاء .وقال العسكري في «كتاب التصحيف» اختلفوا في معناه لا في لفظه ، فقال الأصمعي : اللفظ على مذهب أنت ياطلل قد تفرق أهلك وذهبوا ، فكيف تنعم بعدهم ؟! أو المعنى كيف أنعم أنا ؟ فكأنه يعني أهل الطلل . و « العصر »- بضمتين - : لغة في العصر وهو الدهر . والخالي : الماضي، قال تعالى [٢] : « وإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلاَ فيها نذيرٌ ». وقوله « وهل يعمن إلا سعيد إلخ » قال العسكري : المخلّد : الطويل العمر الرخيّ البال، ومخلد إذا لم يشب . وقيل المخلّد المقرّط ، والقُرط الخلَدة . ورواه بعضهم :

---

(١) عجز بيت من معلقته المشهورة في ديوانه ص١٨٧ ؛ وصدره :

* يا دَارَ عَبْلَـةَ بالجِـوَاءِ تكلّمِـي *

(٢) سورة فاطر : ٢٤/٣٥ .

* وهـل ينعمـنْ إلا خلـيٌّ مخلَّـد *

وقال : يعني غلاماً حدَثاً خلياً من العشق . والأوجال : جمع وجل، وهوالخوف، وفعله من باب تعب .

وهلْ يَعِمَنْ منْ كـانَ أحْدثُ عهدِهِ ثلاثـينَ شَـهراً فـي ثـلاثـةِ أحْوالِ

قال العسكري - نقلاً عن الأصمعي وابن السكّيت - يقول : كيف ينعم من كان أقربُ عهده بالرفاهية ثلاثين شهراً من ثلاثة أحوال، على أن «في» بمعنى «من». ثم قالا : وقد تكون بمعنى « مع » ، قال ابن السيّد : «وكونها بمعنى مع أشبهُ من كونها بمعنى من . ورواه الطوسي : «أو ثلاثة أحوال ». وكل من فسره ذهب إلى أن الأحوال هنا السنون جمع حول [١] . والقول فيه عندي أن الأحوال هنا جمع حال لا جمع حول ، وإنما أراد كيف ينعم من كان أقرب عهده بالنَّعيم ثلاثين شهراً وقد تعاقبت عليه ثلاثة أحوال ، وهي اختلاف الرياح عليه ، وملازمة الأمطار له ، والقدم المغيّر لرسومه . فتكون «في» هنا هي التي تقع بمعنى واو الحال في نحو قولك : مرت عليه ثلاثة أشهر في نعيم . أي : وهذه حاله ».

ديـارٌ لسَلمى عافِيَاتٌ بذِي الـخـالِ ألـحّ علـيـها كـلُّ أسحمَ هطَّـالِ

« عافيات » : من عفا المنزل يعفو عفواً وعفوّاً وعفاء بالفتح والمدّ : درس . و«ذو الخال » قال ابن الأثير في « المرصّع »: جبل مما يلي نجداً ، وقيل موضع ، وأنشد هذا البيت . ولم يذكره ياقوت في «معجم البلدان». و« الأسحم » : الأسود، أراد به السحاب لكثرة مائه . وهذا البيت مصرّع . و«ديار» مبتدأ ، و«لسلمى» وصفه، و«عافيات » خبره ، و«بذي الخال» حال من ضمير عافيات ، وجملة «ألح» خبر بعد خبر .

وتـحسَبُ سَلمى لا تَزَالُ كعهدِنـا بِوَادي الخُزامَىأوْعلى رأسِ أوْعَالِ[٢]

« العَهْد » : الحال والعِلم ، يقال هو قريب العهد بكذا ، أي : قريب العلم والحال . و« الخزامى » - بالضم والقصر - خِيريّ البر . ووادي الخزامى ورأس

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٦٧/١ :" كانت في الطبعة الأولى "جمع سنة " . وصححناها من الاقتضاب " . وفي حاشية طبعة هارون ٦٢/١ :" صوابه من الاقتضاب لابن السيد ٤٥٣ " .

(٢) رواية الديوان : " أو على رَسّ أوْعالِ " .

أوعال : موضعان . ويروى «ذات أوعال » قال ابن الأثير في « المرصَّع »: هي هضبة فيها بئر ، وقيل هي جبل بين علمين في نجد، و« الأوعال» : جمع وعل . وأنشد هذا البيت .

أي : إن سلمى تظنُّ أنها تبقى على الحالة التي كنا عليها في ذينك المكانين .

وتحسَبُ سَلمى لا تَزَال تَرَى طَلاً ... مِنَ الوحْشِ أوْ بَيْضاً بميْثاءَ مِحْلالِ

«سلمى» فاعل تحسب ، والمفعول الأول من « ترى » محذوف أي : نفسها، جملة «ترى» خبرُ لا تزال - وهذا الإعراب جار في السابق على هذا الترتيب - والرؤية علمية . و«طلا» مفعولها الثاني، و« الطلا » - بالفتح- : ولد الظبية . ومن الوحش صفة طلا ، و« بيضا » معطوف على طلا ، أراد بيض النعام في البياض والملاسة والنعومة . و«الميثاء » - قال في « العباب»-: « هو بالفتح الأرض السهلة». وأنشد هذا البيت ، وقال العسكري في « التصحيف » هو بفتح الميم طريق للماء عظيم مرتفع من الوادي ، فإذا كان صغيراً فهي شعبة ، وهو نحو من ثلث الوادي أو أقل ، فإذا كان أكثر من ذلك فهو تَلعة ، فإذا كان مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهو مَيثاء . و« الميث » : ما لان وسهل من الأرض ، وروي «الميثاء» بالكسر ، وهي الأرض اللّينة ، وروي « الميتاء » بالكسر وبالتاء المثناة فوق ، وهو الطريق المأتيّ، أي : المسلوك . و« المحلال » بالكسر ، من حللت إذا نزلت به، قال الصاغاني: وأرض محلال إذا أكثر القوم النزول فيها، وكذلك روضة محلال، وأنشد هذا البيت . وقال العيني : أي : تحسبها ظبية لا تزال تنظر إلى ولدها ، وتحسبها بيض نعام ، وقال بعض شراح القصيدة : أي : بالبادية حيث يكون بيض النعام أو ولد الوحش ا.هـ. وهذا لا يخفى مافيه .

ليالِيَ سَلْمَى إذْ تُرِيْكَ منصَّبا ... وجِيداً كَجِيْدِ الرِّيم لَيْسَ بِمِعْطَالِ

« لياليَ » منصوب بتقدير اذكر ونحوه ، و« إذ » بدل من ليالي . و«منصَّباً»، قال العسكري : «من رواه بالنون أراد ثغرها ، والمنصب : المستوي من الأرض المتسق. ومن روى «مقصباً» بالقاف ، أراد شعرها ، قصّبته : جعلته ذوائب ، وشعر مقصّب أي : قُصابة [قُصَّابة [1]]. وقال الأصمعي : قصبه قَصبة . وقال غيره :

(١) في حاشية طبعة هارون ٦٤/١ بعد إضافة كلمة " قُصَّابة " بين معقوفين : " والتكملة من تصحيف العسكري ص٢٢٨ " . وفي اللسان (قصب) : " القِصابة والقُصَّابة والقَصْبة والقَصِيْبة ... الخصلة الملتوية من الشعر " .

قصيبة وقصائب انتهى . وفي الصحاح : الذوائب المقصّبة تلوى ليّاً حتى تترجّل ، ولا تضفر ، واحدتها قصيبة وقُصّابة بالضم والتشديد . و« المعطال » : المرأة التي خلا جيدها من القلائد ، والفعل من باب قتل ، وعَطَلاً بالتحريك وعطولاً بالضم .

ألا زَعَمَتْ بَسْباسَةُ اليَومَ أَنَّني كَبِرْتُ وأنْ لا يَشهدَ اللهوَ أمْثالِي

« بسباسة » : امرأة من بني أسد . و« كبر » : شاخ ، يقال كبر الصبي وغيره ، من باب تعب، مَكْبِرا كمسجد ، وكبراً كعنب . و« شهده » بالكسر يشهده بالفتح شهوداً : حضره . و« اللهو » : مصدر لهوت بالشيء ، إذا لعبت به . قال في «الصحاح » : وقد يكنى باللهو عن الجماع . وقوله تعالى[1] : « لو أرَدْنا أنْ نَتّخذ لهواً »، قالوا : امرأة ، ويقال [ولداً [2]] .

بَلَى رُبَّ يَوْمٍ قَدْ لَهوتُ وليلةٍ بآنسةٍ كَأنَّها خَطُّ تِمثالِ[3]

« بلى » : حرف إيجاب يختص بالنفي ويفيد إثباته ، وأثبت به هنا الشهود المنفي في البيت السابق . ورواه ابن هشام في « مغني اللبيب » : « فيارب يوم إلخ ». وأورده شاهداً على ورود « ربّ » للتكثير . وجملة « قد لهوت » صفة يوم ، والعائد محذوف أي فيه ، وصفة ليلة مع العائد محذوف ، أي : لهوت فيها ، ولا يجوز أن يكون الوصف لهما. و« الآنسة » : المرأة التي تأنس بحديثك . و« الخط » : الكتابة ، قال في «العباب»: يقال خطّه فلان كما يقال كتبه . وأنشد هذا البيت . وقال في مادة مثل : و« التمثال الصورة »، والجمع التماثيل . وقوله تعالى [4] : « ما هذه التّماثِيلُ »، أي الأصنام . وقوله تعالى [5] : « يعمَلونَ لهُ مايشاءُ منْ مَحاريبَ وتماثيلَ» وهي صور الأنبياء عليهم السلام، وكان التصوير مباحاً في ذلك الوقت .

يُضيءُ الفِراشَ وجهُها لضَجيْعِها كمصباحِ زَيْتٍ في قناديلِ ذُبّالِ

« الفراش » : مفعول مقدم ووجهها الفاعل . و« المصباح » : السراج . و«الذبّال » - بضم الذال وتشديد الموحدة -: جمع ذُبّالة وهي الفتيلة ، لغة في الذبال

---

(١) سورة الأنبياء : ١٧/٢١ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق من معجم الصحاح .

(٣) رواية الديوان : " ويا رب يوم قد ..." .

(٤) سورة الأنبياء : ٥٢/٢١ .

(٥) سورة الأنبياء : ٥٢/٢١ .

بتخفيف الباء . ويروى : « في قناديل آبال »: جمع أبيل ، كشريف وأشراف ، وهو الراهب ، قال عديّ بن زيد العِبادي [١] : (الرمل)

إنَّنـي والله فَـاقْبَـلْ حَـلْفَتِـي ... بـأبِيْـلٍ كُلَّمـا صَلَّـى جَـأَرْ

و« في » ، بمعنى « مع » .

كـأنَّ على لَبَّـاتهـا جـمرَ مُصطَلٍ ... أصاب غَضًى جزلاً وكُفَّ بأجْذالِ

وهبَّتْ لـه ريحٌ بمختلَف الصُّوى ... صَبـا وشمالاً فـي منـازلِ قُـفَّـالِ

« اللبة » : المنحر ، وموضع القلادة من الصدر ، والمراد هنا هو الثاني. و«المصطلى» اسم فاعل من اصطلى بالنار . وصلى بها وصليها من باب تعب : وجد حرَّها ، وجملة « أصاب غضًى » صفة لمصطلٍ . و« الغضى » : شجر خشبة من أصلب الخشب ، ولهذا يكون في فحمه صلابة . و« أصاب » : وجد . و«الجزل» : الغليظ ، وجزُل الحطب بالضم إذا عظم وغلظ ، فهو جزل . و« كُفَّ » بالبناء للمفعول ، من كففت الثوب ، أي: خطت حاشيته، وهي الخياطة الثانية . أراد: جُعل حول الجمر أجزال، وهي أصول الحطب العظام ، جمع جِذْل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة . و« المختلَف » - بفتح اللام -: موضع الاختلاف أي : التردد ، وهو أن تذهب ريح وتجيء ريح . و« الصُّوى » : جمع صُوّة، كقوى جمع قوّة ، والصوّة قال في « الصحاحِ » : هي مختلف الريح؛ وأنشد هذا البيت. و« الصوّة » أيضاً : حجر يكون علامةً في الطريق ، وليس بمراد هنا ، خلافاً لبعضهم . و«القفّال» : جمع قافل كعباد وعابد ، والقافل : الراجع من سفره، وفعله من باب قعد ، ويكون القفول في المبتدئ للسفر تفاؤلاً بالرجوع . بالغ في سخونة هذه المرأة في الشتاء حيث وصَف الحلي الذي على لَبّاتها بما ذكر في البيتين، وهذا مدحٌ في النساء ، كما إذا بردت في الصَّيف . قال الأعشى [٢] : (المتقارب)

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي في ديوانه ص٦١ ؛ ومقاييس اللغة ٤٢/١ ؛ والتاج واللسان (أبل) .الأبيل :راهب النصارى ؛ وكانوا يعظمون الأبيل ، فيحلفون به ، كما يحلفون بالله . وجأر الرجل إلى ربه ، إذا تضرع بالدعاء .

(٢) البيتان للأعشى الكبير في ديوانه ص١٤٥.والأول في الدرر ١٥٢/٣ . وهو بلا نسبة في مغني اللبيب ٥٩٢/٢؛ وهمع الهوامع ٢١٩/١ . والثاني في الإنصاف ٧٨٩/٢ ؛ وأدب الكاتب ص٣٨ ؛ واللسان (عير،رقق،ردى) .

الهرير : صوت النباح . أراد أن جسمها ساخن في الشتاء . ورداء العروس : الوشاح . والعبير : أخلاط من الطيب، أي : أن جسمها بارد في الصيف .

وتَسْـخُنُ لَيْلَـةَ لا يَسْتَطِيع نُبَاحـاً بـهـا الكَلْبُ إلاّ هَـرِيْـرا
وتَبْـــرُدُ بَـــرْدَ رِداءِ العَـــرو سِ بـالصَّيفِ رَقْرَقْتَ فيـه العَبِيْـرا
كَـذَبتِ لَقَدْ أُصْبِي عَلَى المرءِ عِرْسَهُ وأمنَعُ عِرْسي أنْ يُزَنّ بها الـخالِـي

صرّح بتكذيب بسباسة ، حيث زعمت أنه لا يلهو بالنســاء فقـال : إنـي أشـوّقُ النساء إليّ مع وجود أزواجهن ، ولا أدع أحداً يُتّهم بـامرأتي، لأنهـا لا تميـل إلى أحـد مع وجودي ، لأني محبّب عند النساء . و« أصبي » : مضــارع أصبيـت المـرأة، بمعنـى شوّقتها وجعلتها ذاتَ صبـوة وهـي الشّـوق. و« العـرس » - بالكسـر -: الزوجـة . و«يُزنّ» : يتهم ، بالبناء للمفعول ؛ يقال أزننته بشيء : اتهمته به ، وهو يزنّ بكـذا ، وأزنّه بالأمر إذا اتهمه به . و«الخالي» قال في« الصحاح » : « قـال الأصمعي : هـو من الرجال : الذي لا زوجة له ». وأنشد هذا البيت[1] .

ومثلِكِ بيضـاءِ العـوارض طَفْلَـةٍ لَعُوبٍ تُنسّيني إذا قمتُ سِرْبالي

« الواو » واو رب . وهو خطاب لبسباسة . في القاموس : العـارض والعارضـة: صفحة الخد ، وصفحتا العنق ، وجانبا الوجه . و«العارضة» أيضـاً : مايستقبلك مـن الشيء ، ومن الوجه : ما يبدو عند الضحك . و« الطَّفلة »- بفتح الطاء - : الناعمـة البـدن، والطَّفـل : النـاعم . و« اللّعـوبِ » : الحسـنة الـدَّل . و«النسيان» : خـلاف الذكرَ. وأنسانيه اللـه ونسّانيه تنسية بمعنًى . ورواه الجوهري عن أبي عبيدة : «لعـوب تناساني إذا قمت سربالي » . قال : ومعناه تنسيني . و«السِّربال» : القميص .

لطيفـةِ طَيِّ الكَشْحِ غَيـرِ مُفـاضَةٍ إذا انْفَـتَلَتْ مُرتَـجَّـة غيـرَ مِتْفـالِ

لطف لطفاً ولطافة ككـرم : صغـر ودقّ ، وهـو لطيـف . و«الكشـح» بـالفتح : مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف . و«طي الكشح» هنـا : جدلهـا وفتلهـا ، يريـد أنهـا مجدولة الكشح جدلاً لطيفاً ، فإنَّ هَيَـف الكشـح والخصـر ممـدوح . و«المفاضـة» مـن النساء : الضخمة البطن ، وهذا ذمٌّ فيهن، ومن الدروع : الواسعة ، وهما من الفيض. و«انفتلت» : انصرفت . ومرتجّـة مـن الارتجـاج ، وهـو التحـرُّك والاضطـراب ، أراد عظم كفلها ، وهي خبر تكون محذوفة . و«المِتفال» بالكسر : من تَفِل بالمثناة الفوقيّة

(١) البيت في ديوانـه ص٣٠ ؛ والأزهية ص٢٣٢ ؛ وتـاج العروس (نسي) ؛ ولسـان العرب (نسـا)؛ والمنصف ٩٣/١. وهو بلا نسبة في مغني اللبيب ٤٧٢/٢ .

والفاء، قال في« العباب » : التَّفَل بالتحريك : مصدر قولك تَفِل الرجل بالكسر ، إذا ترك الطيب ، فهو تفل ، وامرأة تفلة . وفي الحديث : « لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله، وليَخرجنَ إذا خرجنَ تَفِلاتٍ »، أي : تاركات للطيب . وامرأة متفال ، إذا كانت كذلك ، وأتفله غيره ، ومنه حديث علي رضي الله عنه لرجل رآه نائماً في الشمس : « قم عنها فإنها تُتفِل الرِّيح ، وتبلي الثوب ، وتظهر الداء الدفين ». وصفها بثلاثة أمور : بهَضم الخصر ، وضخامة الكفَل ، والطيب .

إذا ما الضَّجِيْعُ ابتزَّها من ثِيابِها تَمِيْلُ عَلَيْهِ هَوْنَةً غَيرَ مِعْطَالِ[1]

«ابتزها» : نزع بزّها أي : ثيابها ، وأراد مطلق النزع والسلب . و«الهونة» بالفتح والضم : المتئدة . و«الهَوْن» : السكينة والوقار . و«المعطال» تقدم تفسيره . ويروى «مجبال» [2] قال الأصمعي : معناه هي الغليظة .

كدِعْصِ النَّقا يمشِي الوَليدانِ فَوقَه بما احتَسَبا مِنْ لينِ مَسٍّ وتَسْهَالِ[3]

«الدعص» بالكسر : قطعة من الرمل مستديرة . و«النقا» : الكثيب من الرمل . أراد تشبيه عجزها بالدِّعص لعظمه ، حتى أنّ ولدين يمكنهما أن يلعبا فوقه من غير ضرر عليهما، للينه وسهولته . و«الوليدان» : الصبيّان . و«احتسب» : اكتفى . و«التَّسهال» : السهولة .

إذا مااسْتحمّتْ كان فيضُ حَميمها على مَتْنَتَيها كالجُمانِ لدَى الحال

«استحمت» : اغتسلت بالحميم ، وهو الماء الحار . ومتنتا الظهر : مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم ، والمفرد متن ومتنة . و«الجمان» بالضم: اللؤلؤ . و«الحال» : وسط الظهر ، ومن الفرس : موضع اللبد . أراد أن الماء الذي ينفصل من ظهرها عند الاغتسال يشبه اللؤلؤ المتناثر .

(تنورتها من أذرعات .... (البيت)

الضمير راجع إلى بسباسة . وقد شُرح البيت .

نَظَرتُ إليها والنُّجومُ كأنّها مصَابِيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفَّالِ

---

(١) رواية الديوان : "... غير مجبال " .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " محيال " . وهو تصحيف ؛ صوابه من الديوان .

(٣) رواية الديوان : " كحقف النقا يمشي ..." .

ضمير «إليها» راجع إلى النار المفهوم من « تنوّرتها » ،وجملة« والنجوم إلخ» حال من الفاعل ، وجملة « تشبّ » حال من ضمير النار . قال ابن رشيق في العمدة[١] : «ومن أبيات المبالغة قول امرئ القيس يصف ناراً ، وإن كان فيه إغراق : نظرت إليها والنجوم ، البيت ؛ يقول : نظرت إلى نار هذه المرأة تشبّ لقفال ، والنجوم كأنها مصابيح رهبان . وقد قال « تنورتها من أذرعات » البيت ، وبين المكانين بُعد أيام ، وإنما يرجع القفال من الغزو والغارات وجهَ الصباح ، فإذا رآها من مسيرة أيام ، وجهَ الصباح ، وقد خمد سناها وكَلَّ مُوقدها ، فكيف كانت أول الليل؟! وشبه النجوم بمصابيح الرُّهبان ؛ لأنها في السحَر يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدةِ ليلها أجمع ، لا سيما مصابيح الرهبان ، لأنّهم يكلُّون من سهر الليل ، فربّما نعسوا في ذلك الوقت » .

وقال بعضهم : ومن التشبيه الصادق هذا البيت ، فإنّه شبه النجوم بمصابيح رهبان لفرط ضيائها ، وتعهُّد الرهبان لمصابيحهم وقيامهم عليها لتزهر إلى الصبح، فكذلك النجوم زاهرة طول الليل وتتضاءل إلى الصبح كتضاؤل المصابيح له .

وقال «تشب لقفال» لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوي إليها من مَصيفٍ إلى مشتًى إلى مربع ، أُوقدت لها نيران على قدر كثرة منازلها وقلّتها ، ليهتدوا بها . فشبّه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران واجتماعها من مكان بعد مكان، على حسب منازل القفال بالنيران الموقدة لهم .

وقد طال الكلام هنا و لم يمكننا أن نترجم امرأ القيس . ونترجمه إن شاء الله في الشاهد الثاني من شواهد شعره .

* * *

(١) العمدة في محاسن الشعر ٢/٥٥-٥٦ .

[أقسام التنوين]

وأنشد بعده وفي آخر الشرح ، في التنوين ، وهو الشاهد الرابع [1] : (الوافر)

٤ - أقِلّي اللَّوْمَ عَاذِلَ والعتابَنْ

وقُولي إنْ أصَبْتُ لَقَدْ أصَابَنْ

على أن تنوين الترنم يلحق الفعل والمعرّف باللام - وقد اجتمعا في هذا البيت - والفعلَ سواء كان ماضياً كما ذكر أو مضارعاً ، كقوله [2] : (الرجز)

* دايَنْتُ أرْوَى والدُّيُونُ تُقْضَيِنْ *

وقد لحقت المضمرَ أيضاً كقوله [3] :

---

(١) هو الإنشاد السابع والخمسون بعد الخمسمائة من شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت لجرير في ديوانه ص٨١٣ ؛ والخصائص ٩٦/٢ ؛ والدرر ١٧٦/٥ ، ٢٣٣/٦، ٣٠٩ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٤٩/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤٦/٦ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٩٣، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥١٣ ، ٦٧٧ ، ٧٢٦ ؛ وشرح الأشموني ١٢/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٦٢/٢ ؛ وشرح المفصل ٢٩/٩ ؛ والكتاب ٢٠٥/٤ ، ٢٠٨ ؛ والمقاصد النحوية ٩١/١ ؛ وهمع الهوامع ٨٠/٢، ٢١٢ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٦٥٥ ؛ وجواهر الأدب ص١٣٩، ١٤١ ، وأوضح المسالك ١٦/١ ؛ ورصف المباني ص٢٩ ، ٣٥٣ ، وشرح ابن عقيل ص١٧ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٩٨ ؛ وشرح المفصل ١٥/٤ ، ١٤٥ ، ٩/٧ ؛ واللسان (خنا) والمنصف ٢٢٤/١ ، ٢، ٧٠ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٢٧ .
رواية الديوان : " ... والعتابا .... أصابا " .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٧٤/١ ؛ يقول الميمني : " هذا من تمحّل النحاة ، فإن الشطر لرؤبة (راجع اللآلئ ص٥٧) ويليه :

* فَمَطَلَتْ بَعْضاً وَأَدَّتْ بَعْضاً *

فكيف تستقيم الأشطار بتنوين الترنم "
والرجز في ديوان رؤبة ص٧٩ ؛ والأغاني ٣٤٤/٢٠ .

(٣) هو الإنشاد الخامس والأربعون بعد المائتين في شرح أبيات المغني .
والبيت لرؤبة في ملحقات ديوانه ص١٨١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٦٤/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي -

* يــا أبَتَــــا عَـــلَّكَ أوْ عَسَــاكَــنْ *

قال الشارح : ولم يسمع دخولُها على الحرف ، ولا يمتنع ذلك في القياس.

أقول: قد سمع في الحرف أيضاً كما مثّل له شُـراح الألفيّـة بقـول النابغـة [1] : (الكامل)

أفِـدَ التّـرحُّـلُ غَيْـرَ أنّ رِكَـابِنـا لَـمَّـا تَـزُلْ بـرِحَـالِنـا وكَـأنَّ قَـدِنْ

ولحاق هذا التنوين لما ذكر إنما هو عند بني تميم ، كما قال الشارح، وعنـد قيـس أيضاً كما قاله ابن جنّي في « سر الصناعة » .

و« أقلّي » فعل أمر مسنَد إلى ضمـير العاذلـة، يقـال أقللته وقلّلته بمعنـى جعلتـه قليلاً، بتعدية « قلّ » بالهمزة والتضعيف . وهذا المعنى ليس بمراد ، بل المقصود اتركي اللوم؛ فإنّ القلة يعبر بها عن العدم كما هو مستفيض . و«اللّوم» مفعول أقلّي ، وهـو مصدر لام يلوم ، ومعناه العذل ، والتوبيخ . و«عـاذلَ» منـادى محذوف منه حـرف

- ٣٣٤/٣ و ٣٧٤ ؛ وشرح شـواهد المغـني ٤٣٣/١ ؛ وشـرح المفصـل ١٢٣/٧ ، ٩٠/٢ ؛ والكتـاب ٣٧٥/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٢٥٢/٤ . وهو للعجاج في ملحق ديوانه ص٣١٠ ؛ وتهذيب اللغة ١٠٦/١ . وهـو بـلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٣٦/١ ؛ والإنصاف ٢٢٢/١ ؛ والجنى الداني ص٤٤٦ ، ٤٧٠- ؛ والخصائص ٩٦/٢ ؛ والـدرر ١٥٩/٢ ؛ ورصف المباني ص٢٩ ، ٢٤٩ ، ٣٥٥ ؛ وسر صناعـة الإعـراب ٤٠٦/١ ، ٤٩٣/٢ ، ٥٠٢ ؛ وشـرح الأشموني ١٣٣/١ ؛ ٤٥٨/٢ ؛ وشرح المفصل ١٢/٢ ، ١١٨/٣ ، ١٢٠ ، ٨٧/٨ ، ٣٣/٩ ؛ واللامات ص١٣٥؛ ولسان العرب (روي) ؛ والمقتضب ٧١/٣ ؛ ومغني اللبيـب ١٥١/١ ، ٦٩٩/٢ ؛ وهمـع الهوامـع ١٣٢/١ ؛ وتـاج العروس (الياء) .

(١) هو الإنشاد الخامس والثمانون بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيت في ديوان النابغة ص٨٩ ؛ والأزهيـة ص٢١١ ؛ والأغـاني ٨/١١ ؛ والجنـى الداني ص١٤٦، ٢٦٠ ؛ والـدرر اللوامع ٢٠٢/٢ ، ١٧٨/٥ ؛ وشـرح التصريـح ٣٦/١ ؛ وشـرح أبيـات المغني ٩١/٤ ؛ وشــرح شـواهد المغـني ص٤٩٠، ٧٦٤ ؛ وشـرح المفصـل ١٤٨/٨ ، ١٨/٩ ، ٥٢ ؛ ولسـان العرب (قـلد) ؛ ومغـني اللبيـب ص١٧١ ؛ والمقاصد النحوية ٨٠/١ ، ٣١٤/٢ . وهـو بـلا نسبة في الأشباه والنظـائر ٥٦/٢ ، ٣٥٦ ؛ وأمـالي ابن الحـاجب ٤٥٥/١ ؛ ورصـف المبـاني ص٧٢ ، ١٢٥ ، ٤٤٨ ؛ وسـر صناعـة الإعـراب ص٣٣٤ ، ٤٩٠ ، ٧٧٧ ؛ وشــرح الأشموني ١٢/١؛ وشرح ابن عقيـل ص١٨ ؛ وشـرح قطـر النـدى ص١٦٠ ؛ وشـرح المفصـل ١١٠/١٠ ؛ ومغـني اللبيب ص٣٤٢ ؛ والمقتضب ٤٢/١ ؛ وهمع الهوامع ١٤٣/١ .

وفي شرح أبيات المغني : " على أن الفعل بعد " قد " محذوف للدليل ، أي : وكأن قد زالت " .

أفد الترحل ، أي : دنا الرحيل وقرب . والركاب : الإبل .

النداء ، ومرخم عاذلة ، من عذل يعذل من بابي ضرب وقتل ، بمعنى لام . و«العتاب» معطوف على اللَّوم ، مصدر عاتب معاتبة وعتاباً . قال الخليل : العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة أي : الغضب. وهذا ليس بمقصود إذْ هو بهذا المعنى لا يكون إلاّ بين متحابَّين ، وإنّما المراد مصدر عتَب عليه عتباً من بابي ضرب وقتل ، بمعنى لامه في تسخط .

وقوله « قُولي » فعل أمر أيضاً معطوف على « أقلي » . وقوله « لقد أصابن » مقول القول ، وجملة « إن أصبتُ » معترضة بينهما ، وجواب الشرط محذوف وجوباً يفسره جملة القول .

وهذا البيت مطلع قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وتسعة ، لجرير [1] يهجو عُبيد الراعي النميري ، والفرزدق . وسبب هجوه إياهما على ماحكى في شرح المناقضات، أنّ عَرَادة النميري كان نديماً للفرزدق ، فقدم الراعي البصرةَ فقدّم عرادة طعاماً وشراباً، فدعا الراعيَ ، فلما أخذت الكاس منهما قال عَرادة للراعي : يا أبا جندل ، قل شعراً تفضّل الفرزدق على جرير . فلم يزل يزيّن له ذلك حتى قال[2] : (الكامل)

يَاصَاحِبَيّ دَنَا الأصِيْلُ فَسِيْرا غَلَبَ الفَرزدقُ في الهِجَاءِ جَرِيْرا

فغدا به عرادة على الفرزدق فأنشده إياه ، وكان عبيد الراعي شاعر مضر وذا سنّها ، فحسب جرير أنه مغلّب الفرزدقَ عليه ، فلقيه يوم الجمعة فقال : يا أبا جندل: إني أتيتك بخبر أتاني ، إني وابن عمي هذا - يعني الفرزدق - نستبّ صباحاً ومساء ، وما عليك غلبة المغلوب ولا عليك غلبة الغالب ، فإما أن تدعَني وصاحبي ، وإما أن تغلّبني عليه ، لانقطاعي إلى قيس وحَظْي في حبلهم . فقال له الراعي : صدقت ، لا أبعِدك من خَير ، ميعادك المِربد . فصحبه جرير ، فبينما هما يستخرج كلٌّ منهما مقالةَ صاحبه رآهما جَندل بن عُبيد فأقبل يركض على فرس له فضرب بغلة أبيه الراعي ، وقال : مالك يراك الناس واقفاً على كلب بني كليب ؟! فصرفه عنه . فقال جرير : أما والله لأثقلنّ رواحلك . ثم أقبل إلى منزله ، فقال للحسين روَايتِه: زد في دُهن سراجك الليلة ، وأعدِد لوحاً ودواة . ثم أقبل على هجاء بني نمير ، فلم يزل يُملي

(١) مطولة في ديوانه ص٨١٣ - ٨٢٥ ؛ والنقائض ص٤٣٢-٤٥١ .

(٢) البيت في ديوان الراعي النميري ص١٣٩ ؛والنقائض ص٤٢٨.والقصة بكاملها في النقائض ص ٤٢٨-٤٢٩.

حتى ورد عليه قوله (١) : (الوافر)

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابَا

فقال : حسبك ، أطفئ سراجك ونم ، فَرَغتُ منه . ثم إنَّ جريراً أتم هذه بعد ، وكان يسمِّيها الدامغة أو الدمَّاغة ، وكان يسمي هذه القافية المنصورة ، لأنه قال قصائدَ فيها، كلُّهن أجاد فيها . وبعد أن أتمها أدخل طرفَ ثوبه بين رجليه ثم هَدَر فقال : أخزيت ابن يربوع ! حتى إذا أصبح غدًا ورأى الراعي في سوق الإبل ، فأتاه وأنشدُه إياها ، حتى وصل إلى قوله (٢) :

أجَنْدَلُ مَا تَقولُ بَنُو نُمَيرٍ إذا ما الأيْرُ في اسْتِ أبيك غَابا

فقال الراعي : شراً والله تقول !

عَلَوتُ عَليكَ ذِروةَ خِنْدِفِيٍّ تَرَى مِنْ دونها رُتَباً صِعَابا
لَنا حَوضُ النَّبيِّ وَساقِياهُ ومَن وَرِثَ النُّبُوَّة والكِتَابا
إذا غَضِبَتْ عليكَ بَنو تَميمٍ حَسِبتَ النَّاسَ كلَّهُمُ غِضَابا
فغضَّ الطرف إنك من نمير . . . . (البيت)(٣)

فقال الراعي وهو يريد نقضها(٤) :

أتاني أنَّ جحشَ بني كُلَيْبٍ تَعَرَّضَ حَولَ دِجلةَ ثُمَّ هَابَا
فأَوْلَى أنْ يَظَلَّ البَحرُ يَطْفُو بِحيثُ يُنازِعُ الماءُ السَّحَابا
أتاكَ البَحْرُ يَضْرِبُ جَانِبيهِ أغَرُّ تَرَى لِجرِيَتِهِ حَبَابَا

ثم كفّ ورأى أن لا يجيبه . فأجاب عنه الفرزدق على رويّ قوله (٥) : (الوافر)

---

(١) البيت في ديوانه ص٨٢ ؛ وجمهرة اللغة ١٠٩٦ ؛ والدرر ٣٢٢/٦ ؛ وشرح المفصل ١٢٨/٩ ؛ ولسان العرب (حلد) . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٤١١/٤ ؛ وشرح الأشموني ٨٩٧/٣ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ص٢٤٤ ؛ والكتاب ٥٣٣/٣ ؛ والمقتضب ١٨٥/١ .

(٢) البيت في ديوانه ص٨٢١ . وهو بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ٦٧٧/٢ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية : " النون لا يظهر معناها غير أن تكون علامة للنقيضة ، مفرد النقائض في نسخة النقائض عنده " .

(٤) الأبيات في ديوان الراعي النميري ص١٧-١٨ ؛ والنقائض ص٤٢٩ . والأول في أساس البلاغة (جسم) .

(٥) البيت في ديوان الفرزدق ص١١٥ ؛ والنقائض ص٤٢٩ .

والحدثان : ما يحدث من المصائب .

أنـا ابـنُ العَاصِمِينَ بَنِي تـميـمِ إذا مـا أعظَمُ الـحَـدَثـانِ نَـابـا

ثم إن الراعي قال لابنه : ياغلام بئسما كسَبنا قومُنا [١] . ثم قام من ساعته وقال لأصحابه : ركابَكم فليس لكم هاهنا مقام ، فَضَحكم جرير . فقال له بعض القوم : ذلك بشؤمك وشؤم ابنك . وسار إلى أهله ، فلمّا وصل إليهم سمع عند القدوم :

فغضّ الطرف إنّك من نمير . . . . . (البيت)

وأقسم بالله مابلّغَها إنسيّ ، وإن لجرير لأشياعاً من الجن . فتشاءمت به بنو نمير وسبُّوه وسبُّوا ابنه . وهم يتشاءمون به إلى الآن .

قال ابن رشيق في « العمدة » [٢] : « وممن وضعه ماقيل فيه من الشعر، حتى أنكر نسبه وسقط عن رتبته ، وعِيب بفضيلته ، بنو نمير . كانوا جمرة من جمرات العرب ، إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فخم لفظه ومدّ صوته وقال : من بني نمير . إلى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عُبيد بن حُصين الراعي فسهر لها فطالت ليلته إلى أن قال : فغض الطرف إنك من نمير .. البيت . فأطفأ سراجَه ونام ، وقال : والله [قد][٣] أخزَيتُهم آخرالدهر . فلم يرفعوا رأساً بعدها ، إلا نكس بهذا البيت ، حتى أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح بـه بنو نمير : ياجُوذَابَ باهلة [٤] ، فقص الخبر على مواليه – وقد ضجر من ذلك– فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

فغضّ الطرف إنّك من نمير . . . . . (البيت)

ومرّ بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنسيه فقال : غمِّضْ وإلاّ جاءك ما تكره! فكفُّوا عنه ، ولم يَعرضوا له بعدها . ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير ، فأداموا النظر إليها فقالت : قَبحكم الله يابني نمير ، ما قَبلتم قول الله عزوجل [٥] : «قُلْ لِلمُؤمِنين يَغُضُّوا من أبْصَارِهِمْ » ، ولا قول الشاعر :

فغضّ الطرف إنّك من نمير . . . . . (البيت)

---

(١) انظر النقائض ص٤٣٢ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر ١/٥٠ .

(٣) زيادة من العمدة ١/٥٠ .

(٤) الجوذاب : شسع النعل .

(٥) سورة النور : ٣٠/٢٤ .

وهذه القصيدة تسمِّيها العرب الفاضحة ، وقيل سماها جرير الدمّاغة ، تركت بني نمير بالبصرة ينتسبون إلى عامر بن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً إلى أبيه ، هرباً من ذكر نمير ، وفِراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة » .

واعلم أنّ جمرات العرب ثلاث [١] : وهم بنو نُمير بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضَبّة بن أدّ . فطَفِئت جمرتان وهما بنو ضَبة لأنّها حالفت الرِّباب ، وبنو الحارث بن كعب لأنّها حالفت مذحجاً ، وبقيت نمير لم تحالف فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له : مَنْ أنت ؟ قال : نميريٌّ ، إدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير :

فغضَّ الطرف إنّك من نمير . . . . . (البيت)

وكعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة . والتجمير في كلام العرب التجميع ، وإنّما سموا بذلك لأنّهم متوافرون في أنفسهم لم يُدخلوا معهم غيرهم . وفي القاموس : الجمرة : النار المتقدة ، وألف فارس ، والقبيلة لا تنضم إلى أحد ، أو التي فيها ثلاثمائة فارس . وجمرات العرب : بنو ضَبة بن أد ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو نمير بن عامر ؛ أو عبس ، والحارث ، وضبّة لأنّ أمهم رأت في المنام أنه خرج من فرجها ثلاث جمرات ، فتزوّجها كعب بن [عبد] المَدَان [٢] فولدت له الحارث ، وهم أشراف اليمن . ثم تزوّجها بَغيض بن رَيث فولدت له عَبساً ، وهم فرسان العرب . ثم تزوّجها أدّ فولدت له ضَبة . فجمرتان في مضر ، وجمرة في اليمن .

و« **جرير** » ابنُ عطية بن الخَطفَى بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وجرير من الأسماء المنقولة ، لأن الجرير حبل يكون في عنق الدابة أو الناقة من أدم ، كذا في أدب الكاتب . وسمي جريراً لأنَّ أمه كانت رأت في نومها - وهي حَاملة به - أنها تلد جريراً، فكان يلتوي على عنق رجلٍ فيخنقه ، ثم في عنقِ آخر ، ثم في عنق آخر ، حتى كاد يقتل عدّة من الناس ، ففزعت من رؤياها وقصَّتها على معبِّر ، فقال لها : إن صدقتْ رؤياك ولدتِ

---

(١) حديث جمرات العرب بكامله في اللسان (جمر) . وزهر الآداب ١/٥٥ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من اللسان (جمر) . وانظر اللسان (جمر) ؛ وفيه النص بكامله ؛ وفيه : " فتزوجها كعب ابن عبد المدان ..." .

والمدان : صنم لهم كانوا يعبدونه .

ولداً يكون بلاءً على الناس . فلما ولدته سمته جريراً . وكان تأويل رؤياها أنه هجا ثمانين شاعراً فغلبهم كلهم إلا الفرزدق . وكانت أمه ترقّصه وهو صغير [١] وتقول : (الرجز)

قَصَصْتُ رُؤيَايَ على ذاكَ الرَّجُلْ فقالَ لي قَولاً وليتَ لم يقُلْ
لَتلدنّ عُضلةً من العُضلْ ذا مَنْطِقٍ جَزْلٍ إذا قالَ فَصَلْ
مثلَ الحسامِ العَضْبِ مَا مسَّ فَصلْ يَعدِلُ ذاَ الميلَ ولمَّا يَعْتَدلْ
يُنهل سمَّاً مَنْ يُعادِي ويُعلّ

و«الخَطفَى» لقب جده ، واسمه حذيفة ، مصغر حَذْفة ، وهي الرمية بالعصا ، ولُقّب بالخَطفَى لقوله [٢] : (الرجز)

يَرْفَعنَ بالليلِ إذا ما أسْدَفا أعْناقَ جنّانٍ وهاماً رُجَّفا
وَعُنقاً بَاقي الرَّسِيْمِ خَطَفَا

ويروى « خَيطفا » ، وهو السريع . ويكنى جريرٌ أبا حَزْرة ، بفتح المهملة وسكون المعجمة ، بابن كان له . والحزرة : فعلة من حزرت الشيء ، إذا خرصته وخمّنته ؛ والحزرة أيضاً : خيار المال ، وحموضة اللبن .

قال ابن قتيبة في « كتاب الشعر والشعراء »[٣] : « وكان له عشرة من الولد : [فيهم] ثمانية ذكور، منهم بلال وكان أفضلَهم وأشعرهم .. وله عقب [٤] منهم عُمارة ابن عقيل بن بلال . ومن ولد جرير : نوح وعِكرمة ، وكانا شاعرين أيضاً . وكان

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " ... ترقصه وهو قصير .." . وهو تصحيف . وفي حاشية طبعة هارون ٧٥/١ : " ط: قصير " صوابه في ش " . أي : في النسخة الشنقيطية .
العضلة : الداهية الشديدة . والحسام : السيف . والعضب : القاطع . ينهل : من النهل ، وهو الشرب الأول . ويعل : من العلل ، وهو الشرب الثاني والثالث .

(٢) الرجز للخطفى ، حذيفة بن بدر ، جد الشاعر جرير . وهو في تاج العروس (حيد ، خطف ، سدف ، جنن)؛ وتهذيب اللغة ١٩٠/٥ ؛ وجمهرة اللغة ص٦٠٩ ؛ ١١٧٣ ؛ ولسان العرب (خطف ، سدف ، جنن) ؛ والمخصص ١٩٦/١٥ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (خطف) ؛ ومقاييس اللغة ١٩٦/٢ ؛ وكتاب العين ٢٢١/٤ ، والمخصص ١٠٩/٧ ، ٤١/٩ .

(٣) الشعر والشعراء ٣٧٤/١ . والزيادة منه .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : " ولهم عقب " . وهو تصحيف صوابه من الشعر والشعراء ٣٧٤/١ .

جرير من فحول شعراء الإسلام ، وكان يشبّه بالأعشى ميمون ، وكان من أحسن الناس تشبيباً [١] . قال الأصمعي : سمعت الحي يتحدثون عن جرير أنه قال : لولا ما شغلني من هذه الكلاب لشبّبت تشبيباً تحنُّ منه العجوز إلى شبابها ، حنين الناقة إلى سقبها . وكان من أشد الناس هجاء ».

وقد أجمع علماء الشعر على أن جريراً والفرزدق والأخطل مقدَّمون على سائر شعراء الإسلام ، واختلفوا في أيُّهم أفضل ، وقد حكم مروان بن أبي حفصة بين الثلاثة بقوله[٢] : (الكامل)

ذَهَبَ الفَرَزْدَقُ بالفَخَارِ وإنّما حُلْوُ الكَلامِ وَمُرُّه لِجريرِ
وَلَقَدْ هَجَا فأمضَّ أخْطَلُ تَغْلِبٍ وحَوى اللهى بمديحهِ المشهورِ

فحكم للفرزدق بالفخار، وللأخطل بالمدح والهجو ، ولجرير بجميع فنون الشعر.

قال المدائني : كان جرير أعقَّ الناس لأبيه ، وكان ابنه بلال أعقَّ الناس به [٣] . فراجع جرير بلالاً في الكلام ، فقال بلال : الكاذب من ناك أمه ! فأقبلَتْ عليه وقالت له : ياعدو الله أتقول هذا لأبيك ؟! قال جرير : فوالله لكأنّي أسمعها وأنا أقولها لأبي. ولما بلغ موتُ الفرزدق جريراً قال [٤] : (الكامل)

هَلكَ الفَرزدَقُ بعد ما جَدَّعتُه لَيْتَ الفَرَزْدَقَ كانَ عاشَ قَليلاً

ثم أطرق طويلاً وبكى ، فقيل له : ما أبكاك ؟ قال بكيت على نفسي ، والله إني لأعلم أني عن قليل لاحِقُه ، فلقد كان نجمنا واحداً، وكلُّ واحد منا مشغول بصاحبه، وقلما مات ضدٌّ أو صديق إلا تبعه الآخر . ثم أنشأ يرثيه [٥] : (الطويل)

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " تشبيهاً " . وهو تصحيف صوابه من الشعر والشعراء ١/٣٧٤ .

(٢) البيت الأول في الشعر والشعراء ١/٣٧٧ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ١/٨٠ ، قال الميمني : " الصواب " له " فإن عقّ لا يحتاج إلى الباء في التعدية " .

(٤) البيت مع خبره في ديوان جرير ص٦٣٥ ؛ والنقائض ص١٠٤٥ ؛ والأغاني ٨/٨٨ .

(٥) الأبيات في ديوانه ص٩٧٦ ؛ والنقائض ص١٠٤٦ ؛ والشعراء ١/٣٩٢ . وفي جمهرة أنساب العرب ص٢٢٢: " هؤلاء يدعون البراجم ، وهم : عمرو ، والظُّليم ، وغالب ، وكلفة ، وقيس ، سُمُّوا بذلك لأن عددهم كان قليلاً، فقال لهم حارثة بن عامر بن عمرو بن حنظلة :" أيتها القبائل التي قلّ عددها ، تعالوا فلنجتمع ، فلنكن كبراجم اليد " .

وفي طبعتي بولاق والسلفية : " المراجم " . وهو تصحيف صوابه من الديوان والشعر والشعراء . =

فُجعنا بحمّال الدِّياتِ ابنِ غالبٍ ... وحَامي تَميم عُرْضُها والبَراجمِ
بَكَيناكَ حِدْثَانَ الفِراقِ وإنّما ... بَكَيْناكَ إذ نابَتْ أمُورُ العَظَائمِ
فلا حَملَتْ بعدَ ابن لَيْلَى مَهيرَةٌ ... ولا شُدَّ أنساعُ المَطيّ الرَّواسمِ

ثم لم يلبث أن مات بعد قليل باليمامة .

وذكر الآمدي في « المؤتلف والمختلف » [1] من اسمه جرير من الشعراء سبعة: أحدهم هذا وتُوفي في سنة عشر وقيل إحدى عشرة ومائة ، وعمره قد قارب التسعين. والثاني : جرير العِجْلي [2] ، وهو عصريّ الأوّل ، وقد رد على الفرزدق . الثالث : جرير بن عبد الله ، أحد بني عامر بن عُقيل ، فارس شاعر. والرابع : جرير بن عبد المسيح الضُّبعي ، وهو المتلمس صاحب طرفة بن العبد . والخامس : جرير بن كليب ابن نوفل ، وهو إسلامي . السادس : جرير بن الغوث ،أخو بني كنانة بن القين . السابع : جُرير وهذا مصغّر ، وهو أبو مالك المُدلجي .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس ، وهو من شواهد سيبويه ، أنشده في باب وجوه القوافي ، واستشهد به لما يلزم من إثبات الواو والياء إذا كانتا قافيتين ، كما يلزم إثبات القاف في المخترق لأنّها حرف الروي [3] : (الرجز)

٥- وقاتِمِ الأعْمَاقِ خَاوِي المُخْتَرَقْنْ

= وعرض تميم : أي معظمها وجمهورها . والديات : جمع دية . وحدثان ، أي حدوث . ونابت : نزلت . والأنساع : جمع نسع ، وهو سير تشد به الرحال . والرواسم : الإبل تؤثر في الأرض ، من شدة العدو والوطء.

(١) المؤتلف المختلف ص٩٤-٩٥ .

(٢) هو جرير بن الحرقاء - ويقال الخرقاء - بن طارق العجلي . كما ورد في المؤتلف .

(٣) هو الإنشاد الثامن والخمسون بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والرجز بكامله في ديوانه ص١٠٤ ومابعدها ؛ والأغاني ٣٤٩/٢٠ . وأشطر الرجز هذه متناثرة في أغلب المصادر النحوية القديمة . انظر في ذلك جمهرة اللغة ص٤٠٨ ، ٦١٤ ، ٩٤١ ؛ والخصائص ٢٢٨/٢ ؛ والدرر ١٩٥/٤ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٥٣/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤٧/٦-٥١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٢٣ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٦٤/٢ ، ٧٨٢ ؛ ومقاييس اللغة ١٧٢/٢ ، ٥٨/٥ ؛ وأساس البلاغة (قتم) ، ولسان العرب (خفق ، عمق ، غلا) ؛ ومغني اللبيب ٣٤٢/١ ؛ والمقاصد النحوية ٣٨/١ ؛ والمنصف ٣/٢ ، ٣٠٨ ؛ وهمع الهوامع ٣٦/٢ .

على أن « تنوين الترنم» قد يلحق الروي المقيَّد فيختص باسم الغالي ، تبع الشارح المحقق في جعل تنوين الغالي نوعاً من تنوين الترنم لابن جنّي ، فإنه قال في« سر الصناعة» : الرابع من وجوه التنوين وهو أن يلحق أواخر القوافي معاقباً لما فيه من الغنة لحرف الميم، وهو على ضربين : أحدهما أن يلحق متمماً للبناء ، والآخر أن يلحق زيادة بعد استيفاء البيت جميع أجزائه ، نيفاً [1] من آخره بمنزلة الزيادة المسماة خزماً في أوله . ثم قال : وإنما زادوا هذا التنوين في هذا الموضع ونحوه بعد تمام الوزن ، لأن من عادتهم أن يلحقوه فيما يحتاج إليه الوزن نحو :

* قِفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلن *

وقوله [2]:

* الحَمدُ للهِ الوهوبِ المُجْزِلنْ *

فلما اعتادوه فيما يكمل وزنه ألحقوه أيضاً بما هو مستغنى عنه . وهذا معنى قول الشارح : « وإنما ألحق بالروي المقيد تشبيهاً له بالمطلق ». وزعم ابن يعيش أن فائدة هذا التنوين التطريب والتغني . وجعله ضرباً من تنوين الترنم ، وزعم أن تنوين الترنم يراد به ذلك . وهو غلط كما بينه الشارح المحقق . وقال عبد القاهر: فائدته الإيذان بأنّ المتكلم واقف ، لأنه إذا أنشد عجلاً والقوافي ساكنة صحيحة لم يُعلم أواصلٌ هو أم واقف ؟ وأنكر هذا التنوين الزجّاج والسيرافي ، وزعما أن رؤبة كان يزيد في أواخر الأبيات « إن » فلما ضعف صوته بالهمزة لسرعة الإيراد ظن السامع أنّه نون ، وفي هذا توهيم الرواة الثقاتِ بمجرد الاحتمال .

وقول الشارح : « فيفتح ماقبل النون تشبيهاً لها بالخفيفة ، أو يكسر للساكنين كما في حينئذ » قال ابن هشام في شرح الشواهد : والأخفش يسمِّي هذا التنوين غالياً ، والحركة التي قبل التنوين غلوّاً ، وهي الكسرة ، لأنّها الأصل في التقاء الساكنين ، كقولهم يومئذٍ ومهٍ . وزعم ابن الحاجب أنّ الأولى أن تكون الحركة قبلُ فتحةً ، كما في نحو اضربن ، وأنّ هذا أولى من أن يقاس على يومئذ لأن ذاك له أصل في المعنى ، وهو عوض من المضاف إليه . ولنا أن قياس التنوين على التنوين أولى ،

---

(١) النيف : الزيادة .

(٢) الرجز لأبي النجم العجلي من أرجوزته المسماة أم الرجز ، وهي في شرح أبيات المغني للبغدادي ٣/٣٦٣-٣٦٦ . وقد نشرها المجمع العلمي بدمشق في مجلته عام ١٩٢٨ .

لاتحاد جنسهما، ولأنهما يكونان في الاسم ، والنـون لا تكـون إلا في الفعـل . ثـم إن فتحة « اضربَنْ » ، للتركيب كما في خمسة عشر ، لا لالتقاء الساكنين .

والروي هو الحرف الذي تنسـب إليـه القصيـدة ، مـأخوذ مـن الـرِّواء ، بالكسـر والمد، وهو الحبل . والمقيَّد : الساكن الذي ليسْ حرف علة .

وهذا البيت مطلع قصيدة مرجّزة مشهورة لرؤبة بن العجاج . وقال ابـن قتيبـة في أول كتاب الشعر والشعراء [1] : حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان ثلاثة إخوة من بني سعد لم يأتوا الأمصار ، ذهب رجزهم ، يقال لهم نُذير، ومنيذر ومنذر ، يقـال إن قصيدة رؤبة التي أولها « وقاتم الأعماق » لنذير .

وهذه القصيدة طويلة لا فائدة في إيراد جميعها ، لكـنْ فيهـا بيـت مـن « شـواهد التفسـير» و« مغـني اللبيـب» لا يتّضـح معنـاه إلا بشـرح الأبيـات الـتي قبلـه ، فلهــذا شرحت.

فقوله : « وقاتم » الواو واو رب ، وهـي عاطفـة لا جـارّة ، و« قـاتم » مجـرور برب لا بالواو على الصحيح .

وقد أنشد الشارح هذا البيت في ربّ مـن حـروف الجـرّ أيضـاً علـى أن « ربّ» محذوفة بعد « الواو » ، وذكر أنه يجوز حذفها في الشعر بعد الواو والفاء وبل. ولم أر من قيَّد حذفها في الشعر وغيره . وهذا هو مذهب البصريين؛ وزعم الكوفيـون والمـبرد أن الجر بـ « الواو» لا بـ « ربّ» ، واستدلوا في افتتاح القصائد بها ، كهـذا البيـت . وأجيب بجواز العطف على كلام تقدّم ملفوظٍ به لم ينقل، أو مقدر حكم لـه - منويـاً في النفس - بحكم المنطوق به . ورد مذهبهم بوجوه أيضاً :

أحدها : أنها - مع ذكر ربّ - عاطفة باتفاق ، فكذلك مع حذفها ، ولا تنقـل عن ذلك إلا بدليل ، والأصل عدمـه . قـال ابـن خالويـه : الـواو إذا كـانت في أوائـل القصائد نحو « وقاتم الأعماق » فإنها تدل علـى « ربّ» فقـط ولا تكـون للعطـف ، لأنه لم يتقدّم ما يعطف عليه بالواو . قال أبو علـي الفارسـي في نقـض الهـاذور : هـذا شيء لم نعلم أحداً ممن حكينا قوله في ذلك ذهب إليه ولا قال بـه، وليـس هـذا الـذي تظنـاه من الفصل بين الأوائل وغيرها بشيء ، وذلك أن أوائـل القصائد يدخـلُ عليهـا

(١) الشعر والشعراء ص٩ ؛ وفيه : "... الأمصار ، فذهب رجزهم ، يقال لهم : منذر ونذير ومنتذر " .

حروف العطف على جهة الخزم، نحو مارووا من قوله [١] : (الرجز)

* بَلْ ما هَاجَ أحْزاناً وَشَجْواً قَدْ شَجَا *

وكأنه جعله عطفاً على كلام قد كانوا يقولونه ، وقصةٍ خاضوا فيها ، فعطف الشعر بحرف العطف على ذلك الكلام الذي كانوا فيه .

الثاني : لوكانت « الواو» عوضاً من « ربّ» لما جاز ظهورها معها ، لأنه لا يجوز أن يجمع بين العوض والمعوّض عنه .

الثالث : أنها لو كانت نائبة عن « ربّ» لجامعها واو العطف كما تجامعها واو القسم ، كقوله [٢] : (الطويل)

* ووالله لولا تَمْرُهُ ما حَبَبْتُهُ *

الرابع : أنّ « ربّ» تضمر بعد الفاء وبل ، ولم يقل أحد إنهما حرفا جرّ ، فكذلك ينبغي أن يكون الحكم مع الواو .

وقال الشاطبي : وفي هذه الأدلة كلها نظر ، وأقربها الرابع إنْ ثبت الاتفاق من الفريقين على أن الفاء وبل ليستا جارتين عند حذف « ربّ» ، فإن الفرق بينهما وبين الواو فيه بُعْدٌ وبُعد . فهذه المسألة لا ثمرة لها في النحو ، وإنّما البحث فيها مظهر للمرتكب الأولى في ضبط القوانين خاصة .وإذا كان كذلك فما قاله أهل البصرة له وجه صحيح ، وما قاله الآخرون كذلك . والله أعلم .

و« قاتم » قال الأصمعي في شرح ديوان رؤبة : القُتمة : الغبرة إلى الحمرة، مصدر الأقتم . وقال ابن السكيت في كتاب «القلب والإبدال» : ويقال أسود قاتم وقاتن، بالميم والنون ، وفعله من بابي ضرب وعلم ؛ وهو صفة لموصوف محذوف أي: رب بلد قاتم. و « الأعماق » جمع عمق بفتح العين وضمها ، وهو ما بعُد من أطراف

---

(١) الرجز للعجاج في ديوانه ص٣٤٨ ؛ وسمط اللآلئ ١٥٥ . ورواية الشطر بدون الخزم . أي بحذف " بل " . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٦١٠/١٠ ؛ ولسان العرب (رجز ، بلل ، بلا) .

(٢) صدر بيت لعيلان بن شجاع النهشلي ؛ وهو في كتاب المراثي ص١٦٦ ؛ واللسان (حبب) . وعجزه :

* ولا كانَ أدْنى مِنْ عُبَيْدٍ ومُشْرِقِ *

وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤١٠/٢ ؛ والخصائص ٢٢٠/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٨٠/٢ ؛ وشرح المفصل ١٣٨/٧ ؛ ومغني اللبيب ٣٦١/١ .

المفاوز ؛ مستعار من عمق البئر ، يقال عمقت البئر عمقاً من باب قرب ، وعَماقة بالفتح أيضاً : بعُدَ قعرها . وتعديته بالهمزة والتضعيف. و« الخاوي » من خوى المنزل ، إذا خلا . و« المخترق » بفتح الراء : مكان الاختراق ، من الخرق بالفتح ، وأصله من خرِقت القميص من باب ضرب إذا قطعته ، وقد استعمل في قطع المفازة فقيل خرقت الأرض، إذا جبتها . ومخترق الرياح : ممرُّها .

* مُشْتَبِه الأعلامِ لمّاع الخَفَقْ *

« الأعلام » : جمع عَلَم ، وهي الجبال التي يهتدى بها ، يريد أن أعلام هذا البلد يشبه بعضها بعضاً ، فتشتبه عليك الهداية . و« الخَفْق » بفتح الخاء وسكون الفاء: مصدر خفق السراب وخفِقت الراية ، من بابي نصر وضرب ، خفقاً ، وخفقاناً، إذا تحركت واضطربت ؛ وتحريك الفاء ضرورة . يريد أنه يلمع فيه السراب. و «مشتبه» و« لماع » صفتان لقاتم .

* يَكلّ وَفْدَ الريحِ من حَيْثُ انْخَرَقْ *

« يكل » : مضارع كلّ - من باب ضرب - كلالة : تعب وأعيا. ويتعدى بالألف ، وروي بضم الياء مضارع أكلّه ، فـ « الوفد » مفعوله ، وضميره المستتر راجع لقاتم ، والجملة على الوجهين صفة لقاتم، إلا أن الرابط في الوجه الأوّل محذوف أي يكلّ فيه. و« الوفد » : جمع وافد ، من وفد على القوم من باب وعد [وفْداً[1]] ووفوداً بمعنى قدم . ووفدُ الريح : أولها ، وهذا مثل . وقوله حيث انخرق : أي : حيث صار خرقاً ، والخرق الواسع ، يريد اتّسعَ ، فإذا اتّسع الموضع فترت الريح ، وإذا ضاق اشتد مرورها فيه .

* شأز بمن عَوَّهَ جدْبِ المنطَلقْ *

قال أبو زيد : شئز مكاننا شأزاً : غلظ واشتدّ ، ويقال قلق . وأشأزه : أقلقه . ومثله شأسٌ تصرفاً ومعنى . وهو هنا وصف كصعب بمعنى الغليظ والشديد . و«عَوّه» بالعين المهملة : مصدره التعويه بمعنى التعريس ، وهو النزول في آخر الليل . وكل من احتبس في مكان فقد عوّه . و« الجدب » بالفتح : نقيض الخصب ، وهو هنا وصف كالأوّل ؛ فإنه يقال مكان جدبٌ وأرض جدبة ، ويقال أيضاً مكان

---

(١) زيادة يقتضيها السياق ؛ من اللسان (وفد) . وفيه : " وفد عليه وإليه يَفِد وَفْداً ووفوداً " .

جديب وأرض جُدوب [١] ، أي : بيِّنُ الجدوبة فيهما . و« شأز » و« جدب » وصفان لقاتم . و« المنطلق » بفتح اللام : محلُّ الانطلاق . يعني أن هذا البلد شديدٌ على من تلبّث فيه ، غير خصيب على المارّ والسالك .

* نـاءٍ مِنَ التَّصبيح نَأيَ المغتبَقْ *

يقول : هو بعيد من أن يصبحه الراكب فيصطبح فيه أو يأتيه ليلاً فيغتبق ، وهو وصف لقاتم أيضاً .

* تَبدو لنا أعلامُه بَعْد الغرقْ *

يعني تظهر جباله بعد أن تغرق في الآل . وضمير أعلامه لقاتم . ومثله [٢] : (الطويل)

تَرَى قُورَها يَغْرَقْنَ في الآلِ مَرَّةً وآونَةً يَخْرُجنَ مِنْ غامِرٍ ضَحْلِ

* في قِطَع الآل وهَبْوات الدُّقَق *

متعلق بالغرق قبله . قال الأصمعي : « قطع الآل » : غُدران من الآل ، جمع قطعة . والآل : قال ابن قتيبة في « أدب الكاتب» : « الفرق بين الآل والسراب : أن الآل يكون أوّل النهار وآخره ؛ وسمِّي آلاً لأن الشخص هو الآل . فلما رفع الشخص قيل هذا آلٌ قد بدا وتبين . أما السراب فهو الذي تراه نصف النهار كأنه ماء ». وردّ عليه ابن السيِّد في شرحه فقال : « إنكار أن يكون الآل هو السراب من أعجب شيء يسمع به » ، وذكر أبياتاً تدل على أن الآل هو السراب . والهبوة : الغبرة . و«الدُّقق» : بضم الدال وفتح القاف الأولى : جمع دُقّة ، وهو التراب الذي كسحته الريح من الأرض .

* خارجةً أعناقُها من معتَنق *

«خارجة» : حال سببية من الأعلام . و«أعناقها» : فاعل خارجة ، والضمير للأعلام . و« المعتنق » : مخرج أعناق الجبال من السراب .

---

(١) في اللسان (جدب) : "وحكى اللحياني:أرضٌ جُدُوبٌ ،كأنهم جعلوا كل جزء منها جدباً ثم جمعوه على هذا" .

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ص١٤٨ ؛ واللسان (غمر) ؛ وتهذيب اللغة ١٣١/٨. وهو بلا نسبة في اللسان (أني).

* تنشّطَتْه كلُّ مِغلاة الوَهَقْ *

هذا جواب « ربّ» . وقد غفل عنه العيني مع أنّه شرح القصيدة جميعها ، فقال: وجواب وقاتم الأعماق محذوف ، والتقدير ورب قاتم الأعماق إلخ قد قطعته أو جُبته أو نحو ذلك . انتهى . و« تنشَّطته » : تجاوزته بنشاط ، قال أبو حاتم: « هو أن تمد يدها ثم تسرع ردها » . والضمير للقاتم . و« كلّ » فاعل . والمغلاة من النوق : التي تُبعد الخطو وتغلو فيه ، أي : تفرط . و« الوهَق » : المباراة في السير .

وقال الليث : المواهقة : المواظبة في السير ومدّ الأعناق ، وتواهقت الرِّكاب : تسايرت .

* مضبورةٍ قرواءَ هرجابٍ فُنُق *

«المضبورة» : المجموعة الخلق المكتنزة . و«القَرْواء» : الطويلة القَرَا ، بالفتح والقصر ، وهو الظهر . وفي «الصحاح»: «وناقة قرواء : طويلة السنام ، ويقال الشديدة الظهر بيِّنة القَرا». و«الهِرجاب» بالكسر والجيم : الطويلة الضَّخمة من النوق. و«الفنق» ، بضم الفاء والنون : الناقة الفتية ، ولا يقال لشيء من الذكور فنق، وقيل المنعمة في عيشها. وقال الأصمعي: هي الفتية الضخمة . وهذه الكلمات الأربع صفات للمغلاة .

* مائرةِ العَضْدَين مِصلاتِ العُنق *

مار الشيء يمور موراً : تحرّك ، وجاء ، وذهب . أي : يَمور ضبعاها لسعة إبطيها وليست بكَزِرَة فرجعُهما سريع . و« العَضْدان » : بسكون الضاد مخفف مِن ضمّها ، ويروي « الضبعين » بفتح المعجمة وسكون الموحدة ، وهو كالعضدين وزناً ومعنى . و« المصلات » بالكسر ، ومثله الصَّلتة بالفتح ، وهي التي انحسر الشعر عن عنقها ، والهجينة تكون شَعراء العنق ، وقيل : هي التي تنصلت في السير أي : تتقدم .

* مُسودَّةِ الأعْطافِ من وسم العرَق *

« مسودَّة » : مجرور كالمائرة والمصلاتِ ، صفات للمغلاة . يقول : قد جهدتْ حتى عرِقت ، وتراكب عليها العرق واسودّ حتى صار وسماً . يقال [وسمه [1]] وسما

(١) زيادة يقتضيها السياق من طبعة هارون نقلاً عن الشنقيطية .

وسمة، إذا أثرَّ فيه بسِمة وكيّ . وروى « من وشم » بالمعجمة ، يقال : وشم يده وشماً، إذا غرزَها [١] بإبرة ثم ذرَّ عليها النَّئور وهو النِّيل ، والاسم الوشم أيضاً .

* إذا الدليلُ استافَ أخلاقَ الطرُقْ *

« إذا » هنا ظرف ، وليست شرطية ، والعامل فيها مافي كأنّ من معنى التشبيه. و« استاف » : شمَّ ، يقال ساف يسوف سَوفاً إذا شم ، وذلك بالليل ، يشمُّ الدليل التراب. و« أخلاق الطرق » : الدارس منها التي قد أخلقت ، واحدها خَلَق بفتحتين. شبهها بالثوب الخَلَق لأن الاستدلال بشم التراب إنما يكون في الطرق القديمة التي كثُر المشي فيها ، فيوجد رائحة الأرواث والأبوال .

* كأنّها حَقباءُ بَلْقاءُ الزَّلَقْ *

ضمير كأنّها للناقة المغلاة . و« الحقباء » : مؤنث الأحقب ، وهو حمار الوحش سمي بذلك لبياضٍ في حَقِويه . شبه الناقة بالأتان الوحشية ، وهي في الجلادة والسُّرعة مثلها. و« البلقاء » : مؤنث الأبلق . و« الزَّلَق » : عجُز الدابة ، أي : المكان الذي تزلق اليدُ عن كفلها أبيضُ وأسود .

* أو جادرُ اللِّيتَينِ مطويُّ الحَنَقْ *

في « العباب » : وجَدِر لِيته ، إذا بقي فيها جدَر بالتحريك ، أي : أثر الكدم والعضِّ . و«جادر» بمعنى ذو جدر . و« اللِّيت » بالكسر : صفحة العنق ، وهما ليتان. يقول: عضَّته الفحول فصار في عنقه أثر . و« مطويُّ الحنق » ، قال الأصمعي في شرحه : يقول : طُوي بالحنق أي بالضُّمر ، يقال أُحنق إذا ضَمر ، وإبل محانيق أي: ضوامر . وفي « الصحاح »: حمار محنق : ضَمُر من كثرة الضّراب . شبه الناقة - التي سلكت به هذا البلد الهائل ممرّه ، في الوقت الذي يحار الدليل في الطرق القديمة التي لا علَمَ بها، وذلك آية الهلاك - بالأتان الوحشية أو الحمار الوحشي ، الموصوفين بهذه الأوصاف، وإنما خصَّهما بالتشبيه لكونهما أجلدَ الوحوش وأسرع . وجادر معطوف على حقباء.

* مُحَملَجٍ أُدرِجَ إدراجَ الطَّلَقِ *

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " غزها " وهو خطأ . وفي اللسان (وشم) : " ووشم اليد وشماً : غرزها بإبرة ، ثم ذرَّ عليها النؤور ، وهو النيلج " .

هذا وصفٌ للحمار الوحشي . و« المحملج » : اسم مفعول من حملج الحبل : فتله فتلاً شديداً ، وأوله مهملة وآخره معجمة . و« أدرج » بالبناء للمفعول أيضاً بمعنى فُتل وطوي. و« إدراج » بكسر الهمزة : مصدر تشبيهي ، أي : كإدراج الطلق. و«الطَّلَق» : بفتحتين : قيد من جلود . وصف هذا الحمار بالضمر واكتناز الخلق ، وذلك أشدُّ لعدْوه .

* لَوَّح منهُ بَعْدَ بُدْنٍ وسَنَقْ *

يقال : لاحه السفر ولوّحه : غيَّره وأضمره . وضمير « منه » لجادر الليتين . وفاعل لوّحَ « قودٌ ثمان » في البيت الثالث بعد هذا . ومن للتبعيض . و« بُدْن » : بضم فسكون وبضمتين : السِّمَن والاكتناز ؛ تقول منه بَدَن الرجل بالفتح يبدنُ بدناً بالضم فيهما إذا ضخم ، وكذلك بَدَنَ بدانة فهو بادن ، وامرأة بادن أيضاً.

في « الصحاح »[1] : « والسنق ، بفتحتين : البشم ، يقال شَرِب الفصيل حتى سنق - بالكسر - يسنق بالفتح ، وهو كالتُخمة » . قال الأصمعي : والسنَق : كراهة الطعام من كثرته على الإنسان حتى لا يشتهيه . قيل لأعرابية : أترين أحداً لا يشتهي الخبيص ؟ قالت : ومن لا يشتهيه إلاّ من سنق منه ؟!

* مِنْ طولِ تَعداءِ الرَّبيع في الأنقْ *

هذا علّة للسنق . و« الأنق » بفتحتين : الإعجاب بالشيء ، تقول أنقت به من باب فرح ، فأنا به أنقٌ أي : معجب . وقال الأصمعي : الأنق المنظر المعجب ومنه أنيق. يعني أنّه سنَق من طول ماعدا في الربيع في مكان أنيق .

* تلويحَكَ الضّامرَ يُطْوى للسَّبَقْ *

« تلويحك » : مصدر تشبيهي منصوب بلوّح المذكور قبل ، وهو مضاف إلى الفاعل. و« الضامر » مفعول به . يقول : كما تلوِّح أنت الفرس الضامر تريد أن تسابق عليه. و« يُطوى » : يجوّع ويضمّر بالبناء للمفعول . و« السبق » : بفتحتين والسبقة بالضم مثله: الخطر والرَّهن الذي يوضع بين أهل السباق ، والجمع أسباق .

* قُودٌ ثمانٍ مثلُ أمراسِ الأبَقْ *

(١) انظر اللسان (سنق) ففيه الشرح بحرفيته .

« قُود » : فاعل لوَّح المتقدم ، وهو جمع قوداء بمعنى الطويلة العنق والظهر . و«الأمراس» : جمع مَرَس ، وهو جمع مَرَسة بمعنى الحبل . و« الأبق » : بفتح الهمزة والموحدة: القنّب وقيل قشر القنّب ، وقال الأصمعيّ : هو الكتان يفتل . يقول: هذه الأتن كأنّها حبال من شدة طيّها . وهذه الأوصاف مما تزيد في نشاط الحمار وجريه ، فإذا كانت الناقة تشبهه فلا شيء أسرعُ منها .

* فيها خُطوطٌ مِنْ سَوادٍ وبَلَقْ *

* كأنّهُ في الجَلدِ تَولِيْعُ البَهَقْ *

« البلق » بفتحتين والبُلقة بالضم مثله ، وهو سواد وبياض . و« التوليع » : استطالة البلق. قال الأصمعي : إذا كان في الدابة ضروبٌ من الألوان من غير بلق فذلك التوليع ، يقال برذون مولع . والململع [1] : الذي يكون في جسده بقع تخالف سائر لونه ، فإذا كان فيه استطالة فهو مولّع و« البهق » كما في « المصباح » : بياضٌ مخالف للون الجسد وليس ببرص . وقال ابن فارس : سواد يعتري الجلد أو لونٌ يخالف لونه . وفعله من باب تعب ، وهو أبهق وهي بهقاء . وجملة « فيها خطوط » إما صفة ثالثة لقُود ، وإما حال منها ، والرابط الضمير . وبه علم سقوط ما نقله شارح شواهد التفسيرين خضرٌ الموصلي ، من أنَّ الضمير راجع إما إلى بقرة يصفها كما في بعض الحواشي ، أو إلى أفراس كما قال جماعة ، أو إلى أتان كما قاله ابن دريد ، مع أنه لم يتقدّم ذكر شيء من بقر وأفراس . والعجب منه أنه سطر الأرجوزة برمّتها و لم يتأمل مرجع الضمير . وقوله من سواد وبلق ، بيان للخطوط ، يريد أن بعض الخطوط من سواد بحتٍ وبعضها من سواد يخالطه بياض ، فالتقابل بين سوادين . وجملة « كأنه في الجلد إلخ » صفة للخطوط أو للسواد والبلق ، والرابط الضمير بتأويله باسم الإشارة ، واسم الإشارة مؤوّل بالمذكور ونحوه ، وإنما لم يؤوّل بالمذكور ابتداء لأنّ التأويل قد كثر في اسم الإشارة كما نقلوا عن أبي عبيدة ، أنه قال لرؤبة : إن كنت أردت الخطوط فقل كأنها، وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما . فقال رؤبة : أردت كأن ذلك ، ويلك ! وتأويل اسم الإشارة بالمذكور إذا خالف المشار إليه جعله علماء التفسير والعربية قانوناً يرجع إليه عند الاحتياج ، وخرَّجوا عليه آيات ، منها قوله تعالى : « ذلك بما عصَوا » بإفراد اسم الإشارة مع أن المشار إليه شيئان : الكفر

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " واللمع " . وهو تصحيف صوابه من اللسان (لمع) .

والقتل، وأورد هذا البيت نظيراً له .

وزعم ابن جنّي في « المحتسب » : أنه لو قال قائل إن « الهاء » في كأنه عائدة على البلق وحده لكان مصيباً ، لأن في البلق ما يحتاج إليه من تشبيهه بالبهق ، فلا ضرورة إلى إدخال السواد معه . انتهى . وفيه أن المحدَّث عنه هو الخطوط ، وهي المشبَّهة بالبهق . فإما أن يرجع الضمير إلى المبين الذي هو المحدث عنه ، أو إلى البيان بتمامه ، وأما إرجاعه إلى بعض البيان فيلزم تشبيه بعضه دون بعض ، وهذا ليس بمقصود ، بل المراد تشبيه الخطوط التي بعضها من سواد بحت وبعضها من سواد فيه بياض أيضاً ، فتأمل. وروى الأصمعي «كأنها » أيضاً بضمير المؤنث ؛ وعليها فلا إشكال .

وفي هذه الأرجوزة بيت وهو :

* لواحق الأقرابِ فيها كالمَقَقْ *

أورده الشارح في حرف الكاف من حروف الجر على أنَّ الكاف فيه زائدة. ونشرحه هناك إن شاء الله تعالى .

و« **رؤبة** »[1] هو أبو الجحّاف بن العجاج عبدِ الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر، من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، هو وأبوه شاعران ، كلٌّ منهما له ديوانُ رجز، وهما مجيدان فيه عارفان باللغة وحشيِّها وغريبها . وهو أكثر شعراً من أبيه وأفصح منه. روي أنّه قال لأبيه : أنا أشعر منك لأني شاعر وابن شاعر ، وأنت شاعر فقط . وقيل ليونس النحوي : من أشعرُ الناس [2] ؟ قال : العجاج ورؤبة . فقيل له: لم نعن الرجاز [3] . قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنّما الشعر كلام فأجوده أشعره. قال ابن عون [4] : ماشبَّهت لهجة الحسَن البصري إلاّ بلهجة رؤبة .

---

(١) انظر ترجمة رؤبة في الأغاني ٣٤٥/٢٠ ؛ والشعر والشعراء ص٤٩٥ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٧٣٨ ؛ والمؤتلف والمختلف ص١٧٥ .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " أكثر الناس " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني ٣٥١/٢٠ .

(٣) في الأغاني ٣٥٢/٢٠ : " لِمَ وَلَمْ نعن الرجاز " .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : " أبو عوف " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني ٣٥١/٢٠ :"... عن ابن عون ، قال : ما شبّهت لهجة الحسن البصري إلا بلهجة رؤبة " .

وهو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني ، أحد رواة الحسن البصري .

وحكي عن يونس بن حبيب النّحوي [١] أنه قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاءه شُبيل بن عَزْرة الضُّبعي [٢] فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبدة بغلته فجلس إليها، ثم أقبل عليه يحدّثه فقال شبيل : ياأبا عمرو ، سألتُ رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه . قال يونس : فلم أملكْ نفسي عند ذكر رؤبة فقلت : لعلك تظن أنّ معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ، أفتعرف أنت ما الرُّؤبة ؟ وكررها خمساً فلم يُحرِ جواباً وقام مغضباً ؛ فقال لي أبو عمرو : هذا رجل شريف يزور مجلسنا ويقضي حقوقنا . وقد أسأت بما فعلت مما واجهته به! فقلت : لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة، فقال : أوقد سُلِّطت على تقويم الناس ؟!

وحكى المدائني قال : قدم البصرة راجزٌ من رجاز العرب فجلس إلى حلقة فيها الشعراء ، وجعل يقول : أنا أرجز العرب ، أنا الذي أقول [٣] : (الرجز)

مَرْوانُ نَبْعٌ وَسَعِيدٌ خِروعُ ... مروانُ يُعْطِي وسعيدٌ يمنعُ

والله أنا أرجز من العجاج ، فليت البصرة جمعت بيني وبينه - ورؤبة والعجاج حاضرا المجلس - فقال رؤبة لأبيه : قد أنصفك الرجل فقم إليه . فأقبل عليه وقال : هأنا العجاج [٤] وزحف إليه . قال أيُّ العجاجين أنت ! قال : ما خلتك تعني غيري، أنا عبد الله الطويل ، وكان يعرف بذلك . فقال : ما عنيتُك وما قصدتك ، قال : كيف وقد هتفت باسمي وتمنيت أن تلقاني ؟! قال: أو مافي الدّنيا عجّاج سواك ؟ قال: فهذا ابني رؤبة . قال : اللهمّ غفراً ، إنما مرادي غيركما . فضحك الناس وكفّا عنه .

قال ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء [٥] : قال أبو عبيدة : دخلت على رؤبة وهو يجيل [٦] جرذاناً في النار ، فقلت : أتأكلها ؟ قال : نعم إنها خير من دجاجكم

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : "وحكى ابن حبيب عن يونس النحوي" . وهو تصحيف ؛صوابه من الأغاني ٣٤٥/٢٠ .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " شبل بن عمرو " . وهو تصحيف ؛ صوابه من الأغاني ٣٤٥/٢٠ .

(٣) الخبر والرجز في الأغاني ٣٥٣/٢٠ . والنبع : شجر من أشجار السراة تتخذ منه القسي ؛ وقوس النبع أكرم القسي . والخروع : كل نبات أو شجر ضعيف رخو .

(٤) في الأغاني ٣٥٣/٢٠ : " هأنذا العجاج " .

(٥) الشعر والشعراء ٤٩٥/٢ ؛ والأغاني ٣٥٠/٢٠ .

(٦) في الشعر والشعراء ٤٩٦/٢ : " وهو يَمَلُّ جرذاناً في النار " ويمل : يدخله في الملة أي : الجمر والرماد الحار .

التي تأكل العذرة ، إنها تأكل البر والتمر .

وكان رؤبة مقيماً بالبصرة ولحق الدولة العباسية كبيراً ، ومدح المنصور وأبا مسلم. ولما ظهر بها إبراهيم بن الحسن بن علي رضي الله عنه وخرج على المنصور خاف على نفسه من الفتنة ، فخرج إلى البادية فمات بها في سنة خمس وأربعين ومائة. كذا قيل ، وهذا يخالف ما روي عن يعقوب [١] قال : لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله دفنّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم . فقلت له وكيف ذاك ؟ فقال : هذا حين انصرفنا من دفن رؤبة بن العجّاج . ولم أر له في ديوانه من غير الرجز إلاّ هذين البيتين[٢] : (الخفيف)

أيُّها الشَّامِتُ المعيِّرُ بالشَّيْـ ـبِ أقِلَّنَّ بالشَّبَابِ افْتِخَارا
قَدْ لَبِسْتُ الشَّبابَ غَضَّاً طَرِيّاً فَوَجَدْتُ الشَّبابَ ثَوباً مُعَارا

وبيتين آخرين وهما [٣] : (الوافر)

إذا ما الموتُ أقْبَلَ قُبْلَ قَوْمٍ أكَبَّ الحَظُّ وانْتَقَصَ العَدِيْدُ
أرَانا لا يُفِيقُ المَوتُ عنَّا كَأنَّ المَوتَ إيَّانَا يَكِيدُ

وذكر الآمدي ، في « المؤتلف والمختلف »[٤] ، مَن اسمه رؤبة ثلاثة . أحدهم هذا ، والثاني : رؤبة بن العجاج بن شَدقم الباهلي ، هو وأبوه شاعران ، وكنية هذا أبو بَيْهس [٥] ومن شعره : (الرجز)

قَالَتْ لَنَا وقولُهَا أحْزَانُ ذِرْوَةُ والقَولُ لَهُ بَيَانُ
يا أبَتَا أرَّقَنِي القِذَّانُ فالنَّومُ لا تطعمُه العَيْنَانُ [٦]

---

(١) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدي ، المتوفى سنة ١٨٢ هـ . (تاريخ بغداد ٢٦٢/١٤ ؛ ووفيات الأعيان ٣٣١/٢) .

والنص بكامله في الأغاني ٣٥٥/٢٠ ؛ وفيها :" ... حين انصرفتُ من جنازة رؤبة " .

(٢) البيتان في ملحق ديوان رؤبة ص١٨٩ .

(٣) البيتان في ملحق ديوان رؤبة ص١٨٨ .

(٤) المؤتلف والمختلف ص١٧٥ .

(٥) الرجز في المؤتلف والمختلف ص١٧٦ . والبيت الثاني لرؤبة في ملحق ديوانه ص١٨٦ . وهو بلا نسبة في تاج العروس (قنذ) ؛ والدرر ١٤٢/١ ؛ وشرح الأشموني ٣٩/١ ؛ وشرح التصريح ٧٨/١ ؛ وهمع الهوامع ٤٩/١ .

(٦) في حاشية المؤتلف ص١٧٦ : " ضبط في الأصل بكسر النون ، وذكر بجنبه قوله "إقواء" . هذا والعينان يذكرها النحاة شاهداً على رفع النون في المثنى شذوذاً " .

مِنْ وَخْــز بُـرغوثٍ لَـهُ أَسـنـانُ   وللبعـوضِ فـوقـهُ دَنْـدَانُ

«الدندنة» : الكلام الذي لا يفهم ؛ و« القذان » : جمع قُذَذ [١] وهو البرغوث . والثالث : رؤبة بن عمرو بن ظهير الثعلبي ، أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض.

﴿ تتمة ﴾

« رؤبة » : اسم منقول إمّا من رؤبة بالهمز ، وهي قطعةٌ تَرأب بها الشيء ،أي: تشده بها ، قال صاحب « أدب الكاتب »[٢] «في باب ما يغير من أسماء الناس» : إن رؤبة بن العجاج بالهمز لا غير . وهذا الحصر باطل لأنّ المهموز في مثله يجوز تخفيف همزه بلا خلاف . وقد نقض قوله هذا بما ذكره في أوائل الكتاب في باب المسمَّين بالصفات وغيرها، فجوز أن يكون مهموزاً وغير مهموز ، فإنه قال : رُوبة اللبن خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب ، وروبة الليل ساعة منه ، ويقال فلان لا يقوم بروبة أهله أي : بما أسندوا إليه من حوائجهم ، غير مهموز . ورؤبة بالهمز ، قطعة ترأب بها الشيء ، وإنما سمي رؤبة بواحدة من هذه . فذكر لغير المهموز ثلاثة معان ، وبقي له معان أخر: رابعها رُوبة الفَرَس وهي طَرَقُه في جِمامه [٣] . خامسها يقال : أرض روبة أي : كريمة . سادسها شجر الزُّعرور . سابعها روبة الرجل عقله . ثامنها الفترة والكسل من كثرة شرب اللبن . تاسعها اللبن الذي فيه زبدة ، والذي نزع زبده ؛ فهو من الأضداد . وله معان أخر .

قال ابن خلف في شرح شواهد سيبويه : قيل سمي روبة لأنّه ولد نصف الليل . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو من شواهد «مغني اللبيب»[٤] ، وهو الشاهد السادس: (البسيط)

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " القذان : جمع قذن " . وهو تصحيف صوابه من المؤتلف واللسان (قذذ) .

(٢) أدب الكاتب ص٣٢٨ .

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية : " طرقه في جماحه " .وهو تصحيف .

والطرق : ماء الفحل ؛ وقيل : هو الضراب ثم سمي به الماء . وجمامه : اجتماعه .

(٤) هو الإنشاد السادس عشر بعد التسعمائة من شرح أبيات المغني للبغدادي . =

٦- يَامَــا أُمَيْلِـحَ غِـزْلانــاً شَــدَنَّ لَنَــا
مِنْ هَــؤُلَيَّــائِكُنَّ الضَّـــالِ والسَّـــمُــرِ

أورده على أنّ التصغير في فعل التعجب راجع إلى المفعول المتعجب منه ، أي : هنّ مليحات ، والتصغير للشفقة . وأنشده في باب التعجب أيضاً ، على أن الكوفيين غير الكسائي زعموا اسميته ، واستدلوا عليها بتصغيره في نحو البيت . وهذا جواب س: قال الشاطبيّ : وعلّل ذلك سيبويه [1] بأنهم أرادوا تصغير الموصوف بالملاحة ، كـأنّك قلت مُلَيِّح لكنهم عدلوا عن ذلك وهم يعنون الأول، ومن عادتهم أن يلفظوا بالشيء وهم يريدون شيئا آخر .

وقد ذكر ابن الأنباري في كتابه « الإنصاف في مسائل الخلاف » جميع أدلة الكوفيين مع أجوبة البصريين عنها فقال : ومن جملة أدلتهم أنهم استدلّوا على اسميَّته بالتصغير . وأجاب عنه بثلاثة أوجه : أحدها أن التصغير في هذا الفعل ليس على حدّ التصغير في الأسماء فإنه – على اختلاف ضروبه– من التحقير ، والتقليل ، والتقريب ، والتحزّن ، والتعطف كقوله صلى الله عليه وسلم : « أصيحابي ، أصيحابي » ، والتعظيم كقوله[2] : (الطويل)

* دُوَيْـهِيَــةٌ تَصْفَــرُّ منهــا الأَنَــامِــلُ *

– والبيت في ديوان المجنون ص١٣٠ ؛ وله أو للعرجي أو لبدوي اسمه كامل الثقفي في شرح أبيات المغني للبغدادي ٧١/٨ ؛ والدرر ٢٣٤/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٩٦٢/٢ ؛ ولكامل الثقفي أو للعرجي في شرح شواهد المغني ٩٦٢/٢ ؛ وللعرجي في المقاصد النحوية ٤١٦/١ ، ٦٤٣/٣ ؛ وصدره لعلي بن أحمد العريني في لسان العرب (شدن) . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص١١٥ ؛ والإنصاف ١٢٧/١ ؛ وشرح الأشموني ٣٦٦/٢ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ١٩٠/١ ؛ وشرح المفصل ١٣٥/٥ ؛ واللسان (ملح) ومعاهد التنصيص ١٦٧/٣ ؛ ومغني اللبيب ٦٨٢/٢ ؛ وهمع الهوامع ٧٦/١ ، ١٩١/٢ .

رواية معاهد التنصيص : " من هؤلياء بين الضال والسمر " .

(١) كتاب سيبويه ١٣٥/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧١/٨ ؛ وفيه النص بحرفيته .

(٢) هو الإنشاد الواحد والستون من شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهو عجز بيت للبيد في ديوانه ص٢٥٦ ؛ وصدره :

* وكُلُّ أُناسٍ سَوفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ *

والبيت في جمهرة اللغة ص٢٣٢ ؛ والدرر ٢٨٣/٦ ؛ وسمط اللآلئ ص١٩٩ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٨١/١ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٨٥ ؛ وشرح شواهد المغني ١٥٠/١؛ ولسان العرب (خوخ)؛والمعاني الكبير =

والتمدُّح كقولـه : « أنا جُذَيلها المحكَّك » فإنه يتناول الاسم لفظاً ومعنى والتصغير اللاحق فعل التعجب إنما يتناوله لفظاً لا معنى ، من حيث كان متوجهاً إلى المصدر ، وإنما رفضوا ذكر المصدر هاهنا ، لأن الفعل إذا أزيل عن التصرف لا يؤكد بذكر المصدر ، لأنه خرج عن مذهب الأفعال ؛ فلما رفضوا المصدر وآثروا تصغيره صغروا الفعل لفظاً ووجهوا التصغير إلى المصدر ، وجاز تصغير المصدر بتصغير فعله لأن الفعل يقوم في الذكر مقام مصدره لأنه يدل عليه بلفظه؛ ولهذا يعود الضمير إلى المصدر بذكر فعله وإن لم يجر له ذكر ، فكما يجوز عود الضمير إلى المصدر وإن لم يجر له ذكر، استغناءً بذكر فعله ، فكذلك يجوز أن يتوجه التصغير اللاحق لفظ الفعل إلى مصدره وإن لم يجر له ذكر . ونظيره إضافة أسماء الزمان إلى الفعل نحو[1] : « هذا يومُ ينفعُ الصادِقِينَ صدقُهم ». وإنما جاز لأن المقصود بالإضافة إلى الفعل مصدره ، من حَيث كان ذكر الفعل يقوم مقام ذكر مصدره ، فكما أن هذه الإضافة لفظية لا اعتداد بها فكذلك التصغير لفظي لا اعتداد به .

الوجه « الثاني » : إنما دخله التصغير حملاً على باب أفعل التفضيل ، لاشتراك اللفظين في التفضيل والمبالغة ، ألا ترى أنك تقول : ما أحسن زيداً – لمن بلغ الغاية في الحسن – كما تقول : زيد أحسن القوم ، فتجمع بينه وبينهم في أصل الحسن وتفضله عليهم .

و« الثالث »: إنما دخله التصغير لأنه ألزم طريقةً واحدة ، فأشبه بذلك الأسماء ، فدخله بعض أحكامها . وحملُ الشيء على الشيء في بعض أحكامه لا يخرجه عن أصله ، ألا ترى أن اسم الفاعل محمول على الفعل في العمل و لم يخرج بذلك عن كونه اسماً ؟ وكذلك المضارع محمول على الاسم في الإعراب و لم يخرج بذلك عن كونه فعلاً . ا.هـ.

= ص ٨٥٩ ، ١٢٠٦ ؛ ومغني اللبيب ١٣٦/١ ، ١٩٧ ؛ والمقاصد النحوية ٨/١ ، ٥٣٥/٤ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ١٣٩/١ ؛ وديوان المعاني ١٨٨/١ ؛ وشرح الأشموني ٧٠٦/٣ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ١٩١/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٠٢/١ ، ٥٣٧/٢ ؛ وشرح المفصل ١١٤/٥ ؛ ومغني اللبيب ٤٨/١ ، ٦٢٦/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٨٥/٢ .

وفي شرح الديوان : " البيت شاهد على تصغير دويهية للتعظيم ؛ والدليل على أنه أراد بها الموت ، قوله : تصفر منها الأنامل ، والمراد من الأنامل الأظفار فإن صغرتها لا تكون إلا بالموت " .

(١) سورة المائدة : ١١٩/٥ .

و« يا» حرف نداء ، والمنادى محذوف ، أي : ياصاحبي ونحوه . و« الملاحة » : البهجة ، وحسن المنظر . وفعله ملُح الشيء بالضم ملاحة . وَملح الرجل وغيره مَلحاً من باب تعب : اشتدت زرقته ، وهو الذي يضرب إلى البياض ، فهو أملح وهي ملحاء ، والاسم المُلحة كغرفة . و« الغِزلان » : جمع غزال ، وهو ولد الظبية ؛ قال أبو حاتم : الظبي أوّلَ مايولد هو طلا ، ثم هو غزال والأنثى غزالة ، فإذا قوي وتحرّك فهو شادن ، فإذا بلغ شهراً فهو شَصَر بمعجمة ومهملة مفتوحتين - فإذا بلغ ستة أشهر أو سبعة فهو جَداية - بفتح الجيم - للذكر والأنثى وهو خِشْف أيضاً .

و«الرشأ» : الفتيّ من الظباء ، فإذا أثنى فهو ظبي ، ولا يزال ثنيّاً حتى يموت ، والأنثى ثنيّة وظبية . والثني : الذي يلقى ثنيَّته : أي سنه -من ذوات الظلف والحافر- في السنة الثالثة ؛ يقال أثنى فهو ثنيٌّ ، فعيل بمعنى فاعل . و« شدنّ » ماضي شدن الغزال بالفتح يشدُن بالضم شدوناً : قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . وربَّما قالوا شدَن المهر . وأشدنت الظبية فهي مُشدِن ، إذا شدن ولدها ، النون الثانية ضمير الغزلان. وجملة « شدنّ » صفة غزلان. و« لنا » و « من » متعلقان بشدنّ. وقوله «من هؤليائكنّ» هو مصغر هؤلاء ، شذوذاً، وأصله أولاً بالمد والقصر . و« ها » للتنبيه ، وهو اسم إشارة يشار به إلى جمع سواء كان مذكراً أو مؤنثاً ، عاقلاً أم غير عاقل . والكاف حرف خطاب . والنون حرف أيضاً لجمع الإناث .

وقد استشهد به النحاة على دخول « ها» التنبيه ، وعلى تصغيره شذوذاً ، وقد رواه الجوهري [1] :

* من هؤليَّاءِ بين الضَّال والسَّمُر *

وقال : ولم يصغروا من الفعل غير هذا وغير قولهم ما أحيسنه . و« الضال » صفة اسم الإشارة أو عطف بيان . والضالُ : السِّدر البَريّ ، جمع ضالَة ، ولهذا صح إتباعه لاسم الإشارة إلى الجمع ، وألفه منقلبة من الياء . والسدر : شجر النبق ، الواحدة سدرة . وما نبتَ منه على شطوط الأنهار فهو العُبريّ ، نسبة إلى العُبر بالضم، وهو شط النهر وجانبه . « والسَّمُر » بفتح السين وضم الميم : جمع سَمُرة ، وهو شجَرُ الطَّلْح . والطَّلْح : نوع من العِضاه ، وهو شجر عظام والعضاه بكسر

---

(١) روي صدره في الصحاح واللسان (ملح)

* ياما أُمَيْلِحَ غِزْلاناً عَطَوْنَ لَنا *

العين : جمع عضاهة ، وهو كل شجر عظيم وله شوك . وهذا البيت من جملة أبيات ذكرها ابن هشام في شرح شواهده [١] وهي : (البسيط)

حَوراءُ لَو نَظَرَتْ يَوماً إلى حَجَرٍ ... لأَثَّرَتْ سَقَماً في ذَلكَ الحَجَرِ
يَزْدادُ تَوريْدُ خَدَّيْها إذا لَحَظَتْ ... كما يَزيدُ نَباتُ الأَرْضِ بالمَطَرِ
فالوَرْدُ وَجْنَتُها والخَمرُ رِيْقَتُها ... وَضَوءُ بَهجَتِها أَضْوَا مِن القَمَرِ
يامَنْ رَأى الخَمرُ في غيرِالكُرُومِ ومَنْ ... هذا رأى نَبتَ وَرْدٍ في سوى الشَّجرِ [٢]
كَادَتْ تَرِفُّ عَليها الطَّيرُ مِنْ طَرَبٍ ... لَمَّا تَغَنَّتْ بتَغْرِيْدٍ عَلَى وَتَرِ
بالله ، ياظَبْيَاتِ القَاعِ ، قُلْنَ لَنا ... لَيْلايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ
ياما أُمَيْلِحَ غِزْلاناً شَدَنَّ لَنا ... .(البيت)

وروى العباسي في « معاهد التنصيص » [٣] عن بعضهم أنّه من أبيات لبعض الأعراب . وذكرها في « الدمية للباخَرزيّ » [٤] أنّه أوّل أبيات ثلاثة لبدوي اسمه كامل الثقفي ، ثانيها : بالله ياظبيات القاع قلن لنا .. البيت وثالثها [٥] :

إنْسَانَةُ الحَيِّ أَمْ أُدْمَانَةُ السَّمُرِ ... بالنَّهْي رقَّصَها لَحْنٌ مِنَ الوَتَرِ

وقال العيني : إنّه من قصيدة للعَرْجيّ ، ومنها : بالله ياظبيات القاع .. البيت .

وهذا البيت قد روي للمجنون ، ولذي الرُّمّة،وللحسين بن عبد الله.والله أعلم.

---

(١) الأبيات في حاشية ابن يعيش ١٣٥/٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٧٢/٨ . وفي حاشية طبعة هارون ٩٧/١ :" نص السيوطي في شرح شواهد المغني بعد إيراده للأبيات : " هكذا رأيته بخط المصنف في بعض تعاليقه " . وليس لابن هشام مؤلف خاص لشرح الشواهد " .

والحق أن لابن هشام مؤلفاً خاصاً اسمه " شرح أبيات أو شواهد ابن الناظم " . ولقد ورد ذكره كثيراً في مواضع متفرقة من شرح أبيات المغني للبغدادي . انظر فهرس شرح أبيات المغني ٤٢٦/٨ .

والبيت السادس من هذه الأبيات يروى للمجنون في ديوانه ص١٣٠ ؛ وللعرجي في شرح التصريح ٢٩٨/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٤١٦/١ ، ٥١٨/٤ ؛ وللكامل الثقفي أو للعرجي في شرح شواهد المغني ٩٦٢/٢ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ٤٨٢/٢ ؛ وأوضح المسالك ٣٠٣/٤ ؛ وتذكرة النحاة ص٣١٨ ؛ وشرح الأشموني ٨٧/١ .

الحوراء : التي في عينها حور ، وقيل : هي البيضاء . ولحظت : نظرت بمؤخرة عينها .

(٢) البيت الرابع فيه تصويب من شرح أبيات المغني .

(٣) معاهد التنصيص ١٦٧/٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٧٢/٨ .

(٤) دمية القصر للباخرزي ص٢٩ ؛ وشرح أبيات المغني ٧٢/٨ .

(٥) ليس هذا البيت ثالث هذه الأبيات ، بل هو أولها ؛ والثاني فيها هو " يا أميلح " .

ثم رأيت الصاغاني قال في « العباب » : يقولون ما أميلح زيداً . ولم يصغروا من الفعل غيره وغير قولهم ما أحيسنه . قال الحسين بن عبد الرحمن العريني :

بالله ياظبيات القاع قلن لنا . . . . (البيت)
بانت لنا بعيونٍ من براقعها مملوءةٍ مُقَلَ الغِزلان والبقرِ

ياما أميلح غزلان شدن لنا ا.هـ .

و«الأدمانة» قال الجوهري : والأدم من الظباء بيضٌ تعلوهن جدد ، فيهن غبرة ، تسكن الجبال ، يقال : ظبية أدماء . وقد جاء في شعر ذي الرُّمَّة أُدمانة ، قال [1] : (البسيط)

أَقُولُ للرَّكْبِ لَمَّا عَارَضَتْ أُصُلاً أُدْمَانَةٌ لَمْ تُرَبِّيْهَا الأَجَالِيْدُ

وأنكره الأصمعي . و« النِّهيُ » بكسر النون وسكون الهاء : الغدير في لغة نجد، وغيرهم يقول بالفتح ، كذا في الصحاح .

وقال السَّخاوي في « شرح المفصّل » : والنحاة ينشدون : ياما أميلح غزلانا البيت ، ظناً منهم أنه شعر قديم ، وإنما هو لعلي بن محمد العريني ، وهو متأخر، وكان يروم التشبه بطريقة العرب في الشعر ، وله مدح في علي بن عيسى وزير المقتدر . وقتل المقتدر في شوال سنة عشرين وثلاثمائة . ونسبه قوم من النحاة إلى مجنون بني عامر وأنشدوا معه: بالله ياظبيات القاع ، البيت ، والصحيح ما قدمته ا.هـ .

« **والعَرْجيّ** »[2] اسمه عبد الله ، وهو أمويٌّ ، وإنّما لقّب العَرْجيّ لأنّه كان يسكن العرج . قال في « الصحاح » : « والعرج منزل بطريق مكة ، وإليه ينسب العرجيّ الشاعر». ولم يكن له نباهة في أهله ، مات في حبس محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، وهو خال هشام بن عبد الملك ، وكان والياً بمكة بعد ضربٍ كثير وتشهير في الأسواق ، لأنه شبَّب بأمه ليفضحه ، لا لمحبةٍ كانت بينه وبينها .

---

(١) البيت في ديوان ذي الرمة ص١٣٣ ؛ والصحاح واللسان والتاج (أدم) .

والرواية فيهم : " لما أعرضت ...."

الأجاليد : واحد الجلد ، وهي الأرض الصلبة ؛ يقول : هذه الظبية الأدمانة من ظباء الرمل . وأصلاً المساء ، وهو من العصر إلى غروب الشمس .

(٢) انظر في ترجمته الأغاني ٣٨٣/١ ؛ والشعراء ص٤٩٥ ؛ وشرح أبيات المغني ١٨٩/٤ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٧٣٨ ؛ والمؤتلف ص١٧٥ .

وقال في حبسه قصيدته التي منها [١] : (الوافر)

كأنّـي لَـمْ أكُـنْ فِيـهـم وَسِـيْطـاً ... وَلَـمْ تَـكُ نِسْـبَتِي مِـنْ آل عَمـرِو

أضَـاعُـونِـي وأيَّ فَـتًـى أضَـاعُـوا ... لـيومِ كَـرِيْهَـةٍ وسِـدَادِ ثَـغْـرِ

وكان من الفرسان المعدودين مع مَسلمة بن عبد الملك بأرض الروم. وترجمته مع أحواله مفصّلة في الأغاني والمعاهد[٢].

---

(١) البيتان في ديوان العرجي ص٣٤-٣٥ ؛ والأغاني ٤١٣/١ . والأول له في اللسان (وسط) . والثاني في اللسان (سدد ، ضيع) ؛ والتاج (سدد ، ضيع) . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢٧٧/١٢ ؛ ومقاييس اللغة ٦٦/٣ ؛ ومجمل اللغة ٦٠/٣ ؛ وديوان الأدب ٩٠/٣ .

(٢) انظر نسبه وأخباره في الأغاني ٣٨٣/١ وما بعدها ؛ ومعاهد التنصيص ١٧٢/٣ .

[المعرب والمبني]

وأنشد في باب المعرب ، وهو من شواهد سيبويه [١] ، وهو البيت السابع:

٧- تُكتّبَــانِ فـي الطَّريــقِ لامَ ألــفْ

على أنّ مقصود الشاعر « اللام والهمزة » ، لا صورة « لا » ، فيكون معناه أنّه تارة يمشي مستقيماً فتخط رجلاه خطّاً شبيهاً بـ« الألف» ، وتارة يمشي معوجاً فتخطُّ رجلاه خطّاً شبيهاً بـ « اللام » . وعليه فالظاهر أن يقول لاماً وألفاً . ووجهه أنّه حذف التنوين من الأول من باب الوصل بنية الوقف ، وحذف العاطف ووقف على الثاني على لغة ربيعة ، وليس في واحد من هذه الثلاثة ضرورة .

ووجّه هذا البيت ابنُ جنّي في « سر الصناعة » بوجهين آخرين فقال : « إنّما أراد كأنهما تخطان حروف المعجم ، لا يريد بعضها دون بعض ، وقد يمكن أنه أراد بقوله لام ألف شكل « لا » ، فإنّه تلقّاه من أفواه العامة ، لأنّ الخط ليس له تعلُّق بالعرب ولا عنهم يؤخذ . وقول من لا خبرة له بحروف المعجم كالمعلّمين لام ألف خطأ ، وصواب النطق به لا ، فإنّه اسمُ الألف اللينة التي تكون قبل الياء في آخر حروف المعجم » . وفيما قاله نظر من وجهين :

الأوّل : قال الدماميني في « شرح المغني » : نسبة العربي الفصيح إلى أنه اعتمد في النطق على العامّة أمر بعيد لا يلتفت إليه . وقوله لأنّ الخط لا تعلُّق له بالفصاحة ساقط ، لأن ماصدر عنه لفظٌ لا خط .

---

(١) هو الإنشاد الثامن والتسعون بعد الخمسمائة من شرح أبيات المغني للبغدادي .

والرجز لأبي النجم في الخصائص ٢٩٧/٣ ؛ والدرر ١١٣/٥ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٦٥١ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١٥٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٩٠/٢ ؛ ومغني اللبيب ٣٧٠/٢ ؛ وتاج العروس (كتب ، خطط ، خرق، تلل) ؛ واللسان (كتب ، خطط ، خرق) .

وهو بلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ٢٢٣/٢ ؛والكتاب ٢٦٦/٣؛والمقتضب ٢٣٧/١، ٣٥٧/٣ ؛ والمخصص ٤/١٣ ، ٩٥/١٤ ، ٥٣/١٧ ، ٥٤ .

والرواية فيهم : " وتَكتُبانِ في الطّريقِ لام ألف " .

الثاني : أن قوله لام ألف خطأ ممنوع ، فإنه قد ورد في الشعر ، أنشد أبو زيد في نوادره [1] لراجزٍ يصف جندباً ، وقيل غراباً : (الرجز)

يَخُطُّ لامَ ألفٍ مَوصُولِ والزَّايُ والرَّا أيّما تَهْلِيْلِ

وسيأتي شرحه في الشاهد الثاني بعد هذا .

وأما ما أورده أبو بكر الشنواني في جواب أسئلة السيوطي السبع بقوله : قال : روى أبو ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه أنه قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله كل نبي يرسل بم يرسل ؟ قال : بكتاب منزل . قلت : يارسول الله أيُّ كتاب أنزله الله على آدم؟ قال : كتاب المعجم ألف با تا ثا إلى آخرها . قلت : يارسول الله كم حرفاً ؟ قال : تسعة وعشرون . قلت: يارسول الله عددت ثمانية وعشرين ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرّت عيناه ثم قال : يا أبا ذرّ ، والذي بعثني بالحقّ نبياً ، ماأنزل الله على آدم إلاّ تسعة وعشرين حرفاً . قلت: أليس فيها ألف ولام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لام ألف حرف واحد ، قال : أنزله الله تعالى على آدم في صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك ، من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل عليّ ، من لم يعدَّ لام ألف فهو بريء مني وأنا بريء منه ، ومن لم يؤمن بالحروف وهي تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبداً [2]» ا.هـ . فهو موضوع . قال ابن عراق : سئل عنه ابن تيمية فقال : لا أصْلَ له ، ولوائح الوضع عليه ظاهرة ، ولا سيما في آخره ، فهو كذب قطعاً ا.هـ .

وعلى هذا فالفرق بين « لا » وبين لام ألف : أن « لا » اسم الألف اللينة ، ولام ألف اسم « لا » ، لأنّها على صورة اللام والهمزة إذا كتبتا معاً . وعلم مما تقدم أنّ بيت الشاهد إنّما هو بإضافة لام إلى ألف بكون أصل لام ألف مركباً مزجياً ، فأعرب بإضافة أحد الجزءين إلى الآخر على أحد الوجوه . لا كما زعمه الشارح وتبعه الدماميني في شرح المغني .

ثم قال ابن جنّي : «وإنما لم يجز أن تفرد الألف اللينة من اللام وتقام بنفسها - كما أقيم سائر حروف المعجم سواها بأنفسها - من قِبَل أنها لا تكون إلا ساكنة

---

(١) الرجز بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ٧٨٧/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٥٢/٦ ؛ ولسان العرب (قلز، هلل ، زيا) ؛ وتاج العروس (قلز ، هلل) ؛ ونوادر أبي زيد ص١٦٧ .

(٢) انظر محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر للبستوي ص٦٥ .

تابعة للفتحة ، والساكنُ لا يمكن ابتداؤه ، فدُعمت باللام ليقع الابتداء بها . ويؤيد هذا أن واضع حروف المعجم إنما رسمها منثورة غير منظومة، فلو كان غرضه في «لا » أن يرينا كيفية تركب اللام مع الألف للزمه أيضاً أن يرينا كيف تركّب الجيم مع الطاء، والقاف مع التاء ، وغير ذلك مما يطول تعداده ؛ وإنما غرضه التوصل إلى النطق بالألف، فدعم باللام ليمكن الابتداء به . فإن قيل : مابالهم دعموه باللام دون سائر الحروف ؟ أجيب بأنهم خصّوا اللام من قِبَل إنّهم لما احتاجوا لسكون لام التعريف إلى حرف يقع الابتداء به قبلها أتوا بالهمزة فقالوا : الغلام ، فكما أدخلوا الألف قبل اللام كذلك أدخلوا اللام قبل الألف ليكون ذلك ضرباً من التقارض » ا.هـ .

واعترض عليه الدماميني بأن الذي تُوصّل به إلى النطق بلام التعريف هو الهمزة لا الألف ، والذي تُوصّل باللام إلى النطق به هو الألف الهوائي لا الهمزة. فلا تقارض.ا.هـ.

وفيه أنّهما أخوان يبدل كل منهما إلى الآخر فتبدل الهمزة ألفاً في نحو راس، وتبدل الألف همزة في نحو دأبّة وشأبّة وحُبلأُ في الوقف ، وفي هذا القدر من الاشتراك يتحقق التقارض .

واستشهد به سيبويه على أنه ألقى حركة « ألف » على ميم « لام» وكذلك أورده الشارح في « شرح الشافية »[1] أيضاً في باب التقاء الساكنين. على أنه نقل حركة همزة ألف إلى ميم لام ، كما نقلت حركة همزة أربعة إلى الهاء في قولك : ثلاثةَ أربعة، إذا وصلت ثلاثة بما بعدها .

وهذا البيت ثالث أبيات ثلاثة لأبي النجم العِجْليّ ، وهي : (الرجز)

خَرجتُ من عند زيادٍ كالخرِفْ   تخطُّ رجلايَ بخطٍّ مختلِفْ

تكتّبان في الطريق لام ألف

قال المرزبَاني في « الموشح » - وهو طبقات الشعراء في الجاهلية والإسلام[2] أخبرني الصُّوليّ قال :حدثنا القاسم بن إسماعيل قال : أنشدنا محمد بن سلام لأبي النجم العجلي ، وكان له صديق يسقيه الشراب فينصرف من عنده ثملاً :

---

(١) شرح الشافية للرضي ٢/٢٢٣ .

(٢) الخبر في الموشح ص٢٧٩ .

أخـرجُ من عنــد زيــاد كالـخــرف .. (الأبيات)

قال الصُّوليّ : وقد عيب أبو النجم [بهذا [١]] فقيل : لولا أنّه كـان يكتـب مـا عرف صورة لام ألف وعناقها [لها [٢]] ا.هـ . وقد عرفت ما فيه : وروي أيضاً :

أقبـلـت من عنـــد زيــاد إلخ

و« الخرِف » : صفة مشبهة من خَرِف الرجـل خرَفـاً ، مـن بـاب تعـب : فسَـد عقله لكبره . وخط على الأرض خطّـاً : أعلـم علامـة . وخـط بيـده خطّـاً : كتـب. وكتّب ، يقال بالتخفيف والتثقيل ، والتثقيل هنا لتكثير الفعل .

« **وأبو النجم** »[٣] هو الفَضْل بن قُدامة بن عُبيد الله بن عبد الله بـن الحـارث ابن عبدة بن الحارث بن الياس بن العَوْف بن ربيعة بن مالك بـن عجـل بـن لجيـم بـن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وهو أحد رجّاز الإسلام المتقدمين في الطبقة الأولى. قال أبو عمرو بن العلاء : هو أبلغ من العجّاج في النعت . قـال ابـن قتيبـة في طبقـات الشعراء [٤] : كان أبو النجم ينزل سوق الكوفة . وراجز العجاجَ فخرج إليه العجـاج على ناقةٍ له كوماء ، وعليه ثيابٌ حسان ، وخرج أبو النجم على جمل مهنـوء، وعليـه عَباءةٌ ، فأنشد العجّاج[٥] : (الرجز)

* قَــدْ جَبَـــرَ الـدِّيْــنَ الإلـــهُ فَجَبَـــرْ *

وأنشد أبو النجم [٦] :

* تَـذَكّـــرَ القلـبُ وَجَهْـــلاً مـا ذَكَـــرْ *

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من الموشح .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الموشح .

(٣) انظر في ترجمته الأغـاني ١٠/١٥٠ ؛ وشـرح أبيـات المغـني ١/٣٠٣ ؛ والشعر والشعراء ص٥٠٢ ؛ وطبقـات فحول الشعراء ص٧٣٧ ؛ والمؤتلف ص٢٣٦ .

(٤) ليس لابن قتيبة – على حدّ علمنا – كتاب باسم طبقات الشعراء . إنما الخبر والرجز في كتابه الشعـر والشعراء ٢/٥٠٢ ؛ والأغاني ١٠/١٥٢-١٥٣ ؛ ولعل البغدادي قصده .

(٥) الرجز للعجاج في ديوانـه ١/٢ ؛ وأسـاس البلاغـة (جبر) ؛ وتـاج العروس (جبر ، وصـل) ؛ وتهذيـب اللغـة ١١/٦٠ ؛ وكتاب العين ٦/١١٦ ؛ ولسان العرب (جبر ، وصـل) . وهـو بـلا نسـبة في جمهـرة اللغـة ص٢٦٥ ؛ وديوان الأدب ٢/١٠٧ ؛ ولسان العرب (وجه) ؛ ومقاييس اللغة ١/٥٠١ ، ٤/١٨٦ .

(٦) الرجز والخبر في شرح أبيات المغني ١/٣٠٣ ، والشعراء ٥٠٢ .

حتى بلغَ قولَه :

إِنّي وكُلَّ شَاعِرٍ مِنَ البَشَرْ شَيطانُهُ أُنْثَى وَشَيْطَانِي ذَكَرْ

فَمَا رآنِي شَاعِرٌ إلاّ استَتَرْ فِعْلَ نُجُومِ اللَّيلِ عَايَنَّ القَمَرْ

فبينا هو ينشد ، إذ وثب جمله على ناقة العجّاج ، فضحك النّاس وانصرفوا يقولون :

* شيطانه أنثى وشيطاني ذكر *

وقال له هشام بن عبد الملك يوماً : يا أبا النجم ، حدِّثني . قال : عنّي أو عن غيري ؟ قال : بل عنك . قال : إني لمّا كبرت عرَض لي البول ، فوضعت عند رجلي شيئاً أبول فيه ، فقمتُ من اللّيل أبول فخرجَ مني صوت ، فتشدّدت ثم عُدت فخرج مني صوت آخر ، فأويت إلى فراشي فقلت : ياأمَّ الخيار ، هل سمعتِ شيئاً ؟ قالت : لا ، ولا واحدة منهما ! فضحك هشام وأحسن إليه بصِلة . وله معه نوادر ومضحكات مذكورة في الأغاني [1] وغيرها . وسنورد له إن شاء الله منها إذا ورد شاهد من شعره .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن [2] : (الطويل)

٨- تداعَيْنَ باسْمِ الشِّيْبِ في مُتَثلِّمِ

على أنّ اسم الصوت إنما أعرب في هذا للتركيب ، وإن كان بناؤه أصلياً . يريد أن أسماء الأصوات إذا ركّبت جاز إعرابها ، اعتباراً بالتركيب العارض بشرط إرادة اللفظ لا المعنى ، كما يجوز إعراب الحروف إذا قصد ألفاظها . والإعراب مع اللام أكثر من البناء لكونه علامة الاسم الذي أصله الإعراب ، لكنها لا توجبه بدليل «الآن» و« الذي » و « الخمسة عشر » . كذا فصّله الشارح في باب الصوت .

وعجز هذا المصراع :

---

(١) الأغاني ١٠/١٥٠-١٦١ .

(٢) القطعة في ديوان ذي الرمة ص١٠٧٠ ؛ هو في إصلاح المنطق ص٢٩ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٣٠٧ ؛ وشرح المفصل ١٤/٣ ، ٨٢/٤ ، ٨٥ ؛ ولسان العرب (شيب ، بصر) . وهو بلا نسبة في الاشتقاق ص٣٥ ؛ وجمهرة اللغة ص٣١٢ ، ٨٥٨ ؛ وشرح الأشموني ٤٩٤/٢ ؛ واللسان (سلم) .

* جَـوانِبُـــهُ مِـــنْ بَصْـــرَةٍ وَسِـــلامِ *

وهو من قصيدة لذي الرُّمّة يمدح بها إبراهيم بن هشام بـن الوليـد بـن المغيرة بـن عبد اللـه بن عُمَر بن مخزوم . وقبل بيت الشاهد [(١)]: (الطويل)

وكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنْهَلٍ مُتَخطَّإٍ أَفَلَّ وأقْـوَى ، فالـجِمَامُ طَوامِـي
إذا مَـا وَرَدْنَـا لَـمْ نُصَادِفْ بِـجَوفِـهِ سِـوَى وَارِداتٍ مِنْ قَـطا وَحَـمَـامِ
إذا سَـــاقِيَـانَــا أفْـرَغَــا فـي إزائِهِ عَلَـى قُلُصٍ بـالـمُقْـفِرَاتِ حِيَــامِ
تـداعيـــن بـاســم الـشيـب . . . . (البيـــت)

يصف قطعَهُ القفار على إبله . و«العسف» : الأخذ على غـير هـدى ، والضمير المستتر راجع إلى الإبل العيس . و« المنهل » : المـورد ، وهـو عـين مـاء تـرده الإبـل . و«المنهل المتخطأ» : الذي تخطّأه الناس فلم ينزلوه . و« أفلّ » ، بالفـاء ، فعـل مـاض بمعنى لم يصبه مطر، وهو مع ضميره صفة لمنهل ، وهذا سـبب كـون النـاس لم يـنزلوا فيه. يقال أرضٌ فِلٌّ بالكسر : لا نبات فيها لعدم المطر . و« أقوى » بمعنى خلا ، يقال أقوت الدار وقويت أيضاً أي : خلت . و« الجِمام » : بكسر الجيم جمع جُمَّة بضمها، وهو المكان الذي اجتمع فيه ماؤه . و« طوامي » : مملوءة، جمع طامٍ اسـم فـاعل مـن طما الماء يطمو طموّاً كسموّ ، إذا ارتفع ومـلأ النهـر . و« سـاقيانا » : تثنيـة سـاق ، وهو من يستقي الماء من البئر. والإزاء، بكسر الهمزة والزاي معجمة : مصـب المـاء في الحوض ، قال أبو زيد : هو صخرة ، وما جعلت وقايةً على مصبّ المـاء حـين يفـرغ الماء ، ويقال أزَّيت الحوض تأزية ، وآزيته بالمد إزاء . و« على قلص » متعلق بأفرغَا . والقُلص ، بضمتين : جمع قلوص، وهي الناقة الشـابة . و« الحيـام » بكسـر المهملـة : جمع حوم ، والحوم بالفتح: القطيع الضخم من الإبل. وبـ « المقفرات » صفة لقُلُص ، مـن أقفـرت الـدار : إذا خلـت . و«تداعـين »: دعـا بعـضُ القلـص بعضـاً ، وروى «تنادين» مـن النـداء والجملـة جـواب إذاً . و« الشِّـيب » بالكسـر حكايـة أصـوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصَّوت شِيب شِيب ، جعل هذا الصوت مما يدعوهن إلى الشرب ، ويأتي إن شاء اللـه تعالى في باب الإضافة الكلامُ علـى إضافـة « اسـم » إلى الشيب . و« المتثلّم » : المتكسّر والمتهدم ، أراد في حوض متثلم ، فحـذف الموصـوف لدلالة مصبٍّ الحوض عليه ، يقال : ثلمتــه مـن بـاب ضـرب كسـرته فـانثلم وتثلـم . و«البصـرة » ، بفتـح البـاء : حجـارة رخـوة فيهـا بيـاض ، وبـه سميت « البصـرة».

---

(١) البيت الأول بلا نسبة في تاج العروس (طمم) ؛ ولسان العرب (فلل) ؛ والمخصص ١٦٥/١٠ .

و«السِّلام» بكسر المهملة : جمع سلمة بفتحها وكسر اللام ، وهي الحجارة.

و« **ذو الرُّمّة** » [١] هو غيلان بالمعجمة ابنُ عقبة ، من بني صعب بن مالك بن عديّ بن عبد مناة . ويكنى أبا الحارث . وسمي ذا الرُّمّة بقوله [٢] :

لَمْ يُبْقِ فيها أبَدُ الأبيدِ   غيرَ ثلاثٍ ماثلاتٍ سودِ
وغَيْرَ مَرْضُوخِ القَفَا مَوْتُودِ[٣]   أشْعَثَ بَاقِي رُمَّةِ التَّقْلِيدِ

و« الرُّمّة » : بضم الراء وتشديد الميم : قطعة من الحبل الخلق ، ويجوز كسرها. وقال ثعلب : إنّ ميّة لقبته بذلك ، وذلك أنه مر بخبائها قبل أن يشبّب بها ، فرآها فأعجبته، فأحبّ الكلام معها ، فخرقَ دلوه وأقبل إليها وقال : يافتاةُ اخرزي لي هذا الدلو . فقالت : إنني خرقاء - و«الخرقاء» : التي لا تحسن عملاً - فخجل غيلانُ ، ووضع دلوه على عنقه ، وهي مشدودة بقطعة حبل بال ، وولّى راجعاً . فعلمتْ ميّة ما أراد ، فقالت : يا ذا الرُّمّة انصرفْ . فانصرف ، فقالت له : إن كنت أنا خرقاء فإنَّ أمَتِي صَناع ، فاجلس حتى تخرز دلوك . ثم دعت أمتها قالت : اخرزي له هذا الدلو . وكان ذو الرُّمّة يسمي ميّة خرقاء لقولها إنني خرقاء . وغلب عليه ذو الرُّمّة لقولها يا ذا الرُّمّة ، ا.هـ .

وهذا خلاف ما نقله ابن قتيبة في كتاب الشعراء [٤] أن ميّة بنت فلان [٥] ابن طلبة ابن قيس . وهي غير الخرقاء ، فإن الخرقاء من بني البكّاء بن عامر . وكان سبب تشبيبه بها أنه مر في بعض أسفاره ببعض البوادي ، وإذا خرقاء خارجة من خباء لها ، فنظر إليها فوقعت في قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها وقال: إنّي رجل على ظهر سفر ،

---

(١) انظر في ترجمته الأغاني ١/١٨ ؛ والشعر والشعراء ص٤٣٧ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٥٣٤ .

(٢) الرجز في ديوان ذي الرمة ص١٥٥ ؛ والشعر والشعراء ٤٣٩/٢ . وأشطر الرجز في تاج العروس (رمم) ؛ وتهذيب اللغة ١٩٢/١٥ ؛ وجمهرة اللغة ص١٢٦ ؛ واللسان (رمم) .

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية : " موضوح القفا " . وهو تصحيف صوابه من الديوان .

الرضخ : الشق والدق . ومرضوخ القفا مدقوق ، يعني الوتد . والرمة : القطعة من الحبل باقية في هذا الوتد لم ينزع. وسمّي ذا الرمة لقوله رمّة التقليد .

(٤) الشعر والشعراء ٤٣٩/٢ .

(٥) كذا في أصول طبعات الخزانة جميعها ؛ والشعر والشعراء ، فلعل ابن قتيبة نسي اسم أبيها ، أو أهمله ، وتبعه البغدادي في ذلك . وهي " ميّة بنت مقاتل " عند ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص٢١٦ ؛ " ومية بنت عاصم" عند البكري في السمط ص٨٢ .

وقد تخرّقت إداوتي فأصلحيها - يستطعم بذلك كلامها - فقالت : والله إنّي ما أحسن العمل ، وإني لخرقاء . والخرقاء : التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على أهلها. فشبّب بها وسماها خرقاء .

وقال أبو العباس الأحول : سمِّي ذا الرُّمّة لأنه خُشي عليه العين وهو غلام فأتي به إلى شيخ من الحيّ ، وصنع له مَعَاذةً ، وشُدّت في عضده بحبل .

والمشهور القول الأول .

قال حمّاد الراوية : امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيهاً ، وذو الرُّمّة أحسن الإسلام تشبيهاً ، وما أخّر القوم ذكرَه إلا لحداثة سنه وأنهم حسدوه ؛ وكان الفرزدق وجرير يحسدانه على شعره . ولقيه جرير فقال : هل لك في المهاجاة ؟ قال : لا . قال: كأنّك هبتني . قال : لا والله ، ولكن حرمُك قد هتكهُنّ السِّفَل ، وماأرى في نسوتك مُترقَّعاً [١] . قال أبو المطرِّف : لم يكن أحد من القوم في زمانه أبلغَ منه ولا أحسنَ جواباً ، ولقد عارضه رجلٌ بسوق الإبل في البصرة يهزأ به ، فقال : يا أعرابي، أتشهد بما لا ترى ؟ قال : نعم ؛ أشهد بأن أباك ناك أمك !

وقال أبو عمرو بن العلاء مرةً : خُتم الشعر بذي الرُّمّة والرجز برؤبة . وقال أخرى - كما في الموشح للمرزباني [٢] - شعر ذي الرُّمّة نُقط عروس تضمحلُّ [٣] عن قليل ، وأبعار ظباء لها مَشَمٌّ في أول شمّها ثم تعود [٤] إلى أرواح البعر وإنما وضع منه لأنه كان لا يحسن الهجاء والمدح .. قال المبرد : معنى قوله نقط عروس أنها تبقى أول يوم ثم تذهب ؛ وبعر الظباء إذا شممته من ساعته وجدت فيه كرائحة المسك ، فإذا غبَّ ذهب ذلك منه . وقد أسند هذا التعبير في حقه إلى جماعة منهم الفرزدق وجرير. قال الأصمعي : إن شِعر ذي الرُّمّة حلوٌ أولَ ماتسمعه ، فإذا كثر إنشاده ضعُف ولم يكن له حسن ، لأن أبعار الظباء أول ماتشم توجد لها رائحةُ ما أكلت من الشيح والقيصوم والجثجاث والنبت الطيِّب الريح ، فإذا أدمْتَ شمه ذهبت تلك الرائحة،

---

(١) مترقعاً : موضعاً للشتم والهجاء . وفي طبعتي بولاق والسلفية : " مرتعاً " . والتصويب من طبعة هارون نقلاً عن الشنقيطية . انظر اللسان (رقع) .

(٢) الموشح ص٢٧١ . والأغاني ١٤/١٨ .

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية : " يضمحل " . وهو تصحيف صوابه من الموشح .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : " يعود " . وهو تصحيف صوابه من الموشح .

ونُقط العروس إذا غسلَتْها ذهبت .

وقال ابن قتيبة [١] : وقف ذو الرُّمّة في سوق الإبل ينشد شعره الذي يذكر فيه ناقته صيدح . فوقف عليه الفرزدقُ فقال : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ قال : ما أحسن ما تقول ! قال : فمالي لا أُذْكر مع الفحول ! قال : قصّر بك عن غاياتهم بكاؤك في الدِمن ، ونعتُك الأبعار والعطن . ومات بالبادية ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم . أي : ابن الأربعين .

وقال المفضل الضّبي [٢] : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لي يوماً : هل لك في خرقاء صاحبة ذي الرُّمّة ؟ قلت: بلى . فتوجهنا نريدها فعدل بي عن الطريق بقدر ميلٍ ، فإذا أبياتٌ فقرع باباً منها فخرجت إلينا امرأة حُسَّانة بها قوة[٣] فتحدثنا طويلاً فقالت : أحججت قبل هذه ؟ قلت : بلى . قالت : فما منعك من زيارتي ؟ أما علمت أنّي مَنسِك من مناسك الحجّ ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول ذي الرُّمّة [٤] : (الوافر)

تَمَامُ الحَجِّ أنْ تَقِفَ المَطَايا ... عَلَى خَرْقَاءَ واضِعَةِ اللِّثَامِ

وفي « الأغاني » عن ابن قتيبة : أنّ ميّة جعلت لله عليها أن تنحر بدنة يوم تراه. فلما رأته رجلاً دميماً أسود ، وكانت من أجملِ الناس فقالت : واسَوءتاه، واضيعة بَدَنتاه ! فقال ذو الرُّمّة [٥] : (الطويل)

عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسحةٌ مِنْ مَلاحَةٍ ... وتحتَ الثّيابِ الشَّيْنُ لَوْ كانَ بادِيا

قال : فكشفت ثوبها عن بدنها وقالت : أشيناً ترى لا أمَّ لك ؟ فقال :

ألَمْ تَرَ أنَّ المَاءَ يَخبُثُ طَعْمُهُ ... وإنْ كانَ لَونُ الماءِ أبيضَ صَافِيا

فقالت : أمّا ما تحت الثياب فقد رأيته وعلمتَ أن لا شين فيه ، ولم يبق إلاّ أن

---

(١) الخبر في الشعر والشعراء ٢/٤٣٧ .

(٢) الخبر في الأغاني ١٨ /٣٧ ؛ والشعر والشعراء ٢/٤٤٠ .

(٣) في الشعر والشعراء : " بها فَوَهٌ " . وكذا في الأغاني ١٨/٣٧ نقلاً عن الشعراء . والفوه : سعة الفم وعظمه .

(٤) ديوانه ص٦٧٣ ؛ والأغاني ١٨/٣٧-٣٨ ؛ والشعر والشعراء ٢/٤٤١ . المطايا : جمع مطية .

(٥) ديوانه ص٦٧٥ ؛ والأغاني ١٨/٢٨ ؛ وتهذيب اللغة ٤/٣٤٩ ؛ والشعر والشعراء ٢/٤٣٩ ؛ والعقد الفريد ٦/٤١٣ ؛ ولسان العرب (مسح) ؛ ومعاهد التنصيص ٣/٢٦١ ؛ ومعجم البلدان (الملا) ؛ ووفيات الأعيان ٤/١٢ .

أقول لك هلمَّ حتى تذوق ما وراءَه ! واللـه لا ذقتَ ذلك أبداً فقال [١] :

فَيَـا ضَيْعَةَ الشِّـعْرِ الذِي لجَّ وانْقَضَى بـمي ولَـمْ أمْلِكْ ضَـلالَ فُـؤادِيـا

قال : ثم صلَح الأمر بينهما بعد ذلك ، فعاد إلى ما كان عليه من حبِّها .

ثم قال صاحب الأغاني : أنّ ميّة كانت لها بنت [عمٍّ][٢] قالت على لسـان ذي الرمّة :

* عَلَى وَجْـهِ مَـيّ مَسْحَـةٌ مِنْ مَـلاحَـةٍ *

الأبيات . فكان ذو الرُّمّة إذا ذُكر ذلك له يتمعّض منه [٣] ويحلف أنّه ما قاله قطّ.

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع [٤] : (الوافر)

٩- إذا اجْـتَـمَـعُـوا عَلَـى ألـفٍ وَواو

وَيَـاءٍ هَـاجَ بَيْنَهُـمُ جِـدَالُ

على أن أسماء حروف المعجم تعرب إذا ركبت وإن كـان بناؤهـا أصليّاً . قيـل : حيث كانت معربة لأجل التركيب عُلم أنها قبل الـتركيب غـير معربَـة ، وهـذا حكـم جميع الأسماء ، سواء قلنا إنها قبل التركيب موقوفة أم مبنيـة ، فمـا الفـرق بينهـا وبـين سائر الأسماء ؟

أقول : الفرق أن أسماء حروف الهجاء إنّمـا وضعـت لسـردها مفـردة للتعليـم، لا لأنْ تكون مركبة مع عامل ، فالتركيب فيها عـارض بخلاف سـائر الأسمـاء فإنهـا إنمـا وُضعت للتركيب ، وسردُها منثورة أمرٌ عارض . ثم رأيت الشارح المحقق قد ذكـر مـا قلتُه في مواضع أُخر من شرحه فقال : إن أسماء حروف المعجم لم توضع إلا لتُسـتعمل مفردات ، لتعليم الصبيان ومن يجري مجراهم، موقوفاً عليهم . فإذا اسـتعملت مركبـة

(١) ديوانه ص٦٧٦ ؛ والشعر والشعراء ٤٤٠/٢ ؛ والأغاني ٢٨/١٨ . رواية الديوان : " ضلالاً فؤاديا " .

(٢) في الأغاني ٢٩/١٨ :"... بنت عم من ولد قيس يقال لها : كثيرة أم سلهمة ، فقالت على لسان ذي الرمة ".

(٣) في الأغاني ٢٩/١٨ : " ذلك له يمتعض منه " .

(٤) البيت ليزيد بن الحكم في شرح المفصل ٢٩/٦ . وهو بلا نسبة في سر صناعـة الإعراب ٧٨٢/٢ ؛ والمقتضب ٤٣/٤ . وروايته فيهم : " ... ألف وباءٍ وتاءٍ ..." .

مع عاملها فقد خرجت عن حالها الموضوعة لها .

وهذا مذهب ابن جنّي في « سر الصناعة » حيث قال : « اعلم أن هذه الحروف ما دامت حروفَ هجاء فإنها سواكن الأواخر في الدَّرْج والوقف ، لأنها أصوات بمنزلة صه ومه ، فإن وقعت موقع الأسماء أعربت » .

وأراد الشارح بإعرابها عند التركيب وجوب إعرابها كما نص عليه في موضع آخر فقال : « إذا أردت إعراب أسماء حروف المعجم الكائنة على حرفين ضعَّفت الألف وقلبتها همزة . ولا تجوز الحكاية في أسماء حروف المعجم مع التركيب مع عاملها » .

وأغرب السيوطي في جمع الجوامع وشرحه فقال : «وأسماء الحروف ألف با تا ثا إلى آخرها وقف ، إلاّ مع عامل فالأجود حينئذ فيها الإعراب ومد المقصور منها ، ويجوز فيها الحكاية كهيئتها بلا عامل، ويجوز ترك المد بأن يعرب مقصوراً منوّناً . كما إذا تعاطفت فإن الأجود فيها الإعراب والمدّ وإن لم يكن عامل ». انتهى .

فجوّز مع العامل الحكاية والقصر ، كما إذا لم تكن مع عامل ؛ وجوّز أيضاً إعرابها مع القصر ، وجوّز في التعاطف مع عدم العامل الإعراب والمد .

وأما الأول فصرّح بمنعه ابن جنّي والشارح .

وأما الثاني فمنعه ابن جنّي أيضاً فقال : فأما ما كان من نحو با تا فإنّك متى أعربته لزمك أن تمدّه ؛ وذلك أنه على حرفين ، الثاني منهما حرفُ لين ، والتنوين يدرك الكلمة فتحذف الألف لالتقاء الساكنين ، فيلزمك أن تقول بن وتن يا فتى ، فيبقى الاسم على حرف واحد ، فإن ابتدأته وجب أن يكون متحركاً ، وإن وقفت عليه وجب أن يكون ساكناً ، وهذا ظاهر الاستحالة . فأما ما روى « شربتُ ماً » يريد ماء، فحكاية شاذة لا نظير لها ، ولا يسوغ قياس غيرها عليها ، وإذا كان الأمر كذلك زدت على ألف با تا ألفاً أخرى ، كما رأيت العرب فعلت حين أعربت لوّا فقالوا [1] : (الخفيف)

---

(١) عجز بيت لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص٢٤ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢١١/٢ ؛ وشرح المفصل ٣٠/٦ ، ٥٧/١٠ ؛ والشعر والشعراء ٣١٠/١ ؛ والكتاب ٢٦١/٣ ؛ واللسان (هلل ، أوا) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٦٨ ، ٤١٠ ، ٤٨٩ ؛ ودرة الغواص ص٣٢ وما ينصرف ومالا ينصرف ص٦٥ ؛ والمقتضب ٢٣٥/١ ، ٣٢/٤ ، ٤٣ ؛ والمنصف ١٥٣/٢ . وصدره : لَيْتَ شِعْري وأيْنَ مِنّي لَيْتُ

* إن لــــوّاً وإنّ لـيتـــــاً عـنــــاءُ *

وأما قول الشاعر :

بـخـط لام ألـــــفٍ مـــوصـول والـزاي والـــرا أيـمـــا تـهـلـيـل

إنما أراد « والراء » ممدودة ، فلم يمكنه ذلك لئلا يكسر الـوزن ، فحـذف الهمـزة من الراء ، وجاء بذلك على قراءة أبي عمرو وتحقيقه الأولى من الهمزتين إذا التقتا مـن كلمتين وكانتا جميعاً متّفقتي الحركتين، نحو : « فقد جاء أشراطها » و« شاء أنشره»؛ وكذلك كان أصل هذا «والزاي والراء أيما تهليـل »، فلمـا اتفقـت الحركتـان حـذف الأولى من الهمزتين .

وأما الثالث فلا وجه للإعراب والمد جميعاً مع عدم العامل .

وأظن أن السيوطي لخص كلامه من الارتشاف لأبي حيّان ، وأصله من المقصـور والممدود لابن الأنباري ، وتبعه أبو علـي القـالي - في المقصـور والممـدود لـه أيضـاً - حرفاً بحرف - فقالا : وما كان من حروف الهجاء على حرفين فالعرب تمده وتقصـره فيقولون : باء وتاء ، ومنهم من يقصر فيقول با وتا ، ومنهم من ينون فيقول باً وتـاً . قال يزيد بن الحكم يذكر النحويين :

إذا اجـتـمـعـوا عـلـى ألـفٍ وواو ويـــاء . . . . . . (الـبـيـــت)

والزاي فيها خمسة أوجه : من العرب من يمدها فيقــول زاء فـاعلم ، ومنهـم مـن يقول زايٍ ، ومنهم من يقول هذه زا ، فيقصرها ، ومنهم من ينون فيقول زاً ، ومنهم من يقول زيّ فيشدّد . وأنشد الفرّاء :

بـخـــط لام ألـــــفٍ مـــوصـول والـزاي والـــرا أيـمـــا تـهـلـيـــل

انتهى . فأنت تراهما كيف أطلقا ولم يفصّلا ؛ وهو مخالف لكلام الناس .

ومراد الشارح بالتركيب أن تقع مع عامل ، نحو أول الجيم جيم ، وأوسط السين ياء ، وكتبتُ ياء حسنة . وكذلـك العطـف فيقـال : مـا هجـاء بكـر ؟ فنقـول . بـاء وكاف وراء، وكبيـت الشـاهد . فـإن لم تعطـف تَبْـن ، فتقـول بـاءْ ، كـافْ ، راءْ ، بإسكان الأواخر .

وبيـت الشـاهد ليزيـد بن الحكـم ، كما نسبه إليه الزّجّـاج في أول تفسيره وابن

الأنباري ، وأبو علي القالي . وروى الحريري في درة الغوّاص [١] عن الأصمعي أنه قال: أنشدني عيسى بن عمر بيتاً هجا به النحويين ، يعني أنهم إذا اجتمعوا للبحث عن إعلال حروف العلة ثار بينهم جدال . والجدال : مصدر جادل إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، وهذا أصله ، ثم استعمل في لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها . وهو محمود إن كان للوقوف على الحق ، وإلاّ فمذموم ، يقال : إن أول من دوّن الجدل أبو علي الطبري . ويروى بدله «قتال».

أما « **يزيد بن الحكم** » [٢] فهو يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثّقفي البصري ، الشاعر المشهور . ومن قال يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص فقد وهم ، فإن عثمان جدُّه أو عم أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم الطائف . حدث عن عمه عثمان المذكور، وروى عنه معاوية بن قُرّة وعبد الرحمن بن إسحاق .

حكي أن الفرزدق مرَّ على يزيد هذا وهو يُنشد في المسجد ، فقال: من هذا الذي ينشد شعراً كأنه شعرنا ؟ قالوا : يزيد بن الحكم . فقال : أشهد بالله أن عمتي ولدته .

وأم يزيد : بكرة بنت الزِّبرقان بن بدر . وأمها هُنيدة بنت صعصعة بن ناجية . وكانت بكرة أول عربيّة ركبت البحر .

وروى الزجّاجي في أماليه الصغرى قال[٣] : ورد يزيد بن الحكم الثّقفي من الطائف على الحجاج بن يوسف بالعراق ، وكان شريفاً شاعراً ، فولاه الحجّاج فارس، فلما جاء لأخذ عهده قال له : يايزيد أنشدنا من شعرك - يريد أن ينشده مديحاً له - فأنشده[٤] : (الوافر)

---

(١) درة الغواص ص١٠٦ ؛ طبع الجوائب المصرية .

(٢) انظر في ترجمته وأخباره الأغاني ٢٨٦/١٢ .

(٣) الخبر بتمامه في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص١٠٤ ؛ وهو بتصرف بسيط في الأغاني ٢٨٧/١٢ .

(٤) الأبيات وخبرها في أخبار الزجاجي ص١٠٤ .

الصيد : جمع أصيد وصيداء ، وهو الذي يرفع رأسه كبراً . والبطاح ، بطاح مكة ، جمع بطحاء . والغريف : الأجمة وكذلك الغابة . وذؤابة الجبل : رأسها ؛ وأراد الشرف والمجد . والمنيف : المشرف . والغور : المنخفض ؛ ويقابله النجد . ونماني : رفعني ونسبني . والمعضلات : جمع معضلة ، وهي شدائد الأمور .

مَـنْ يَـكُ سَـائِـلاً عَنّـي فَـإنّي ... أنـا ابنُ الصِّيْـدِ مِنْ سَلَفـي ثَـقيفِ
وفـي وَسْـط البطَاحِ مَـحلُّ بَيْتِي ... مَـحلَّ الليـثِ مِنْ وَسَطِ الغريـفِ
وفِـي كَعْـبٍ وَمَنْ كالـحيِّ كَـعْـبٍ ... حَـلَلْتُ ذُؤابَةَ الـجبلِ الـمُنيـفِ
حَـوَيْتُ فخـارَهـا غَـوراً ونَـجْداً ... وذلكَ مُنْتَـهى شَـرفِ الشَّـرِيْـفِ
نَـمانِـي كُـلُّ أصْيَـدَ لا ضَعِيفٍ ... بِـحَمْلِ الـمُعْضِلاتِ ولا عَنِيْـفِ

فوجم الحجّاج وأطرق ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله ، أحمده وأشكره إذ لم يأت علينـا زمـان إلاّ وفينـا أشعر العرب ! ثـم قـال : أنشـدنا يـايزيد . فـأنشأ يقول[1]: (الكامل)

وأبـي الـذي فَـتَـحَ البـلادَ بسَيْفِـهِ ... فَـأذلّـهـا لِبَنِـي الزَّمَـانِ الغَـابـرِ
وأبي الّذي سـلبَ ابنَ كِسْرَى رايةً ... في الـمُلكِ تَخفقُ كالعُقابِ الكاسِرِ
وإذا فَـخَرْتُ فَخَرْتُ غيْـرَ مُكذَّبٍ ... فَخـراً أدُقُّ بـهِ فَخـارَ الفَـاخِرِ

فقام الحجّاج مغضباً ، ودخل القصرَ وانصرف يزيـد - والعهـد في يـده - فقـال الحجاج لخادمه : اتبعه وقل له ارددْ علينا عهدنا ، فإذا أخذتـه فقـل لـه : هـل ورّثـك أبوك مثل هذا العهد ؟! ففعل الخـادم وأبلغـه الرسـالة . فـردّ عليـه العهـد فقـال : قـل للحجّاج : أورثني أبي مجده وفعَاله، وأورثك أبـوك أعنُزاً ترعاهـا[2] . ثـم سـار تحت الليل، فلحق بسليمان وهو وليّ عهد الوليد ؛ فضمه إليه وجعله في خاصَتـه . ومدحـه بقصائد، فقال له سليمان : كم كان أُجريَ لك في عمالة فارس ؟ قال: عشرين ألفـاً. قال : هي لك عليّ ما دمـت حيـاً . وممـا مدحـه بـه هـذه القصيـدة ، ومطلعهـا [3] : (البسيط)

---

(١) الأبيات وخبرها في أخبار الزجاجي ص١٠٤ ؛ والثاني مع خبره في الأغاني ٢٨٧/١٢ . الغابر : الهالك .

(٢) في الأغاني ٢٨٧/١٢ : "... فرد على الحاجب العهد ، وقال : قل له :

ورثـتُ جـدِّي مـجـدَه وفَعـالَـهُ ... وورثـتَ جَـدَّكَ أعْنُـزاً بالطَّـائـفِ

(٣) الأبيات في أخبار الزجاجي ص١٠٥ ؛ والأغاني ٢٨٨/١٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٥٠/٦ ؛ وهي في مدح سليمان بن عبد الملك . والبيت الأول في التنبيه والإيضاح ٤٢/٢ ؛ وتاج العـروس واللسـان (عـود) ؛ ومجمل اللغة ٤٢٧/٢ . والثاني في اللسان (عود) . والرابع هو الإنشاد السابع والتسعون بعد الخمسمائة في شـرح أبيـات المغني للبغدادي ؛ وهو في اللسان (عود) . والبيت ينسب لعمرو بن أبي ربيعـة في ديوانـه ص٣٢٠ ؛ والجنـى الدانـي ص٥٧١ ؛ والخصائص ١٧٠/٣ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٨٨/٢ .وليزيد بن الحكم الثقفي في لسان العرب (عود) ، وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٣٩٩ ؛ وشرح المفصل ٧٧/٤ ؛ والمحتسب ١٥٥/٢ ؛ ومغني اللبيب ٣٦٩/٢ =

أمْسَـى بأسماءَ هـذا القَلْبُ مَعْمُودا إذا أقُـولُ صَحَـا يَعْتَـادُه عِيْـدا
كـأنَّ أحْـوَرَ مِنْ غِزلانِ ذِي بَقَـرٍ أهْدَى لَنَـا شَبَهَ العَيْنَينِ والـجِيْدا
أجْري عَلَى مَوْعِدٍ مِنْها فَتُخْلِفُني فَـلا أمَلٌّ وَلا تُـوفِي الـمَوَاعِيْدا
كأنَّنِي يَـومَ أمْسِـي لا تُكَلِّمُنِـي ذُو بُغْيَةٍ يَشْتَهِي مَـا لَيْسَ مَوْجُـودا

ومنها :

سُمِّيتَ باسمِ امرئٍ أشْبَهْتَ شِيمتَهُ فَـضْلاً وعَدْلاً سُـليمانَ بـنَ داودا
أحْمِدْ بِهِ فِي الوَرَى الماضِينَ مِنْ مَلِكٍ وأنتَ أصْبَحْتَ في البَاقِينَ محمـودا
لا يَبرأ النَّاسُ مِنْ أنْ يـحمَدُوا مَلِكاً أولاهُمُ في الأمورِ الـحِلْمَ والـجُودا

ومن الناس من ينسب هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة ، وذلك خطأ .

وفي «الأغاني» بسنده إلى ابن عائشة قال [١] : دخل يزيد بن الحكم على يزيد ابن المهلب في سجن الحجّاج – وهو يُعذّب – وقد حل عليه نجم كان قد نُجِّم عليه ، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم ، فقال له [٢] : (المنسرح)

أصْبَحَ فـي قَيْدِكَ السَّماحَـةُ والـجُو دُ وفَضْـلُ الصَّلاحِ والـحَسَبُ
لا بَطِـرٌ إنْ تَتَـابَعَـتْ نِعَـمٌ وَصَابِـرٌ فـي البَلاءِ مُحْتَسِبُ
بَـرَّزْتَ سَبْقَ الـجِيـادِ فِي مَهَلٍ وَقَصَّرَتْ دُونَ سَعْيِكَ العَرَبُ

قال : فالتفت يزيد إلى مولًى له ، وقال : أعطه نجم هذا الأسبوع ، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر [٣] .

= والبيت الخامس في اللسان (عود) بلا نسبة . والبيت السابع بلا نسبة في اللسان (عود) ؛ ومجمل اللغة ١٩٣/٣ ؛ ومقاييس اللغة ٢٣٨/٣ .

المعمود : المضنى الذي هدّه العشق . والأحور : الظبي في عينيه حورٌ . وذو بقر : اسم موضع . والحلم : العقل والخلق .

(١) الخبر بكامله في الأغاني : ٢٩١/١٢ .

(٢) الأبيات وخبرها في الأغاني ٢٩١/١٢ .

والسماحة : الجود والكرم . والبطر : الدهش الذي لا يدري ما يقدم .

(٣) بعده في الأغاني ٢٩١/١٢ : " وقد رويت هذه الأبيات والقصة لحمزة بن بيض مع يزيد " .

وتنجيم الدين : أن يقدر دفعه في أوقات معلومة متتابعة . وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر مواقيت حلول دينها .

وليزيد بن الحكم عدةُ قصائد يعاتب فيها أخاه عبد ربِّه بن الحكم، وابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومما قال في ابن عمه [(١)] : (الطويل)

ومولًى كَذِئبِ السَّوءِ لَوْ يَسْتَطِيْعُنِي ... أَصَابَ دَمِي يَوماً بغَيْرِ قَتِيلِ
وأُعرِض عَمَّا سَاءَهُ ، وَكَأنَّمَا ... يُقَادُ إلى مَا سَاءَنِي بدَلِيلِ
مجامَلَةً مِنِّي وإكرامَ غَيْرِهِ ... بلا حَسَنٍ مِنْهُ ولا بجَمِيْلِ
وَلو شئتُ -لولا الحِلمُ- جَدَّعْتُ أنْفَهُ ... بإيعَابِ جَدْعٍ بَادِئٍ وَعَلِيْلِ
حِفَاظاً عَلَى أحلامِ قَوْمٍ رُزِئْتُهم ... رِزَانٍ يَزِيْنُونَ النَّدِيَّ كُهولِ

وقال في أخيه عبد ربه [(٢)] : (البسيط)

أخِي يُسِرُّ لِيَ الشَّحْنَاءَ يُضْمِرُهَا ... حَتَّى وَرَى جَوْفَهُ مِنْ غَمْرِه الدَّاءُ
حَرَّانُ ذُو غُصَّةٍ ، جُرِّعتُ غُصَّتَهُ ... وَقَدْ تعرَّضَ دُونَ الغُصَّةِ الماءُ
حتَّى إذا مَا أساغَ الرِّيقَ أنزَلَنِي ... مِنْه كما يُنزِلُ الأعداءَ أعْدَاءُ
أسْعَى فيكفُرُ سَعْيِ ما سَعِيتُ لَهُ ... إنِّي كذاكَ مِنَ الإخوانِ لَقَّاءُ
وَكَمْ يَدٍ وَيَدٍ لي عِنْدَه وَيَدٍ ... يُعِدُّهن تِرَاتٍ وَهْيَ آلاءُ

و« الغريف » بفتح الغين المعجمة هو الأجمة والغابة .

وأما « **عيسى بن عمر** »[(٣)] فهو عيسى بن عمر الثقفيّ ، مولى خالد بن الوليد. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن إسحاق . وروى عن الحسن البصري والعجّاج ، ورؤبة ، وجماعة - وعنه أخذ الأصمعيّ وغيره - وكان يتقعَّر في كلامه ، حكى عنه الجوهريُّ في الصّحاح ، أنه سقط عن حمار ، فاجتمع عليه الناس فقال : مالي أراكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جِنّة؟ افرنقعوا عني [(٤)] ! واتّهمه عمر

---

(١) الأبيات مع خبرها في الأغاني ١٢/٢٩٤ .
في أصول جميع الطبعات : " بغير فتيل " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني . المولى : ابن العم . ورجل سَوء : يعمل عمل سوء . والحلم : العقل والخلق . وجدعت أنفه : قطعته . ورزئتهم : أصبت بهم . ورزان : جمع رزين ، وهو الحليم الوقور .

(٢) الأبيات في الأغاني ١٢/٢٩٥ ؛ وهي عدا الأول في حماسة البحتري ١/٤١٧-٤١٨ .
الشحناء : الحقد والعداوة والبغضاء . ورى القيح جوفه : أفسده . والغمر : الحقد والغل . والحران : العطشان . وساغ الشراب : سهل مدخله في الحلق . والترات : جمع التِرَة ، وهو الباطل . الآلاء : النعم .

(٣) انظر في ترجمته الفهرست ص٤٧ ؛ ومراتب النحويين ص٤٣ .

(٤) تكأكأتم : تجمعتم . وذي جنة ، أي جنون . وافرنقعوا : تفرقوا .

ابن هُبيرة بوديعة ، فضربه نحو ألف سوط . فجعل يقول . والله إن كانت إلاّ أثيّاباً في أسيفاط قبضها عشّاروك ! مات سنة تسع وأربعين ، وقيل سنة خمسين ومائة ، كذا في معجم النحويين للسيوطي .

والبيت الذي مثل به ابن جنّي ووعدْنا بشرحه هو من أبيات رواها أبو زيد في نوادره قال : إنها لراجز يصف بها جُندباً ، وهي [1] :

يَحجلُ فيها مِقْلزُ الحَجُول بَغْياً عَلَى شِقَّيْهِ كالمَشْكُول
يَخُطُّ لامَ ألفٍ مَوْصُول والزَّايَ والرَّا أيَّما تَهْليلِ
خَطَّ يَدِ المُسْتَطْرِقِ المَسْؤولِ

« الجندب » بفتح الدال وضمها : ضرب من الجراد ؛ وقال أبو الحسن الأخفش في شرح نوادر أبي زيد : قال أبو العباس ثعلب إنه عنى غراباً يحجل . قال في «العباب»: الحجَلان : مشية المقيّد ، يقال حجل الطائر يحجل بضم الجيم وكسرها ، إذا نزا في مشيه ؛ و« الحجول » بفتح المهملة وضم الجيم صفة الجندب أو الغراب . وضمير فيها للأرض . و« المقلز » بكسر الميم وفتح اللام ، أراد به رجل الجندب أو الغراب لأنه اسم آلة من قلز الغراب والعصفور في مشيهما ، وكل من لا يمشي مشياً فهو يقلز بضم اللام وكسرها قلزاً بسكون اللام . ورواه أبو حاتم بفتح الميم وكسر اللام ، فيكون مصدراً ميمياً .

وزعم الأخفش في شرح النوادر أنه مقلوب مقزل من القزل بفتحتين وهو أسوأ العرج . وقد قزل [2] بالكسر فهو أقزل ، والقَزَلان : العرَجان ، وقد قزَل بالفتح قزلاناً : إذا مشى مشية العرْجان . ولا حاجة إلى ادّعاء القلب ، لأنّ مادة « قلز» ثابتة مذكورة في « العباب والقاموس » ، ولم يقل أحد إنها مقلوبة من قزل . ثم قال الأخفش : « روى لي ثعلب : مقلز الحجول بكسر الميم ، ولا وجه له عند أهل العربية ، لأنّ المقلز هو الحجول ، ولا يضاف الشيء إلى نفسه : والرفع في الحجول أجود.وإن كان الشعر يصير مُقوًى . وقد روي بالرفع . وفيه مع هذا عيب ، وهو أنه

---

(١) الرجز بلا نسبة في تاج العروس (قلز، هلل) ؛ وسر صناعة الإعراب ٧٨٧/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٥٢/٦ ؛ واللسان (طرق ، قلز ، هلل) ؛ ونوادر أبي زيد ص١٦٧ .

وفي طبعتي بولاق والسلفية : " شقيه كالمشلول " . وهو تصحيف . صوابه من نوادر أبي زيد ص١٦٧ .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " وقد قزله " . وهو تصحيف صوابه من طبعة هارون نقلاً عن الشنقيطية .

حذف التنوين من مقلز لسكونها وسكون اللام . وحذف التنوين هو الذي شجّع من رواه مخفوضاً و لم يتأمّل المعنى ، والإقواء أصلح من الإحالة . انتهى .

أقول : هذا تطويل بلا طائل ، يعلم فسادُه ممّا قدمناه . على أن المقلز لم يقل أحد إنه بمعنى الحجول . و« البَغْي » هنا : الاختيال والمرح . و« المشكول» : الذي في رجليه شِكال ، يقال : شكلته شكلاً من باب قتل : قيّدته بالشكال ، وشكلتُ الكتاب شكلاً : أعلمته بعلامات الإعراب .

وقوله « بخطّ » الباء متعلقة بيحجل ، ويجوز أن يكون بمثناة تحتية مضارع خطّ ، فيكون ضميره المستتر للمقلز و« لام ألف» مفعوله . و « موصول » وصف اللام ، والصلة محذوفة أي موصول بها أي بالألف . و «الزاي والرا » منصوبان بالعطف على محل لام ألف .

وقوله : « أيما تهليل » منصوب بفعل محذوف ، وما زائدة ، أي: هلّل تهليلاً ، أيّ : تهليل ، وهو مصدر هلّل ، بمعنى نكَص وجبُن وفرّ و « خطّ » منصوب على المصدر التشبيهي ، أي : بخط لام ألف كخط يد الكاهن المسؤول منه التكهن . و «المستطرِق» : الكاهن الذي يطرق الحصى بعضَه ببعض ، والطرق : ضرب الكاهن الحصى ، وقد استطرقته أنا ؛ روي بكسر الراء وفتحها .

وقد أورد هذه الأبياتَ ابن الأعرابي أيضاً في نوادره . قال أنشدنيها المفضّل وذكر داراً خلت من أهلها فصار فيها الغربان والظباء والوحش . ثم قال : المستطرق: الذي يتكهّن ، فإذا سئل عن الشيء خطّ في التراب ونظر . وحكى عن أعرابي قال : عالجت جارية شابّة فإذا قُلزَّة كأنها أتان وحش . قال: القُلُزَّة : الشديدة ، والقُلُزّ : النحاس الذي لا يعمل فيه الحديد . وقال أبو المنهال : هو القِلزّ و لم يعرف القُلُزّ: ا.هـ.

وروي « الحجول » بضمتين على أنه مصدر . وروي « نعبا » بدل بغيا ، بفتح النون وسكون العين المهملة بعدها موحدة ، وهو صوت الغراب . وروي « تفصيل » بدل « تهليل » .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد العاشر وهو من شواهد سيبويه :

١٠ - أحضُرَ الوَغَى

وهو قطعة من بيت وهو [1] : (الطويل)

أَلا أَيُّهَذَا الَّلائِمي أَحْضُرَ الوَغَى وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخلِدِي

على أن نصب « أن » المقدرة في مثل هذا ضعيف وقال في باب نواصب الفعل : نصبها في مثله شاذ ، والكوفيون يجوّزون النصب في مثله قياساً .

أقول : ذهب الكوفيون إلى أنها تعمل محذوفة في غير المواضع المعدودة . واستدلوا بهذا البيت فقالوا : الدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله: « وأن أشهد» فدل على أنها تنصب مع الحذف . ومنع البصريّون ذلك بأنّ عوامل الأفعال ضعيفة لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذفت ارتفع الفعل ؛ ومنه عند سيبويه قوله تعالى [2] : «قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تأْمُرُونِي أَعْبُدُ » . وقالوا : رواية البيت عندنا إنما هي بالرفع ، فقال سيبويه أصله « أن أحضر » فلما حذفت « أن » ارتفع ؛ و« أن أحضر » مجرور بفي مقدرة و « أن أشهد » معطوف عليه . وقال المبرِّد : جملة « أحضُر » حال من الياء . و«أن أشهد » معطوف على المعنى ، لأنه لما قال أحضرُ دل على الحضور كما تقول: من كذب كان شراً له، أي : كان الكذب . كذا نقلوا عنه ؛ ولئن صحت رواية النصب فهو محمول على أنه توهم أنه أتى بأن ، فنصب ، كقوله [3] : (الطويل)

---

(١) هو الإنشاد الخامس عشر بعد الستمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص٣٢ ؛ والإنصاف ٥٦٠/٢ ؛ والدرر ٧٤/١ ؛ وسر صناعة الإعراب ٢٨٥/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٨١/٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٠٠/٢ ؛ والكتاب ٩٩/٣ ، ١٠٠ ؛ ولسان العرب (أنن ، دنا) ؛ والمقاصد النحوية ٤٠٢/٤ ؛ والمقتضب ٨٥/٢ . وهو بلا نسبة في الدرر ٣٣/٣ ، ٩٤/٩ ؛ ورصف المباني ص١١٣ ؛ وشرح شذور الذهب ص١٩٨ ؛ وشرح ابن عقيل ص٥٩٧ ؛ وشرح المفصل ٧/٢ ، ٢٨/٤ ، ٥٢/٧ ؛ ومجالس ثعلب ص٣٨٣ ؛ ومغني اللبيب ٣٨٣/٢ ، ٦٤١ ؛ وهمع الهوامع ١٧/٢ .

رواية شرح أبيات المغني : " أحضُرُ " بالضم .

(٢) سورة الزمر ٦٤/٣٩ .

وفي الأشموني ٣١٥/٣ : " قرأ الحسن " أعبد " بالنصب أيضاً " .

(٣) هو الإنشاد الثالث والثلاثون بعد المائة من شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص٢٨٧ ؛ وتخليص الشواهد ص٥١٢ ؛ والدرر ١٦٣/٦ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٤٢/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٢٨٢/١ ؛ وشرح المفصل ٥٢/٢ ، ٥٦/٧ ؛ والكتاب ١٦٥/١ ، ٢٩/٣ ، ٥١ ، ١٠٠ ، ١٦٠/٤ ؛ ولسان العرب (نمش) ؛ ومغني اللبيب ٩٦/١ ؛ والمقاصد النحوية ٢٦٧/٢ ، ٣٥١/٣ ؛ وهمع الهوامع ١٤١/٢ . ولصرمة الأنصاري في شرح أبيات سيبويه ٧٢/١ ؛ والكتاب ٣٠٦/١ ؛ =

بَدَا لِيَ أنّي لَسْتُ مُدْرِكَ ما مَضَى وَلا سَابِقٍ شيئاً إذا كَانَ جَائِيَا

بجر «سابق» على توهم أنه قال : لست بمدرك ما مضى . وهذا لا يجوز القياس عليه .

وروي « ألا أيُّهذا الزاجري » ، وروي أيضاً « ألا أيُّها اللاحيّ » بتشديد الياء. و« الوغى » : الحرب ، وأصله الأصوات التي تكون فيها، وقال ابن جنّي: « الوعى» بالمهملة : الصوت ، وبالمعجمة : الحرب نفسها . و« الشُّهود » : الحضور، يقال : شهدت المجلس بمعنى حضرته. و« أخلده » : أبقاه .

ومعنى البيت : يامَنْ يلومني في حضور الحرب لئلا أقتل ، وفي أن أنفق مالي لئلا أفتقر ، ما أنت مخلدي إن قبلتُ منك ، فدعني أنفق مالي في الفتوّة ولا أخلّفه لغيري .

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبد ، وهي إحدى المعلّقات السبع . ونذكر ترجمته وأخباره في موضع آخر إن شاء الله تعالى [1] . وبعد هذا البيت:

فإنْ كُنْتَ لا تَسْطِيْعُ دَفْعَ مَنِيّتي فَذَرْني أُبادِرْها بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

يقول : إن كنت لا تقدرُ أن تدفع موتي فذرني أسبق الموت بالتمتع بإنفاق مالي. يريد أن الموت لابد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي عشر [2] :

= ولصرمة أو لزهير في الإنصاف ١/١٩١ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص١٥٤ ؛ والأشباه والنظائر ٢/٣٤٧ ؛ وجواهر الأدب ص٥٢ ؛ والخصائص ٢/٣٥٣ ، ٤٢٤ ؛ وشرح الأشموني ٢/٤٣٢ ؛ وشرح المفصل ٨/٦٩ ؛ والكتاب ٢/١٥٥ .

(١) ستزد ترجمة طرفة في الشاهد /١٥٢/ .

(٢) هو الشاهد الواحد والتسعون بعد الخمسمائة من شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيتان في شرح أبيات المغني للبغدادي ٦/١٤٠ بلا نسبة . والأول بلا نسبة في تاج العروس (صور ، نظر ، شرى)؛ ولسان العرب (صور ، شرى ، آ ، وا) ؛ والمخصص ١٢/١٠٣ . والثاني لابن هرمة في ملحق ديوانه ص٢٣٩ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص٤٥ ؛ والأشباه والنظائر ٢/٢٩ ؛ والإنصاف ١/٢٤ ؛ والجنى الداني ص١٧٣ ؛ والدرر ٦/٢٠٤ ؛ ورصف المباني ١٣/٤٣٥ ؛ وسر صناعة الإعراب ١/٢٦، ٣٣٨ ، ٢ / ٦٣٠ ؛ وشرح شواهد المغني ٢/٧٨٥ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ٥٠ ؛ ولسان العرب (شرى،الأف،وا) ؛ والمحتسب ١/٢٥٩؛ ومغني اللبيب ٢/٣٦٨ ؛ والممتع في التصريف ١/١٥٦ ؛ وهمع الهوامع ٢/١٥٦ .

١١- أدنـــو فـأنظـــورُ

وهو قطعة من بيت ثان [١] أنشدهما الفرّاء ، وهما : (البسيط)

اللـه يَعْلَـمُ أنَّـا فِـي تَلَفُّتِنَـا ... يَـوْمَ الفِراق إلى أحْبَابنَا صُـوَرُ
وأنَّنِي حَوْثُمَا يَثْنِي الهَوَى بَصَرِي ... مِنْ حَوْثُمَا سَلَكُوا أدْنُو فَأنْظُورُ

على أن « الواو » حاصلة من إشباع الضمة ، وأصله أنظر .ويروى «إلى إخواننا» بدل أحبابنا . و« الصُّور » بصاد مهملة : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق من صَوِر [٢] يصوَر صوَراً بالتحريك : مال . وأصاره فانصار : أماله فمال . ويجوز أن يكون جمع «صُورة » ، أي : إذا تلفّتنا إلى الأحباب عند رحيلهم فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح . و«أنـي » بفتح الهمزة . و«وحوْث » ظرف مكان، لغة في حيث ، بتثليث الثاء فيهما ؛ وهو خبر أن . و«ما » زائدة . و« ثناه »: أماله . و« الهوى » : العشق ، وهو فاعل ، و«بصري » مفعوله . أي : أنا في الجهة التي يُميل الهوى بصري إليها . وقوله : «من حوثما » روى في الموضعين «حيثما [٣]» متعلق بأدنو وبأنظر ، أي : أدنو فأنظر إليهم من الجهة التي سلكوا فيها .

وروى ابن جنّي في «سر الصناعة » ، وفي « الخصائص » ، وفي «المبهج » : «يسري » بدل يثني ، وزاد في « المحتسب » فقال: هكذا روى أبو علي يسري من سريت ، ورواه ابن الأعرابي « يُشري » بالشين معجمة أي : يعلّق ويحرّك الهوى بصري ؛ وما أحسن هذه الرواية وأظرفها! انتهى .

أما الأول فهو مضارع سريت الثوب عني سرياً ، لغة في سروته عني سرواً بمعنى ألقيته. وأما الثاني فهو مضارع أشريته ، متعدي شري البرق شرى من باب فرح ، إذا كثر لمعانه ، وشري زمامُ الناقة إذا كثر اضطرابه ، وشرى الرجل واستشرى إذا لج في الأمر . وقوله : « أدنو فأنظور » روى ابن جنّي موضعه «أثني فأنظورِ » ، أي : أثـني عنقي فأنظر نحوهم ، من ثناه بمعنى لواهُ . قال أبو علي ، وتبعه ابن جنـي : لـو سميت

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١١٨/١ : " كذا ، وفي الشنقيطية مع أثر إصلاح من ثاني بيتين " .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " صار يصور ..." وفي حاشية الطبعة السلفية ١١٩/١ :" .. والمفهوم من القاموس أن صوراً بالتحريك مصدر صَوَرَ (كفرح) بمعنى مال . وأما صار فهي متعدية بمعنى أمال ، ومصدرها الصَوْر بسكون الواو " .

(٣) هي رواية الصاحبي لابن فارس ص٢١ .

رجلاً بأنظر لمنعته الصرف للتعريف ووزن الفعل ، ولو سميته بأنظور من قول الشاعر «أدنو فأنظور » لصرفته لزوال لفظ الفعل ، وإن كنا نعلم أن الواو إنما تولدت من إشباع ضمة الظاء وأن المراد عند الجميع : أنظر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر [١] : (الكامل)

١٢- يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ

تمامه : * زيَّافَةٍ مِثْلِ الفَنِيْقِ المُكْدمِ *

على أن « الألف » تولدت من إشباع الفتحة ، والأصل ينبع ، كذا قال جماعة؛ وقال ابن الأعرابي : « ينباع » ينفعل ، من باع يبوع إذا مرّ مراً ليّناً فيه تلوٍّ ، وأنكر أن يكون الأصل فيه ينبع ، وقال : « ينبع » يخرج كما ينبع الماء من الأرض ، ولم يرد هذا ، إنما أراد السَّيلان وتلوِّيه على رقبتها .

وفي « العباب » : وانباع العرق سال ؛ وأنشد هذا البيت؛ وقال : ويروى «ينبعّ» ، وقيل ينبَع فتولدت الألف من إشباع الفتحة ، ويروى «ينهمّ» أي : يذوب، يقال همَّه المرض إذا أذابه ، وانهمّ الشحمُ والبرد : ذابا. وإنكار ابن الأعرابي رواية ينبع مردود برواية الثقات ؛ وقوله : ليس المراد ينبع إلخ ، مردود أيضاً ، فإنَّ «الذفرى» هو الموضع الذي يعرق من الإبل خلف الأذن . وفاعل ينباع ضمير عائد على الرُّب أو الكُحيل في البيت السابق ، وجملة « ينباع » خبر كأنَّ ، وهو [٢] : (الكامل)

وكَأنَّ رُبّاً أوْ كُحيلاً مُعْقداً حَشَّ الوَقُودُ به جَوانِبَ قُمْقُمِ

---

(١) البيت لعنترة العبسي في ديوانه ص٢٠٤ ؛ والإنصاف ٢٦/١ ؛ وجمهرة أشعار العرب ٣٦٠ ؛ والخصائص ١٢١/٣ ؛ وسر صناعة الإعراب ٣٣٨/١ ، ٧١٩/٢ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٢٤ ؛ ولسان العرب (غضب ، بوع ، نبع ، آ) ؛ والمحتسب ٢٥٨/١ ، ٣٤٠ . وهو بلا نسبة في الخصائص ١٩٣/٣ ، ٢١٣ ؛ ورصف المباني ص١١ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٧٠/١ ، ٨٤/٢ ؛ ولسان العرب (شتر ، تنف ، زيف ، دوم ، خطا) ؛ ومجالس ثعلب ٥٣٩/٢ ؛ والمحتسب ٧٨/١ ، ١٦٦ ، ٢٥٨ .

رواية الديوان : "... غضوب حرة ... الفنيق المقرم " . أما رواية الجمهرة فهي نفس رواية الخزانة .

(٢) البيت لعنترة في ديوان ص٢٠٤ ؛ وتاج العروس (كحل ، قمم) ؛ وتهذيب اللغة ١٩٧/١ ؛ وجمهرة أشعار العرب ص٣٥٩ ؛ وجمهرة اللغة ص٢٢٠ ؛ واللسان (قمم)؛ والمخصص ٤١/١٤.وهو بلا نسبة في اللسان (عقد).

« الربّ » بضم المهملة معروف ، وهو شبيه الدِّبس و« الكُحيل » بضم الكاف وفتح الحاء المهملة : القطران ؛ شبّه عرق الناقة بهما . وقال الخطيب التبريزي : وقيل « الكُحيل » هِناء تُهنأ به الإبل من الجرب ، شبيه بالنِّفْط ، يقال له الخضخاض . وقال أبو جعفر النحوي : هو رديء القطِران ، يضرب إلى الحمرة ثم يسودّ إذا عقد .

وفي « العباب » : « الكحيل » مصغر : الذي يطلى به الإبل للجرب وهو النِّفْط، قاله الأصمعي . قال : والقطران إنما يطلى به للدَّبر والقُراد وشبه ذلك ؛ وأنشد هذا البيت. و« مُعقد » : اسم مفعول من أعقد ، وهو الذي أُوقد تحته النارُ حتى انعقد وغلظ . قال في « الصحاح » : « وعقد الرُّبُّ وغيره أي : غلظ ، فهو عقيد ، أعقدته تعقيداً . قال الكسائي : يقال للقطِران والربّ ونحوه أعقدته حتى تعقّد »، وهو وصف الثاني لا الأول فإن الربَّ يكون معقداً . و« حشّ » بالحاء المهملة ، يقال: حششت النار إذا أوقدتها . «والوقود» بفتح الواو : الحطب ، و« الوُقود » بالضم المصدر ؛ وهو فاعل حشّ . و«جوانب» مفعوله؛ ويجوز أن يكون حشّ بمعنى احتشّ أي اتقد، كما يقال : هذا لا يخلطه شيء بمعنى لا يختلط به ؛ فيكون «جوانب» منصوباً على الظرف ، كذا في « شرح أبي جعفر النحوي » . و«القمقم»كهدهد : الجرة وآنية معروفة [1] .

قال القاضي أبو الحسين الزوزني في شرحه : «شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل في قمقم أوقدت عليه النار ، فهو يترشح به عند الغليان ، وعرق الإبل شبّهه بهما وشبّه رأسها بالقمقم في الصلابة . وتقدير البيت : وكأنّ رباً أو كحيلاً حشّ الوقود بإغلائه في جوانب قمقم ، عرقُها الذي ينرشح منها » ا.هـ. و« الذِّفرى » بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء ، من القفا : الموضع الذي يعرق من الإبل خلف الأذن ، يقال هذه ذفرى أسيلة ، لا تنوّن لأن ألفها للتأنيث، وبعضهم ينوّن ويجعل ألفها للإلحاق ، وهي مأخوذة من ذفَر العرق ؛ لأنها أول مايعرق من الإبل الذفريان ، وأول مايبدو فيه السمن لسانه وكرشه ، وآخر مايبقى فيه السمن عينه وسُلاماه وعظام أخفافه . «والغَضُوب »بالغين والضاد المعجمتين قالوا: هي الناقة

---

(١) وكذا في القاموس ، ومثله في المصباح : " والقمقم : آنية العطار . والقمقم أيضاً : آنية من نحاس يسخن فيه الماء ، ويسمى المحمّ ، كخضم ؛ وأهل الشام يقولون : غلاية " .

وفي حاشية طبعة هارون ١٢٤/١ : " وقد رأيت اشتراكهما في تفسير القمقم وهو مفرد بأنه آنية ، والآنية جمع إناء، ففي عبارتهما تجوز .

العبوس ، والمراد الناقة الصعبة الشديدة المراس ، قال الخطيب في شرحه تبعاً لأبي جعفر: «الغضوب والغضبى واحد ، وغضوب للتكثير كما يقال ظلوم وغشوم »؛ وروى شارح شواهد التفسيرين : « من ذفرى أسيل »، قال : والأسيل من كل شيء: المسترسل الطويل السّهل . وهذه الرواية غير صحيحة ، لأنه إن كان بإضافة ذفرى إليه فكان يجب أن يقول أسيلة لأن كلامه في الناقة بدليل مابعده، وإن كان الأسيل وصفاً للذفرى - وإن صح بتقدير ألفها للإلحاق - لكن تبقى الذفرى غير مقيدة . و«الجسرة» بفتح الجيم وسكون السين المهملة قال في «الصحاح »: الجسر العظيم من الإبل، والأنثى جسرة .

وفي «الشروح» : «الجسرة» الماضية في سيرها ،ومنه جسر فلان على كذا، وقيل هي الضخمة القوية.وروى بدله «حرة»والحر: الجيد الأصل ،والخالص من كل شيء .

و«الزّيّافة» بفتح الزاي المعجمة وتشديد المثناة التحتية والفاء ،مبالغة زائف، وهو من زاف يزيف زيفاً وزيفاناً إذا تبختر في مشيته ،كذا في «العباب». وقال الخطيب: هي المسرعة. و« الفنيق» بفتح الفاء وكسر النون: الفحل . «المُكْدم»: الذي لا يؤذى ولا يركب لكرامته على أهله، والمكدم بضم الميم وسكون الكاف اسم مفعول، قياسه أن يكون من أكدمه، لكنهم[1] لم ينقلوا إلاّ كدمه ثلاثياً من الباب الأول والثاني[2]، قالوا الكدم : العضّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار . والمكدَّم بالتشديد: المعضّض . وروى موضعه «المُقْرم» على وزنه ، وهو: البعير الذي لا يُحمل عليه ولا يذلّل ، وإنما هو للفِحلى بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة . قال الزوزني: يقول: ينبع هذا العرق من خلف أذن ناقة غضوب موثقة الخلق،شديدة التبختر في سيرها، مثل فحل من الإبل قد كدمته الفحول،شبهها بالفحل في تبخترها ووثاقة خلقها وضخمها.

وهذان البيتان من معلقة عنترة ، وهي من أجود شعره . وكانت العرب تسميها المذهبة[3] بصيغة اسم المفعول من الإذهاب أو التذهيب ، وهما بمعنى التّمويه والتّطلية بالذهب .

---

(١) في طبعة بولاق : " لكونهم " . وهو تصحيف . وفي طبعتي السلفية وهارون : " لكنهم " .

(٢) يعني بابي " نصر ، وضرب " .

(٣) معلقة عنترة في الجمهرة ليست من المذهبات ، بل هي من المجمهرات ، فلعل البغدادي سها عن ذلك . فشعراء المذهبات سبعة ، وهم عبد الله بن رواحة ، ومالك بن عجلان ، وقيس بن الخطيم ، وأحيحة بن الجلاح ، وأبو قيس بن الأسلت ، وعمرو بن امرئ القيس .

ومعنى المعلّقة : أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يُعبأ به ولا يُنشده أحدٌ ، حتى يأتيَ مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش ، فإن استحسنوه رُوي وكان فخراً لقائله وعلّق على ركن من أركان الكعبة حتى يُنظر إليه ، وإن لم يستحسنوه طُرح ولم يعبأ به .

وأول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس ، وبعده علقت الشعراء . وعددُ من علّق شعره سبعة، ثانيهم طرَفة بن العبد ، ثالثهم زُهير بن أبي سُلمى ، رابعهم لبيد بن ربيعة ، خامسهم عنترة ، سادسهم الحارث بن حلّزة ، سابعهم عمرو بن كلثوم التّغلبي، هذا هو المشهور .

وفي « العمدة » لابن رشيق [١] : « وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة [٢] قال : أصحاب السبع التي تسمى السموط[٣] امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو وطرفة، قال : وقال المفضل : من زعم أن في السبع التي تسمى السُّمُوط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . فاسقطا من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حلّزة ، وأثبتا الأعشى والنابغة .

وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر ، فكتبت في القباطيِّ[٤] بماء الذهب ، وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدةٌ يقول : علّقوا لنا هذه ، لتكون في خزانته » .

ونذكر إن شاء الله خبر كل واحد من أصحاب القصائد ، وأنسابهم والسبب الذي دعاهم إلى قول تلك القصائد ، عندما يأتي شعر كل منهم .

وقد طرح عبد الملك بن مروان شعر أربعةٍ منهم وأثبت مكانهم أربعة .

وروي أن بعض أمراء بني أمية أمر من اختار له سبعة أشعار فسمّاها المعلّقات .

---

(١) العمدة في محاسن الشعر ٩٦/١ .

(٢) جمهرة أشعار العرب ص٩٧-٩٨ . ويبدو أن البغدادي خلط ، كما خلط قبله ابن رشيق بين قول أبي عبيدة والمفضل الضبي دون الرجوع إلى الجمهرة .

(٣) في أصول الطبعات : " تسمى السمط ". والتصويب من الجمهرة . والسموط : واحدها السمط ، وهو الخيط مادام فيه الخرز ؛ والسمط : خيط النظم لأنه يعلق .

(٤) القباطي : جمع قبطية ، وهي ضرب من الثياب ينسب إلى أقباط مصر .

والسبب الذي حمل عنترة على نظم هذه القصيدة : أنه كان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة ، حتّى سابّه رجل من قومه فعابه بسواده وسواد أمّه ، وأنه لا يقول الشعر ، فأجابه عنترة أبلغ جواب - نقله ابن قتيبة في طبقات الشعراء [1] - وقال : أما الشعر فستعلم ! فقال هذه القصيدة .

ويستحسن منها قوله في وصف روضة [2]: (الكامل)

وخلا الـذُّبـابُ بهـا فليسَ ببـارحٍ غَـرِداً كفِعلِ الشّـاربِ الـمُتـرنِّـمِ
هَـزِجـاً يَـحُـكُّ ذِرَاعَـهُ بـذراعِـهِ فِعْلَ الـمُكِبِّ على الزِّنادِ الأجْذَمِ

« البَراح » : الزّوال . و« الغرد » وصف من غرد ، من باب فرح ، إذا تغنّى. يقول : خلا الذباب بهذه الروضة فلا زال يرجّع صوته بالغناء كشارب الخمر . و«الهزَج » : تراكب الصوت . ومعنى « يحكّ ذراعه بذراعه » يُمرّ إحداهما على الأخرى. و« الأجذم » بالمعجمتين : صفة المكبّ ، وهو المقطوع اليد ؛ شبّه الذباب إذا سنّ إحدى ذراعيه بالأخرى بأجذم يقدح ناراً بذراعيه ، وهذا من عجيب التشبيه، يقال : إنّه لم يقل أحدٌ في معناه مثله ؛ وقد عدّه أرباب الأدب من التشبيهات العُقم ؛ وهي التي لم يسبق إليها ولا يقدر أحد عليها ، مشتق من الريح العقيم ، وهي التي لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة ، وقد شبه بعضُهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب ، وزاده اللطمَ فقال : (الكامل)

فِعْـلُ الأديْـبِ إذا خَـلا بهمـومِـهِ فعْلُ الذّبابِ يَرِنُّ عندَ فـراغِـهِ[3]
فـتَـراهُ يفـرُكُ راحَـتَيـهِ نَـدامَـةً منـهُ ويُتبعُـهـا بـلطْـمِ دمـاغِـهِ

و« **عنترة** » هو عنترة العبْسي بن شدَّاد بن عمرو بن قُراد ؛ قال الكلبي : شدّاد جدّه غلب على اسم أبيه ، وإنما هو عنترة بن عمرو بن شدّاد . وقال غيره : شداد

(١) الشعر والشعراء ١/١٧٢ ؛ والحديث فيه طويل ، ويبدو أن البغدادي أحجم عن ذكره كاملاً .

(٢) ديوان عنترة ص١٩٧-١٩٨ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤/ ٧٠ . ورواية الديوان :

فترى الذباب بها يغني وحده هزجاً ..."

(٣) في طبعة بولاق : " يزنّ عند فراغه " .

وفي الطبعة السلفية : " يرنّ عند فراغه " . ويقول الميمني في حاشية السلفية ١/١٢٥ :" في الطبعة الأولى (يزن) بالمعجمة وليس بصواب " . وفي حاشية طبعة هارون ١/١٢٨ :" كذا في النسختين . و " يزنّ " الوجه فيها يرن ، من الرنين أو الإرنان وهو الصوت . على أن الشعر يبدو أنه لمولد " .

عمه ، تكفّله بعد موت أبيه فنسب إليه . ويقال : إن أباه ادّعاه بعد الكبر. وذلك أنه كان لأمةٍ سوداء يقال لها زَبيبة ، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم ولد من أَمَةٍ استعبده . وكان لعنترة إخوة - من أمّه - عَبيدٌ . وكان سبب ادّعاء أبي عنترة إياه: أنّ بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم ، وفيهم عنترة ، فقال له أبوه : كرّ ياعنترة . فقال : العبد لا يحسن الكرّ إنما يحسن الحِلاب والصر ! قال : كرّ وأنت حر . فقاتلهم واستنقذ مافي أيدي القوم من الغنيمة ؛ فادّعاه أبوه بعد ذلك .

وهو أحد أغربة العرب وهم ثلاثة . والثاني خُفاف كغراب واسم أمّه ندبة كتمرة، والثالث السُّليك بالتصغير واسم أمّه السُّلَكة بضم ففتح ، وأمهات الثّلاثة سُود.

وكان عنترة أشجع أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده ، وكان شهد حرب داحسٍ والغبراء ، وحُمدت مشاهده فيها ، وقتل فيها ضمضما المريّ : أبا الحصْين بن ضمضم ، وأبا أخيه هرم ؛ ولذلك قال في هذه القصيدة [1] :

ولقد خَشِيتُ بأنْ أموتَ وَلَم تَدرُ ... للحَرْبِ دَائرةٌ على ابنَيْ ضَمْضَمِ
الشاتِمَيْ عِرْضِي ولَمْ أشْتمهُمَا ... والنّاذِرَيْن إذا لَمَ القهما دَمِي
إنْ يَفْعَلا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أباهُما ... جَزَر السِّباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

وهذا آخر المعلقة .

قال أبو عبيدة : إن عنترة ، بعد ما أوت عبس إلى غطَفان بعد يوم جَبَلَة وحَمْل الدماء احتاج ؛ وكان صاحبَ غارات ، فكبر وعجز عنها، وكان له يدٌ على رجل من غطفان ، فخرج يتجازاه فمات في الطريق .

ونقل عن أبي عبيدة أيضاً : أنّ طيّئاً تدّعي قتل عنترة ، ويزعمون أن الذي قتله الأسد الرَّهيص [2] وهو القائل : (الوافر)

---

(١) ديوان عنترة ص٢٢١-٢٢٢ .

ابنا ضمضم : حصين ومرة ؛ وهما من ذبيان من بني مرة . والعرض : نفس الرجل ؛ والعرض : الحسب . وقوله : "إذا لم ألقهما " ، أي : يقولان ذلك في الخلاء . والجزر : اللحم المجزور . والقشعم من النسور : المسن .

(٢) في جمهرة أنساب العرب ص٤٠٠ :" والأسد الرهيص ، اسمه حيان بن عمر بن عميرة بن ثعلبة بن غياث بن ملقط ، قيل : إنه قتل عنترة بن شداد العبسي .

أنا الأسدُ الرَّهيصُ قتلتُ عَمْرا وعنترةَ الفوارس قَدْ قَتَلتُ

والله أعلم . والعنتر [١] في اللغة : الذباب الأزرق ، الواحد عنترة ؛ قال سيبويه: نونه ليست بزائدة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر [٢] : (الرجز)

١٣- في كِلْتَ رِجْلَيْها سُلامَى زَائِدَهْ

كِلتاهما قَدْ قُرِنتْ بِواحِدَهْ

على أن «كلت » أصلها كلتا ، حذفت ألفها ضرورة ، وفتحة التاء دليل عليها، رأيت في حاشية الصحاح : أن هذا البيت من رجز يصف به نعامة ، فضمير «رجليها» عائد على النعامة . و« السُّلامى » على وزن حُبارى : عظمٌ في فِرسِن البعير ، وعظامٌ صغار طولَ إصبع أو أقل في اليد والرجل ، والجمع سُلاميات . والفِرسن بكسر أوّله وثالثه ، هو للبعير بمنزلة الحافر للفرس . والضمير في «كلتاهما » للرجلين . وقوله « في كلت » خبر مقدم ، والكسرة مقدرة على الألف المحذوفة ، و«سلامى» مبتدأ مؤخر. و« زائدة » وصفه و«كلتاهما » مبتدأ ، ومابعده الخبر .

وهذا المصراع تأكيد للأول ، وفيه قلب : يجعل المجرور والمرفوع في الأول مرفوعاً ومجروراً في الثاني ، أي : قرنت بواحدة من السلاميات .

وأورده الشارح – مرة ثانية هنا – على أن الكوفيين زعموا أن كلت مفرد كلتا، لكن هذا المفرد لم يستعمل ويجوز استعماله للضرورة ، كما في هذا البيت ؛ أقول : «الكوفيون » ذهبوا إلى أنّ كلا وكلتا فيهما تثنية لفظية ومعنوية ، وأصلهما «كُلّ » فكسرت الكاف وخففت اللام وزيدت الألف للتثنية والتاء للتأنيث . وقد بين الشارح مذهبهم ؛ واستدلوا على أنهما مثنّيان لفظاً ومعنى وأن ألفهما للتثنية ،

---

(١) في اللسان (عنتر) : " العَنْتَرُ والعُنْتَر والعَنْتَرَةُ ، كله : الذباب وقيل : العنتر الذباب الأزرق ، قال ابن الأعرابي : سمّي عنتراً لصوته ، وقال النضر : العنتر : ذباب أخضر " .

(٢) الرجز لأبي اللهماء في كتاب الجيم ١٥٠/٣ .

وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص٢٨٨ ؛ والإنصاف ٤٣٩/٢؛ وتاج العروس (كلا) ؛ والدرر ١٢٠/١ ؛ وشرح الأشموني ٣٢/١ ؛ واللسان (كلا) ؛ واللمع في العربية ص١٧٢ ؛ والمقاصد النحوية ١٥٩/١ ؛ وهمع الهوامع ٤١/١.

بالسماع والقياس . أما السماع فنحو هذا البيت ، فأفرد « كلت » وهي بمعنى إحدَى ، فدلّ عن أنّ « كلتا » تثنية وأما القياس فقالوا: الدليل على أنّ ألفهما للتثنية ، أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر إذا أضيفا إلى المضمر ، ولو كانت ألف قصر لم تنقلب .

وذهب « البصريون » إلى أنهما ليستا بمأخوذتين من كلّ ، لأنّ كلاًّ للإحاطة ، وهما لمعنًى مخصوص ، ليس أحد القبيلين مأخوذاً من الآخر ، بل مادّتهما الكاف واللام والواو وهما مفردان لفظاً مثنّيان معنى، والألف في « كِلا» كألف عصا وفي «كلتا » للتأنيث، ويدلّ لما قالوا عود الضمير إليهما تارة مفرداً حملاً على اللفظ ، وتارة مثنى حملاً على المعنى ، وقد اجتمعا في قوله[1] : (البسيط)

كِلاهُمَا حِينَ جَدَّ الجَرْيُ بَيْنهُمَا قَدْ أَقْلَعَا وكِلا أَنْفَيْهِما رابِي

ولو كانا مثنيين حقيقة لَلزِمَهم أمران :

الأول : كان يجب عود الضمير إليهما مثنى ،مع أن الحمل على اللفظ فيهما أكثر من الحمل على المعنى ؛ ونظيرهما كلّ ، فإنه يجوز عود الضمير إليها مفرداً بالنسبة إلى لفظها ، نحو كل القوم ضربته ، وعوده جمعاً بالنسبة إلى معناها نحو كل القوم ضربتهم، لكن الحمل على المعنى فيه أكثر من الحمل على اللفظ ، عكس كلا وكلتا .

الثاني : كان يمتنع نحو كِلا أخويك ، لأنه يلزم إضافة الشيء إلى نفسه . ويدل على أن ألفهما ألف مقصورة إمالتُها : كما قرأ حمزة والكسائي وخلف ، بإمالة قوله تعالى [2] : « إمَّا يبلُغنّ عِندَكَ الكِبَرَ أحَدهُما أو كِلاهُمَا »، وقوله تعالى [3] : «كِلْتَا الجنّتين آتتْ أُكُلَها » ، فلو كانت للتثنية لما جاز إمالتُها .

---

(١) هو الإنشاد الخامس والثلاثون بعد الثلاثمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .
البيت للفرزدق في ديوانه ٣٤/١ ؛ وأسرار العربية ص٢٨٧ ؛ وتخليص الشواهد ص٦٦ ؛ والخصائص ٣١٤/٣ ؛ والدرر ١٢٢/١ ؛ وشرح التصريح ٤٣/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٦٠/٤ ؛ وشرح شواهد المغني ص٥٥٢؛ ونوادر أبي زيد ص١٦٢ . وهو للفرزدق أو لجرير في اللسان (سكف) . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٤٤٧ ؛ والخصائص ٤٢١/٢ ؛ وشرح الأشموني ٣٣/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٧١ ؛ وشرح المفصل ٥٤/١ ؛ ومغني اللبيب ص٢٠٤ ؛ وهمع الهوامع ٤١/١ .

(٢) سورة الإسراء : ٢٣/١٧ .

(٣) سورة الكهف : ٣٣/١٨ .

وأجابوا عن الدليل الأوّل بأنه لا حجة في البيت فإن أصله كلتا ، حذفت الألف ضرورة واكتفى عنها بفتحة التاء ، كما قال الشاعر [١] : (الرجز)

* وَصَّانِـيَ العَجَّـاجُ فِيمَـا وَصَّنِـيْ *

أراد وصَّاني . وقال الآخر [٢] : (الوافر)

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مـا فَاتَ مِنِّي بِلَهْـفَ وَلا بِلَيْـتَ وَلا لَوَ انِّـي

أراد بلهفى ، فحذفت الألف منهُما ضرورة ، ومثله كثير .

أقول : استدلالهم بهذا البيت على الإفراد يردُّه معناه ، فإن المعنى على التثنية ، بدليل تأكيده بالمصراع الثاني ، فتأمل .

وأجابوا عن الدليل الثاني بأنها إنما قلبت في حال الإضافة إلى المضمر لوجهين :

«أحدهما » : أنّه لما كان فيهما إفرادٌ لفظي وتثنية معنوية ، وكانا تارة يضافان إلى المظهر وتارة إلى المضمر ، جعلوا لهما حظّاً من حالة الإفراد وحظّاً من حالة التثنية. وإنّما جعلوهما مع الإضافة إلى المظهر بمنزلة المفرد لأن المفرد هو الأصل؛ وجعلوهما مع الإضافة إلى المضمر بمنزلة التثنية لأن المضمر فرع والتثنية فرع ، فكان الفرع أولى بالفرع .

و« الثاني » : أنّه إنّما لم تقلب ألفهما مع المظهر لأنّهما لزمتا الإضافة وجر الاسم بعدهما ، فأشبهتا لدى ، وإلى ، وعلى . وكما أنّ هذه الثلاثة لا تقلب ألفها مع المظهر وتقلب مع المضمر ، وكان « كلا » و« كلتا » كذلك . ويدل على صحة ذلك أن القلب فيهما يختص بحالة النصب والجر دون الرفع ، لأنّ لديك إنّما تستعمل في حالة النصب والجر ، دون الرفع ، فلهذا المعنى كان القلب مختصاً بهما دون حالة الرفع .

---

(١) الرجز لرؤبة في ملحقات ديوانه ص١٨٧ ؛ وتاج العروس (وصى) . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤٤٩/٢.

(٢) البيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦٣/٢ ، ١٧٩ ؛ والإنصاف ٣٩٠/١ ؛ وأوضح المسالك ٣٧/٤ ؛ والخصائص ١٣٥/٣ ؛ ورصف المباني ص٢٨٨ ؛ وسر صناعة الإعراب ٥٢١/١ ، ٧٢٨/٢ ؛ وشرح الأشموني ٣٣٢/٢ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٢١ ؛ وشرح قطر الندى ص٢٠٥ ؛ ولسان العرب (لهف) ؛ والمحتسب ٢٧٧/١ ؛ والمقاصد النحوية ٢٤٨/٤ ؛ والمقرب ١٨١/١ ، ٢٠١/٢ ؛ والممتع في التصريف ٦٢٢/٢ .

قال ابن الأنباريّ في « كتاب الإنصاف » [١] : وهذا الوجه أوجه الوجهين ، وبه علل أكثر المتقدمين . قال : والدليل على أنّ الألف فيهما ليست للتثنية أنها لو كانت للتثنية لانقلبت في حالة النصب والجر إذا أضيفتا إلى المظهر ، لأن الأصل هو المظهر والمضمر فرعه ، فلما لم تنقلب دلّ على أنها ألف مقصورة لا أنها للتثنية . والله أعلم.

هذا وقد قال أبو حيان في تذكرته : « هذا البيت من اضطرار الشعراء ، وكلت ليس بواحد كلتا ، بل هُوَ جاء بمعنى كِلا ، غير أنه أسقط الألف اعتماداً على الفتحة[٢] التي قبلها ، وعملاً على أنها تكفي من الألف الممالة إلى الياء ، وما من الكوفيين أحد يقول : كلت واحدة كلتا ، ولا يدعي أنّ لكلا وكلتا واحداً منفرداً في النطق مستعملاً . فإنّ ادّعاه عليه مدّع فهو تشنيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم». انتهى .

ويؤيده ما رأيته [٣] في معاني القرآن للفرّاء عند تفسير قوله تعالى : «كِلتا الجَنّتين آتتْ أُكُلها »؛ وهذه عبارته : وقد تُفرد العرب إحدى كلتي بالإمالة ، وهم يذهبون بإفرادها إلى تثنيّتها . وأنشدني بعضهم :

فـي كِلْتَ رِجْلَيـها سُلامى وَاحِدَهْ   كِلتـاهُمـا قَـدْ قُـرِنَـتْ بِـزَائِـدَهْ

يعني الظليم ، يريد بكلت كلتي [٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر : (الرمل)

١٤ - كِلْـتَ كَفَّيْـهِ تُـوالـي دَائِمـاً

بِجُيُـوشٍ مِـنْ عِقَـابٍ ونِعَـمْ

---

(١) الإنصاف ص٢٦٤ .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " اعتماداً على الكسرة التي قبلها ".
وفي حاشية الطبعة السلفية ١٢٩/١ : " نبه الأستاذ تيمور باشا على أن الصواب (اعتماداً على الفتحة) ". وكذا في طبعة هارون .

(٣) في طبعة بولاق : " ويؤيده على ما رأيته " . وفي طبعتي السلفية وهارون : " ويؤيده ما رأيته " بإسقاط "على" .

(٤) في طبعة بولاق : " كلتا " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية نقلاً عن النسخة الشنقيطية .

على أنّ «كِلت» مفرد كلتا عند الكوفيين . والكلام عليه كالكلام على البيت الذي قبله . ووالى بين الأمرين موالاة ووِلاء : تابعَ. و« الجيشُ »: الجندُ ، وقيل : الجند السائر لحرب أو غيرها . و« العقاب» : النّكال . و« النِّعم » : جمع نِعمة ، وهو المال هنا : والظاهر أن مراد الشاعر : أنّ إحدى يديه تفيد النعم لأوليائه ، والأخرى توقع النقم بأعدائه ، كما قال آخر [1] : (المتقارب)

يَداكَ : يَدٌ خَيْرُها يُرْتَجَى وأُخْرَى لأعْدَائِها غَائِظَةْ

وحينئذ فلا يتأتّى قول الكوفيين إن «كِلت» هنا بمعنى إحدى ؛ فوجب أن يكون أصله كلتا ، حذفت الألف ضرورة ، كما تقدم بيانه في البيت السابق . وفيه أيضاً مانقلناه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر [2] : (الطويل)

١٥-كِلانَا إذا مَا نَالَ شَيْئاً أفَاتَهُ

تمامه :

ومَنْ يَحتَرِثْ حَرثي وحَرْثَكَ يُهْزَلِ

على أنَّ «كلا» و«كلتا» لو كانتا مثنيين حقيقة لم يجزْ عود ضمير المفرد إليهما، كما عاد ضمير نال المفرد إلى « كلا » في هذا البيت ، فلما عاد إليها ضمير المفرد علم أنها مفردة لفظاً مثناة معنى ، فعاد إليها باعتبار اللفظ ، وهو الكثير . ويجوز أن يثنّى الضمير العائد إليها باعتبار المعنى .

وهذا البيت من أبيات أربعة رواها الرُّواة لتأبط شراً ، منهم الأصمعي ، وأبو حنيفة الدِّينَوَريّ في كتاب النبات ، وابن قتيبة في أبيات المعاني [3] . وخالفهم أبو سعيد السكّري ، وزعم أنها لامرئ القيس ، ورواها في معلقته المشهورة بعد قوله :

---

(١) البيت لطرفة بن العبد في ملحق ديوانه ص١٥٥ ؛ وشرح التصريح ١٨٢/١ ؛ والمقاصد النحوية ٥٧٢/١ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٧/٧ ، ١٨ ؛ وأوضح المسالك ٢٢٨/١ ؛ وتخليص الشواهد ص٢١٢ ؛ وشرح الأشموني ١٠٦/١ ؛ ولسان العرب (غيظ).

(٢) البيت لتأبط شراً في ديوانه ص١٨٤ ؛ وهو لامرئ القيس في ملحق ديوانه ص٣٧٢ ؛ وشرح القصائد العشر ص٦٩-٧١ ؛ وهو بلا نسبة في لسان العرب (حرث) ؛ وكتاب العين ٢٠٥/٣ .

(٣) كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ص٢٠٩ .

كأنّ الثريّا عُلّقتْ في مَصامِها ... بأمْراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

والأبيات هذه [١] : (الطويل)

وقِرْبَةِ أقْوامٍ جَعَلتُ عِصامَها ... عَلَى كَاهِلٍ مِنّي ذَلُولٍ مُرَحَّلِ
وَوَادٍ كجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُه ... بِهِ الذّئْبُ يَعْوِي كالخليعِ المُعَيَّلِ
فقلتُ لَهُ لمَّا عَوَى : إنَّ شأنَنا ... قَليلُ الغِنَى إنْ كُنتَ لمَّا تموَّلِ
كلانَا إذا مَا نَالَ شيئاً أفاتَهُ ... ومَنْ يَحترِث حَرْثي وَحَرْثَكَ يُهْزَلِ

وهذا الشعر أشبه بكلام اللص والصُّعلوك ، لا بكلام الملوك .

« الواو » واو رُبَّ [٢] . و« العصام » : الحبل الذي تحمل به القربة ويضعه الرجل على عاتقه وعلى صدره . و« الكاهل » : موصل العنق والظهر . و«الذّلول»: فعول من ذلّت الدابة ذِلاًّ بالكسر : سهلت وانقادت ، فهي ذلول. و« المرحَّل » : اسم مفعول من رحَّلته ترحيلاً ، إذا أظعنته من مكانه وأرسلته . يصف نفسه بأنه يخدم أصحابه.

قوله : « ووادٍ كجوف العيرِ .. إلخ» الواو حرف عطف ، عطفت على مجرور واو رب ، وجوف العير فيه قولان :

أحدهما : أنه مَثَلٌ لما لا ينتفع منه بشيء . قال أبو نصر : والعَير عند الأصمعي الحمار ، يُذهَب به إلى أنه ليس في جوف الحمار شيء يؤكل وينتفع به إذا صيد ، فجوف الحمار عندهم بمنزلة الوادي القفر . وفي « كتاب العشرات » للتميمي [٣] . في المثل : « تركه جوفَ حمار » ، أي : ليس فيه ما ينتفع به .

---

(١) الأبيات في معلقة امرئ القيس في شرح القصائد العشر للتبريزي ص٦٩-٧١ . والبيت الأول لتأبط شراً في ديوانه ص١٨١ ؛ وتاج العروس ولسان العرب (عصم) ؛ ومقاييس اللغة ٣٣٣/٤ . وهو بلا نسبة في كتاب العين ٣١٥/١ . والثاني لامرئ القيس في تاج العروس (عير) ؛ وجمهرة اللغة ص٤٨٩ ؛ وكتاب العين ١١٨/١ ، ٢٤٩/٢ ؛ ومقاييس اللغة ٢١٠/٢ ؛ وليس في ديوانه . ولتأبط شراً في ديوانه ص١٨٢ ؛ وتاج العروس (عيل) . ولتأبط شراً أو لامرئ القيس في تاج العروس (ضلع) . والبيت الرابع لتأبط شراً في ديوانه ص١٨٤ ؛ ولامرئ القيس في ملحق ديوانه ص٣٧٢ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (حرث) ؛ وكتاب العين ٢٠٥/٣ .

(٢) النقل من كتاب التبريزي شرح القصائد العشر ص٧٠-٧١ .

(٣) ذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون كتاب العشرات لابن خالويه ، و لم يذكر كتاب العشرات للتميمي.

الثاني : أنّ العَيرَ رجل من العمالقة ، وقيل مِن عاد ، كان له بنون ووادٍ خصيب وكان حسنَ الطّريقة ، فخرج بنوه يتصيّدون فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم فكفر بالله وقال : لا أعبدُ ربّاً أحرق بنيّ ! وأخذ في عبادة الأصنام ، ودعا قومه إليها فمن أبى قتله ، فسلط الله على واديه ناراً ، فأهلكه وأخرب واديه . والوادي ، بلغة اليمن : الجَوْف.

قال حمزة الأصبهاني في أمثاله : قال أبو نصر : قال الأصمعي : حدّثني ابن الكلبي عن فَروة بن سعيد عن عفيف الكندي : أنّ هذا الذي ذكرته العرب كان رجلاً من بقايا عاد ، يقال له : حِمار بن مُوَيْلِع ، فعدلت العرب عن ذكر الحمار إلى ذكر العَير لأنّه في الشعر أخف وأسهل مخرجاً .ا.هـ .

وقد ضربت العرب المثل به في الخراب والخلاء فقالوا [1] : « أخرب من جوف حمار». و« أخلى من جوف حمار » . قال الشاعر [2] : (الرمل)

وَبِشُؤمِ البَغْيِ والغَشْمِ قَدِيماً ما خَلا جَوفٌ ولَم يَبقَ حِمارُ

وقالوا أيضاً : « أكفر من حمار » . وقال بعضهم : أراد بجوف العير وسط السيف. والعير: وسط السيف .

و« الخليع » ، قال ابن قتيبة في أبيات المعاني : هو الذي قد خلعه أهله لجناياته . و« المعيَّل »: الذي تُرك يذهب ويجيء حيث شاء . وقال الخطيب التبريزي [3]: «الخليع: المقامر ، ويقال : هو الذي خلع عذاره فلا يبالي ما ارتكب . والمعيَّل: الكثير العيال ؛ وأراد يعوي عواء مثل عواء الخليع ». وقوله : «إن كنتَ لما تموّل » لما نافية ، وتموّل : مضارع محذوف منه التاء ، الماضي تموّل [4] إذا صار ذا مال . ومثله مال الرجل يمول ويَمال مَولاً ومُؤولاً . يقول : إن كنت لم تصب من الغنى ما يكفيك فإنّ

---

(١) المثل في الدرة الفاخرة ١/١٨٠ ؛ ولسان العرب (جوف) ؛ والمستقصى ١/٩٨ ؛ ومجمع الأمثال للميداني ١/٢٥٧ .

(٢) البيت بلا نسبة في تاج العروس (حمر) ؛ ومعجم البلدان (جوف) .

والبغي : الظلم والتعدي . والغشم : الظلم الشديد .

(٣) شرح القصائد العشر بتصرف يسير .

(٤) في طبعة بولاق : " ماضي تمول " . وهو تصحيف . وفي طبعتي السلفية وهارون : " الماضي تمول " . وهو الصواب .

شأننا قليل الغنى : أي : أنا لا أغني عنك وأنت لا تغني عني شيئاً ، أي : أنا أطلب وأنت تطلب فكلانا لا غنى له ومن رواه « طويل الغِنى » أراد : همَّتي تطول في طلب الغنى.

وروى ابن قتيبة [1] :

وقلت له لما عوى إن ثابتاً * قليلُ .... الخ.

وقوله : «كلانا إذا مانال » إلخ ، نال ينال نيلاً : أصابه . وأفاته : فوّته ولم يدَّخره. ورواه ابن قتيبة :

* كلانا مُضِيعٌ لا خِزانةَ عنده *

والمضيع ، مِن أضاع المال بمعنى أهلكه .

وروى الدِّينَوَريّ :

* كلانا مقلٌّ لا خِزانةَ عنده *

وقال : يقال للعمل في الحرث - لزرعٍ كان أو لغرس - الحراثة والفِلاحة والإكارة ، ثم قيل للعمل في كلّ شيء حرث ، فقيل : فلان يحرث لآخرته . يقول : من يكسب كسبي وكسبك لا يستغني ، لأنه يعيش من الخلس ولا يقتني.

وقال الخطيب التبريزي : «أي : من طلب مني ومنك شيئاً لم يدرك مراده . وقال قوم : معناه مَن كانت صناعته وطلبته مثل طلبتي وطلبتك في هذا الموضع مات هزالاً ، لأنهما كانا بواد لا نبات فيه ولا صيد ».

و« **تأبط شراً** » اسمه ثابت ، وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان [2] بن عَميثل ابن عديّ بن كعب بن حرب بن تَيم بن سعد بن فَهم بن عمرو بن قيس عيلان. وأمه أميمة من قين : بطن من فهم .

وفي تلقيبه بتأبط شراً أربعة أقوال :

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " إن شأننا " . وهو تصحيف لا يستقم معه المعنى ، صوابه من المعاني الكبير ص٢٠٩ حيث عقب ابن قتيبة على النص بقوله : " وثابت : اسم تأبط شراً " .

(٢) انظر في ترجمته الأغاني ٢١ /١٢٧ ؛ وجمهرة أنساب العرب ص٢٤٣ ؛ والشعر والشعراء ص٢٢٩ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص٩٣ ؛ والسمط ص١٥٨ .

أحدها : وهو المشهور ، أنه تأبط سيفاً وخرج فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : لا أدري ، تأبط شراً وخرج .

الثاني : أن أمه قالت له في زمن الكمأة : ألا ترى غلمانَ الحي يجتنون لأهلهم الكمأة فيروحون بها ! فقال لها : أعطيني جرابك حتى أجتني لك فيه . فأعطته فملأه لها أفاعي من أكبر ماقدرَ عليه ، وأتى به متأبطاً له ، فألقاه بين يديها ، ففتحته فسَعين بين يديها في بيتها ، فوثبتْ وخرجت منه ؛ فقال لها نساء الحي : ماذا كان الذي تأبطه ثابتٌ اليوم ؟ قالت : تأبط شراً .

الثالث : أنه رأى كبشاً في الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول طول الطريق عليه ، فلما قرب من الحي ثقُل عليه حتى لم يُقلَّه ، فرمى به فإذا هو الغول ! فقال له قومه : بم تأبطت ياثابت ؟ فأخبرهم ، فقالوا : لقد تأبط شراً .

الرابع : أنه أتى بالغول فألقاه بين يديها ، فسئلت أمه عما كان متأبطاً ، فقالت ذلك ؛ فلزمه .

وكان أحدَ لصوص العرب يغزو على رجليه وحده ، وكان إذا جاع نظر إلى الظباء فيتنقّى على نظره أسمَنها ، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه .

وترجمته مذكورة في الأغاني بحكايات كثيرة يتعجب منها العقل لغرابتها .

و« قيس عَيلان » تركيب إضافي لأن عيلان اسم فرس قيس لا أبيه كما ظنه بعض الناس ، كذا في القاموس وغيره . وهو بفتح العين المهملة ، وليس عيلان في لغة العرب غيره وماعداه غيلان بالمعجمة . و« قيس » : أبو قبيلة من مضر ، واسمه الناس ابن مضر بن نزار ، وقيس لقبه . يقال : تقيَّس فلان ، إذا تشبّه بهم أو تمسّك منهم بسبب، إمّا بحِلْف أو جوار أو وَلاء .

قال رؤبة (١): (الرجز)

* وقيسَ عَيلان ومن تقيّسا *

---

(١) الرجز للعجاج في ديوانه ٢/٢١٠-٢١١ ؛ وأساس البلاغة (قيس) ؛ وتاج العروس (قعس) ؛ والتنبيه والإيضاح ٢/٢٩٧ ؛ ولسان العرب (قعس) . ولرؤبة في ديوان الأدب ٢/٤٦٥ ؛ ولسان العرب (قيس) ؛ وليس في ديوانه . ولجرير في تاج العروس (قيس) ؛ وليس في ديوانه . وهو بلا نسبة في ديوان الأدب ٣/٤٥٧ ؛ وكتاب العين ١/١٣٠ ، ٢/٣٤٩ .

ثم رأيت في شرح « أدب الكاتب » للجواليقي قال ، عند بيت رؤبة هذا: قيس عيلان بن مضر ، ويقال قيس بن عيلان ،واسمه الناس بالنون ، وأخوه إلياس بالياء وفيه العدد .وكان الناسُ متلافاً ، وكان إذا نفذ ماعنده أتى أخاه إلياس فيناصفه ماله أحياناً ويواسيه أحياناً [1] ، فلما طال ذلك عليه وأتاه كما كان يأتيه قال لـه إليـاس : غلبتْ عليك العَيلة فأنت عَيلان ، فسمِّي لذلك «عيلان » وجهُل « الناس ». ومن قال قيس ابن عيلان فإنّ عيلان كان عبداً لمضر حضن ابنه الناس فغلب على نسبه ا.هـ .

ومثله في « الأنساب » للكلبي ، قال : كان عيلان عبداً لمضر فحضن ابنه الناس.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر ، وهو من شواهد **س** [2] : (الوافر)

١٦- فَـلا أعْنِـي بِـذلكِ أسْـفَلِيكُمْ
ولَكنّـي أُرِيْـدُ بـهِ الـذَّوِيْنَـا

على أنّ « الذّوين » داخلٌ في حدّ الجمع المذكور على أيِّ وجه كان ، لأن واحده ذو.

وأنشده أيضاً في آخر باب الإضافة على أن قطع « ذو » وإدخال اللام عليه شاذ، وذلك لإجرائه مجرى صاحب .

وأنشده أيضاً في باب الجمع المذكر السالم على أنه لو اعتبر اللام أي لام الفعل لقال الذَّوَين كالأعلين ، فإن ذو مفتوح العين عند **س**.

قال أبو علي الفارسي في « الإيضاح الشعري » : «كسر العين من الذّوين وكان حقّها أن تفتح ، لأن ذوين جمع ذَوًى ، وقد ثبت[3] بـ « ذواتا أفنان » أن العين مفتوحة » ا.هـ .

قال في « الصحاح » : «ولو سمَّيتَ رجلاً ذو لقلت هذا ذَوًى قد أقبل ، فترد

(١) سيأتي في الجزء الخامس ٣٨٢/٥ : " ويؤيسه أحياناً " .

(٢) البيت للكميت بن زيد في ديوانه ١٠٩/٢ ؛ والدرر ٢٩/٥ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٢٧/٢ ؛ والكتاب ٢٨٢/٣ ؛ ولسان العرب (ذو) . وهو بلا نسبة في ما ينصرف وما لا ينصرف ص٨٦ .

(٣) سورة الرحمن : ٤٨/٥٥ .

ما ذهب منه ، لأنّه لا يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين ، لأن التنوين يذهبه فيبقى على حرف واحد » .

وأنشده **س** أيضاً في باب تغيير الأسماء المبهَمة [١] إذا صارت أعلاماً خاصة فإنه جمع ذو جمعاً سالماً وأفرده من الإضافة وأدخل عليه اللام وجعله اسماً على حياله .

قال في « الصحاح » : « ولو جمعت ذو مال لقلت هؤلاء ذوون ، لأن الإضافة قد زالت . وأنشد بيت الكميت وقال : أراد أذواء اليمن [٢] .

وكذلك قال أبو البقاء في «شرح الإيضاح النحوي » للفارسي : إنما جاز هذا لأنه أراد ملوك اليمن فقد أخرجه إلى باب المفرد ، ولذلك قالوا : الأذواء في هؤلاء .

لكن قال أبو بكر الزبيدي في «كتاب لحن العامة »: « لا يجوز أن تدخل اللام على «ذو» ولا على « ذات » في حال إفراد ولا تثنية ولا جمع ، ولا تضاف إلى المضمرات، وإنما تقع مضافة إلى الظاهر . وقد غلط في ذلك أهل الكلام وأكثر النحويين من الشعراء والكتاب والفقهاء . فأما قولهم في ذي رُعين وذي أصبَح ، وذي كلاع : الأذواء ، وقوله :

* ولكنّي أريد به الذّوينا *

فليس من كلامهم المعروف ، ألا ترى أنك لا تقول هؤلاء أذواء الدار ولا مررت بأذواء المال . وإنما أحدث ذلك بعض أهل النظر ، كأنه ذهب إلى جمعه على الأصل ، لأن أصل ذو « ذَوًى » فجمعه على أذواء ، مثل قفا وأقفاء . وكذلك الذوون ، كأنه جمعه مفرداً وأخرجه مُخرج الأذواء في الانفراد ، وذلك غير مقول ، لأن ذو لا تكون إلاّ مضافة ، وكما لا يجوز أن تقول هذا « الذو » و« الذوان » فتفرد ؛ فكذلك لا تقول الأذواء ولا الذوون ، لأن ذو لا تكون إلا مضافة وكذلك جمعها » ا.هـ .

والصحيح عند **س** ومن تبعه جواز جمع « ذو » في نحو ذي رعين : مما هو جزء علم على الأذواء والذوين كما في شعرالكميت ، وهو عربيٌّ فصيح . ومراد الزبيدي

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " المشبهة " . وفي حاشية الطبعة السلفية . ١٣٤/١ : " صوابه المبهمة " . وهو الصواب .

(٢) في الصحاح : " يعني به الأذواء ، وهم ملوك اليمن من قضاعة المسمون بذي يزن ، وذي جدن ، وذي نواس، وذي فائش ، وذي أصبح ، وذي الكلاع ، وهم التبابعة " .

بتغليط من ذكر : أنهم يقولون الذات وذاته ، فيدخلون اللام عليه ويضيفونه إلى الضمير وهو مؤنث ذو ، وهذا جائز أيضاً وإنْ توقّف فيه أكثر الناس ، فإن الذات قد أجري مُجرى الأسماء الجامدة ، فإن المراد به حقيقة الشيء ونفسه ، من غير ملاحظة موصوف يجري عليه .

قال الزركشيّ في تذكرته : « سئل الزمخشريّ عن إطلاق الذات على الله عز وجل ، فأجاب بأنها تأنيث ذو بمعنى صاحب ، وهي موضوعة ليوصف بها ما تلبّس[1] بما يلزمها الإضافة إليه من الأجناس في نحو قولهم : رجل ذو مال وامرأة ذات جمال، ثم قطعت عن مقتضاها وأجريت مُجرى الأسماء الجوامد ، فلا تلزم الإضافة ولا الإجراء على موصوف ، وعُني بها نفس الباري وحقيقته ، وأصلها في التقدير نفسُ ذات علم وغيره من الصفات ، ثم استغنى بالصفة عن الموصوف ، ومثله كثير .

وحُذف المضاف إليه لإرادة التعميم كما تحذف المفاعيل . فإن قلت : كيف جاز إطلاقه على الله مع ما فيه من التأنيث ، وهم يمنعون إطلاق « العلاّمة » عليه مع أن تاءه للمبالغة لما فيه من الإيهام؟ قلتُ : ساغ من حيث ساغ النّفْس والحقيقة ، ووجهه أن امتناع علامة لأنه صفة حُذي بها حذو الفعل في التفصلة بين المذكر والمؤنث ، بخلاف الأسماء التي لا تجري على مَجرى الأفعال في الفرق ، فلما انسلكت الذات في مسلك الأسماء جرت مجرى النفس والحقيقة .

فإن صحّ ما حكي عن العرب من قولهم: جعل الله ما بيننا في ذاته . وعليه بنى حَبيبٌ[2] قوله : (الطويل)

* ويَضـرِبُ فـي ذَاتِ الإلـهِ فَيُوجِـعُ *

فالكلمة إذن عربية ، وعلى ذلك استعمال المتكلمين » اهـ

---

(١) في اللسان (لبس) : " تلبس الشيء : تعلق به " .

(٢) في طبعة بولاق : " خبيب " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية وهارون .
عجز بيت لحبيب بن أوس الطائي ، وصدره :

* يَقُولُ فَيُسْمِعُ ويَمْشِي فَيُسْرِعُ *

والبيت في ديوان أبي تمام ص١٧٩ ؛ وسر صناعة الإعراب ٦٣١/٢ . وفي حاشية الطبعة السلفية ١٣٦/١ : "والبيت لأبي تمام حبيب بن أوس من قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف ... والشطر المستشهد به مقتبس من كلام عائشة رضي الله عنها إذ تقول في صفة أمير المؤمنين عمر : " وإذا ضرب في ذات الله أوجع " .

واعلم أن استشهادهم بشعر حَبيبٍ وبما وقع في الحديث من قوله : «ثلاث كذبات في ذات الله » لتصحيح هذه اللفظة ، فيه أن بعض المحققين قال : ليس معناه ما ذكروه ، وإنما معنى « ذات » فيه أمور تستند إلى الله مما أراده وأوجبه على عباده، من طاعته وعبادته والإيمان به ، ونحو ذلك ، وهو المتبادر منه بشهادة السياق والتأمل الصادق .

وهذا البيت من قصيدة الكميت بن زيد ، هجا بها أهل اليمن تعصباً لمضر. وسيأتي في الشاهد الرابع والعشرين سبب عصبيته لمضر ونظمه لهذه القصيدة .

يقول : لا أعني بهجوي إياكم أراذلكم ، وإنما أعني عِلْيتكم وملوككم . وروى[1]: (الوافر)

لَمْ أقْصِدْ بذلكَ أسْفِليكم ولكنّي عَنَيتُ بهِ الذّوينا

يقال : عنيته عَنيا من باب رمى : قصدته . فمفعوله « أسفليكم » وهو جمع مذكر سالم. واعتنيت بأمري : اهتممت واحتفلت . وعَنيت به أعني ، من باب رمى أيضاً عناية كذلك . وأما المبنيّ لمفعول نحو عُنيت بأمر فلان عناية وعُنِيًّا فهو بمعنى شُغلت به . ولتُعن بحاجتي ، أي : لتكن حاجتي شاغلةً لسرِّكَ . وربما قيل عَنيت بأمره بالبناء للفاعل . كذا في « المصباح » . و« الأسفلون » : جمع أسفل ، وهوخلاف الأعلى. يقال : سفَل سُفولاً من باب قعد ، وسفُل من باب قرب لغة : صار أسفل من غيره . وسفَل في خلقه وعمله سَفْلاً من باب قتل وسَفالاً ، والاسم السُّفل بالضم. ومنه قيل للأراذل سَفِلة بفتح السين وكسر الفاء، ويجوز التخفيف بنقل الكسرة إلى ما قبلها . وأراد بالذّوين الأذواء ، وهم ملوك اليمن المسمَّون بذي يزن ، وذي جدن ، وذي نواس ، وهم التبابعة .

وقال ابن الشجري في أماليه[2] ، وأذواء اليمن منهم ملوك ومنهم أقيال، والقيل دون الملك . ثم سرد من سُمي بذي كذا من ملوك اليمن ، وبالغ في جمعها وشرحها،

---

(١) البيت للكميت بن زيد في ديوانه ١٠٩/٢ ؛ والدرر ٢٩/٥ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٢٧/٢ ؛ والكتاب ٢٨٢/٣ ؛ ولسان العرب (ذو) .

وهو بلا نسبة في ما ينصرف وما لا ينصرف ص٨٦ . كذا البيت دخله الخرم . وهو حذف أول متحرك من الوتد المجموع .

(٢) أمالي ابن الشجري ١٧٠/١-١٧٤ .

فمن أرادها فلينظر ثمة .

ومن يقال له الكميت من الشعراء كما في « المؤتلف والمختلف »[١] للآمدي ثلاثة من بني أسد بن خزيمة .

أولهم : الكميت الأكبر بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة[٢] بن الأشتر بن جحوان - بتقديم المعجمة - ابن فقعس .

والثاني : الكميت بن معروف بن الكميت الأكبر .

والثالث : هو صاحب الشاهد ، وهو الكميت بن زيد بن الأخنَس بن مُجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن عامر بن دويبة[٣] بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة ابن دُودان بن أسد .

وهو كوفي شاعر مقدم عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ، ومن شعراء مضر وألسنتها المتعصبين على القحطانية المقارعين العالمين بالمثالب[٤] ، يقال: ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت ، فمن صحّح الكميتُ نسبَه صحّ ، ومن طعنَ فيه وهَن .

وسئل معاذٌ الهراء عن أشعر الناس فقال : من الجاهليين امرؤ القيس وزهير وعَبيد ابن الأبرص ، ومن الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل . فقيل له : ياأبا محمد ، ما رأيناك ذكرت الكميت ! قال : ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين .

وقال أبو عِكرمة الضَّبيّ : لولا شعر الكميت لم يكن للغة تُرْجُمان ، ولا للبيان لسان . يقال : إنّ شعره بلغ أكثر من خمسة آلاف بيت .

وقال أبو عبيدة : لو لم يكن لبني أسد منقَبة غير الكميت لكفاهم ، حبَّبهم إلى الناس وأبقى لهم ذكراً .

وقال بعضهم : في الكميت خصال لم تكن في شاعر . كان خطيب بني أسد ،

---

(١) المؤتلف ص ٢٥٧ .

(٢) في طبعة بولاق : " فضلة " . وهو تصحيف صوابه من المؤتلف ص٢٥٧ . وانظر في ترجمته الأغاني ١/١٧ ؛ والشعر والشعر ص٤٨٥ ؛ والمؤتلف والمختلف ص٢٥٧ ؛ ومعجم الشعراء ص٣٤٧ .

(٣) في الأغاني ١/١٧ ؛ والمؤتلف ص٢٥٧ : " ذؤيبة " .

(٤) في الأغاني ١/١٧ : " المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ، المفاخرين بها " .

وفقيهَ الشِّيعة ، وحافظ القرآن ، وكان ثَبْت الجَنان ، وكان كاتباً حسن الخطّ ، وكان نسابة ، وكان جدَليّاً .

وهو أول من ناظر في التشيُّع مجاهراً بذلك ، وله في أهل البيت القصائد المشهورة، وهي أجود شعره .

وكان في صغره ذكيّاً لوذعيّاً . يقال إنه وقف وهو صبي على الفرزدق وهو ينشد، فأعجبه سماعه ، فلما فرغ قال : يا غلام كيف ترى ما تسمع ؟ قال : حسنٌ ياعمّ . قال: أيسرك أني أبوك ؟ قال : أما أبي فلا أبغي به بدلاً ، ولكن يسرني أنك أمي ! فَحصِر الفرزدق وقال : ما مرَّ بنا مثلها .

وحكى صاعد ، مولى الكميت ، قال : دخلتُ مع الكميت على عليّ بن الحسين رضي الله عنه فقال : إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أنشده قصيدته التي أولها[1] : (الخفيف)

مَـنْ لِقَلْـبٍ مُتَيَّـمٍ مُسْتَهـامِ غَيْـرِ مَـا صَبْـوَةٍ وَلا أحْـلامِ

فلما أتى على آخرها قال له : ثوابك نعجزُ عنه ، ولكن ماعجزنا عنه فإن الله لايعجز عن مكافأتك : اللهم اغفر للكميت ، اللهم اغفر للكميت . ثم قسّط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له : خذ يا أبا المستهلّ. فقال له : لو وصلتني بدانق[2] لكان شرفاً لي ولكن إنْ أحببت أن تحسن إليّ فادفع إليَّ بعض ثيابك التي تلي جسدَك أتبرّكْ بها . فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلَّها ، ثم قال : اللهم إنَّ الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنّ الناس ، وأظهر ما كتمه غيره من الحق ؛ فأحْيِهِ سعيداً، وأمِتْه شهيداً ، وأرِهِ الجزاءَ عاجلاً ، وأجزل له جزيل المثوبة آجلاً ؛ فإنّا قد عجزنا عن مكافأته . قال الكميت : مازلت أعرف بركة دعائه.

وحدّث محمد بن سهل قال : دخلت مع الكميت على جعفر الصادق في أيام التشريق فقال : جعِلْتُ فداءك ، ألا أنشدك ؟ قال : إنها أيامٌ عظّام . قال : إنها

---

(١) مطلع هاشميته الأولى ص١١ .

والميتم ها هنا : المستعبد .

(٢) الدّانق : سدس الدرهم ، معرب (دانه) .

فيكم. قال : هات . فأنشده قصيدته التي أولها[١] : (الطويل)

أَلا هَـلْ عَـمٌّ فـي رَأْيِـهِ مُتأَمِّلُ وهَلْ مُـدْبِرٌ بعدَ الإساءَةِ مُقْبِلُ
وهَـلْ أُمـةٌ مُستيقظـونَ لِدِيْنِهِـمْ فَيكشِفُ عَنـهُ النَّعْسَةَ المُتَزَمِّلُ[٢]
فَقَدْطالَ هذا النَّومُ واسْتخرجَ الكَرَى مَسَاوِيَهُـمْ لو أنَّ ذا المَيْلِ يُعْدَلُ
وعُطِّلتِ الأَحْكـامُ حتّى كـأَننـا على مِلَّةٍ غَيـرِ التـي نَتَنَحَّـلُ
كَـلامُ النَّبِيِّـيـنَ الهُـداةِ كَلامُنـا وأفعالَ أهلِ الجَاهِلِيَّـةِ نَفْعَـلُ
رَضِيْنـا بِدُنيـا لا نُـريْدُ فِراقَهـا علَـى أَنّنا فِيهـا نَمُـوتُ ونُقْتَـلُ
ونَـحـنُ بِهـا مُسْتَمْسِكونَ كـأَنَّـها لنـا جُنَّةٌ مِمَّا نَخافُ ومَعقِـلُ

فكثر البكاء ، وارتفعت الأصوات؛ فلما مر على قوله في الحسين رضي الله عنه:

كـأَنَّ حُسَيناً والبَهـالِيْـلَ حَـولَـه لأَسْيافِهِمْ ما يَختلِي المُتبقِّلُ[٣]
وغَـابَ نَبـيّ اللـه عَنهُـمْ ، وفَقْـدُهُ على النَّاسِ رُزءٌ مـا هُناكَ مُجَلَّلُ
فَلَـمْ أَرَ مَخْـذُولاً أَجَلَّ مُصِيبَـةً وأَوْجَبَ مِنهُ نُصْرَةً حِينَ يُخذَلُ[٤]

فرفع جعفرٌ الصادق رضي الله عنه يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخّر وما أسرّ وما أعلن ، وأعطِه حتى يرضَى . ثم أعطاه ألف دينار وكُسوة . فقال له الكميت : والله ما أحببتكم للدّنيا ، ولو أردتُها لأتيت من هي في يديه ، ولكنني أحببتكم للآخرة . فأما الثياب التي أصابت أجسادكم فإني أقبلها لبركتها ، وأما المال فلا أقبله .

وكانت ولادة الكميت سنة ستين ، وهي أيام مقتل الحسين رضي الله عنه، وكانت وفاته سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد .

---

(١) الأبيات من هاشميته الرابعة ص١٤٦ - ١٤٨ . والأول في اللسان (عمي) .
يقول : هل من يجهل في رأيه متأمل، أي : ينظر ، وهل الذي ترك الحق يرجع إليه . والمتزمل : الذي قد تزمل في ثيابه . والنعسة : النومة . والكرى : النوم . والملة : الدين . والجنة : ما يجنك ويسترك . والبهاليل : جمع بهلول ، وهي الحي الكريم . والمجلل : العظيم . وأراد بالمخذول في البيت الأخير : الحسين عليه السلام ، لأنهم خذلوه و لم يقاتلوا عنه .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " المترتل " . صوابه من الهاشميات .

(٣)في طبعتي بولاق والسلفية : " المتبتل " . صوابه من الهاشميات .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : " لأجل مصيبة " صوابه من الهاشميات .

وكان السبب في موته أنه مدح يوسف بن عمر ، بعد عزل خالدٍ القسريّ عن العراق ، فلما دخل عليه أنشده مديحه معرِّضاً بخالد ، وكان الجند على رأس يوسف متعصبين لخالد ، فوضعوا سيوفهم في بطنه وقالوا : أتنشد الأمير و لم تستأمره [١] ؟! فلم يزل ينزف الدم منه حتى مات رحمه الله تعالى .

والكميت مشتق من الكُمْتة . يقال للذكر والأنثى ، ولا يستعمل إلا مصغّراً ، وهو تصغير أكمت على غير قياس ؛ والاسم الكمتة ، وهو من الخيل بين الأسود والأحمر . قال أبو عبيد : ويفْرق بين الكميت والأشقر بالعرف والذنب ؛ فإن كانا أحمرين فهو أشقر ، وإن كانا أسودين فهو الكميت .

ووجّه تصغيرَه س.بما يستحسن فقال لأنه لم يخلص له لون بعينه فينفرد به مكبراً . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر [٢] : (المتقارب)

١٧-ومَا كَانَ حِصْنٌ وَلا حَابِسٌ
يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

على أن الكوفيين وبعض البصريين جوّزوا للضرورة ترك صرف المنصرف بشرط العلمية . وأنشده أيضاً هنا في آخر الكلام على منتهى الجموع على أنّ الكوفيين يمنعون الصّرف بالعلمية وحدها ، لأنها سبب قويٌّ في باب منع الصّرف . أراد ببعض البصريين أبا الحسن الأخفش وأبا علي الفارسي وابن بَرْهان [٣] .

واشتراط العلمية لمنع الصّرف إنّما هو مذهب السُّهيليّ لاغير ، وأما الكوفيون فهم يجيزون ترك الصّرف للضرورة مطلقاً ، في الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدهم

---

(١) تستأمره : تستشيره .

(٢) البيت لعباس بن مرداس السلمي في ديوانه ١١١ ؛ والأغاني ٢٩١/١٤ ؛ والإنصاف ٤٩٩/٢ ؛ والدرر ١٠٤/١ ؛ وسمط اللآلئ ص٣٣ ؛ وشرح التصريح ١١٩/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣١٤/٧ ؛ وشرح المفصل ٦٨/١ ؛ والشعر والشعراء ٦٣٤/٢ ؛ واللسان (ردس) ؛ والمقاصد النحوية ٣٦٥/٤ . وبلا نسبة في تاج العروس (فوق) ؛ وسر صناعة الإعراب ٥٤٦/٢ ، ٥٤٧ ؛ وشرح الأشموني ٥٤٣/٢ ؛ ولسان العرب (فوق) .

(٣) هو أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان الأسدي العكبري ، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ .

قول الشاعر [١] : (الطويل)

فأَوْفَضَ مِنهـا وَهْيَ تَرْغُو حُشـاشَةً بِذِي نَفْسِـها والسَّيفُ عُرْيانُ أَحْمَرُ

قالوا : ترك صرف عريان وهو منصرف لأنّ مؤنثه عُريانة لا عريا ، وسيأتي مثلـه للشارح في هذا الباب . وقول الفرزدق - وقيل هو لابن أحمر - [٢] : (الطويل)

إذا قَـالَ عَـاوٍ مِـنْ تَنُـوخَ قَصِيـدَةً بِها جَرَبٌ عُـدَّتْ عَلَـيَّ بِـزوْبَـرَا

قالوا : ترك صرف« زوبر » وهو منصـرف ، ومعنـاه نسبت إليّ بكمالها ، مـن قولهم أخذ الشيء بزوبره ، إذا أخذه كلّـه . وقيـل « بزوبَـرا » ، أي : كذبـاً وزوراً ، وإن كان زوبر عند البصريين معرفة .

قال ابن جنّي في « المبهج »[٣] ، وهو تفسير أسامي شعراء الحماسة : سـألت أبـا علي عن ترك صرف زوبر ، فقال : جعلها علماً لما تضمنته القصيدة من المعنى.

وقال الزمخشري في « المفصل » : هو علم للكليّة كسبحان علم للتسبيح .

وكذا ذكره الشَّارح في « باب العلم » . نعم أكثر شواهدهم جاءت في الأعلام، وكأنهم راعَـوا بحسـب الأغلـب العلميـة في منـع الصّرف وحدهـا للضـرورة . كمـا أهملوها أيضاً للضرورة .

فالمسألة ثلاثية : الجواز مطلقاً ، وهو مذهب الكوفيين، والمنع مطلقاً وهو مذهب البصريين ، والجواز مع العلمية وهو مذهب السُّهيلي . وقد حكى هذه المذاهبَ الثلاثة الشاطبيُّ في «شرح الألفية » .

وقال المبرِّد : الرواية :

* يَفُـوقَـان شـيخـيَ فـي مـجمـــع *

---

(١) البيت بلا نسبة في الإنصاف ٤٩٧/٢ .

(٢) البيت لابن أحمر في ديوانه ص٨٥ ؛ والاشتقاق ص٤٨ ؛ وسمط اللآلئ ص٥٥٤ ؛ وشرح أبيـات المغـني ١٣٣/٢؛ ولسان العرب (زبر) ؛ والمعاني الكبير ص٨٠١ ، ١١٧٨ . وهـو للطرمـاح في ملحق ديوانه ص٥٧٤ ؛ وللطرماح أو لابن أحمر في شرح المفصل ٣٨/١ ؛ وللفـرزدق في ديوانه ٢٠٦/١ ، ٢٩٦ ؛ والإنصـاف ٤٩٥/٢ ؛ ولسان العرب (حقق) . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٣٣٧/١ ؛ والخصائص ١٩٨/٢ ، ٣٢/٣ .

(٣) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ص ٦٢ .

قال ابن مالك في « شرح التسهيل » : وللمبرِّد إقدامٌ في ردِّ ما لم يَرو ، مع أن البيت بذكر مرداسٍ ثابت بنقل العدل عن العدل في صحيح البخاري ومسلم؛ وذكر «شيخي » لايعرف له سندٌ صحيح ولا سبب يدنيه من التسوية ، فكيف من الترجيح؟!

وقال ابن جنّي في « سر الصناعة » ، بعد أن عارض الرواية المشهورة برواية المبرِّد : على أنَّ المبرِّد قد حكى عنهم « سلامُ عليكم » غير منون ، والقول فيه أنَّ اللفظة كثرت في كلامهم فحذف تنوينها تخفيفاً ، كما قالوا : لم يك ولا تُبَلْ ولا أدر. انتهى.

يريد : إن سلَّمنا رواية الكوفيين فهو من باب حذف التنوين لا من باب منع الصّرف. وهذا ظاهر في المنصوب . وليت شعري ما يقول في المجرور إذا جر بالفتحة ، كقول الشاعر[1] : (الكامل)

قَالَتْ أُمَيمَةُ ما لِثابتَ شَاخِصاً   عَارِي الأشَاجِعِ ناحِلاً بالمَفْصَلِ

فـ « ثابتَ » علم جر بالفتحة ، وقول الآخر : (الكامل)

وإلى ابنِ أمِّ أُناسَ تَعمدُ ناقَتِي   عَمْرٍو لتنجحَ نَاقَتِي أو تَتْلفُ

فجر « أُناسَ » بالفتحة ، وأم أناس بنت ذهل بن شيبان[2] ، و« عمرو » هو عمرو بن حُجر الكندي . وقوله[3] : (الطويل)

وَقائِلَةٍ ما بَالُ دَوْسَرَ بَعْدَنا   صَحَا قَلْبُه عَنْ آلِ لَيلَى وَعَنْ هِنْدِ

ونحو هذا من أبيات أخر .

واستدل الكوفيون على جواز ترك الصّرف ضرورة بالسماع والقياس : أما

---

(١) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص١٤ ؛ وأساس البلاغة (ثني) ؛ وتاج العروس (عرض) ؛ وتهذيب التهذيب ٤٦٢/١ ، ١٣٦/١٥ ؛ ولسان العرب (عرض) . وهو بلا نسبة في لسان العرب (ثنى) .

والأشاجع : رؤوس الأصابع أو عروق ظهر الكف ، مفردها أشجع .

(٢) في طبعة بولاق : " ذهل من بني شيبان " . وهو تصحيف . وفي حاشية الطبعة السلفية ١٤٢/١ : " ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة قبيلة معروفة . فقوله : ذهل من بني شيبان ليس إلا موهماً " .

(٣) البيت لدوسر بن دهبل في الأصمعيات ص١٥٠ ؛ والإنصاف ٥٠٠/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٣٦٦/٤ . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص٢٣٧ ؛ وشرح الأشموني ٥٤٣/٢ ؛ ومجالس ثعلب ص١٧٦ .

السماع ، فكثرة الشواهد وهي تزيد على عشرين بيتاً ذكرها ابن الأنباري في كتاب «الإنصاف »، وأثبتها « البصريون » بروايات ليس فيها ترك الصرف ، فقالوا في قوله:

* وقائلة ما بال دوسر بعدنا *

الرواية :

* وقائلة ما للقُريعيّ بعدنا *

وقالوا في قوله [1] : (مجزوء الوافر)

ومُصْعَبُ حِينَ جَدَّ الأمْـ ـرُ أكثَرُهَا وأطيَبُهَا

الرواية : « وأنتم حين جدّ الأمر » . وهكذا رووا في سائر الأبيات .

فقال الكوفيون : الرواية الصحيحة المشهورة ما رويناه ، ولو سلّمنا صحة روايتكم فما جوابكم عما رويناه مع صحته وشهرته . وأما القياس فإنه لما جاز صرف مالا ينصرف اتفاقاً وهو خلاف القياس جاز العكس أيضاً ، إذ لا فرق بينهما ، وأيضاً فإنه إذا جاز حذف الواو المتحركة ضرورة من قوله [2] : (الطويل)

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نَجيبُ

وأصله « فبينا هو » ، فجواز حذف التنوين ضرورة من باب أولى ، لأن الواو من « هو» متحركة والتنوين ساكن ، ولا خلاف أنّ حذف الحرف الساكن أسهل من حذف المتحرك .

وأما البصريون فقالوا : لا يجوز ترك الصّرف ، لأن الأصل في الأسماء الصرف ، فلو أنّا جوَّزنا ذلك أدّى إلى ردّه عن الأصل إلى الفرع ، ولالتبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وعلى هذا يُخرَّج حذف الواو من هو نحو قوله : « فبيناه يشري رحله »

---

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص١٢٤ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٥٠١ ؛ وشرح المفصل ٦٨/١ .

(٢) البيت لعجير السلولي في الدرر ١٨٨/١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٣٢/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٨٤ ؛ والكتاب ص١٤١ ؛ ولسان العرب (هدبد ، ها) . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٥١٢ ؛ والخصائص ٦٩/١ ؛ ورصف المباني ص١٦ ؛ وشرح المفصل ٦٨/١ ، ٩٦/٣ .

فإنه لا يؤدّي إلى لَبس . وإنما جاز في الضرورة صرف مالا ينصرف لأنه من أصل الاسم ، فإذا اضطّروا ردّوه إلى أصله وإن لم ينطقوا به في السعة ، كما لم ينطقوا بنحو ضننوا في السعَةِ[1] بخلاف منع الصرف لأنّه ليس من أصل المنصرف ألا ينصرف .

وقد ذهب ابن الأنباريّ ، في كتاب « الإنصاف » [2] مذهب الكوفيين؛ لكثرة النقل الذي خرج عن هذا الشذوذ والقلة فقال : « ولما صحّت الرواية عند الأخفش والفارسيّ وابن برهان ، من البصريين ، صاروا إلى جواز ترك الصرف ضرورة تبعاً للكوفيين ؛ وهم من أكابر أئمة البصريين والمشار إليهم من المحققين » .

وأجاب عن كلمات البصريين فقال : « أما قولهم : يؤدي ترك الصرف إلى الفرع ؛ قلنا : هذا يبطل بحذف الواو من هو في قوله : « فبيناه يشري » خصوصاً على أصل البصريين فإن الواو عندهم أصلية ؛ وقولهم : لا التباس بحذفها غير مسلّم ، فإنك إذا قلت : غزا هو ، بتأكيد الضمير المتصل بالمنفصل ، فإذا حذفت الواو حصل اللبس ، وكذلك يحصل اللبس بصرف ما لا ينصرف فإنّه يوقع لبساً بين المنصرف وغيره ، ومع هذا وقع الإجماع على جوازه . فإن قالوا : الكلام هو الذي يتحصل القانون به دون الشعر ، وصرف مالا ينصرف لا يوقع لبساً بين ما ينصرف وبين ما لا ينصرف لأنّه لا يلتبس ذلك في اختيار الكلام ، قلنا : وهذا هو جوابنا عما ذكرتموه ، فإنه إذا كان الكلام هو الذي يتحصّل به القانون فترك صرف ما لا ينصرف في الضرورة لا يوجب لبساً بينهما، إذ لا يلتبس ما ينصرف وما لا ينصرف في اختيار الكلام».

وأطال الكلام في الرد على البصريين .

وقد أورد الفارسيّ في تذكرته على أصل البصريين سؤالاً لم يجب عنه فقال: أفيجوز في الضرورة أن لا يعرب الفعل المضارع ، لأن الأصل كان فيه أن لا يعرب كما كان الأصل في الاسم أن لا يصرف [3] فإذا لم تعربه رددته إلى الأصل في

---

(١)ومثله قول قعنب بن أم صاحب ؛ اللسان (ضنن) :

مهلاً أعاذلُ قد جرَّبْتِ من خُلُقِي ... أنّي أجودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنُوا

(٢) كتاب الإنصاف ص٢٩٦ . والنص هنا فيه تصرف .

(٣) في طبعتي بولاق وهارون : " أن يصرف " . وفي حاشية الطبعة السلفية :" كانت في الطبعة الأولى أن يصرف، وهو خطأ " .

الضرورة كما رددت الاسم إلى الصرف في الضـرورة . واستشـهد على ذلك بقوله «فاليوم أشرب[١]» ونحو ذلك. قيل : أما الأبيات فليست بدليل قاطع ، لأنـه يجـوز أن يكون أجريت في الوصل مجرى الوقف ، وبقي النظر في هل يجوز أن لا يعرب .

هذا ما قاله و لم يجب عنه . قال الشّاطبيّ : وكأنه إشكال على مذهب البصريين ، لكن الجواب يظهر عنه بأدنى نظر . انتهى .

وهذا البيت من أبيات سبعة للعباس بن مرداس الصحابي رضي الله عنه ابن أبـي عامر بن حارثة بن عبد بن عبس[٢] بن رفاعة بن الحرث بن بُهثَة بن سُليم . أسلم قبـل فتح مكة بيسير ، وأمّه الخنساء الصحابية الشاعرة كما يأتي بيانه في ترجمتها .

وكان عباسٌ هذا من المؤلَّفة قلوبهم . ولما فرغ رسول اللـه صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حنين إلى أهلها أعطى المؤلَّفة قلوبهـم ، وكـانوا أشرافاً يتـألفهم ويتـألف بهم قومهم ، فأعطى أبـا سفيان وابنـه معاويـة ، وحكيـم بـن حـزام ، والحـارث بـن الحارث بن كَلَدة ، والحارث بـن هشـام ، وسُـهيل بـن عمـرو ، وحُويطـب بـن عبـد العُزّى، وصفوان بن أميّة - وكل هؤلاء من أشراف قريش - والأقرعَ بن حـابس بـن عقال [٣] بن محمد بن سفيان المجاشعي التميمي ، وعُيينة بن حِصـن الفـزاري ، ومـالك ابن عوف النصريّ ؛ أعطى كلّ واحد من هؤلاء مائة بعير ، وأعطى دون المائة رجـالاً من قريش ، وأعطى عباس بن مرداس أباعرَ ، فسَخِطها وقال يعاتب النبي صلـى اللـه عليه وسلم[٤] : (المتقارب)

---

(١) من بيت لامرئ القيس في ديوانه ٢٥٨ . وتمامه :

فاليـوم أشـــرب غيـــر مستحقــب ... إثـمـــاً مـــن الله ولا واغـــــل

(٢) هذا هو الصواب ، كمـا في جمهرة أنسـاب العرب ؛ والإصابة ؛ ومختلف القبـائل . وفي شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٧٨ :"... بن حارثة بن عبد الله بن عباس بن رفاعة ...."

وانظر في ترجمته الأغاني ١٤/٣٠٢ ؛والشعراء ص٣٦٢ ؛وشرح أبيات المغني ١/١٧٨ ؛ ومعجم الشعراء ص٢٦٢.

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية : " بن عنان " . وفي طبعة هارون نقلاً عن الإصابة : " بن عقال " .

(٤) الأبيات في ديوانه ص١١١-١١٢ ؛ والأغـاني ١٤/٣٠٨ ؛ والسيرة النبويـة ٢/٤٩٣-٤٩٤ ؛ وشـرح أبيـات المغني للبغدادي ٧/٣١٤ ؛ والشعراء ٢/٦٣٤ ؛ والكامل في التاريخ ٢/٢٧٠ .

والبيـت الأول في تـاج العـروس (نهـب ، عبـد) ؛ واللسـان (نهـب،عبـد). والبيـت الثـاني في الأغـاني ١٤/٢٩١ ؛ والإنصاف ٢/٤٩٩ ؛ والدرر ١/١٠٤ ؛ وسمط اللآلئ ص٣٣ ؛وشرح التصريح ٢/١١٩ ؛ وشرح المفصل ١/٦٨؛ والشعر والشعراء ١/١٠٧ ، ٣٠٦ ، ٢/٧٥٢ ؛ واللسان (ردس) ؛ والمقاصد النحوية ٤/٣٦٥ . وهو بلا نسبة =

أتجعلُ نَهْبي ونَهْبَ العُبَيـ ـدِ بَيْنَ عُيَينَةَ والأقْرَعِ
وَمَا كَان حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفُوقَان مِرْداسَ في مَجْمَعِ
وما كُنتُ دُونَ امرئٍ منهما ومَنْ تَضَعِ اليَومَ لا يُرفَعِ
وَقَدْ كُنتُ في الحَرْبِ ذَا تُدرإٍ فَلَمْ أُعْطَ شَيئا ولَمْ أُمْنَعِ
إلاّ أفَائِلَ مِنْ حَرْبَةٍ عَديدَ قَوَائِمِهِ الأرْبَعِ
وكَانَتْ نِهَاباً تَلافَيْتُها بكَرّي على المُهْرِ في الأجْرَعِ
وإيْقاظِيَ القَومَ أنْ يَرقُدُوا إذا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أهْجَعِ

« النهب » : الغنيمة . و« العُبيد » ، بالتصغير : اسم فرس العباس - وكان يدعى فارس العبيد - و« تدرأ » ، تفعل بضم التاء وفتح العين مهموز ، من الدرء وهو الدّفع ؛ قال في « الصحاح »: « وقولهم السلطان ذو تدرإ : أي : ذو عدة وقوة على دفع أعدائه عن نفسه وهذا اسم موضوع للدفع » . وقوله : « فلم أعط شيئاً » إلخ ، أي : لم أعط شيئاً طائلاً ، أو لم أعط شيئاً أستحقه وهو المائة ، ولم أمنع من الإعطاء لأني أعطيت بعضاً، قيل كان أُعطي خمسين . واستشهد به النحاة على حذف الصفة لئلا يلزم التناقض . و« الأفائل » : جمع أفيل بالفاء ، كالفصيل وزناً ومعنى ، وقال الأصمعي : هو ابن سبعة أشهر أو ثمانية . ويجمع على إفال أيضاً بكسر الهمزة .

وهذه رواية سفيان بن عُيينة ، وروى ابن عقبة وابن إسحاق «إلاّ أفائل أعطيتُها» كذا في « الاستيعاب » لابن عبد البر . فلما أنشد هذه الأبيات بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قال : اقطعوا عني لسانه ، فأعطي حتّى رضي . وقال سفيان بن عُيينة: أتمّها له مائة .

وقال ابن أبي الإصبع ، في تحرير التحبير : قال لعلي[1] «ياعليّ اقطع لسانه عني». فقبضَ عَلَى يده وخرج به فقال : أقاطع أنت لساني يا أبا الحسن ؟ فقال إني لممضٍ

= في سر صناعة الإعراب ٥٤٦/٢ ، ٥٤٧ ؛ وشرح الأشموني ٥٤٣/٢ ؛ واللسان (فوق) ؛ والتاج (فوق) . والرابع في الدرر ٢٥/٦ ؛ وشرح التصريح ١١٩/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٩٢٥/٢ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٥١ ؛ والشعر والشعراء ٧٥٢/٢ ؛ واللسان (درأ) ؛ والمقاصد النحوية ٦٩/٤ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٣٢٢/٣؛ وشرح الأشموني ٤٠١/١ ؛ ومغني اللبيب ٦٢٧/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٠/٢ . والسادس في التاج (نهب)؛ واللسان (نهب ، جرع) .

(١) في شرح أبيات المغني للبغدادي ٣١٤/٧ :"... عني لسانه ، فأُعطي حتى رضيَ" .

فيك ما أُمرت ؟ ثم مضى به إلى إبل الصدقة فقال: خُذْ ما أحببت . قال : « وقول علي رضي الله عنه أحسن مواربة سمعتها في كلام العرب» . وفيه روايات أخر حكاها السيوطي في [شرح] شواهد المغني .

و«المرداس» : الحصاة التي يُرمى بها في البئر لينظر هل فيها ماء أم لا . وأخطأ شارح اللبّ حيث قال : إن مرداساً[1] هذا هو رأس الخوارج وكنيته أبو بلال ، وحكى رواية الأبيات للصحابي بِقِيلَ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر[2] : (الرجز)

١٨- أرَّقَنِي اللَّيلَةَ بَرْقٌ بالتَّهمْ
يَا لَكَ بَرْقاً مَنْ يشُقْه لا يُلَمْ

قال الشارح : وكذا « تهام » بفتح التاء في المنسوب إلى « التهم » بمعنى تهامة. يريد أن « الألف » في تهام - بالفتح - عوض من إحدى ياءي النسب ؛ كما في يمان إذ هو منسوب إلى يمن ، وإنّما قيد بفتح التاء لأنّك إذا كسرتها قلت : تِهاميٌّ بتشديد الياء لأنه منسوب إلى تهامة - بالكسر - ، فالألف من لفظها وليست بدلاً.

قال المرزوقي في « شرح فصيح ثعلب » : رجل تهامٍ أي : من أهل تهامة، والأصل تهميٌّ لأن تهماً قد وضع موضع تهامة ، لكنهم حذفوا إحدى ياءي النسبة وأبدلوا منها ألفاً ؟ وأنشد هذا البيت عن أبي علي الفارسي .

وقال ابن جنّي في « الخصائص » : « فإن قلت : فإن في تهامة ألفاً، فلم ذهبت إلى أنّ هذه الألف في تهام عوض من إحدى الياءين للإضافة ، قيل : قال الخليل في هذا: كأنهم نسبوه إلى فَعْل أو فَعَل ، وكأنهم كفّوا صيغة تهامة وأصاروها إلى «تهْم» أو « تَهَم » ، ثم أضافوا إليه فقالوا : تهام . وإنما مثّلَ الخليل بين فعل وفعَل و لم يقطع بأحدهما لأنه قد جاء هذا العمل في هذين المثالين جميعاً ، وهو الشّأم واليمن ، وهذا الترخيم الذي أشرف عليه الخليل ظنّاً قد جاء به السماع نصّاً ، أنشدنا أبو علي قال : أنشد أحمد بن يحيى » :

(١) رأس الخوارج هو مرداس بن حدير بن بلال ، أحد بني ربيعة بن حنظلة .

(٢) الرجز بلا نسبة في تاج العروس ؛ ولسان العرب (تهم) . والرواية فيهما : " يَشِمْهُ لا يَنَمْ " .

أرّقـنـي اللّيـلــة بـرق بـالـتـهــم * البيت

وقال أبو عبيـد البكـري ، في « معجـم مـا استعجم » : « التَّهـم » بفتـح أولـه وثانيه، قاله ابن الأعرابي. وأنشد :

أرَّقــنـي اللّيلـة بـرق بالتّـهم * . البيت

ثم قال : « تهامـة - بكسـر أولـه - : أرض طرفهـا مـن قبـل الحجـاز مـدارج العرْج، وأولها من قبل نجـد مـدارج ذات عـرق ؛ وسميـت تهامـة لتغير هوائهـا ، مـن قولهم: تهم الدّهن وتَمِهَ ، إذا تغيَّرت رائحته» ا.هـ .

وقال ابن حجَر في « شرح البخاري » : « وتهامـة اسـمٌ لكـل مـانزل مـن بـلاد الحجاز ، سميت بذلك من التَّهم بفتح المثناة والهاء ، وهو شدة الحر وركود الريح وقيل تغير الهواء». لكن صاحب الصّحاح والقاموس قالا : إنّ التّهـم مصـدر مـن تِهامـة . وبيَّنه صاحب القاموس فقال : « وتهامة - بالكسر - مكة شرفها اللـه تعـالى وأرض لا بلد ، ووهم الجوهري . ثم قال : والتَّهْمة - بالفتح - : البلـدة ، ولغـة في تِهامـة ، وبالتحريك : الأرض المتصوِّبة إلى البحـر كـالتَّهَم ، كأنهمـا مصـدران مـن تهامـة لأنّ التهائم متصوِّبة إلى البحر ، ا.هـ .

و« أرَّقني » : أسهرني ، من الأرق بالتحريك وهو السَّهر بالليل ، وفعله من باب فرح، وتعديته بالتضعيف . و« يا لك برقاً » تعجبٌ من الـبرق واستعظامٌ لـه ؛ وقـد شرح الشارح في باب الاستغاثة نحو هذا الـتركيب ؛ وبرقـاً تمييز ، وفيـه التفـات مـن الغيبة إلى الخطاب . والشوق إلى الشيء : نزاع النفس إليه ، يقال : شاقني الشيء أي: جعلني مشتاقاً، وإنمـا جعلـه الـبرق مشـتاقاً لأنَّ حبيبتـه في تلـك الأرض تذكـر بالـبرق وميض ثناياها فلم تأخذه سِنة ، كما قال الشاعر[1] : (الرجز)

جَـارِيَــةٌ فـي رَمضَــانَ الـمَـاضِـي　　　تُـقَـطِّـعُ الـحَـدِيْـثَ بـالإيْـمَـاضِ

وقال المتنبي : (الطويل)

أذا الغُصْنُ أمْ ذا الدِّعصُ أمْ أنْتِ فِتْنةٌ　　　وذيَّـا الـذي قبَّـلتـه البرقُ أمْ ثـغر

(١) هو الإنشاد السادس والعشرون بعد التسعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٧٦ ؛ وشرح أبيات المغني ٩٤/٨ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨١/٢ ؛ والإنصاف ١٤٩/١ ؛ وتاج العروس (خضض، رمض) ؛ ومغني اللبيب ٦٩١/٢ .

وأستحسنُ قول ابن نباتة المصري : (الطويل)

تَذَكَّرْتُ لمّا أنْ رَأيْتُ جَبِيْنَها ... هِلالَ الدُّجَى،والشَّيْءُ بالشيءِ يُذْكَرُ

وفاعل « يشقْه » ضمير البرق ، و« الهاء » مفعول وهو ضمير من الشرطية «ولا يلم» بالبناء للمفعول ، من اللوم وهو العذل جواب من ، ووجود « لا » النافية لا يمنع الجزم فإن المضارع المنفي بلا إذا وقع جزاء يجوز جزمه كقوله تعالى[١]: «إن تدْعُوهُمْ لايسْمعُوا دُعاءكم » . ويجوز رفعه ، لكن يجب اقترانه حينئذ بالفاء نحو قوله تعالى[٢]: « فمنْ يُؤْمنْ بربّه فلا يخافُ بَخْساً » .

وأورد ابن الأعرابي في نوادره بعد هذين البيتين ثلاثة أبيات أخر و لم يعزُ الشعر لأحد ، وهي : (الرجز)

مَا زالَ يَسرِي مُنْجِدا حتَّى عَتَمْ ... كأنّ في رَيّقِه إذا ابْتَسمْ
بَلقاءَ تَنفِي الخيْلَ عَنْ طفلٍ مُتم

و« منجد » : من أنجد إذا ذهب إلى النّجد ، والنجد : كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . و« عتم » : دخل في العَتمة ، والمشهور أعتم بالألف ، والعتمة بالتحريك : الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق . و« الرَّيّق » بالتشديد، وريِّق كل شيء : أوَّله . و« البلقاء » : الفرس التي فيها البَلَق ، وهو بياض وسواد . و« تنفي » : تطرد . و« الخيل » : مفعوله . وعن : متعلق بتنفي . و« المُتَمُّ » – بفتح التاء – : الولد الذي يولد لتمام مدته .

وهذا البيت مثل بيت أوس بن حجَر في رصف البرق وهو[٣] : (البسيط)

كَأنَّ رِيِّقَهُ لمَّا عَلا شَطِبا ... أقْرَابُ أبْلَقَ يَنفِي الخَيْلَ رَمَّاحِ

قال شارحه « ابن السكّيت » : « ريّقه » : مسترقّه ليس بمعظمه . و«الأقراب» : جمع القُرُب وهو الكَشح . يقول : ينكشف البرق كما يرمح الأبلق فيبدو بياضه .ا.هـ .

---

(١) سورة فاطر : ١٤/٣٥ .

(٢) سورة الجن : ١٣/٧٢ .

(٣) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص١٥ ؛ ولعبيد بن الأبرص في ديوانه ص٣٥ ؛ وأمالي القالي ١٧٧/١ ؛ وتاج العروس (شطب) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٣٤٣ ؛ ولسان العرب (شطب) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر ، وهو من شواهد **س**[1] : (الكامل)

١٩- يَحْدُو ثَمَانِيَ مُوْلَعاً بِلَقَاحِهَا

على أن « ثماني » لم يصرف في الشعر شذوذاً ، لما توهم الشاعر أنّ فيه معنى الجمع ولفظه يشبه لفظ الجمع ، وكان القياس أن يقول : ثمانياً .

قال ابن السيّد : في « ثماني » لغتان : الصرف لأنه اسم عدد وليس بجمع ، ومنع الصّرف لأنه جمع من جهة معناه ، لأنه عدد يقع للجمع ، بخلاف يمان وشآم ، لأنه غير جمع وفيه جمع ، فإن **س** وغيره قالوا : إنّه شاذ ، توهّم الشاعر فيه معنى الجمع فلم يصرفه . و لم يقل أحد إنّه لغة .

وفي «شرح شواهد الكتاب » للنحاس : قال سيبويه : « وقد جعل بعض الشعراء ثماني بمنزلة حذاري : حدثني أبو الخطاب ، أنّه سمع العرب ينشدون هذا البيت غير منوّن . وسمعت أبا الحسن يقول : إنّ هذا الأعرابيّ غلط وتوهّم أن ثماني جمع على الواحد وتوهّم أنّه من الثمن » ا.هـ . أي : توهّم أنّه الجزء الذي صيّر السبعة ثمانية فهو ثمنها .

وقال الأعلم الشنتمري : كأنه توهّم أن واحده ثمنية كحذرية ثم جمع فقال ثماني كما يقال حذاري في جمع حِذرية ، والمعروف صرفها على أنها اسم واحد أي : بلفظ المنسوب ، نحو يمان . والحذرية ، - بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وتخفيف المثناة التحتية : قطعة غليظة من الأرض .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

* حَتّى هَمَمْنَ بِزَيْغَةِ الإرْتَاجِ *

وقبل هذا البيت[2] :

وكَأَنَّ أَصْلَ رِحَالِها وَحِبَالِها عُلّقنَ فَوْقَ قُوَيرِحٍ شَحَّاجِ

---

(١) البيت لابن ميادة في ديوانه ص٩١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٩٧ ؛ ولسان العرب (ثمن) . وهو بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص١٦٤ ؛ وشرح الأشموني ص٥٢٢ ؛ والكتاب ٣/٢٣١ ؛ وما ينصرف وما لا ينصرف ص٤٧؛ والمقاصد النحوية ٤/٣٥٢ .

(٢) هذا البيت والذي قبله في ديوان ابن ميادة ص٩١ .

وهذان البيتان من قصيدة لابن ميّادة ، كما قال السيرافي . شبّه ناقته بسرعتها بحمار وحش قارح ، يحدو ثماني أتن : أي : يسوقها مولعاً بلقاحها حتّى تحمل ، وهي لا تمكنه فتهرب منه ؛ لأن الأنثى من الحيوان غير الإنسان ، لا تمكّن الفحل إذا حملت. و« الرحال » : جمع رحل ، وهو كل شيء يعدّ للرحيل من وعاء للمتاع ، ومركب للبعير، وحلس ورسَن . وضمير رحالها للناقة و« علقن » بالبناء للمفعول ، و«النون» ضمير الرحال والحبال ، واكتسب المضاف الجمعية من المضاف إليه لأنه يصحّ سقوطه. و« القويرح» : مصغر قارح، وهو من ذي الحافر الذي انتهت أسنانه ، وإنما ينتهي أسنانه في خمس سنين ، والتصغير للتعظيم . و« الشَّحَّاج » - بفتح الشين المعجمة وتشديد الحاء المهملة - ، قال في «الصحاح»: هو الحمار الوحشي ؛ وهو بدل من قويرح أو عطف بيان . و« يحدو » بمعنى يسوق ، وفاعله ضمير الشحاج ، والجملة صفة له . وأراد بالثماني أتُنه ولهذا حذف التاء منه ، أو لأنّ المعدود محذوف . و« المولع » من أُولع بالشيء بالبناء للمفعول ، فهو مُولع به بفتح اللام ، أي : أغرى به وعلِق به . و« اللّقاح » كسحاب: ماء الفحل في رحم الناقة .

وفي « المصباح »: اللّقاح - بفتح اللام وبكسرها - : اسم من ألقح الذكر والأنثى ، أي : أحبلها . وحتى غاية لقوله يحدو . وهمّ بالشيء من باب قتل ، إذا أراده و لم يفعله . و«الزّيغة»، - بفتح الزاي المعجمة - وسكون المثناة التحتية وبالغين المعجمة ، مصدر زاغ يزيغ، أي : مال . و« الإرتاج » - بالكسر - : مصدر أرتجت الناقة إذا أغلقت رحمها على ماء الفحل .. يريد أن هذا الحمار عدا خلف أتنه ليلحقها ويركبها حتى تحبل ، فهربت منه ، فكأنه ساقها سوقاً عنيفاً حتّى همّت بإسقاط ما أرتجت عليه أرحَامها من الأجنّة وإزلاقه، وكأن زمام هذه الناقة مرتبط بهذا الحمار الشديد الحرص على اللّقاح بأتُنه ، فهي تعدو بعدْوه ، وهذا غاية في سرعة الناقة .

وروى : «بربقْة الإرتاج» والربقة - بكسر الراء المهملة - وسكون الموحدة وبالقاف أراد به العَقْد ، لأنها إذا أغلقت فم الرحم على ماء الفحل فكأنها عقدته ، ومنه الحديث[١] : « فقد خلع ربقة الإسلام من عُنقه» أي : عَقد الإسلام. وأصل الربقة واحد الربق - بالكسر- ، وهو حبل فيه عدة عُرًى تشدّ به البَهْمُ ، الواحدة من العرى ربقة .ولابد من تقدير مضاف على هذه الرواية ، أي : حتى هممن بحل ربقة

(١) في اللسان ربق : " ويروى عن حذيفة : من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ؛ الربقة في الأصل : عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، فاستعارها للإسلام .." .

الإنتاج، يعني أرتجت هذه الأتن وانحلّت من شدة الجري حتّى لم تقدر أن تضبط مافي أرحامها.

ولم يقف الأعلم الشنتمري على البيت الأول . فظنّ أنّه في وصف راع فقال: وصف إبلاً أولع راعيها بلقاحها حتى لقحت ، ثم حداها أشدَّ الحُداء حتى همَّتْ بإسقاط مافي بطونها من الأجنَّة .

و« **ابن ميادة** » هو أبو شَراحيل وقيل أبو شُرحَبيل . واسمه الرَّماح ، كشدّاد بن يزيد. وهو من بني مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، رهط الحارث بن ظالم ، كذا في «كتاب الشعراء » لابن قتيبة[١] . وميادة أمّه ، وهي أم ولد بربرية ، وقيل صَقْلبيّةٌ ، وكان هو يزعم أنّها فارسية . وفي ذلك يقول[٢] : (الطويل)

أنا ابنُ أبي سَلْمى وَجَدّيَ ظَالِمٌ ... وأمّي حَصَانٌ حَصَّنتها الأعَاجِمُ
أليسَ غُلامٌ بين كِسْرى وظالِمٍ ... بأكرَمِ مَنْ نِيطَتْ علَيْهِ التَّمائِمُ

وسبب تسميتها أنّه لما أقبلوا بها من الشام نظر إليها رجل وهي ناعسة تتمايل على بعيرها فقال : إنّها لميادة ، فسمِّيت به وغلب عليها .

وابن ميادة شاعر مقدَّم فصيح ، لكنه كان متعرضاً للشر طالباً لمهاجاة الناس ، ومُسابَّة الشعراء ، وله مع الحَكم الخُضريّ[٣] مهاجاة ومناقضات كثيرة وأراجيز طويلة، وقد أدرك الدولتين .

كان في أيام هشام بن عبد الملك ، وبقي إلى زمن المنصور ، ومدح من بني أميّة الوليدَ بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ، ومن بني هاشم أبا جعفر المنصور وجعفر بن سليمان . ولما قال من قصيدة[٤] : (الطويل)

فَضلَنا قُرَيشاً غيرَ رَهْطِ مُحمد ... وغَيرَ بَني مَرْوانَ أهْلِ القَبائِلِ

---

(١) الشعر والشعراء ٢/٦٥٥ ؛ والأغاني ٢/٢٦١ ؛ وشرح شواهد المغني للبغدادي ١/٣٠٨ .

(٢) البيتان في ديوانه ص٢٢٧ ؛ والأغاني ٢/٢٦١ .

والحصان : العفيفة الشريفة .

(٣) في طبعة بولاق : " الحضرمي " . وهو تصحيف . صوابه من طبعتي السلفية وهارون . والخضري شاعر معروف ترجم له ياقوت في معجم الأدباء ١/٢٤٠-٢٤٥ ؛ وقال عنه : الخضري نسبة إلى خُضر بن محارب .

(٤) البيت في ديوان ابن ميادة ص٢٠٧ .

قال له إبراهيم بن هشام : أأنت فضلت قريشاً ؟! وجرّده وضربه أسواطاً . ولما سمع البيت الوليد بن يزيد قال له : قدَّمتَ آل محمد علينا ؟ قال : ما كنت يا أمير المؤمنين أظنّه يكون غير ذلك . فلما أفضت الخلافة إلى بني العباس قدِم على المنصور فمدحه ، فقال له لما دخل عليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره ، فجعل يتعجب ، و لم يعد إلى المنصور بعدها لما رأى قلة رغبته في مدائح الشعراء، ونزارة ثوابه لهم . وتوفي في صدر خلافته في حدود الست والثلاثين بعد المائة .

وبنو ذبيان تزعم أن ابن ميادة آخر الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم .

روى أبو داوود الفَزاري أنّ ابن ميّادة وقف يوماً في الموسم ينشد[1] :(الطويل)

لو انَّ جَميعَ النّاسِ كانوا بتَلْعَةٍ وجئْتُ بجَدِّي ظالمٍ وابن ظالمِ
لَظَلَّتْ رِقابُ النّاسِ خاضِعَةً لَنا سُجُوداً عَلى أقْدامِنَا بالجَماجِمِ

والفرزدق واقف عليه متلثم ، فقال له : يا ابن يزيد ، أنت صاحب هذه الصفة؟! كذبتَ والله ، وكذب سامع ذلك منك فلم يكذّبك . قال : فمن يا أبا فراس ؟ قال: أنا أولى به منك . وقال :

لو انَّ جَميعَ النّاسِ كانوا بتَلْعَةٍ وجئْتُ بجَدِّي دارمٍ وابنِ دارمِ
لَظَلَّتْ رِقابُ النّاسِ خاضِعَةً لَنا سُجُوداً عَلَى أقْدامِنا بالجَماجِمِ

فأطرق ابن ميّادة و لم يجبه ، ومضى الفرزدق وانتحلها[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون : (الرجز)

٢٠- بَلَغْتُها واجْتَمَعَتْ أشُدِّي

على أن « أشُدّ » جمع شدّة على غير قياس ، أو جمع لا واحد له بدليل تأنيث الفعل له .

---

(١) البيتان في ديوانه ص٢٢٧-٢٢٨ ؛ والموشح ص١٧٢ ؛ وأنساب الأشراف ٤٨/١٢ . والبيت الأول دخله خرم.

(٢) في الموشح ص١٧٢ : " ... قال : ثم أدخلهما في شعره " .

وانظر في ترجمة ابن ميادة الأغاني ٢٦١/٢ ؛ والشعر والشعراء ص٦٥٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٠٨/١ ؛ وطبقات الشعراء ص١٠٦ ؛ والمؤتلف ص١٨٠ ؛ ومعجم الشعراء ص٣١٩ .

وفي « الصحاح » . « كان س يقول : واحده شِدّة ، وهو حسن في المعنى لأنه يقال بلغ الغلام شِدّته ، ولكن لا يجمع فِعلة على أفعُل ، وأمّا أنعُم فإنّما هو جمع نُعم بالضم : ضد البؤس . وقيل هو جمع شَدّ بالفتح نحو كلب وأكلب وقيل جمع شِد - بالكسر - مثل ذئب وأذؤب . وكلا هذين القولين قياس وليسا بمسموعين ، وقيل هو جمع لا واحد له من لفظه مثل محاسن ومشابه ، وقيل هو ليس بجمع وإنّما هو مفرد جاء على صيغة الجمع مثل آنُك ، وهو الأسرُبّ ولا نظير لهما » .

وهذا قول أبي زيد [١] . وحكى في همزته الضمة : لغة في فتحها ، ومعنى الأشدّ القوة وهو مابين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين . وقيل : إلى أربعين ، أو إلى خمسين . قال سُحَيم بنُ وَثيل [٢] : (الوافر)

أخُو خَمْسِيْنَ مُجْتَمِعٌ أشُدّي ونجَّذَنِي مُداوَرَةُ الشُّؤونِ

وفي « عمدة الحفاظ » للسَّمين : هو جمع شِدّة بمعنى القوة والجلادة في البدن والعقل، وقد شدّ يَشِد شدّة إذا كان قوياً ، وأصل الشدّة العقد القويّ ، وشددت الشيء : قوّيت عقده، وأشُدّ يستعمل في العقل وفي البدن وفي قوى النفس .

هذا واستدلال الشارح المحقق - تبعاً لابن الحاجب في « شرح المفصل » - بتأنيث الفعل لكون أشد جمعاً محلُّ بحث ؛ فإن أهل التفسير واللغة أجمعوا على تفسيره بالقوة ، فيحتمل أن يكون تأنيث الفعل له باعتبار معناه لا لكونه جمعاً ، وكان ينبغي أن يستدل بمادّة الفعل وصيغته ، فإنّ الجمع معناه تأليف المتفرّق ، والاجتماع مطاوعه وهو تألف المتفرق ، فلا يتصوّر معناه إلاّ بين متعدد ، ولا يكون الاجتماع من شيء واحد . على أن الرواية :

بلغتها مجتمِعَ الأشُدّ

بالخطاب لا بالتكلم .

(١) يعني قوله هنا بأن كلمة " أشد " ، جمع شدة . انظر نوادره ص٥٤ .

(٢) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي في أساس البلاغة (دور) ؛ والأصمعيات ص١٩ ؛ وتاج العروس (دور) ؛ والتنبيه والإيضاح ٧٢/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٩/٤ ؛ ولسان العرب (نجذ ، دور ، درى) ؛ والمخصص ١٠٣/١٧.

وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (نجذ) ؛ وجمهرة اللغة ص٤٥٥ ؛ ولسان العرب (ربع) .

نجذني : حنكني وعرفني الأشياء . ومنجذ : محنك . ومداورة : معالجة . والشؤون : الأمور .

وهو من أرجوزة لأبي نُخيلة مدح بها هشام بن عبد الملك، منها[1] : (الرجز)

وقلت للعِيْسِ اعْتَلي وجُدّي	فهي تَخَدَّى أحْسَنَ التَّخدِّي
قَدِ ادَّرَعْنَ في مَسْيرِ سَمْدِ	لَيْلاً كلونِ الطَّيْلَسانِ الجَرْدِ
إلى أميرِ المؤمنينَ المُجْدِي	رَبِّ مَعَدٍّ وَسِوى مَعَدِّ
ممَّن دعَا مِنْ أصْيَدٍ وَعَبْدِ	ذِي المجدِ والتَّشْرِيْفِ بعدَ المجْدِ
في وَجْهِهِ بَدْرٌ بَدا بالسَّعْدِ	أنتَ الهُمامُ القَرْمُ عِنْدَ الجِدِّ
بُلِّغْتَها مُجْتَمِعَ الأشُدِّ	فانهَلَّ لمَّا قُمتَ صَوْبُ الرّعَدِ

و« العيس » : الإبل البيض يخالط بياضَها شقرة ، مفرده المذكر أعيس والمؤنث عيساء. و« اعتلي » : ارتفعي . و« الجدّ » - بالكسر - : الاجتهاد في الأمور ، تقول : جدّ في الأمر يجُدّ بالضم . و« تخدَّى » ، بالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ، أصله تتخدّى ، أي : تسرع ، حذفت منه التاء : من خدَى البعيرُ يخدِي خدياً : أسرع وزجَّ بقوائمه . و« السَّمد » ، - بفتح السين المهملة وسكون الميم - ، في «الصحاح» : وسمدت الإبل في سيرها : جدّت . وفي القاموس : هو السَّرمد أي : الطويل الدائم، يقال هو لك سمداً أي : سرمداً . و«الادّراع » : افتعال لبس الدِّرع وهو قميص المرأة . و« الطيلسان » : من لباس العجم ، لونه أسود للمهابة . و«الجَرد» الخَلَق ، يقال ثوب جرد . و« المجدي » : اسم فاعل من أجدى عليه بمعنى أعطاه عطاءاً كثيراً ، من الجَداء والجَدوى - بفتح الجيم فيهما - ، وهو المطر الذي لا يعرف أقصاه ، وقيل المطر العام . وربُّ كل شيء : مالكه ومستحقه . و« معدٌّ » : أبو العرب وهو معدّ بن عدنان .

وقوله « ممن دعا » بيان لقوله «سوى معد » . وقوله «من أصيد إلخ » بيان لمن دعا ، أي : هو سيد من دعا لنفسه من ملك وسُوقة. و«الأصيد » : الملك .

وقوله « أنت الهمام » التفات من الغيبة إلى الخطاب. و«الهُمام» : الملك العظيم الهمّة والسيِّد الشّجاع . و« القَرم » - بالفتح - : السيد ، وأصله الفحل المكرّم لا يُركب ولا يُرْحل . و« الجِد » - بالكسر - ضد الهزل ، تقول جدّ يجِدّ - بالكسر-.

وقوله « بَلغتها » بالبناء للفاعل ، وروى «بُلغتها» بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، وروى أيضاً « طُوِّقتها » بالبناء للمفعول والتشديد أيضاً ، والطوق : حَلْي

---

(١) الرجز وخبره في الأغاني ٢٠/٣٩٤-٢٩٥ .

العنق[1] وكل ما استدار بشيء ؛ وتطوقه : لبسه. وضمير «بلغتها » للخلافة المعهودة ذهناً . و« مجتمع » اسم فاعل حال من ضمير المخاطب ، ولا تضر بالإضافة لأنها لفظية . وظهر بهذا أن بيت الشاهد على غير وجهه ، ويحتمل أن يكون من أرجوزة أخرى ، والله أعلم . و« انهلَّ » بمعنى سال إن كان الصَّوْبَ بالباء الموحدة ، وبمعنى ارتفع ، إن كان الصوتَ بالمثناة الفوقية .. يريد إنك لما قمت بأمر الخلافة انفتح أبواب الخير .

وفي « الأغاني » أن أبا نخيلة قال : قرأتها حتى أتيت إلى آخرها وهممت أن أسأله فيها ، ثم تذكرت أنّ الناس نصحوني على أن لا أسأله شيئاً فإنه يحرم من يسأله، فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال : الغلام السّعدي أشعر من الشيخ أبي النجم العجلي . وخرجت فلما كان بعد أيام أتتني جائزته .. ولما أفضت الخلافة إلى السفّاح نقل هذه الأرجوزة الدالية إليه ، فهي إلى الآن في ديوانه منسوبة إلى السفّاح[2].

و« **أبو نُخيلة** » بضم النون وفتح الخاء المعجمة ، اسم الشاعر لا كنيته . كذا في الأغاني . وقال ابن قتيبة : اسمه يعمر ، وكنّي أبا نخيلة لأنّ أمه ولدته إلى جنب نخلة . ويكنى أبا الجنيد وأبا العرماس ، وهو من بني حِمَّان بن كعب[3] بن سعد ، - بكسر المهملة وتشديد الميم - . وكان عاقاً لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشأم فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه . وكان الأغلبَ على شعره الرجزُ ، وله قصيدٌ ليس بالكثير. ومن شعره [4] : (الطويل)

وإنَّ بِقَومٍ سَوَّدُوكَ لَحَاجَةً إلى سَيِّدٍ لَوْ يَظفَرونَ بِسَيّدِ

ولما خرج إلى الشأم اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسنَ إليه ، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغنَوه . وكان بعد ذلك قليل الوفاء :

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " والطوق : على العنق " . وهو تصحيف صوابه من اللسان (طوق) .

(٢) القصة بتفصيل أوضح في الأغاني ٢٠/٣٩٥ .

(٣) في طبعة بولاق : " حمار بن كعب " . وهو تصحيف ؛ وفي طبعتي السلفية وهارون " حمان بن كعب " . والتصويب من الشعر والشعراء ص٥٠١ ؛ والأغاني ٢٠/٣٨٩ .

وانظر في ترجمته الأغاني ٢٠/٣٩٠ ؛ والشعراء ص٥٠١ ؛ وشرح أبيات المغني ٥/٣٢٤ ؛ والمؤتلف ٢٩٦ .

(٤) البيت في الشعر والشعراء ٢/٥٠١ . وروايته : "... سودوك لفاقة .."

انقطع إلى بني العبّاس ، ولقّب نفسه بشاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العباس وهجا بني أمية . وكان طامعاً ، فحمله طمعُه على أن قال في المنصور أرجوزة يُغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهديّ ، فوصله أبو جعفر بألفي درهم ، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى، ففعل فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولًى له فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ وجهه[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والعشرون [2] : (الرجز)

٢١- جَذْبَ الصَّرارِيِّيْنَ بالكُرورِ

على أن « الصَّراريّ » جمع « صُرَّاء » وهو جمع صارٍ بمعنى الملاح ، وهو السَّفّان الذي يُجري السفينة . والصاري بالصاد والراء المهملتين على وزن القاضي معتل اللام بالياء ، وجمعه على صَوارٍ قياسٌ مطّرد لأنه جمع فاعل ، اسماً لا وصفاً ، بخلاف جمعه على صُرَّاء ؛ إذ جمع « فاعل » المعتل اللام على «فُعَّال» نادر ، نحو جانٍ وجُنّاء ، وغازٍ وغُزّاء ، وقارٍ وقُرَّاء ، ولما شابه صُرّاء وزن المفرد نحو زُنّار وكُلّاب جاز جمعه على فعاعيل نحو صَراريّ ، كما تقول زنانير وكلاليب ، ثم جُمع الصراريّ جمع تصحيح فقيل الصَراريّون. هذا تقرير كلام الشارح .

وقال أبو علي الفارسيّ في « الإيضاح الشعري » : « الأشبه أن يكون صُرّاء مفرداً جمعه صراريّ ، ألا ترى أن فُعَّالاً جمعاً كشُهّاد ولم نعلمه جاء مكسراً كما جاء تكسير فِعال نحو جمال وجمائل . وعلى هذا يكون الصُّرَّاء كالصّارى » .

وكلا هذين القولين خلاف المنقول والمسموع .

أما الأوّل فقد نقل الثقات - كابن السيرافيّ في « شرح شواهد إصلاح المنطق »، والجواليقي ، وابن السيد في « شرح شواهد أدب الكاتب » ، وصاحب « الصحاح» و«العباب» و « القاموس» - أن الصراري مفرد مثل الصاري ، وأن جمعه الصّراريّون، وأنشدوا له هذا البيت ، وأن جمع الصّاري الصُّرّاء كقوله :

* إشراف مُرْدِيّ على صُرَّائه *

---

(١) في الأغاني ٢٠/٣٩٠ : " وسلخ جلده " .

(٢) من أرجوزة طويلة للعجاج في ديوانه ٢٢٨-٢٢٩ .

فيكون « الصَّراري » من مادة الثلاثي المضعّف ، و« الصّاري » من مادة الثلاثي المعتل. إلاّ أنّ صاحب القاموس أساء حيث أورد الصّراريّ في المعتل أيضاً جمعاً للصّاري ، مع أن فاعلاً لا يجمع على فعاعيل ، وإنما الذي يجمع عليه « فُعَّال » بالضم والتشديد كما مر ، أو « فعّال » - بالفتح والتشديد- نحو : جبَّار وجبابير .

وزنة فعاليّ غير موجودة في أوزان المفردات من أبنية سيبويه وغيرها ، فيكون في الأصل منسوباً إلى «صرارة » وهو اسم نهر ، والذي لم يحج ، والذي لم يتزوج ؛ أو إلى «صَرار » بدون هاء وهو كسحاب وكتاب : اسم وادٍ بالحجاز .

وأما الثاني فقد قال الفرزدق[1] : (البسيط)

تَـرَى الصَّراريّ والأمـواجَ تَضْرِبُـهُ لَـوْ يَسْـتطيعُ إلى بَـرِيّــةٍ عَـبَـرَا

وقال خليفة بن حَمَل الطُّهَويّ[2] أيضاً : (البسيط)

تَرَى الصَّـراريّ فـي غَـبراءَ مُظْلِمَـةٍ تَعْلـوهُ طَـوْراً ويَعْـلُـو فَوقَـهـا تِـيَـرا

فقد رجع الضمير إليه في البيت الأول مفرداً ثلاث مرات ، وفي البيت الثاني رجع إليه مفرداً مرتين .

وقال القطامي ، في وصف غواصِ دُرَّةٍ شبه حبيبته بها ، من قصيدة[3] : (البسيط)

حتّى إذا السُّفْنُ كانتْ فَوقَ مُعْتَلِـجٍ أَلْقَى الـمَعَاوِزَ عَنْـهُ ثُمّتَ انْكَـتَـمَـا
في ذِي جُلول يُقَضِّي الموْتَ صَاحِبُهُ إذَا الصَّراريُّ مِنْ أَهْوالِـهِ ارْتَـسَـمـا

فلو كان جمعاً كما زعما لقال : ارتسموا . قال شارح ديوانه أبو سعيد السكّريّ: « والصّراريّ الملاح ، والصُّرّاء الملاحون ، والواحد صارّ » .

---

(١) البيت في ديوان الفرزدق ص٢٨٨ ؛ والتنبيه والإيضاح ١٤٧/٢ ؛ وتاج العروس (صرر) ؛ ولسان العرب (صرر) . رواية الديوان : " والأمواج تلطمه " .

(٢) البيت لخليفة بن حمل الطهوي في التنبيه والإيضاح ١٤٨/٢ ؛ولسان العرب(صرر) ؛ونوادر أبي زيد ص١٤٦ . ونسبته عند بعضهم إلى " خلف بن جميل الطهوي " تصحيف .

تير : جمع تارة .

(٣) البيتان في ديوان القطامي ص٩٩ ؛ والثاني في أساس البلاغة (رسم) ؛ وتاج العروس (صرر ، جلل) ؛ وتهذيب اللغة ٤٨٩/١٠ ؛ وديوان الأدب ٤١٧/٢ ؛ ولسان العرب (صرر ، جلل ، رسم ، قضى) ؛ ومقاييس اللغة ٤١٨/١ . وهو بلا نسبة في مجمل اللغة ٣٩٦/١ ؛ والمخصص ٥/١٠ .

وأورد الحريريّ في درّة الغواص البيت الثاني وزعم أنه يصف فُلكا .

و« المعتلِج » : اسم فاعل من اعتلجت الأمواج : التطمت واضطربت . و«المعاوز » - بالفتح - : جمع مِعوَز - بالكسر - ، وهو الثوب الخلَق الذي لا يتبدَّل، لأنّه لباس المعوزين . و« المعاوز » مفعول « ألقى » ، وفاعله ضمير الغواص في بيت قبله . و« انكتم » معطوف على ألقى ، وضميره كضميره .

وقوله « في ذي جُلول» متعلق بانكتم ، أي : توارى في ماء كثير عظيم. و«الجُلول » : جمع جُلّ ، وهو معظّم الشيء ، وقيل الجلول جمع جَلّ - بفتح الجيم-، بمعنى الشراع ، يعني ماءً فيه سفنٌ لها شُرُع . و« الارتسام » - بالسين المهملة: التكبير والتعوُّذ والدعاء . يقول : إن الملاح دعا وعوّذ حين شاهد عِظم الأهوال بتلاطم الأمواج .

وبيت الشاهد من أرجوزة للعجّاج يصف فيها سفينة . وقبله[1] : (الرجز)

لأياً يُنائيْهَا مِنْ الجُئُورِ جَذْبُ الصَّراريِّين بالكُرُورِ
إذْ نَفَحتْ في جَلِّها المَسْجُورِ حَدْواءُ جَاءَتْ مِنْ جِبالِ الطُّورِ

« اللأي » - بفتح اللام وسكون الهمزة - : البطء والشدة ، وهو منصوب على نزع الخافض أي : بلأي . و« ينائيها » : يباعدها من النأي ، وروى «يثانيها» بالمثلثة والنون من ثناه إذا عطفه . و« الجئور » : مصدر جار ، إذا عدل عن القصد، وهو مصدر سماعي جاء على فعول بالضم ، لكن همز عينه على مقتضى القاعدة .

ولم أر من نبه على هذا المصدر غير ابن السيرافيّ في «شرح شواهد إصلاح المنطق» وابن السيّد البَطْليوسيّ في « شرح شواهد أدب الكاتب » ، وكلاهما نبها عليه في هذا البيت ، وكذلك الجواليقي في « شرح أدب الكاتب » أيضاً . و«الكرور» : الحبالُ ، واحدها كر - بالفتح - ، قال أبو حنيفة في «كتاب النبات»:

---

(١) الرجز في ديوانه ٢٢٨-٢٢٩ ؛ وأشطره متناثرة بعضها في إصلاح المنطق ص١٢٩ ؛ والتنبيه والإيضاح ١٤٧/٢ ؛ وتاج العروس (صرر ، كرر) ؛ وتهذيب اللغة ٤٤٢/٩ ؛ وجمهرة اللغة ص١٢٦ ؛ ولسان العرب (صرر، كرر ، صرى) . وهي بلا نسبة في المخصص ٧٩/٨ ، ١٧١/٩ ، ٢٥/١٠ ، ٢٨ ، ١١٨/١٤ . والبعض في أساس البلاغة (حدو) ؛ وتاج العروس (حدا) ؛ وديوان الأدب ٦٤/٤ ؛ ولسان العرب (حدا) ؛ ومقاييس اللغة ٣٥/٢ ؛ ومجمل اللغة ٣٦/٢ .

رواية ديوانه : " لأيا يثانيها من الجؤور " . " .. في جله المثجور " . " من بلاد الطور " .

قال أبو خَيْرة [١] : الكر الغليظ من الحبال . وقال الطوسيّ: هو حبلٌ يكون من جلود وغيرها. وأنشد هذا البيت . و«حذبُ» فاعل « يُنائيها» . يقول : إذا عدلت هذه السفينة وجارت عن القصد لم يصرفها الملاحون عن ذلك إلاّ بعد بطء ومشقة . و«نَفَحت»[٢] بالحاء المهملة : هبّت. و« الجَلّ »- بفتح الجيم - : الشراع ، كما تقدم . و« المسجور» -بالسين المهملة والجيم- : الذي شدّ بالحبال . قال في «العباب» : اللؤلؤ المسجور : المنظوم المسترسل ، قاله أبو عبيد . وأنشد للمخبَّل السّعدي[٣]: (الكامل)

وإذا ألَـمّ خَيَـالُهَـا طُـرفَـتْ عَيْـنِـي فَمَـاءُ شُـؤُونِهَا سَـجْـمُ
كاللُّؤلُـؤِ المسْجُورِ أُغْفِـلَ فِـي سِـلْكِ النِّظَـامِ فَخَانَـه النَّظْـمُ

و« الحَدْواء » فاعل « نَفَحت »[٤] بالحاء والدال المهملتين ، وهي الريح التي تحدو السَّحاب، أي : تسوقها ، وهي ريح الشَّمال . و« الطُّور » : جبل ، والريح التي تجيء من قبله هي الشَّمال. و« حِيال الطور » : ناحيته وإزاؤه ، وهي - بكسر الحاء المهملة ، وبالمثناة التحتية - ، يقال قعد حياله وبحياله أي : بإزائه . وروى : «من بلاد الطور[٥]» .

و« **العجّاج** » اسمه عبد الله وكنيته أبو الشعثاء ، وتقدم نسبه في ترجمة ولده رؤبة في الشاهد الخامس ، وكان يقال له عبد الله الطويل ، ولقب بالعجّاج لقوله[٦]: (الرجز)

* حَتّـى يَعِـجُّ عِنْدَهـا مَنْ عَجْعَجَـا *

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " أبو حبرة " . وهو تصحيف وصوابه من الفهرست ص٦٨ . وهو أبو خيرة ، نهشل بن زيد ، أحد رواة الأعراب .

(٢) في طبعة بولاق : " لفحت " باللام . وصوابه من الديوان . ص٢٢٨ .

(٣) البيتان في ديوان المخبل السعدي ص٣١٢ ؛ وتاج العروس (سجر) ؛ ولسان العرب (سجر) ؛ والمفضليات ص١١٣ . والثاني في التنبيه والإيضاح ١٣١/٢ . وهو بلا نسبة في المخصص ٦٥/١ .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : " .. فاعل لفحت " . وهو تصحيف ذكرناه سابقاً .

(٥) رواية الديوان .

(٦) الرجز للعجاج في ديوانه ٨٢/٢ ؛ وتاج العروس (عجج ، ثخن) ؛ وتهذيب اللغة ٦٧/١ ؛ وجمهرة اللغة ص٩٠ ، ١٨٤ ؛ وكتاب العين ٦٧/١ ؛ ولسان العرب (عجج ، ثخن) .

وهو أول من رفع الرجز وجعَلَ له أوائل وشبَّهه بالقصيد .

* * *

وأنشد بعده للكميت ، وهو الشاهد الثاني والعشرون [١]: (المتقارب)

٢٢- وَلَـمْ يَسْـتَرِيْثُـوكَ حَتَّـى رَمَيْـ
ـتَ فَـوْقَ الـرِّجَـالِ خِصَـالاً عُشَـارا

على أن « عُشار » المعدول عن عشرة قد جاء في قول الكميت .

والمسألة مفصَّلة في الشرح .

قال الحريريّ في « درّة الغوّاص » : « روى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا البناء متّسقاً إلى عُشار ، وأنشد عليه ما عزي إلى أنه مصنوع[٢] ومنه[٣] : (مجزوء الرمل)

قُـلْ لِعَمْـرٍو يَـا ابْـنَ هِـنْـدٍ	لَـوْ رَأَيْـتَ الـيَـوْمَ شَـنَّـا
لَـرَأَتْ عَيْنَـاكَ مِنْهُـمْ	كُـلَّ مَـا كُنْـتَ تَـمَنَّـى
إذْ أَتَتْنَـا فَيْلَـقٌ شَـهْـ	ـبَـاءُ مِـنْ هَـنَّـا وهَنَّـا
وأَتَـتْ دَوْسَـرُ والمَـلْـ	ـحَـاءُ سَـيْـراً مُطْمَئِنَّـا
وَمَشَـى القَـوْمُ إِلَـى القَـوْ	مِ أُحَـادَ وأُثْـنَـى
وثُـلاثَـاً وَرُبَـاعَـاً	وخُمَـاسَـاً فَـاطَّعَنَّـا
وسُـدَاسَـاً وَسُـبَـاعَـاً	وثُمَـانَـاً فَـاجْتَلَـدْنَـا
وَتُسَـاعَـاً وعُشَـاراً	فَـأُصِبْنَـا وأَصَبْنَـا
لا تَـرَى إلاَّ كَمِيّـاً	قَـاتِـلاً مِنْهُـمْ وَمِنَّـا

ودلائل الوضع في هذه الأبيات ظاهرة . وكان خلفٌ الأحمر متَّهماً بالوضع. و« شنٌّ »: قبيلة. و« الفيلق »: الجيش ، وأنثه باعتبار الكتيبة . وهنّا - بالفتح اسم

(١) البيت في ديوان الكميت ١/١٩١ ؛ وأدب الكاتب ص٥٦٧ ؛ والدرر ١/٩١ ؛ ولسان العرب (عشر) . وهو بلا نسبة في الخصائص ٣/١٨١ ؛ وهمع الهوامع ١/٢٦ .

(٢) في طبعة بولاق : " مصوغ " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية وهارون .

(٣) الأبيات ٥-٨ بلا نسبة في درة الغواص ص٢٠١ ؛ والدرر ١/٩٣ ؛ والمزهر في علوم اللغة ١/١٧٩ ؛ وهمع الهوامع ١/٢٦ .

والكمي : الفارس الشاكي السلاح .

إشارة للقريب . و« دَوسر » : كتيبة للنعمان بن المنذر . و« الملحاء » : كتيبة أيضاً لآل المنذر .

وترجمة الكميت قد مضت في الشاهد السادس عشر .

قال ابن السيّد في « شرح شواهد أدب الكاتب » : « ومعنى يستريثوك يجدونك رائثا ، أي : بطيئاً ، من الرّيث وهو البطء .ورميت : زدت ، يقال رمى على الخمسين وأرمى، أي : زاد . يقول : لمّا نشأتَ نشء الرجال أسرعتَ في بلوغ الغاية التي يطلبها طُلاب المعالي ، ولم يُقنعك ذلك حتّى زدت عليهم بعشر خصال ، فُقْتَ السابقين وأيأست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين » . انتهى .

ووقع في رواية ابن جنّي في « الخصائص » « علوت » موضع رميت . وروى أبو جعفر النحاس :

حتّى أتيْتَ فَوقَ الرِّجَالِ خِلالاً عُشارا

وروى الحريريّ في الدرّة : « نصالاً » بدل خصالاً ، والأوّل هو الصحيح.

وهذا البيت من قصيدة للكميت ، يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله [1] : (المتقارب)

رَجَوْكَ وَلَمْ يَبْلُغِ العمرُ مِنْـ ـكَ عَشْراً ولا نَبْتُ فيك اتّغارا
لأدْنى خَساً أو زَكا مِنْ سِنيك إلى أرْبَعٍ فَبَقَوْكَ انْتِظَارا

وبعده بيت الشاهد . يقول : تبيّنوا فيك السُّؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سعيداً أميراً مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله « ولا نبتُ فيك اتّغارا» أي : أثغرتَ ولم تنبت أسنانك بعد .

في « الصحاح » : « وإذا سقطت رواضع الصبي قيل : ثُغر فهو مثغور ، فإذا نبتت قيل : اتغر ، وأصله اثتغر فقلبت الثاء تاء ثم أدغمت ، وإن شئت قلت اثغر بجعل الحرف الأصلي هو الظاهر» .

وقوله «لأدنى خساً أو زكا» الخسا – بفتح الخاء المعجمة – : الفَرد ، و«الزّكا»

---

(١) البيتان في ديوان الكميت ١٩١/١ ؛ والثاني في تهذيب اللغة ٣٢١/١٠ ؛ ولسان العرب (خسا ، زكا) ؛ والمخصص ١٢٨/١٧ .

– بفتح الزاي المعجمة – : الزوج ، وخسا وزكا ينون ولا ينوّن ، والمعنى أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقلّ ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن سار لك أربع سنين، فظهر للنّاس ما دلّهم على ما رَجوه منك وتفرّسوك عند كمال سنك وقوله فبقوك أي : انتظروك يقال بقوت الشيء إذا انتظرته ، ومنه يقال للمؤذّنين بُقَاة لأنهم ينتظرون أوقات الصلاة . و« انتظاراً » منصوب بقوله بقوكَ لأنه في معنى انتظروك انتظاراً.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون ، وهو من أبيات سيبويه[1] : (مجزوء الكامل)

٢٣- إلاّ عُلالَةَ أو بُدَا هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ الجُزَارَهْ

على أن المضاف يحذف مع دلالة ما أضيف إليه تابع ذلك المضاف عليه . ذكر الشارح المحقق في باب الإضافة أنّ هذا مذهب المبرّد ، وأيّده بما ذكره هناك على مذهب سيبويه ، وهو أن « علالة » مضاف إلى المجرور الظاهر ، و« بداهة » في الأصل مضاف إلى ضميره ، والتقدير : إلاّ علالة سابح أو بداهته، ثم حذف الضمير وجعل « بداهة » بين المتضايفين ، إلى آخر ماذكره . وسيأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى يخاطب بها شيبان بن شهاب ، منها [2]:

وهُناكَ يَكْذب ظَنُّكُم ... أنْ لا اجْتِمَاعَ ولا زِيَارَه

ولا بَراءَةَ لِلْبَري ... ء ولا عطَاءَ ولا خُفَارَه

إلاّ عُلالَةَ أو بُدا ... هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ الجُزَارَه

(١) البيت في ديوان الأعشى الكبير ص٢٠٩ ؛ والخصائص ٤٧/٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ٢٩٨/١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١١٤/١ ؛ وشرح المفصل ٢٢/٣ ؛ والشعر والشعراء ١٦٣/١ ؛ والكتاب ١٧٩/١ ، ١٦٦/٢ ؛ ولسان العرب (جزر ، بده) ؛ والمقاصد النحوية ٤٥٣/٣ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٦٢٦/٢ ؛ ورصف المباني ص٣٥٨ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١١٨ ؛ والمقتضب ٢٢٨/٤ ؛ والمقرب ١٨٠/١ .

(٢) الأبيات في ديوان الأعشى الكبير ص٢٠٩ ؛ والبيت الثاني في جمهرة اللغة ص٥٨٩ ؛ والمعاني الكبير ص٩٢٣ . والرابع في جمهرة اللغة ص١١٧١ ؛ وتاج العروس (جزر) ؛ ولسان العرب (جزر ، بده) .

إلى أن قال :

وَلا نُقَاتِلُ بِالعِصِيِّ ولا نُرَامِي بِالحِجَارَه

يقول : إذا غَزَوناكم علمتم أنّ ظنّكم بأننا لا نغزوكم كذب ، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل والسلاح غازينَ لكم ، ومن كان بريئاً منكم لم تنفعه براءته ، لأنَّ الحرب إذا عظمت لحق شرها البريءَ كما يلحق المسيء ، يريد إنّنا ننال منكم من المسيء والبريء بما تكرهون ، ولا نقبل منكم عطاءً ولا نعطيكم خفارة تفتدون بهما منا .

و« الخفارة » - بالضم والكسر - : الذمة ، قال في « المصباح »: «خَفَر بالعهد من باب ضرب وفي لغة من باب قتل ، إذا وفى به . وخفرت الرجل : حميته وأجرته من طالبه ، والاسم الخفارة - بضم الخاء وكسرها- » . وقوله « إلاّ علالة» استثناء منقطع من قوله « لا اجتماع[1]» أي : لكن نزوركم بالخيل. و«العُلالة » - بضم العين المهملة - : بقية جري الفرس وبقية كل شيء أيضاً ، وهو من التعلّل بمعنى التلهّي . و« البُداهة » - بضم الموحدة - : أول جري الفرس ، وأو للإضراب. ووقع في رواية ابن جنّي في « سر الصناعة » و« الخصائص » تقديم « بداهة » فهو على هذا لأحد الشيئين . و« السابح » : الفرس الذي يدحُو الأرض بيديه في العدْو ، ويروى بدله « القارح » وهو من الخيل : الذي بلغ أقصى أسنانه ، يقال قرَح ذو الحافر يقرَح بفتحهما قُروحاً: انتهت أسنانه ، وذلك عند إكمال خمس سنين . و«النّهد» - بفتح النون - : المرتفع . و« الجُزارة » - بضم الجيم - : الرأس واليدان والرجلان ، وهذا في الأصل فيما يذبح ، وسميت بذلك لأنّ الجزّار يأخذها في مقابلة ذبحها ،كما يقال أخذ العامل عُمالته -بالضم - ، فبقي هذا الاسم عليها . يريد أنّ في عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً ، فإنّه يستحب في عنق الخيل الطول واللين .

وقد فرق سليمان بن ربيعة بين العتاق والهُجن بالأعناق ، فدعا بطَست من ماء فوضعت بالأرض ، ثم قدّمت الخيل إليها واحداً واحداً ، فما ثنى سنبكه وهو مقدّم الحافر ثم شرب هَجَّنه ، وما شرب و لم يثن سنبكه جعله عتيقاً ، وذلك لأن في أعناق الهجن قِصَراً ، فهي لا تنال الماء على تلك الحالة حتّى تثنيَ سنابكها - ويستحبُّ أيضاً أن يكون ما فوق الساقين من الفخذين طويلاً فيوصف حينئذ بطول القوائم .

(١) في طبعة بولاق : " لا أجتلي " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية وهارون .

قال الشاعر[١] : (الخفيف)

شَـرحَبٌ سَـلهَب كَـأنَّ رِمَـاحـاً حَمَـلَتْـهُ وفِـي الـسَّـراةِ دُمُـوْجُ

و« الشرحب » و« السلهب » ، كلاهمـا على وزن جعفر ، بمعنى الطويل . و«السراة »- بفتح المهملة - : أعلى الظهر . و« الدموج » : دخول بعض الشيء في بعضه من شدته واكتنازه ، وأمَّا الساقان فيستحبّ قصرهما . وقال الشاعر[٢] : (المتقارب)

لَـهُ مَتْـنُ عَيْـرٍ وَسَـاقـا ظَـلِيْـم

« العير » : الحمار الوحشي . و« الظليم » : ذكر النّعام ، كذا في « أدب الكاتب » لابن قتيبة ، وبه يعلم سقوط قول الشنتمري : « النهد : الغليظ ، والجزارة: الرأس والقوائم ويستحب غلظهما مع قلة لحمهما » . وأوهى منه قول الجوهري وتبعه صاحب « العباب» ونقله العيني : « إذا قالوا فرس نهد أو عبل الجزارة فإنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبهما ، ولايدخل الرأس في هذا لأنّ عِظَم الرأس هجنة في الخيل». وخَبَط المطرِّزي في « شرح المفصل » خبط عشواء فقال : « يعني كنا في سفر أو حرب انقطع فيها جميع الأفراس عن السَّير، و لم يبق لها جريٌ إلا علالة أو بداهة فرس سابح » . هذا كلامه ، وكأنه لم يقِف على ما قبله من الأبيات .

وقوله « ولا نقاتل بالعصيّ إلخ » يصف قومه بأنهم أصحاب حروب يقاتلون على الخيل ، لا أصحاب إبل يرعونها فيقاتل بعضهم بعضاً بالعصيّ والحجارة.

« **والأعشى** » كنيته أبو بصير ، واسمه ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل . وكان أبوه قيس يدعى قتيل الجوع : وذلك أنه كان في جبلٍ فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدّت فم الغار فمات فيه جوعاً.

وكان « الأعشى » من فحول شعراء الجاهلية[٣] وممن قدّم على سائرهم ، سلك في شعره كلَّ مسلك ، وقال في أكثر أعاريض العرب ، وليس ممن تقدم من الفحول

---

(١) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة (دمج) ؛ وتاج العروس (سرو) ؛ ولسان العرب (سرا) .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية كتب الميمني : " المصراع ذكره القالي ونقله البكري و لم يثبت عليه شيئاً " .

(٣) عدّه ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء في الطبقة الأولى من الجاهليين . انظر الطبقات ص٥٢ .

أكثرُ شعراً منه. وسُئل ابن أبي حفصة : من أشعر العرب ؟ قال : شيخا وائل: الأعشى في الجاهلية والأخطل في الإسلام .

وسئل يونس النحوي[١] : من أشعر الناس؟ قال : لا أومئ إلى رجل بعينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وهو أول من سأل بشعره . وكانوا يسمُّونه صنّاجة العرب لجودة شعره . وكان أبو عمرو بن العلاء يفخّم منه ويعظّم محله ويقول : شاعر مُجيد ، كثير الأعاريض والافتنان. وإذا سئل عنه وعن لبيد قال : لبيد رجل صالح والأعشى رجل شاعر .

وروى المفضل بسنده عن الشعبي : قال عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده: أدّبهم برواية شعر الأعشى ، فإنه - قاتله الله - ما كان أعذبَ بحره وأصلب صخره!.

قال المفضل : مَنْ زعم أن أحداً أشعر من الأعشى فليس يعرف الشعر .

وكان الأعشى يفد على الملوك لاسيما ملوك فارس ، ولذلك كثُرت الألفاظ الفارسية في شعره ، قال ابن قتيبة في « طبقات الشعراء »[٢] : «وكان الأعشى جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام في آخر عمره ، ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحُديبَة ، فسأله أبو سفيان بن حرب عن وجهه الذي يريد، فقال : أردت محمداً. قال: إنه يحرّم عليك الخمر والزّني والقمار . قال : أما الزّنى فقد تركني ولم أتركْه ، وأما الخمر فقد قضيتُ منها وطراً ، وأما القمار فلعلّي أصيب منه عوضاً . قال : فهل لك إلى خير من هذا ؟ قال : وما هو ؟ قال : بيننا وبينه « هدنة » فترجع عامك هذا، وتأخذ مائة ناقة حمراء ، فإن ظفر بعد ذلك أتيته ، وإن ظفرنا كنت قد أصبت من رحلتك عوضاً . فقال: لا أبالي ! فأخذه أبو سفيان إلى منزله وجمع عليه أصحابه وقال: يامعشر قريش، هذا أعشى قيس ، ولئن وصل إلى محمد لَيُضَرِّبَنَّ[٣] عليكم العرب قاطبة . فجمعوا له مائة ناقة حمراء ، فانصرف فلما صار بناحية اليمامة ألقاه بعيره فقتله . انتهى .

---

(١) خبر السؤال في الأغاني ١٠٨/٩ .

(٢) الشعر والشعراء ص١٧٨-١٧٩ .

(٣) التضريب : الإغراء .

وقال شارح ديوانه محمد بن حبيب : وكان الأعشى فيما روي رحل[1] عند ظهور النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى مكة ، وكان قد سمع قراءة الكتب ، فنزل عند عُتبة بن ربيعة ، فسمع به أبو جهل فأتاه في فتية من قريش ، وأهدى له هدية ثم سأله : ما جاء بك ؟ قال : جئت إلى محمد ، إني كنت سمعت مبعثه في الكتب لأنظر ماذا يقول ، وماذا يدعو إليه ، فقال أبو جهل : إنه يحرّم الزّنى . فقال : لقد كبرت ومالي في الزّنى حاجة . قال : فإنّه يحرّم عليك الخمر . قال : فما أحَلَّ!! فجعلوا يحدثونه بأسوأ ما يقدرون عليه . فقالوا : أنشدنا ما قلتَ فيه . فأنشد[2] : (الطويل)

أَلَـمْ تَغْتَمِـضْ عَيْنَـاكَ لَيْـلَةَ أَرْمَـدَا وَعَادَكَ مَـا عَـادَ السَّلِيْمَ الـمُسَهَّدا

وهي قصيدة جيّدة عدّتها أربعة وعشرون بيتاً ، فلما أنشدهم قالوا : هذا رجل لا يمدح أحداً إلا رفعه ، ولا يهجو أحداً إلاّ وضعه . فمن لنا يَصرفه عن هذا الوجه ؟ فقال أبو جهل للأعشى : أما أنت فلو أنشدته هذه لم يقبلها . فلم يزالوا به ، لشقاوته، حتى صدُّوه وخرج من فورته حتى وصل اليمامة فمكث بها قليلاً ثم مات.

وروى ابن دأب وغيره أنّ الأعشى خرج يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال شعراً ، حتى إذا كان ببعض الطريق نفرت به راحلتهُ فقتلته ، فلما أنشد شعره الذي يقول فيه[3] : (الطويل)

وآلَيْتُ لا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلالَةٍ وَلا مِنْ حَفًى حَتَّى تُلاقِي مُحَمَّدَا
مَتَى ما تُناخِي عِنْدَ بَابِ ابنِ هاشِمٍ تُراحِي وَتَلقَيْ مِنْ فَوَاضِلِه نَدَى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كاد ينجو ولمّا » .

وترد هذه القصيدة إن شاء الله مشروحةً في « شواهد مغني اللبيب » ، فإنّه استشهد بغالب أبياتها ، ولم يقع منها شيء في هذه الشواهد .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من طبعة بولاق . وهي مضافة في طبعتي السلفية وهارون .

(٢) مطلع قصيدة يمدح فيها الرسول الكريم صلوات الله عليه هي في ديوانه ص١٨٥ . وهو الإنشاد الثاني والخمسون بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٣) ديوانه ص١٨٥ . والأول في الأشباه والنظائر ٩٠/٦ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٠١/٧ ؛ وشرح شواهد المغني ٥٧٧/٢ ؛ وشرح المفصل ١٠٠/١٠ . والثاني هو الإنشاد الثامن عشر بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي ، وهو في شرح شواهد المغني ص٥٧٧ ، ٧٣٥ ؛ ومغني اللبيب ٣١٢/١ ؛ والمقاصد النحوية ٦٠/٣ .

و للأعشى أخبار أخر تأتي متفرقة في شرح شواهد من شعره.

و« الأعشى » في اللغة : الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ، والمرأة عشواء ، وعشِيَ الرجل - بالكسر - عشاً بالقصر إذا ضعف بصره ، وكان هذا الأعشى عمي في أواخر عمره . وعدة من هو أعشى من الشعراء سبعة عشر شاعراً ، ذكرهم الآمدي في « المؤتلف والمختلف » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون[1] : (الوافر)

٢٤- حَلائِلَ أسْوَدِيْنَ وأحْمَرِيْنَا

وأوله :

* فَمَا وَجَدَتْ بَنَاتُ بَنِي نِزارٍ *

على أن جمع أسود وأحمر جمع تصحيح شاذٌّ ، كما يجيء في باب الجمع . وقال في باب الجمع : فكل صفة لا تلحقها التاء فكأنها من قبيل الأسماء ، فلذا لم يُجمع هذا الجَمع « أفعَل فَعْلاء وفَعْلان فَعلى » . وأجاز ابن كيسان أحمرون وسكرانون ، واستدل بهذا البيت ، وهو عند غيره شاذ . ا.هـ .

و« بناتُ » فاعل « وجدتْ » ، و« حلائل » مفعوله ، و« نِزار » - بكسر النون- : هو والد مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان . و« الحلائل » : جمع حليل بالحاء المهملة ، وهو الزوج . والحليلة: الزوجة ؛ سمِّيا بذلك لأنّ كلاًّ منهما يحلّ للآخر ولا يحرُم ، أو لأن كلاًّ منهما يحُلُّ من صاحبه محلاًّ لا يحلّه غيره . و« أسودين » صفة «حلائل » .

وهذا البيت من قصيدة لحكيم الأعور ابن عيّاش الكلبي[2]،من شعراء الشام، هجا بها مضر ورمى فيها امرأة الكميت بن زيد بأهل الحبس[3] ، لما فرَّ منه بثياب امرأته .

---

(١) البيت في ديوان الكميت بن زيد ٢/١١٦ ؛ والمقرب ٢/٥٠ . وهو للحكيم الأعور بن عياش الكلبي في الدرر ١/١٣٢ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١٤٣ . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ١/٣٥ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٢/١٧١ ؛ وشرح المفصل ٥/٦٠ ؛ وهمع الهوامع ١/٤٥ .

(٢) انظر في ترجمته الأغاني ١٧/٣٦ ؛ ومعجم الأدباء ١٠/٢٤٧ ؛ والمؤتلف ص١٧١ .

(٣) الحبس ، يعني السجن موضع الحبس .

وسبب حبس الكميت على وجه الاختصار ، أنّ حكيماً الأعور هذا كان وَلِعاً بهجاء مُضَر ، فكانت شعراء مضر تهجوه وتجيبه ، وكان الكميت يقول : هو والله أشعر منكم ! قالوا : فأجب الرجل ! قال : إنَّ خالد بن عبد الله القسريّ محسنٌ إليّ فلا أقدر أن أردَّ عليه . قالوا : فاسمع بأذنك مايقول في بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ! فأنشدوه ذلك ، فحمِيَ الكميتُ لعشيْرته فقال المذهّبة[1] التي أولُها :

ألا حُيِّيتِ عَنّا يا مَدينا

وأحسن فيها ، وهي زُهاء ثلاثمائة بيت لم يترك فيها حيّاً من أحياء اليمن إلاّ هجاهم . ومنها : (الوافر)

ولا أعني بِذلِكَ أسْفَلِيكُمْ ولكِنّي أُرِيْدُ بِهِ الذَّوِيْنَا

وتقدم شرحه ، وهو الشاهد السادس عشر ؛ وعرّض الكميت فيها بأخذ الفُرس والحبشة وغيرهما نساء اليمن بقوله :

لنَا قَمَرُ السَّماءِ وَكُلُّ نَجْمٍ تُشِيْرُ إليهِ أيْدِي المُهْتَدِيْنَا
وَمَا ضَرَبَتْ بَنَاتِ بَنِي نِزارٍ هَوائِجُ مِنْ فُحُولِ الأعْجَمِيْنَا
وَما حَمَلُوا الحَمِيْرَ عَلى عِتَاقٍ مُطَهَّمَةٍ فَيُلفَوا مُنْغِلِينَا

و« الهوائج » : جمع هائج ، وهو الفحل الذي يشتهي الضراب . وبلغ خالداً القسريَّ خبر هذه القصيدة فقال : والله لأقتلنه . ثم اشترى ثلاثين جارية في نهاية الحسن فرواهن القصائد الهاشميات للكميت ، ودسَّهنَّ مع نخّاس إلى هشام بن عبد الملك فاشتراهنّ ، فأنشدنه يوماً القصائدَ المذكورة فكتب إلى خالد ، وكان يومئذ عاملَه بالعراق : أن ابعث إليّ برأس الكميت . فأخذه خالد وحبسه، فوجَّه الكميت إلى امرأته ، ولبس ثيابها وتركها في موضعه وهرب من الحبس ، فلما علم خالدٌ أراد أن ينكّل بالمرأة ، فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا : ما سبيلُك على امرأةٍ لنا خُدِعت ! فخافهم وخلّى سبيلَها ، ثم إنَّ الكميت اتّصل بمَسْلمة بن هشام ، فشفع فيه عند والده فشفّعه[2] .

(١) ليس للكميت في الجمهرة مذهبة ، بل قصيدته ملحمة ؛ ورقمها -٦- في الملحمات ومطلعها :

ألا لا أرى الأيام يقضى عجيبها بطولٍ ولا الأحداث تغني خطوبها

(٢) الخبر بتفصيل في الأغاني ١٧/٣-٨ .

وقيل : إنَّ سبب هجاء الكميت أهل اليمن أنَّ حكيما الأعور هذا ، كان يهجو عليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وبني هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلى بني أمية ، فانتدبَ له الكميت رحمه الله تعالى، فهجاهُ وسبّه وأجابه ، ولجَّ الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن يُفصح بشعره عن علي رضي الله عنه؛ لما وقع بينه وبين هشام ، وكان يظهر أنَّ هجاءه إياه للعصبية التي بين عدنان جدّ مضر وبين قحطان أبي اليمن.

وقال المستهلّ بن الكميت يوماً لوالده ، لما افتخر في قصيدةٍ بَائية موحّدة ببني أمية هاجياً بها قحطان : كيف فخرت ببني أمية وأنت تشهد عليها بالكفر، فهلاّ فخرتَ بعليّ وبني هاشم الذين تتولاّهم ؟! فقال : يا بني ، أنتَ تعلم انقطاع الكلبيّ إلى بني أميّة ، وهم أعداء علي رضي الله عنه ، فلو ذكرتُ علياً لترك ذكري وأقبل على هجائه ، فأكون قد عرّضت عليّاً له ولا أحد له ناصراً من بني أمية ، ففخرت عليه ببني أمية وقلت : إنْ نقضَها عليّ قتلوه ، وإن أمسكَ عن ذكرهم ثنيته عن الذي هو عليه. فكان كما قال ، أمسك الأعورُ الكلبيُّ عن جوابه فغلب عليه ، وأفحم الكلبيّ .

وقال الأعور الكلبيّ يوماً[1] : (البسيط)

مَا سَرَّنِي أنّ أمِّي مِنْ بَنِي أسَدٍ وأنَّ رَبِّيَ نَجَّانِي مِنَ النَّارِ
وأنَّهُمْ زَوَّجُونِي مِنْ بَنَاتِهِم وأنَّ لِي كُلَّ يَومٍ ألْفَ دِيْنَارِ

فأجابه الكميت : (البسيط)

يا كَلْبُ مَالَك أُمٌّ مِنْ بَني أسَدٍ مَعْرُوفَةٌ فاحْتَرِقْ يا كَلْبُ بِالنّارِ

فأجابه الكلبيّ :

لَنْ يَبرَحَ اللؤمُ هَذا الحيَّ مِنْ أسَدٍ حَتّى يُفرَّقَ بينَ السَّبْتِ والأحَدِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون[2] : (الرجز)

٢٥- قَدْ صَرَّتِ البَكْرَةُ يَوْماً أجْمَعَا

(١) الخبر والأبيات الهجائية في الأغاني ٣٧/١٧ .

(٢) الرجز بلا نسبة في أسرار العربية ص٢٩١ ؛ والإنصاف ٤٥٥/٢ ؛ والدرر ٣٩/٦ ؛ وشرح الأشموني ٤٠٧/٢؛ وشرح ابن عقيل ص٤٨٥ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٦٥ ؛ وشرح المفصل ٤٤/٣ ، ٤٥ ؛ والمقاصد النحوية ٩٥/٤ ؛ والمقرب ٢٤٠/١ ؛ وهمع الهوامع : ١٢٤/٢ .

على أن الكوفيين جوَّزوا تأكيد النكرة المحدودة . وقد أورده الشارح في باب التوكيد أيضاً ، ويأتي الكلام عليه هناك إن شاء الله تعالى .

وهذا البيت مجهولٌ لا يعرف قائله ، حتّى قال جماعة من البصريين : إنه مصنوع.

و« البكرة » - بفتح الموحدة وسكون الكاف ، إن كانت البكرة التي يستقي عليها الماء من البئر . فـ « صرَّت » بمعنى صوّتت ، من صرّ البابُ يَصِر صريراً أي : صوّت ، فيكون المعنى : ما انقطع استقاء الماء من البئر يوماً كاملاً ؛ وإن كانت الفتيَّةَ من الإبل مؤنث البَكر وهو الفتيُّ منها - قال أبو عبيدة : البَكر من الإبل بمنزلة الفتى من الإنسان . و« البَكرة » بمنزلة الفتاة ، والقلوص بمنزلة الجارية والبعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة - فـ« صُرّت » بالبناء للمفعول ، يقال صَررتُ الناقة : شددت عليها الصِّرار ، وهو خيطٌ يشدّ فوقَ الخِلف والتَّودِية لئلا يرضَعها ولدها . والفتيُّ - بفتح الفاء وكسر المثناة وتشديد الياء - هو من الدّوابّ : خلاف المسنّ ، وهو كالشابّ من الناس ؛ والأنثى فتيّة ؛ والفتى بالقصر : الشابّ ، والأنثى فتاة. والخِلف - بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام - : هو لذوات الخف كالثدي للإنسان . والتودية ، - بفتح المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر الدال وتخفيف المثناة التحتية - ، هي خشبة تشدّ على خِلف الناقة إذا صُرَّت ، وجمعها تَوادٍ كمساجد .

قال العيني ، بعد أن شرحه على الوجه الأول : صدره :

إنّـــا إذا خُـطّـافُـنـــا تَـقَـعْقَـعـــا

وفيه نظر من وجهين :

الأول أن بيت الشاهد بيت من الرجز ، وليس مصراعاً من بيت حتى يكون ما ذكره صدره .

والثاني : أنه غير مرتبط ببيت الشاهد فإنّ بيت الشاهد لا يصح أن يكون خبراً لقوله « إنّا » ولا جواباً لـ« إذا » ، اللهم إلاّ إن قدر الرابط ، أي : صرت البكرة فيه، وتكون حينئذ الجملة الشرطية خبراً لإنّا . فافهم . و« الخُطّاف »- بالضم والتشديد: حديدة معوجَّة تكون في جانبي البَكْرة فيها المحور ، وكل حديدة معطوفة خطاف . و«القعقعة » : تحريك الشيء اليابس الصُّلب مع صوت ، والتقعقع مطاوعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون ، وهو من شواهد المفصل [١] : (الطويل)

٢٦- أَتَانِي وَعِيدُ الحُوْصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ
فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الأَحَاوِصَا!

على أن « الأحوص » بالنظر إلى الوصفية جمع على « الحوص » ، وبالنظر إلى نقله إلى الإسمية بالغلبة جمع على الأحاوص .

وهذا البيت أورده الزمخشري في المفصل على أنَّ « الأحوص » يجمع على هذين الجمعين : أحدهما فُعْل ، ولايجمع على هذا إلا أفعل صفة ، وشرطه أن يكون مؤنثه على فَعلاء كما هو مبيّن في جمع التكسير ، والثاني أفاعل ، ولايجمع على هذا إلاَّ أفعل اسماً أو أفعل التفضيل .

والبيت من قصيدة لأعشى قيس ، نفَّر فيها عامرَ بن الطفيل [٢] ، قاتله الله تعالى، ابن مالك بن جعفر ، على ابن عمه عَلقمة الصحابي ، رضي الله عنه ، ابن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الكلابيّ العامريّ . قال في« الاستيعاب » : وكان سيِّداً في قومه حليماً عاقلاً ، ولم يكن فيه ذاك الكرم .

و « الوعيد » : التهديد والتخويف . وأراد بـ« الحوص » و« الأحاوص »: أولاد الأحوص بن جعفر ، وهم عوف بن الأحوص ، وعمرو بن الأحوص ، وشُريح ابن الأحوص . والأحوص اسمه ربيعة ، سمِّي أحوص لضيقٍ كان في عينه .

قال في الصحاح: والحوص أي : بمهملتين : ضيق في مُؤْخر العين ، والرجل أحوص ، ويقال بل هو الضِّيق في إحدى العينين ، والمرأة حوصاء . وعبد عمرو : قال ابن السيرافي في شرحه لشواهد إصلاح المنطق : هو عبد بن عمرو بن الأحوص ؛ وقال في «الصحاح»: عبد عمرو وهو ابن شريح بن الأحوص . وجواب « لو » محذوف أي: لو نهيتهم لكان خيراً لهم ، ويجوز أن تكون للتمني على سبيل التهكم ،

---

(١) البيت في ديوان الأعشى الكبير ص١٩٩ ؛ والاشتقاق ص٢٩٦ ؛ وإصلاح المنطق ص٤٠١ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١٤٤ ؛ ولسان العرب (حوص) . وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٦٣١ ؛ وشرح المفصل ٦٣/٥ .

(٢) نفّر فيها عامر ، أي قضى له على خصمه .

وإنّما وجه الخطاب إليه لأنّه كان رئيسَهم حينئذ . وإنما قال الأعشى هذا الكلام لأنَّ علقمة بن عُلاثة كان أوعده بالقتل ، ويدل عليه قوله بعد هذا بأبيات[1] : (الطويل)

فَـإِنْ تَتَّعِـدْنِـي أَتَّعِـدْكَ بِـمِثْـلِهـا وَسَـوْفَ أَزِيْـدُ البَاقِيَـاتِ القَوَارِصَـا

و« القوارص » : الكلمات المؤذية ، يريد إني أزيدك على الإيعاد بقصائد الهجو. ولولا أنها في صحابيٍّ لأوردت منها أبياتاً .

وكان سبب تهديد علقمة بالقتلِ للأعشى : هو أنَّ علقمة بن علاثة كان نافرَ ابنَ عمه عامر بن الطفيل - وكان علقمةٌ كريماً رئيساً ، وكان عامرعاهراً سفيهاً - وساقا إبلاً جمّة لينحر لهما المنفِّر [2] ، فهاب حكّام العرب أن يحكموا بينهما بشيء ؛ وأتوا هرم بن قُطبة بن سنان فقال : أنتما كركبَتِي البعير تقعان معا وتنهضان معا ؛ قالا: فأيّنا اليُمنَى ؟ قال : كلاكما يمين . وأقاما سَنة لايجسر أحد أن يحكم بينهما بشيء ، إلى أن جاء الأعشى علقمة مستجيراً به ، فقال . أجيرك من الأسود والأحمر . قال : ومن الموت ؟ قال : لا . فأتى عامراً فقال له مثل ذلك ، فقال : ومن الموت ؟ قال: نعم . قال : وكيف ؟ قال : إن متّ في جواري وَدَيتك . فقال علقمة : لو علمت أن ذلك مرادُه لهان عليّ . ثم إن الأعشى ركب ناقته ووقف في نادِي القوم وأنشدهم قصيدة نَفّر فيها عامراً على علقمة ، منها[3] : (السريع)

أَقُـولُ لَـمَّا جَـاءَنِـي فَخْـرُهُ سُـبْحَانَ مِـنْ عَلْقَمَـةَ الفَـاخِـرِ

ومنها :

---

(١) البيت في ديوان الأعشى الكبير ص٢٠١ ؛ وتاج العروس (وعد) ؛ وسر صناعة الإعراب ١٤٧/١ ؛ وشرح التصريح ٣٩٠/٢ ؛ ولسان العرب (وعد) ؛ والمقاصد النحوية ٥٧٩/٤ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٣٩٦/٤؛ وشرح المفصل ٣٧/١٠ ؛ والممتع في التصريف ٣٨٦/٢ .

(٢) نفره على صاحبه تنفيراً : قضى له بالغلبة عليه .

(٣) البيتان في ديوان الأعشى الكبير ص١٩٣ . وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٠١/٧ .

والبيت الثاني هو الإنشاد الرابع بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٩٩/٧ . وهو في الاشتقاق ص٦٥ ؛ وأوضح المسالك ٢٩٥/٣؛ والخصائص ١٨٥/١ ، ٢٣٦/٣ ؛ وشرح التصريح ١٠٤/٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٣٥١ ؛ وشرح شواهد المغني ٩٠٢/٢ ؛ وشرح المفصل ١٠٠/٦ ، ١٠٣ ؛ ولسان العرب (كثر ، سدف ، حصى) ؛ ومغني اللبيب ٥٧٢/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٣٨/٤ ؛ ونوادر أبي زيد ص٢٥ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٤٢٢ ؛ وشرح الأشموني ٣٨٦/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص٤٦٥ ؛ وشرح المفصل ٦/٣ .

وَلَسْتَ بالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى وَإِنَّمَا العِزَّةُ للكَاثِرِ

وهما شاهدان من شواهد هذا الكتاب ، وسيأتي شرحهما إن شاء الله تعالى في محلّهما . وبعد أن أنشد القصيدةَ نادى الناسُ : نُفِّر عامرٌ على علقمة ؛ ورووا الشعر وأمضوا حكم الأعشى . ودعواه أنّهما حكماه باطلة كما يعلمه الناس ، وكان رأي هرِم خلاف ذلك . فلما سمع علقمة بهذا هدَّده بالقتل ، فقال الأعشى هذه القصيدة الصادية .

ومعنى المنافرة [1] ، كما في « الصحاح » : المحاكمة في الحسب ، يقال نافره فنفره ينفُره بالضم لاغير ، أي : غلبه . والمنفور : المغلوب . والنافر : الغالب . ونفَّره عليه تنفيراً أي : قضى عليه بالغلبة ، وكذلك أنفره . والحسب هو من الحُسبان وهو ما يعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه ، ويقال حسبه : دينه . ويقال ماله . وقال ابن السكيت : الحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، والمجد لايكون إلاّ بالآباء .

وترجمة الأعشى مرت في الشاهد الثالث والعشرين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون [2]: (البسيط)

٢٧- يأبى الظُّلامةَ منه النَّوفلُ الزُّفَرُ

وأوله :

* أخو رغائبَ يُعْطِيْها ويُسأَلُها *

على أنّ « الزّفر » بمعنى السيد ؛ قال الشارح المحقق في فُعَل ، - بضم الفاء - إذا كان علماً : «يشترط لمنع صرفه جمع شرطين : ثبوت فاعل وعدم فعل قبل العلمية . أما عُمر وزفر علمين فكان الواجب صرفهما ، لأنه لما جاء لهما فاعل قبل العلمية جاء فُعَل أيضاً نحو عمر جمع عمرة . والزُّفر : السيِّد . قال الأعشى » . وأنشد الشعر ،

---

(١) خبر المنافرة في ديوان لبيد ص٢٨٦-٣٤٣ ؛ والأغاني ٢٨٣/١٦-٢٩٧ ؛ ومختارات ابن الشجري ص٥٤٨ ؛ وسرح العيون ص١٦٢-١٦٦ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٠٠/٧ ومابعدها .

(٢) البيت لأعشى باهلة في الأصمعيات ص٩٠ ؛ وأمالي المرتضى ٢١/٢ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٠٦، ٩٧١ ، ١١٧٤؛ ولسان العرب (زفر ، قفر ، نفل) . وكتاب المراثي ص٦١ . وهو بلا نسبة في الاشتقاق ص٥٣ ، ٢١٤ .

ثم قال : « لكنهما لما سمعا غير منصرفين حكمنا بأنهما علمان غير منقولين عن فُعَل الجنسيّ ، بل هما معدولان عن فاعل » انتهى . يفهم منه أنه لم يسمع صرف زفر في العلمية لكن يجوز صرفه باعتبار كونه معدولاً من الزافر[1] ، كما صرّح به ابن جني، ناقلاً عن أبي عليّ، في كتابه « المبهج »[2] وهو شرح أسماء شعراء الحماسة، وعبارته: « زفر معدول عن زافر ، ولذلك لم يصرف لاجتماع التعريف والعدل فيه ، ويدل على أنه معدول أنّك لا تجده في الأجناس كما تجد صُرَدَ ونُغَر ؛ وأما قوله :

يأبَى الظُّلامَةَ منهُ النّوفَلُ الزُّفَرُ

فقال أبو علي : إنّك لو سميت بهذا صرفته كما تصرفه إذا سمَّيته صرداً وجُرذاً وحُطماً ولبداً » .

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب[3] : « الزفر الناهض بحمله، وليس زفر هذا الاسم منقولاً من هذا الوصف ، ولو كان كذلك لوجب صرفه، ألا تعلم أن فُعَلاً المعدول عن فاعل لا يجوز دخول اللام عليه ، وذلك نحو زحل وقثم . وقد قال :

يأبى الظُّلامة منه النوفل الزُّفَر

فدخول اللام عليه يعرِّفك أنّ « زفر» الذي ليس مصروفاً ليس بهذا لداخليَّة اللام، ولو سمَّيت رجلاً بزفر هذا بعد خلعك اللام عنه لوجب صرفه ، لأنّه حينئذ كصُرَد ونغر [4] . وهذا واضحٌ ، وهو رأي أبي علي وتفسيره » . انتهى.

و« الأخ » هنا بمعنى المُلابس والملازم للشيء ، فإنّ العرب استعملت الأخ على أربعة أوجه: أحدها هذا كقولهم : أخو الحرب ، والثاني : المجالس والمشابه كقولهم : هذا الثوب أخو هذا ، والثالث : الصديق ، والرابع : أخو النسب وهو قسمان : نسب قرابة وهو المشهور ، ونسب قبيلة وقوم ، كقولهم : يا أخا تميم يا أخا فَزارة ، لمن هو منهم ، وبه فسر قوله تعالى [5] : « يا أُخْتَ هَرُون » . و« الرغائب » : جمع

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " الزفر " . وهو تصحيف ؛ وصوابه من المبهج في تفسير شعراء الحماسة ص٨٨ .

(٢) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ص٨٨ .

(٣) المبهج ص١٨٠ .

(٤) في المبهج ص٨٨ : " فقال أبو علي : إنك إنْ سميت بهذا صرفته لدخول اللام عليه كما تصرفه إذا سميت : صُرَداً وجُرَداً وحُطماً ولُبَداً " .

(٥) سورة مريم : ٥٣/١٩ .

رَغيبة وهي العطايا الكثيرة ، كذا في « الصحاح » ، وفي «شرح شواهد الغريب المصنَّف » لابن السيرافي : و« الرغائب » الأشياء التي يرغب فيها . يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادّخاره ويحرصون على التمسك به لنفاسته . و« أخو » خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو أخو رغائب ، وجملة « يعطيها ويسألها » مفسّرة لوجه الملابسة في قوله: أخو رغائب . و« يُسألها » بالبناء للمجهول : من السؤال ، ويروي موضعه و« يَسلُبها » بالبناء للمعلوم من السلب . و« الظُّلامة » - بالضم - ، ومثله الظليمة والمظلمة - بكسر اللام وضمها - ، وهو ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ منك . و« النّوفل »: البحر ، والكثير العطاء ؛ وقال ثعلب : النوفل العزيز الذي ينفل عنه الضيمَ أي : يدفعه . و« الزُّفر » : الكثير الناصرِ والأهلِ والعدّةِ .

وقال في «الصحاح » : هو السيّد ، لأنه يزدفر أي : يتحمل بالأموال في الحَمالات من دين ودية مطيقاً لها ؛ وأنشد هذا البيت ثم قال : وإنما يريده بعينه [١] ، كقولك لئن لقيتَ فلاناً ليلقينك منه الأسد .

ومحصل كلامهم أن « من » تجريدية ، والتجريد - كما في الكشف - هو تجريد المعنى المراد عما قام به ، تصويراً له بصورة المستقل مع إثبات ملابسةٍ بينه وبين القائم به بأداة أو سياق .

وهذا البيت من قصيدة عدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً لأعشى باهلة ، رثى بها المنتشِر بنِ وهبٍ الباهلي ، قال الآمدي في « المؤتلف والمختلف »[٢] : «أعشى باهلة يكنى أبا قُحفان ، جاهلي واسمه عامر بن الحارث ، أحد بني عامر بن عوف بن وائل ابن معن ؛ ومعن أبو باهلة ، وباهلة امرأة من همْدان . وهو الشاعر المشهور صاحب القصيدة المرثية في أخيه لأمّه : المنتشر » انتهى .

و« **المنتشر** » هو كما قال أبو عبيدة : ابن وهب بن سَلمة بن كَرَاثة بن هلال ابن عمرو بن سلامة بن ثَعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أَعصر بن سعد بن قيس عيلان . وكان المنتشر رئيساً فارساً . وكان رئيس الأبناء[٣] يوم أرمام ، وهو أحد

---

(١) في الصحاح (زفر) العبارة تخالف ما جاء هنا . وفي اللسان (زفر) بعد عرض الشاهد الشعري . " لأنه يزدفر بالأموال في الحمالات مطيقاً له ، وقوله " منه " مؤكدة للكلام " .

(٢) المؤتلف والمختلف ص١١-١٢ . والنص هنا منقول بحرفيته من المؤتلف .

(٣) الأبناء : هم أبناء عسكر الفرس الذين أعانوا سيف بن ذي يزن على الحبشة .

يومي مُضَر في اليمن ، كان يوماً عظيماً قتل فيه مُرّة بن عاهان ، وصَلاءة بن العنبر ، والجموح ، ومعارك .

وقال الأصمعي : المنتشر هو ابن هُبيرة بن وهب بن عوف بن حارث بن ورقة ابن مالك .

قال السيد المرتضى في أماليه المسماة « غرر الفوائد ودرر القلائد »(١) : «وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة » قال : « وقد رُويت أنها للدعجاء أخت المنتشر ، وقيل لليلى أخته » قال : « ومن هنا اشتبه الأمر على عبد الملك بن مروان فظنَّ أنّها لليلى الأخيلية » .

وينبغي أن نورد هذه القصيدة مشروحة لأمور : منها أنّها نادرة قلّما توجد، ومنها أنّها جيدة في بابها ، ومنها أنّ كثيراً من أبياتها شواهد في كتب العلماء .

ونورد أولاً خبر المنتشر ، حتّى يظهر بناء القصيدة عليه . وكان من حديثه على ما رواه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في روايته ديوان الأعشى قال : «خرج المنتشر ابن وهب الباهلي يريد حجَّ ذي الخلصَة ، ومعه غِلمة من قومه ، والأقيصر بن جابر أخو بني فَرّاص – وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له – فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب ، وطريقةُ عليهم – وكان من حجَّ ذا الخلصة أهدى له هَدياً يتحرَم به ممن لقيه – فلم يكن مع المنتشر هَديٌ ، فسار حتّى إذا كان بهضب النّباع انكسر له بعضُ غلمته الذين كانوا معه فصعِدوا في شعب من النّباع ، فقالوا : في غار فيه ؛ وكان الأقيصر يتكهَّن ، وأنذر بنو نفيل بالمنتشر بني الحارث بن كعب ، فقال الأقيصر: النَّجاءَ يا منتشر فقد أُتيتَ ! فقال : لا أبرح حتى أُبرد (٢). فمضى الأقيصر وأقام المنتشر وأتاه غِلمته بسلاحه ، وأراد قتالهم فأمّنوه ؛ وكان قد أسر رجلاً من بني الحارث بن كعب يقال له هند بن أسماء بن زنباع ، فسأله أن يَفديَ نفسه فأبطأ عليه فقطع أنملة ، ثم أبطأ فقطع منه أخرى ، وقد أمنه القوم

---

(١) أمالي المرتضى ٢٤/٢ . وحديث أبي العباس المبرد في الكامل ٣٤٨/٢ مشابه لحديث السيد المرتضى : " قال أبو العباس : وكانت العرب تقدم مراثيها وتفضلها ، وترى قائلها بها فوق كل مؤبن .. فمنها قصيدة أعشى باهلة".

وفي كتاب المراثي ص٥٨ : "... ويقال إنها للدعجاء أخت المنتشر ترثي أخاها " .

(٢) في اللسان (برد) : " وبرد الرجل يبرُدُ بَرْداً : مات " .

ووضع سلاحه ، فقال : أتؤمنون مقطّعاً ؟ وإلهي لا أؤمّنه ! ثم قتله ، وقتل غلمته[1]. انتهى .

و«ذو الخَلصة» ، بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة : الكعبة اليمانية التي كانت باليمن ، أنفذ إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله فخرّبها. وقيل هو بيت كان فيه صنمٌ لدوس وخَثعم وبجيلة وغيرهم . كذا في «النهاية» لابن الأثير.

وفي « الصحاح » : هو بيت لخثعم كان يُدعى الكعبة اليمانية ، وكان فيه صنم يدعى الخَلصة فهدم . وفي « شرح البخاري » لابن حجر : « ذو الخلصة - بفتح الخاء المعجمة واللام بعدها مهملة » . وحكى ابن دُرَيد فتح أوله وإسكان ثانيه. وحكى ابن هشام ضمهما ، وقيل بفتح أوله وضم ثانيه ، والأول أشهر. والخلصة : نبات له حبٌّ أحمر كخرز العقيق ، وذو الخلصة : اسم البيت الذي كان فيه الصنم ، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة وحكى المبرِّد أن موضع ذي الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لها العبلات[2] من أرض خثعم ، ووهم من قال إنّه كان في بلاد فارس » . انتهى .

ورأيت في كتاب « الأصنام » لابن الكلبي [3] : أن ذا الخلصة « كان مروةً بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرةَ سبع ليال من مكة، وكان سدنتَها بنو أمامة من باهلة بن أعصر ، وكانت تعظّمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وأزد السّراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن ، وفيها يقول خِداش بن زهير العامري لعَثعث بن وحشيّ [4] في عهدٍ كان بينهم فغدر بهم[5] : (الطويل)

وذكّرْتُهُ بالله بِيْنِي وَبَيْنَهُ ... وَمَا بَيْنَنا مِنْ هَذِهِ لَوْ تَذَكّرَا

---

(١) روى أبو عبد الله اليزيدي خبر مقتل المنتشر في كتاب المراثي ص٦٦-٦٧ . وانظر في ترجمته الكامل في اللغة ٣٤٨/٢ ؛ ومختارات ابن الشجري ص٣١ ؛ والمراثي ص٦٦ .

(٢) في معجم البلدان (العبلاء) : " ... وقيل العبلات : بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة ، بيت صنم ، وهي من أرض تبالة " .

(٣) كتاب الأصنام ص٣٤ . والنص بحرفيته عن كتاب الأصنام .

(٤) في طبعة بولاق : " لعقبة بن وحشي " . وهو تصحيف صوابه من كتاب الأصنام .

(٥) البيتان لخداش بن زهير في كتاب الأصنام ص٣٥ .

وبالـمَــرْوَةِ البَيْضَاءِ يَـوم تَبالَـة وَمَحْبَسَـةِ النُعْمانِ حَيْثُ تَنَصَّرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ، ووفدت عليه وفودها ، قدم عليه جرير بن عبد الله مسْلماً : فقال له : يا جرير ألا تكفيني ذا الخلصة ؟ فقال : بلى ! فوجّهه إليه ، فخرج حتّى أتى أحمس من بَجيلة فسار بهم إليه. فقاتلته خثعم وباهلة دونه ، فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل ، وأكثر القتلَ في خثعم وقتل مائتين من بني قُحافة بن عامر بن خثعم ، فظفر بهم وهزمهم ، وهدم بنيان ذي الخلصة ، وأضرم فيه النار فاحترق. وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تَبالة .

وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدُّنيا حتّى تصطكّ أَلَيات نساء دَوس على ذي الخَلصة ، يعبدونه كما كانوا يعبدونه ». انتهى .

والقصيدة هذه[1] :

إنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْها وَلا سَخَرُ

هذا البيت أورده الشارح المحقق ، في الظروف ، على أن « علو » روي - بضم الواو وكسرها وفتحها .

واستشهد به صاحب الكشاف على أن « اللسان » في قوله تعالى[2] : «وجَعَلْنا لهم لسانَ صِدْق عَلِيًّا» أطلق على ما يوجد بها من العطية . و« اللسان » هنا بمعنى الرسالة ؛ وأراد بها نعي المنتشر ، ولهذا أنّث له الفعل ، فإنه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنّث ويجمع على ألسُن ، وإذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة . روى ثعلب :

إنِّي أُتِيْتُ بِشَيءٍ لا أُسَرّ بِهِ مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ فِيْهِ وَلا سَخَرُ

وروى أبو زيد في نوادره :

إنِّي أَتَانيَ شَيءٌ لا أُسَرُّ بِهِ مِنْ عَلُ لا عَجَب فيهِ ولا سَخَرُ

---

(١) القصيدة في ديوان الأعشين ص٢٦٦ - ٢٦٨ ؛ والأصمعيات ص٨٨-٩٢ ؛ وأمالي المرتضى ٢/٢٠-٢٤ ؛ وجمهرة أشعار العرب ص٥٦٨-٥٧٦ ؛ والكامل في الأدب واللغة ٢/٣٤٨ - ٣٥٠ ؛ وكتاب المراثي ص٥٨-٦٦؛ ومختارات ابن الشجري ص٣٢-٤٢ .

(٢) سورة مريم : ١٩/٥٠ .

قال : ويروى « من عُلو » و« سخر » - بضمتين - . قال في « الصحاح » : «وعلو مثلث الواو ، أي : أتاني خبر من أعلى نجد » . وقال أبو عبيدة : أراد العالية. وقال ثعلب : أي : من أعالي البلاد . ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ، ومن علا ، ومن أعلى ، ومن مَعال . وقوله « لا عجب » إلخ ، أي : لا أعجب منها ، وإن كانت عظيمة ، لأن مصائب الدنيا كثيرة ؛ « ولا سخر » : بالموت ، وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية ، وهو بفتحتين وبضمتين : مصدر سخر منه كفرح وسخرا بضمتين ومسخرا : استهزأ به .

فَظِلْتُ مُكْتَئِباً حَـرّانَ أَنْدُبُـهُ ... وَكُنتُ أحـذَرُهُ لَـوْ يَنْفَعُ الـحَـذَرُ

وروى : وكنت ذا حذر :

فَجَاشَتِ النَّفْسُ لـمَّا جَـاءَ جَمْعُـهُم ... وَراكِبٌ جاءَ مِنْ تَثْلِيثَ مُعْتَمِـرُ

في « الصحاح » : « جاشت نفسه أي : غثت ، ويقال دارت للغثيان . فإن أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع . قلت : جشأت ، بالهمز » . وروى بدل «جمعهم» أي : الذين شهدوا مقتله : « فَلُّهم » بفتح الفاء وتشديد اللام ؛ يقال جاء فلّ القوم أي : منهزموهم ، يستوي فيه الواحد والجمع ، وربَّما قالوا : فلول وفِلال . وتثليث بالمثلثة . اسم موضع[1] . و« معتمر » صفة راكب بمعنى زائر ، ويقال من عمرة الحج .

يأتِي عَلَى النّاسِ لايَلوِي عَلى أحَدٍ ... حَتّى التَقَيْنا وكانَتْ دُوْنَنا مُضَرُ

فاعل « يأتي » ضمير الراكب . و« يلوي » : مضارع لوى بمعنى توقّف وعَرّج، أي : يمرّ هذا الرّاكب على الناس و لم يعرِّج على أحد حتّى أتاني ؛ لأنّي كنت صديقه. و« دون » بمعنى قُدّام .

إنّ الـذِي جئتَ مِنْ تَثْلِيثَ تَنْدبُـهُ ... مِنْهُ السَّماحُ وَمِنْـهُ النَّهْيُ والغِيَـرُ

أي : فقلت لهذا الراكب : إنّ الذي جئت إلخ ، يقال ندب الميّت من باب نصر : بكى عليه وعدّد محاسنه . وجملة « منه السماح » إلخ خبر إنّ . و« النّهي » : خلاف الأمر. و« الغِير » ، بكسر المعجمة وفتح المثناة التّحتية : اسم من غيرت الشيء فتغير ، أقامه مقام الأمر .

(١) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة .

يَنْعَى امْرأً لا تُغِبُّ الحَيَّ جَفْنَتُهُ ... إذا الكَواكِبُ أخْطَا نُوءَها المَطَرُ

« النعي » : خبر الموت ، يقال نعاه ينعاه . قال الأصمعي : كانت العرب إذا مات ميت له قدرٌ ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول : نَعاءِ فلاناً . أي: انعه وأظهر خبر وفاته ؛ وهي مبنية على الكسر . و« لا يغبّ » : هو من قولهم فلان لا يُغِبّنا عطاؤه ، أي : لا يأتينا يوماً دون يوم ، بل يأتينا كل يوم . و« الجفنة »: القصعة . و« أخطاه » كتخطاه : تجاوزه . و« النوء » : سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً ، وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة .

وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها . يريد أن جفانه لا تنقطع في القحط والشدة :

ورَاحَتِ الشَّوْلُ مُغْبَرَّاً مَناكِبُها ... شُعْثاً تَغَيَّرَ مِنْها النَّيُّ والوَبَرُ

معطوف على مدخول « إذا » . في « القاموس » : « الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفّ لبنها ، والجمع شَوْل على غير قياس» . وفي النهاية : « الشول » مصدر شال لبن الناقة أي : ارتفع ، وتسمى الناقة الشَّول أي: ذات شَول ، لأنه لم يبق في ضرعها إلاّ شَول من لبن أي : بقية ، ويكون ذلك بعد سبعة أشهر من حملها . وروى « مباءتها » أي : مَراحُها ، بدل مناكبها . و«مغبّرا » يعني من الرّياح والعَجاج . و« النَّيُّ » - بفتح النون - : الشحم ، ومصدر نوت الناقة تنوي نواية ونَيّاً إذا سمنت ، يريد أن الجدب وقلة المرعى خشّن لحمها وغيَّره .

وألْجَأَ الكَلْبَ مُبْيَضٌّ الصَّقِيْعِ بِهِ ... وألْجَأَ الحَيَّ مِنْ تَنفاحِهِ الحُجَرُ

معطوف أيضاً على مدخول إذا . و« ألجأ » : اضطَرّ ، ويروى : « أجْحَرَ » يقال أجحرته أي : ألجأته إلى أن دخل جحره . و« الصَّقيع » : الجليد . و« تنفاحه»: ضربه ، وهو مصدر نفحت الريح ، إذا هبَّت باردة ، والضمير للصّقيع ، والباء في «به» بمعنى على ، والضمير للكلب . و« الحُجَر » - بضم الحاء وفتح الجيم - : جمع حجرة - بالضم - : الغرفة ، وحظيرة الإبل من شجر . يقول : هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم الناس الطعام .

عَلَيهِ أوّلُ زادِ القَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ... ثُمَّ المَطِيُّ إذا مَا أرْمَلُوا جُزُرُ

يعني أنه يرتّب على نفسه زاد أصحابه أوّلاً ، وإذا في الزاد نحرَ لهم . وأرمل الرجلُ : نفد زاده . و« المطيّ » : جمع مطية ، وهي الناقة . و« الجزر » – بضمتين: جمع جَزور ، وهي الناقة التي تنحر ، وروي – بفتحتين – : جمع جَزرة ، وهي الناقة والشاة تذبح .

قَدْ تَكظِمُ البُزلُ مِنْهُ حِينَ تُبصِرُهُ حَتّى تَقَطَّعَ فِي أعْناقِهَا الجِرَرُ

ويروى :

* وتفزع الشول منه حين يفجؤها *

يقال : كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوماً ، إذا أمسك عن الجرّة . وقيل : « الكظم » : أن لا تجترّ لشدة الفزع إذا رأت السيف : و« البزل » : جمع بازل ، وهو الداخل في السنة التاسعة . و« الجرر » : جمع جرة – بكسر الجيم – فيهما ، وهي ما يخرجه البعير للاجترار . يقول : تعوّدت الإبل أنه يَعقِر منها ، فإذا رأته كظمت على جرّتها فزعاً منه . و« تَقطّع » فعل مضارع منصوب بأن[1]

أخُو رَغَائِبَ يُعْطِيها ويُسْألُها يَأبَى الظُّلامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ
لَمْ تَرَ أرْضاً ولَمْ تَسْمَعْ بِسَاكِنِها إلاّ بِهَا مِنْ نَوادِي وَقْعِهِ أثَرُ

« نوادي » كل شيء بالنون : أوائله وما ندر منه ، واحدهُ نادية ، ومنه قولهم: لا ينداك منّي سوء أبداً ، أي : لا يندر إليك . و« الوقع » : النزول .

ولَيْسَ فِيهِ إذا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ وليس فيهِ إذا ياسَرْتَهُ عَسَرُ
وإنْ يُصِبْكَ عدوٌّ في مناوَأةٍ يَوماً فقدْ كُنتَ تَستعلِي وتَنْتَصِرُ

ويروى : « فقد كان يستعلي وينتصر» . « المناوأة » : المعاداة ، يقال ناوأت الرجل مناوأة . وقيل هي المحاربة ، ناوأته أي : حاربته . قال الشاعر[2]: (الطويل)

إذا أنْتَ نَاوأْتَ القُرونَ فَلَم تَنُؤْ بقِرنَينِ عَزّتْكَ القُرونُ الكَوَامِلُ

مَنْ لَيسَ فِي خَيْرِهِ مَنٌّ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصَّدِيْقِ وَلا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ
أخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٌ إذا عَدِمُوا وفي المَخَافَةِ مِنْهُ الجِدُّ والحَذَرُ

---

(١) تقطع أي : تتقطع ، بالتخفيف .

(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب (نوأ) ؛ وتاج العروس (نوأ) ؛ وتهذيب اللغة ١٥/٥٤٣ .

«الشُّروب» : جمع شَرب وهو جمع شارب ، كصحب جمع صاحب . ويروى «أخو حروب» . و«المكساب» : مبالغة كاسب . و« العُدم » : الفقر ، وفعله من باب فرح.

مِرْدَى حُرُوبٍ ونُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَما أضَاءَ سَوادَ الظُّلمَةِ القَمَرُ

« المردى » - بكسر الميم - ، قال في « الصحاح » : « هو حجر يُرمى به ، ومنه قيل للشجاع إنه لمردى حروب » . ومعناه أنّه يقذف في الحروب ويرجَم فيها. وروى:

* كَما أضَاءَ سَوادَ الطُّخْيَةِ القَمَرُ *

« الطخيّة » - بضم المهملة وسكون المعجمة - : الظلمة . و« الطّخياء » بالمد : الليلة المظلمة . يريد أنّه كاملٌ شجاعةً وعقلاً ، فشجاعتُه كونه يرمى في الحروب ، وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به ، وهما وصفان متضادان غالباً .

مُهفْهَفٌ أهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ القَمِيْصُ لِسَيْرِ اللّيْلِ مُحْتَقِرُ

« المهفهف » : الخميص البطن الدقيق الخصر . و« الأهضم » : المنضمّ الجنبين . و«الكشح » : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ؛ وهذا مدحٌ عند العرب ، فإنّها تمدح الهزال والضمر وتذمّ السمن .

وفي « العباب » : ورجل منخرق السربال، إذا طال سفره فشققت ثيابه . ولسير الليل متعلق بما بعده ، وهذا يدلّ على الجلادة وتحمُّل الشدائد .

طَاوِي الـمَصِيْرِ عَلَى العَزّاءِ مُنْجَرِدٌ بالقَوْمِ لَيْلَةَ لا مَاءٌ وَلا شَجَرُ

« الطوى » : الجوع ، وفعله من باب فرح ؛ و« طوى » - بالفتح - يطوي - بالكسر - طيّاً إذا تعمَّد الجوع . و« المصير » : المِعَى الرقيق ، وجمعه مُصران ، كرغيف ورغفان ، وجمع هذا مصارين ، أراد طاوي البطن . و« العزّاء » - بفتح العين المهملة وتشديد الزاي المعجمة : الشدّة والجهد . وقال في « الصحاح » : هي السنة الشديدة . و«المنجرد» : المتشمِّر . وقوله «ليلة لا ماءٌ ولا شجر» أي : يُرعَى .

لا يُصعِبُ الأمْرَ إلاّ رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلَّ أمْرٍ سِوَى الفَحْشاءِ يَأْتَمِرُ[1]

---

(١) ريث : قدر يركبه .

« أصعب الأمر» : وجده صعباً . و« كلّ » : مفعول مقدم ليأتمر ، أي : يفعل كل خير ولا يدنو من الفاحشة .

لا يَهْتِكُ السِّتْرَ عَنْ أُنْثَى يُطالِعُها ... وَلا يُشَدُّ إلى جاراتِهِ النَّظَرُ
لا يَتأرّى لِما فِي القِدْرِ يَرْقُبُهُ ... وَلا يَعَضُّ عَلى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

« لا يتأرّى » : لا يتحبس ويتلبّث ، يقال تأرى بالمكان ، إذا أقام فيه ، أي : لا يلبث لإدراك طعام القدر . وجملة « يرقبه » حال من المستتر في يتأرّى ، يمدحه بأنّ همته ليس في المطعم والمشرب ، وإنما همته في طلب المعالي ، فليس يرقب نُضج ما في القدر إذا همّ بأمر له شرف ، بل يتركها ويمضي . و « الشُّرسوف» : طرف الضلع . و« الصَّفَر » : دُوَيّبة مثل الحيّة تكون في البطن تعتري مَن به شدّةُ الجوع ، قال في «النهاية» ، في حديث « لا عَدوى ولا هامةَ ولا صَفَر » : إنّ العرب كانت تزعم أن في البطن حيّة يقال لها الصَّفَر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، [وأنّها تعدي[١]] ، فأبطل الإسلام ذلك . وقيل أراد به النبيُّ صلى الله عليه وسلم النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية : وهو تأخير المحرّم إلى صفر ، ويجعلون صفر هو الشهر الحرام ؛ فأبطله . انتهى.

ولم يرد الشاعر أن في جوفه صفراً لا يعضُّ على شراسيفه ، وإنما أراد أنّه لا صَفَر في جوفه فيعضّ . يصفه بشدة الخلق وصحة البنية .

لا يَغْمِزِ السَّاقَ مِنْ أيْنٍ وَلا وَصَبٍ ... وَلا يَزالُ أَمامَ القَوْمِ يَقْتَفِرُ

« لا يغمز الساق » : لا يجسُّها[٢] يصف جَلَده وتحمله للمشاق . و« الأين »: الإعياء . و« الوصب » : الوجع والاقتفار بتقديم القاف على الفاء : اتّباع الآثار . في « الصحاح » : وقفرت أثره أقفره - بالضم - ، أي : قفوته ، واقتفرت مثله . وأنشد هذا البيت .

ورواه أبو العباس في « شرح نوادر أبي زيد »[٣] « يُقتفر » بالبناء للمجهول ، ومعناه أنه يفوت الناس فيتبع ولا يُلحق .

---

(١) التكملة من كتاب النهاية .

(٢) في طبعة بولاق : " لا يجيبها " . وهو تصحيف . وصوابه من طبعة هارون نقلاً عن النسخة الشنقيطية .

(٣) نوادر أبي زيد ص٧٦ .

لا يـأمنُ الـنـّاسُ مُمساه ومُصبَحَـه في كلّ فَجٍّ وإنْ لـم يَغـزُ يُنـتظرُ

أي : لا يأمنه الناس على كلّ حال سواء كان غازياً أم لا ، فإن كان غازياً يخافون أن يغير عليهم ، وإن لم يكن غازياً فإنهم في قلق أيضاً ، لأنهم يترقبون غزوه وينتظرونه .

تَكْفِيْهِ حُزَّةُ فِلْـذَانٍ أَلَـمَّ بِـهَـا مِنَ الشِّـواءِ ويُروي شُرْبَـةُ الغُمَرُ

« الحُزّة » - بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة - : قطعة من اللحم قطعت طولاً . و« الفِلذان » : جمع فِلذ . بكسر الفاء فيهما : القطعة من الكبد واللحم .و« ألّم بها » : أصابها ، يعني أكَلها . و« الغُمر » - بضم الغين المعجمة وفتح الميم - : قدَح صغير لا يروي .

لا تَـأْمَـنُ البَـازِلُ الكَوْمَـاءُ عَـدْوَتَـهُ وَلا الأَمُونُ إذا مَـا اخْـرَوَّطَ السَّفَـرُ

« البازل » : البعير الذي فطر نابُه بدخوله في السنة التاسعة ، ويقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى . و« الكوماء » - بالفتح - : الناقة العظيمة السَّنام . و«العَدوة » : التعدّي ، فإنه ينحرها لمن معه سواء كانت المطية مسنة كالبازل ، أو شابّةً كالأمون ، وهي الناقة الموثقة الخَلق يؤمن عثارها وضعفها . و« اخروّط » : امتدّ وطال .

كأنّـهُ بَعْـدَ صِدْقِ القَـوْمِ أَنْـفُسَـهُـمْ باليَـأْسِ تَلْمَـعُ مِنْ قُـدَّامِـهِ الـبُشُـرُ

« لمع » : أضاء . و« البُشر » - بضمتين - : جمع بشير ، يقول : إذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقته بنفسه قدّامَه بشيرٌ يبشّره بالظفر والنجاح ، فهو منطلق الوجه نشيط غير كسلان .

قال السيد المرتضى في أماليه[1] : « قال المبرِّد لا نعلم بيتاً في يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت ».

لا يُعْجِلُ القَـوْمَ أنْ تَغْلِـي مَرَاجِلُهُمْ ويُـدْلِـجُ اللّـيْلَ حَتّـى يَفْسَحَ البَصَـرُ

يريد أنّه رابط الجأش عند الفزع ، لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الاطّباخ. وقوله : حتى يفسح البصر ، أي : يجد متسعاً من الصبح ، وقيل معناه ليس

---

(١) أمالي المرتضى ٢/٢٣ . وقد أخذه من كتاب المبرد التعازي والمراثي ص٢٥ .

هو شَرِهاً يتعجّل بما يؤكل . و« المراجل » : القدور ، جمع مرجل .

عِشْنا بِهِ حِقْبَةً حَيّاً ، فَفارَقَنا كَذلِكَ الرُّمْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنكَسِرُ

وروى :

* عشنا بذلك دهراً ثم ودّعنا *

و« النصلان » هما : السِّنانُ وهي الحديدة العليا من الرمح ، والزُّجّ ، وهي الحديدة السّفلى ، ويقال لهما الزُّجّان أيضاً . وهذا مثل ، أي : كل شيء يهلك ويذهب .

فَإِنْ جَزِعْنا فَقَدْ هَدَّتْ مُصَابَتُنا وَإِنْ صَبَرْنا فَإِنّا مَعْشَرٌ صُبُرُ

« المصابة » - بضم الميم - بمعنى المصيبة ، يقال : جبر الله مصابته ، وهو فاعل والمفعول محذوف أي : قُوَانا . و« الصُّبُر » - بضمتين : جمع صَبور ، مبالغة صابر .

أصَبْتَ فِي حَرَمٍ مِنّا أخَا ثِقَةٍ هِنْدَ بنَ أسْماءَ لا يَهْنِي لَكَ الظَّفَرُ

خاطبَ قاتل المنتشر هندَ بن أسماء ، وأراد بالحرم ذا الخَلَصة ، ثم دعا عليه. و«التهنئة» : خلاف التعزية .

لَوْ لَمْ تَخُنْهُ نُفَيْلٌ وَهْيَ خَائِنَةٌ لَصَبَّحَ القَوْمَ وِرْداً مَا لهُ صَدَرُ

« صبّحه » : سقاه الصبوح ، وهو الشرب بالغداة ، أراد أنه كان يقتلهم .

وأقْبلَ الخَيْلَ مِنْ تَثلِيْثَ مُصْغِيةً وَضَمَّ أعيُنَها رَغْوانُ أوْ حَضَرُ

« أقبل الخيلَ » : جعلها مقبلة .و« مصغية » : مائلة نحوكم . و« رَغوان وحَضر» : موضعان . أي: كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام في منزل إلاّ فيهما .

إذا سَلَكْتَ سَبِيلاً أنْتَ سَالِكُهُ فاذْهَبْ فَلا يُبْعِدَنْكَ الله مُنْتَشِرُ[1]

* * *

(١) في الأصمعيات والمراثي : " إما سلكت سبيلاً ..." وفي الجمهرة " فإن سلكت سبيلاً ..." .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون :

٢٨- شُمسِ بن مالِكِ

وهو قطعة من بيت وهو [١] : (الطويل)

إنّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائي وَقَاصِدٌ به لابنِ عَمِّ الصّدْقِ شُمْسِ بن مَالِكِ

على أنه مصروف مع أنه معدول عن « شَمس » بالفتح . وعليه اقتصر في باب العلم . وإنما صرف لكونه لم يلزم الضم فإنّه سمع فيه الفتح أيضاً ، فلما لم يلزم الضم لم يُعتبر عدله ، ولو لزم الضمّ لصُرف أيضاً لأنه يكون حينئذ منقولاً من جمع شموس ، لا معدولاً من شمس بالفتح .

وقد تبع الشارحُ المحقق في رواية الضم والفتح شراحَ الحماسة ، منهم ابن جنّي في إعرابها فإنّه قال : « أما من روى شمس بفتح الشين فأمره واضح كما يسمّى ببدر ونحوه ، ومن رواه شُمس – بضم الشين – فيحتمل أن يكون جمع شموس ، سُمِّي به ، من قول الأخطل [٢] : (البسيط)

شُمْسُ العَداوةِ حتّى يُسْتَقادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النّاسِ أحْلاماً إذا قَدَرُوا

ويجوز أن يكون ضم الشين على وجه تغيير الأعلام ، نحو : مَعد يكرِب وثهلَل ومَوهَبٍ ، وموظب ، ومَكْوَزة ، وغير ذلك مما غيّر في حال نظائره لأجل العلمية الحادثة فيه ؛ وليس في كلام العرب شُمس إلاّ هذا الموضع ا.هـ .

وفيه نظر ؛ فإنّ « شُمساً » في هذا البيت مضموم الشين لا غير ، وإنّ المضموم غير المفتوح ، كما فصّله الحسن العسكري في « كتاب التصحيف » . فإنّه قال بعد ما أورد هذا البيت : « شُمس مضموم الشين : بطن من الأزد من مالك بن فَهم . وكل ما جاء في أنساب اليمن فهو شُمس بالضم ، وكل ما جاء في قريش فهو شَمس بالفتح » انتهى .

---

(١) البيت في ديوان تأبط شراً ص١٤٨ ؛ وأمالي ١٣٨/٢ ؛ والحماسة بشرح الأعلم ٢٥٥/١ ؛ والحماسة براوية الجواليقي ص٣٨ ؛ والحماسة بشرح المرزوقي ص٩٢ ؛ والعقد الفريد ٢١/٣ .

(٢) البيت في ديوان الأخطل ص٢٠١ ؛ ولسان العرب (شجر ، شمس) . وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (شمس).

الشمس : جمع شموس ، وهو الصعب العسر .

وهذا البيت أول أبيات عشرة لتأبّط شراً ، أثبتها أبو تمام في أول الحماسة ، قال ابن جني : « ضمير به عندي راجع إلى موصوف محذوف ، أي : ثناء من ثنائي . وراجع عند الأخفش إلى نفس ثنائي ، ومن عنده زائدة ، وسيبويه لا يرى زيادتها في الواجب » انتهى . فعلى الأول يكون ما أهدى محذوفاً ، وعلى الثاني مذكوراً ، واللام في قوله : « لابن عم » متعلقة بقاصد عند البصريين ، يقال قصدته بكذا وقصدت له به ، قال في « العباب » : كلُّ ما نسب إلى الصّلاح والخير أضيف إلى الصدق فقيل رجل صدقٍ ، وصديقُ صدقٍ .

و« تأبّط شراً » تقدمت ترجمته في الشاهد الخامس عشر .

وأما « مصنف كتاب التصحيف » فهو «**أبو أحمد الحسن** » بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري ، ولد يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ومات يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة .

قال أبو طاهر السِّلفي : إنّ أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرُّف في أنواع العلوم ، والتبحر في فنون الفهوم، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب « صناعة الشعر » . كتاب « الحكم والأمثال» . كتاب « التصحيف » . كتاب « راحة الأرواح » . كتاب « الزواجر والمواعظ » . كتاب « تصحيح الوجوه والنظائر ».

وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبَهان [١] وغيرها من شيوخ : منهم أبو القاسم البغويّ ، وابن أبي داود السجستاني ، وأكثرَ عنهم ، وبالغ في الكتابة ، وبقي حتى علا به السنّ واشتهر في الآفاق بالرواية والإتقان ؛ وانتهت إليه رياسة التحديث والإملاء والتدريس بقُطر خُوزستان [٢] ورحلَ الأجلاّء إليه للأخذ عنه والقراءة عليه. نقلته مختصراً من معجم الأدباء [٣] .

* * *

(١) أصبهان - بفتح الهمزة وكسرها - . انظر معجم البلدان .

(٢) في طبعة بولاق : " خورستان " . وفي حاشية الطبعة السلفية ١٨٨/١ : " كانت في الأصل " خورستان " بالراء المهملة . والتصحيح للعلامة تيمور باشا " .

(٣) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٢٣٣/٨-٢٦٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون : (الكامل)

٢٩ - وهُمُ قُريشُ الأكرمونَ إذا انتَمَوا
طابُوا فُروعاً في العُلا وعُرُوقا

على أن « الأب » ربَّما جعل مؤولاً بالقبيلة فمنع الصَّرف ، كما منع قريش الصرف لتأويله بالقبيلة . و« الأكرمون » صفة قريش .

ومثله لعديّ بن زيد بن الرِّقاع العامليّ [1] يمدح الوليد بن عبد الملك : (الكامل)

غَلَبَ المَسامِيْحَ الوَلِيْدُ سَماحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وَسَادَها

و« المساميح » : جمع سَمح على خلاف القياس . وقوله « إذا انتموا » : يقال انتمى إلى أبيه : انتسب ، ونميته إلى أبيه نَمياً : نسبته .

في « العباب » : قال ابن دريد : كثر الكلام في قريش ، فقال قوم : سمِّيت قريش بقريش بن مَخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عِيرهم فكانوا يقولون: قدِمت عير قريش وخرجت عير قريش ، وقال قوم : سمِّيت قريشاً لأن قُصَيًّا قَرَشَها أي : جمعها ، فلذلك سمي قصيٌّ مجمّعا . قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب [2]: (الطويل)

أبُونا قُصَيٌّ كانَ يُدْعَى مُجَمِّعَا بِهِ جَمَعَ اللهُ القَبائِلَ مِنْ فِهْرِ

وقال الليث : قريش قبيلة ، أبوهم النّضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر ، فكلُّ من كان من ولد النضر فهو قرشيّ دونَ ولد كنانة ومن فوقه . وقال صاحب العباب : « وينقض هذين القولين قولُ ابن الكلبيّ ، لأنه المرجوع إليه في هذا الشأن ، وهو أن قريشاً اسمه فِهر بن مالك بن النضر . وفي تسميته قريشاً سبعة أقوال:

---

(١) البيت لعدي بن الرقاع العاملي في ديوانه ص٤٠ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٨٢/٢ ؛ والطرائف الأدبية ص٩٠ ؛ ولسان العرب (قرش) . وهو لجرير في لسان العرب (سمح) . ولم أقع عليه في ديوانه . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٥٠٦ ؛ وما ينصرف وما لا ينصرف ص٥٩ ؛ والمقتضب ٣٦٢/٣ .

وهو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع ، وينسب أحياناً ، فيقال : ابن الرقاع نسبة إلى جده الأعلى . انظر الشعر والشعراء ص٥١٥ ، والمؤتلف والمختلف ص١٦٦ .

(٢) البيت للفضل بن العباس بن عتبة في جمهرة اللغة ص٧٣١ . وهو بلا نسبة في الاشتقاق ص١٥٥ ؛ ولسان العرب (جمع) .

أحدها سمّوا قريشاً لتجمُّعهم إلى الحَرَم . ثانيها : أنهم كانوا يتقرشون البياعات فيشترونها . ثالثها : أنه جاء النضر بن كنانة في ثوبٍ له ، يعني اجتمع في ثوبه فقالوا : قد تقرّش في ثوبه . رابعها : قالوا : جاء إلى قومه فقالوا : كأنه جمل قَريش أي : شديد . خامسها : قول ابنِ عباس لما سأله عمرو بن العاص : بم سميت قريش ؟ قال : بدابّةٍ في البحرِ تسمَّى قريشاً لاتدع دابة إلاّ أكلتها ، فدوابُّ البحر كلّها تخافها ، قال المُشَمرجُ [١] بن عمرو الحميريّ [٢] : (الخفيف)

وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ البَحْـ ـرَ بِهَا سُمِّيتْ قُرَيْش قُرَيْشا

سادسها : قال عبد الملك بن مروان : سمعت أن قُصيًّا كان يقال له القَرَشيّ ، لم يسمَّ قرشيٌّ قبله . سابعها : أنهم كانوا يفتشون الحاجّ عن خَلَّتهم فيسدُّونها » .

ويعلم من هذه الأقوال أنّ كون قريش أباً إنّما هو على القول الثالث والرابع والسادس.

* * *

وأنشد بعده :

جَـذْبَ الصَّرارِيِّينَ بالكُرورِ

على أنَّ جمع التكسير لا يمتنع جمعه جَمعَ سلامة ، فإنَّ « الصراريّ » جمع صُرّاء وهو جمع تكسير ، وقد جمع على الصّراريين جمع سلامة .وتقدم ما فيه مشروحاً في الشاهد الحادي والعشرين فراجعه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون : وهو من شواهد س [٣] : (الكامل)

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " المشمرخ " . وهو تصحيف صوابه من طبعة هارون . نقلاً عن القاموس (شمرخ).

(٢) البيت للهي في المقتضب ٣٦٢/٣ . وهو بلا نسبة في اللسان (قرش) .

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه ص٣٧٦ ؛ وجمهرة اللغة ص٦٠٧ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٦٧/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٣٢/١ ؛ وشرح التصريح ٣١٣/٢ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٣٩ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١٤٢ ؛ وشرح المفصل ٥٦/٥ ؛ والكتاب ٦٣٣/٣ ؛ ولسان العرب (نكس ، خضع) ؛ والمقتضب ١٢١/١ ، ٢١٩/٢ .

والرواية في ديوانه والمصادر السابقة : " نواكسَ " .

٣٠- وإذا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيْدَ رَأَيْتَهُمْ
خُضُعَ الرِّقَابِ نَواكِسِي الأَبْصَارِ

على أن جمع التكسير نحو « نواكس » لا يمتنع جمعه جمع سلامة كنَواكِسِين ، كما ذكره أبو علي في « الحجة » .

أقول : ذكره أبو علي في « إعراب الشعر » أيضاً . واعلم أنّ الكلام على هذه الكلمة من ثلاثة وجوه :

« أحدها » : أن « نواكس » جمع ناكس وهو المطأطئ رأسه ؛ وفاعلٌ إذا كان اسماً نحو كاهل ، أو صفة مؤنث سواء كان ممن يعقل نحو حائض أو ممن لا يعقل نحو ناقة حاسر : إذا أعيت ، أو صفة مذكر غير عاقل نحو صاهل - يجمع قياساً على فواعل ، تقول : كواهلُ وحوائض وحواسر وصواهل . أما إذا كان صفة لمذكر عاقل لا يجمع على فواعل ، وقد شذّت ألفاظ خمسة : وهي ناكس ونواكس ، وفارس وفوارس نحو: (البسيط)

* لَولا فَوارسُ مِنْ نُعَمٍ وَأسرتِهِمْ *

وهالك وهوالك قالوا : « هالك في الهوالك » ، وغائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، قال عتبة بن الحارث لجَزء بن سعد [1]: (الوافر)

أُحامِي عَنْ دِيَارِ بَنِي أَبِيْكُم ... وَمِثْلِي فِي غَوائِبِكُمْ قَلِيْلُ

فقال له جَزء : نعم ، وفي شواهدنا ! فجمع « عتبة » غائباً على غوائب ، وجمع «جَزء » شاهداً على شواهد . وقد وجهت بتوجيهات :

أما الأول فقد حمله سيبويه على اعتبار التأنيث في الرجال ، قال : لأنك تقول هي الرجال كما تقول هي الجمال . فشبّهه بالجمال .

ومنه أخذ أبو الوليد فقال في «شرح كامل المبرِّد » : هذا مخرج على غير الضرورة ، وهو أن تريد بالرجال جماعات الرجال ، فكأنه جماعات نواكس وواحده جماعة ناكسة ، فيكون مقيساً جارياً على بابه كقائلة وقوائل .

---

(١) البيت لعتيبة بن الحارث في أمالي ابن الشجري ص١٤١ . وهو بلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ١٥٣/٢.

ووجهه ابن الصائغ على أنّه صفة للأبصار من جهة المعنى ، لأن الأصل قبل النقل نواكسَ أبصارُهم ، والجمع في هذا قبل النقل سائغ لأنه غير عاقل ، فلما نقل تركوا الأمر على ما كان عليه لأن المعنى لم ينتقل .

وأما الثاني فقالوا : إنّه من الصفات التي استعملت استعمالَ الأسماء فقرب بذلك منها ،ولأنه لا لَبس فيه ، لما ذكر سيبويه من أن الفارس في كلامهم لا يقع إلا للرجال.

وأما الثالث فوجهه أنّه جرى عندهم مجرى المثل ، ومن شأن الأمثال أن لا تغير عن أصلها .

وأما الرابع والخامس فوجههما يعلم مما وجه به الشّلوبين هوالك ونواكس، فإنّه يجري في جميع ما جاء من هذا ؛ وهو قوله : قد عُرف بقولهم أولاً « هالك » أنه إنما يريد المذكر ، وكذلك بقوله « وإذا الرجالُ رأوا يزيد » . قال : فصار ذلك مما تقدم ذكره من قولهم فارس في الفوارس وإن لم يكن مثله في الجملة ، لأن المعنى الذي يتضمنه « نواكس » يصلح للمذكر والمؤنث ، والمعنى الذي يتضمنه « الفوارس » لا يصلح إلاّ للمذكر . هذا قوله ، وهو جارٍ في الأخيرين، لأنه إنما يريد فيمن غاب «من رجالكم» ، ولم يرد أنّ مثله في « نسائهم » قليل ، فعين أنه يريد المذكر من جهة قصده فصار كالفوارس .

قال الشاطبيّ في « شرح الألفية » : « وطريقة المبرِّد في جميع ما جاء شاذاً من هذا النوع : أنّ فواعل هو الأصل في الجميع ، وإنما مَنع منه خوف اللبس ، فإذا اضطروا راجعوا الأصل كما يراجعونه في سائر الضرورات وكذلك حيث أمنوا الإلباس »ا.هـ.

قال المبرِّد في الكامل[1] ، بعد ما أورد بيت الشاهد : « وفي هذا البيت شيء يستطرفه النحويون ، وهو أنّهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتاً على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث ، لا يقولون ضارب وضوارب ، لأنهم قالوا ضاربة وضوارب . ولم يأت هذا إلا في حرفين : أحدهما « فارس » لأن هذا مما لا يستعمل في النساء فامنوا الالتباس . ويقولون في المثل [2] : « هو هالك في الهوالك » فأجروه على أصله لكثرة

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢٧٢/١ . والرواية : " فإذا الرجال " .

(٢) لم نجد المثل فيما عدنا إليه من مصادرنا القديمة .

الاستعمال ، لأنه مثل ، فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال : « نواكسي الأبصار » ولا يكون مثل هذا أبداً إلا ضرورة»ا.هـ.

وفيه أنه كان ينبغي أن يقيد النعت بمن يعقل ولكنّه أطلق لشهرته ، وفيه أيضاً أن المسموع خمسة لا ثلاثة كما تقدم [1] .

ثم رأيت في « شرح أدب الكاتب » للجواليقي زيادة على هذه الخمسة ، وهي: حارس وحوارس ، وحاجب وحواجب من الحجابة ، نقلهما عن ابن الأعرابي ، ثم قال : ومن ذلك ما جاء في المثل [2]« مع الخواطئ سهمٌ صائب » . وقولهم : « أمَا وحواجّ بيت الله ودواجّه » جمع حاجّ وداجّ ، والداجّ : الأعوان والمُكَارُون . وحكى المفضّل رافد وروافد ، وأنشد :(الطويل)

* إذا قلّ في الحيّ الجميعِ الروافدُ *

فالجميع إحدى عشرة كلمة .

« الوجه الثاني » أن المشهور في رواية هذه الكلمة « نواكسَ » بدون جمعها جمعَ سلامة ، وبه استشهد س وصاحب الجمل وقالا : كان القياس أن يجمع ناكس على أنكاس أو نكّس ، وكأنه حمله على تأنيث الجمع . وقد رواها جماعة جمعها بجمع السلامة ؛ قال ابن السيّد في « شرح كامل المبرِّد » : وهذا أطرف وأغرب من جمع ناكس على نواكس فإنّه غريب جداً ، لأن الخليل يرى أن هذا البناء نهاية الجمع . وقال في « شرح أبيات الجمل » : ولما كان الجمع الذي ثالثه ألف وبعده حرفان أو ثلاثة لا يتهيّأ تكسيره لأنه نهاية التكسير وأريد جمعه لم يكن ذلك إلاّ بأن يجمع جمع سلامة ، لأنه لا يغير الاسم عن لفظه .

قال الجاربَردي في « شرح الشافية » ، بعد ما قال ابن الحاجب « وقد يجمع الجمع » : أي : جمع تكسير وجمع تصحيح بالألف والتاء . وأفاد بقد أنه لا يطّرد قياساً لكنه كثير في جمع القلّة ، قليل في جمع الكثرة إلا بالألف والتاء .

« الوجه الثالث» أنّه يتراءى في ظاهر الأمر تدافعٌ بين هذا الوزن من جمع التكسير

---

(١) انظر ليس في كلام العرب ص٧٥ .

(٢) المثل في جمهرة الأمثال ٤٩١/١ ؛ وزهر الأكم ٣٨/٣ ؛ والعقد الفريد ٨٤/٣ ؛ فصل المقام ص٤٣ ؛ كتاب الأمثال ص٥٠ ، ٣١٢ ؛ ولسان العرب (خطأ ، صوب ، كذب) ؛ والمستقصى ٣٤٥/٢ .

وبين جمع التصحيح ، فإن الأول موضوع للكثرة والثاني للقلة . وقد سأل ابن جنّي في إعراب الحماسة عن هذا فقال « فإن قلت : فقد قالوا [1] :

* فهنّ يعلكن حَدائداتها *

وقالوا [2] :

* قد جرت الطّير أيامِنِينا *

وقالوا : صَواحبات يوسف ، ومَواليات العرب ، وقال الفرزدق :

* خُضُع الرّقابِ نواكسي الأبصار *

فيمن رواه بالياء ففي هذا على قولك اجتماع الضدين وهو دلالة المثال على الكثرة مع جمعه بالواو والنون والألف والتاء ، وكل واحد منهما على ما قدَّمت موضوع للقلة ! وأجاب عنه بقوله « قيل : لا يكون مفيد القلة في القِلّة كأن لا يوجد البتة ، ألا ترى أن نفس نواكس وصواحب يفيد بنفسه مفرد الكثرة ! أفتراه إذا جمع جمع القلة يصيره ذلك أن يكون أقلّ من أن لا يجمع أصلاً ؟ قد كفاه موضوعه للكثرة من احتياجه إلى تثنية فضلاً عن جمع قلة ، أو تجاوز به إلى مثال كثرة ؛ كما أنَّ المضمر المجرور وإنْ ضعف عن عطف المظهر عليه بغير إعادة حرف جرّ معه ، فإنّه لا يضعف عن توكيده كمررت به نفسه ، وذلك أنه لا يبلغ به الضعف أن يكون أقلّ من لا شيء . وأنت لو قلت مررت بنفسه لكان قولاً جائزاً . فاعرفْ هذا النحو » . انتهى كلامه .

وهذه عبارة قلقة يتعسر فهم المراد منها فينبغي شرحها .

فقوله : « ففي هذا على قولك اجتماع الضدين إلخ » أقول : لا يخفى عليك أن هذا ليس على ظاهره ، بل إنّما هو في الحقيقة اعتراضٌ بالترديد بين المحذورين ، ذكر أحدهما لظهوره ، وترك الآخر اعتماداً على فهم من له حظٌّ من قانون المناظرة ؛ وإلاّ فلا يتم التقريبُ أصلاً كما لا يخفى . وتقريره أن هذا الجمع لو جمع جمع القلة يلزم أحد المحذورين : إما اجتماع الضدّين على تقدير أن يكون القلة والكثرة موجودتين

(١) للأحمر ، في الخصائص ٢٣٦/٣ ؛ واللسان (حدد ، يمن) .

(٢) في الخصائص ٢٣٦/٣ ؛ وسمط اللآلئ ١٦٦ ؛ واللسان (يمن) ؛ والمقاصد النحوية ٤٢٥/٢ .

وفي طبعة بولاق : " أيامينا " . وصوابه من المصادر السابقة الذكر .

معاً ، أو كون مفيد القلة كان لا يوجد على تقدير إعدام القلة ، ولم يتعرض لكون مفيد الكثرة كان لايوجد لأنه لا خفاء في امتناعه، ضرورة بقاء الكثرة على حالها بعد أن جمع جمع القلة .

وقوله : « قيل لا يكون مفيد القلة في القلة كأن لا يوجد البتة إلخ» ظاهره جواب باختيار الشق الثاني، لكن يحصل منه الجواب باختيار الشقّ الأول أيضاً. وتقريره : إنّا لا نسلم لزوم كون مفيد القلّة كان لا يوجد على تقدير إعدام القلّة، بل إنّما يلزم ذلك أنْ لو كانت القلة منتفية بجميع أنواعها وذلك ممنوع ، لأن وضع لفظ التكسير للكثرة يقتضي انتفاء القلة المباينة لها لا القلة المجامعة معها ، ولا يلزم من انتفاء الأول انتفاء الثاني حتّى يكون مفيد القلة كأن لا يوجد .ولا نسلم أيضاً لزوم اجتماع الضّدين على تقدير وجودهما معاً ، بل إنّما يلزم ذلك أن لو كانت القلة الباقية بعد أن جمع جمع القلة هي القلة المباينة للكثرة المذكورة ؛ وذلك أيضاً ممنوع ، بل مقتضاه اجتماع الكثرة مع القلة المجامعة معها ، ضرورةَ أنّ لفظ القلة يفيد تقليل أفراد مدخولها لا غير ، وهما ليسا بضدّين حتّى يلزم من وجودهما معاً اجتماع الضّدين .

وقوله «ألا ترى إلخ » مع قوله « أفتراه إلخ » تنوير لعدم كون مفيد القلة كان لا يوجد . وتقريره: أنّك تعرف قطعاً أنّ نفس صواحب وأمثالها يفيد الكثرة بنفسه مفرداً، وتعرف أيضاً أنّ جمعه جمع القلة لا يصيّره إلى أقل من أن لا يجمع ذلك الجمع أي : لايغيره إلى حكم المفرد حتى يكون جمع القلة مفيداً للقلة في المفردات المباينة لتلك الكثرة . كيف لا ! ولو كان كذلك يلزم انتفاء الكثرة ، مع أنّ وضعه [1] كاف في ذلك من غير احتياج إلى تثنية أو جمع قلة أو جمع كثرة . فظهر لك أن ذلك الجمع لإفادة أمر آخر زائد عليه ، وهو تعليل تلك الكثرة فقط ؛ فلمّا كانت القلة المجامعة مع تلك الكثرة باقيةً على حالها لم يكن مفيد القلة كأن لا يوجد البتة .

وقوله : « كما أنّ المضمر المجرور إلخ » تنظير لعدم تغيير جمع القلة مع الكثرة ، وتقريره : أنّ امتناع اجتماع الضّدين نظيرُ ضعف عطف المظهر على المضمر بغير إعادة الجار ، وجمع القلة فيما نحن فيه نظيرُ تأكيد المضمر بغير إعادة الجار ، فكما أنّ ضعف العطف المذكور لكونه كالعطف على بعضِ حروف الكلمة لا ينافي جوازَ التأكيد بغير إعادة الجار ، لأنّه كنفسه بناء على تغاير المادتين - كذلك امتناع اجتماع

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " وصفه " . والتصويب من طبعة هارون نقلاً عن النسخة الشنقيطية .

الضدين لا ينافي جواز جمع التكسير جمع القلة لتغاير المادتين ؛ وكما أنّ التأكيد لا يجعل المضمر أقلَّ من أن لا يؤكّد بل يفيد أمراً زائداً عليه وهو التأكيد ، كذلك الجمع فيما نحن فيه لا يجعل لفظ التكسير أقلَّ من أن لا يجمع ، بل يفيد أمراً زائداً عليه ، وهو تقليلُ الكثرة الحاصلة من المجامعة معه .

والحاصل : أنّ ماهو لازم ليس بمحذور ، وماهو محذورٌ ليس بلازم ؛ هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقام .

وقوله « خُضُعِ الرقاب » حال من مفعول رأيتَهم ، والرؤية بصرية في الموضعين ، ولا تضر الإضافة فإنّها لفظية ، وكذلك « نواكسي الأبصار » ، لأنَّ المعنى خُضُعاً رقابُهم نواكسَ أبصارُهم . و« خُضُع » بضمتين : جمع خَضوع مبالغة خاضعٍ من الخضوع وهو التّطامن والتواضع ، يقال خضع لغريمه يخضع بفتحهما خضوعاً : ذلّ واستكان ، وهو قريب من الخشوع ، إلاّ أنّ الخشوع أكثر مايستعمل في الصوت، والخضوع في الأعناق ، ولهذا أضافه إلى الرقاب . ويحتمل أن يكون خضْع بضمة فسكون جمع أخضَع ، وهو الذي في عنقه تطامن من خلقة ؛ وهذا أبلغ من الأوّل : أي : ترى أعناقهم إذا رأوه كأنّها خلقت مُتطامِنة من شدّة تذللهم ؛ و « فُعْل » قياس في جمع أفعَل وفعلاء صفةً غير تفضيل ، نحو أحمر وحمراء وجمعهما حُمر .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها آل المهلب ، وخصّ من بينهم ابنه يزيد، أولها [1] : (الكامل)

فَلأَمْدَحَنّ بَنِي المُهَلَّبِ مِدْحَةً ... غَرّاءَ ظَاهِرَةً عَلَى الأشْعَارِ
مِثْلَ النّجُومِ أمامَها قَمرٌ لَهَا ... يَجْلُو الدُّجَى ويُضِيءُ لَيْلَ السَّاري
وَرِثُوا الطِّعَانَ عَنْ المهلَّبِ والقِرَى ... وخلائِقاً كتَدَفّقِ الأنْهَارِ
أمَا البَنُونَ فإنّهُمْ لَمْ يُورِثُوا ... كتُراثِهِ لِبنيْهِ يَومَ فَخَارِ

إلى أن قال :

أمّا يَزِيْدُ فَإنّهُ تَأبَى لَهُ ... نَفْسٌ مُوَطَّنَةٌ على المِقْدارِ
وَرّادَةٌ شُعَبَ المَنِيَّةِ بالقَنَا ... فَتُدِرُّ كُلَّ مُعانِدٍ نعّارِ
وإذا النُّفُوسُ جَشَأنَ طَامِنَ جأْشِها ... ثِقَةٌ بِهِ لِحِمايَةِ الأدْبَارِ

(١) ديوان الفرزدق ص ٣٧٤-٣٧٩ .

مَـلِـكٌ عَلَيـهِ مَهـابَـةُ الـمَلِكِ التَقَـى قَمَـرُ التَّمَامِ بِـهِ وشَـمْـسُ نَـهَـارِ
وإذا الـرِّجَـالُ رَأَوْا يَـزِيْـدَ رَأَيْتَــهُـمْ .... البـيـت

إلى أن قال [١] :

مَـازالَ مُـذْ عَـقَــدَتْ يَـداهُ إِزَارَهُ وَسَـمَا فَـأَدْرَكَ خَـمْسَـةَ الأَشْـبَارِ
يُـدْنِـي خَوافِـقَ مِنْ خَوافِـقَ للتقَـى فِي كُـلِّ مُعْتَبَـطِ الغُبَـارِ مُثَـارِ

قوله : « تأبى لـه نفس » مفعول تـأبى محذوف : أي : القعود عن الحروب ونحوه، وقوله : « موطّنـة على المقـدار » أي : تقـول نفسه عند اقتحـام المهـالك : لايصيبني إلاّ ما قدّر اللـه ؛ و« المقدار » بمعنى القـدَر . و« ورّادة » : مبالغـةُ واردة ، صفة نفس . و« شُعَب » : مفعول ورّادة ، بمعنى فروع المنيّة وأنواعها ، مستعار من الشُّعَب التي هي أغصان الشجرة ، جمع شعبة . و« القنا » : جمع قنـاة وهـي الرمـح . و« تُدر » : فاعلـه ضمـير القنـا ، مـن أدرَّت الريـح السّـحاب واسـتدرّته أي : استحلبته [٢]. و« كل » : مفعوله . و« المعاند » : العِرق الذي يسيل ولا يرقأ ، ويقال له عاند أيضاً ، وفعله من باب نصر . و« النعّار » : بالعين المهملة من نَعر العِرق ينعَر بالفتح فيهما ، أي : فار منه الـدم ، فهـو عـرق نعَّـار ونعـور . و« جشـأن » : يقـال جشأت نفسه ، إذا ارتفعت من حزن أو فزع . و« الجأش » بالهمز : جـأش القلـب ، وهو رُواعه إذا اضطرب عند الفزع ، يقال فلان رابط الجـأش أي : يربـط نفسـه عـن الفرار لشجاعته . و« طـأمن » : مقلـوب طمـأن بـالهمز فيهمـا بمعنـى سكّن . وثقـة فاعله. و« التَقَى » : فعل ماض . و« قمر التمام » فاعله ، يقال « قمـرُ تمـام » بفتـح التاء وكسرها إذا تمّ ليلة البدر ، وأما ليل التّمام فمكسور لا غير ، وهو أطول ليلـة في السنة.

---

(١) ديوانه ص٣٧٤-٣٧٩ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٨/٦ .والبيت الأول هو الإنشـاد الخمسـون بعـد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢٨/٦ .

والبيت الأول في الأشباه والنظائر ١٢٣/٥ ؛ والجنى الداني ص٥٠٤ ؛ وجواهر الأدب ص٣١٧ ؛ والدرر ١٤٠/٣؛ وشرح التصريح ٢١/٢ ؛ وشـرح شـواهد الإيضـاح ص٣١٠ ؛ وشـرح شـواهد المغـني ٧٥٥/٢ ؛ وشـرح المفصـل ١٢١/٢ ، ٣٣/٦ ؛ والمقاصد النحوية ٣٢١/٣ ؛ والمقتضب ١٧٦/٢ . وهو بلا نسبة في إصلاح المنطق ص٣٠٣ ؛ وأوضح المسالك ٦١/٣ ؛ والدرر ٢٠٣/٦ ؛ وشرح الأشموني ٨٧/١ ؛ واللسان (خمس) ؛ ومغني اللبيب ٣٣٦/١ ؛ وهمع الهوامع ٢١٦/١ ، ١٥٠/٢ .

(٢) في طبعة بولاق وهارون : " استجلبته " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية .

وقوله : « مازال مذ عقدت يداه .. إلى آخره » هذا البيت استشهد به النحاة في عدة مواضع ، منهم ابن هشام أورده في المغني شاهداً لإيلاء الجملة الفعلية لـ«مذ»، كما يليها الجملة الاسمية . وأورده أيضاً في شرح الألفية لقوله «خمسة الأشبار » حيث جرد المضاف من أداة التعريف ، وهو حجة على الكوفيين في جوازهم [1] الجمع بين تعريف المضاف باللام والإضافة إلى المعرفة، مستدلين بقول عرب غير فصحاء : «الثلاثة الأبواب » ، والمسموع تجريد الأوّل من أداة التعريف ، كما قال ذو الرُّمة أيضاً [2]: (الطويل)

وهَلْ يَرجعُ التَّسْلِيمَ أوْيكْشفُ العَمَى ثَلاثُ الأثَافِي والـدِّيَارُ البَلاقِـعُ

و« سما » : ارتفع وشبّ ، من السموّ وهو العلوّ ؛ و« أدرك » بمعنى بلغ ووصل، وفاعلهما ضمير يزيد . وقوله : « خمسة الأشبار » ، أراد طول خمسة أشبار بشبر الرجال وهي ثلثا قامة الرجل ، وينسب إليها فيقال : غلام خُماسيّ . قال ابن دريد : غلام خماسيّ قد أيفع . في « الصحاح والعباب » : وغلام رباعي وخماسيّ أي : طوله أربعة أشبار وخمسة أشبار ، ولايقال سداسيٌّ ولاسباعيٌّ ، لأنّه إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة أشبار صار رجلاً . والغلام إذا بلغ خمسة أشبار عندهم تخيَّلوا فيه الخير والشرّ، ولهذا قال بعض العرب : أيّما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته قتلته . هذا ماعندي ، وأما الناس فد اختلفوا في تفسيره على أقوال :

« أحدها » قال ابن السيد في شرح شواهد الجمل : « ومعنى فأدرك خمسة الأشبار : ارتفع وتجاوزَ حدَّ الصبا ، لأنّ الفلاسفة زعموا أنّ المولود إذا ولد لتمام مدة الحمل و لم تغيِّره آفة في الرحم فإنه يكون في قدِّه ثمانية أشبار من شبر نفسه ، وتكون سُرّته بمنزلة المركز له ، فيكون منها إلى نهاية شقه الأعلى أربعة أشبار بشبره ، ومنها إلى نهاية شقه الأسفل أربعة أشبار ، ومنها إلى أطراف أصابعه من يده معاً أربعة أشبار، حتى أنّه لو رقد على صلبه وفتح ذراعيه ووُضع ضابط في سرته وأدير لكان

---

(١) في أصول جميع الطبعات : " في جوازهم " . والصواب : " في تجويزهم " .

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ص١٢٧٤ ؛ والأشباه والنظائر ١٢٢/٥ ، ٢٨٠ ؛ وإصلاح المنطق ص٣٠٣ ؛ وجواهر الأدب ص٣١٧ ؛ والدرر ٢٠١/٦ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٣٠٨ ؛ وشرح المفصل ١٢٢/٢ ؛ ولسان العرب (خمس) ؛ ومجالس ثعلب ص٢٧٥ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٣٥٨/١ ؛ وتذكرة النحاة ص٣٤٤ ؛ وشرح الأشموني ٨٧/١ ؛ والمقتضب ١٧٦/٢ ، ١٤٤/٤ ؛ والمنصف ٦٤/١ ؛ وهمع الهوامع ١٥٠/٢ . والأثافي ، واحدتها أثفية ، وهو أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القدر . والبلاقع : جمع بلقع ، وهو الأرض القفر .

شبه الدائرة . قالوا : فما زاد على هذا أو نقص فلآفة عرضت له في الرحم ، فإنك تجد مَن نصفه الأعلى أطول من نصفه الأسفل ومَن نصفه الأسفل أطول من نصفه الأعلى ، ومَن يداه قصيرتان، ومَن يده الواحدة أقصر من الثانية . فإذا تجاوز الصبيُّ أربعة أشبار فقد أخذ في الترقي إلى غاية الكمال » . اهـ .

وقوله أوّلاً « ارتفع وتجاوز حدَّ الصبا » شرح به المعنى المراد ولا حاجة بعده إلى نقل كلام الفلاسفة ، لأنه خارج عن المقام ، بل مفسد لأنه رتب بعده قوله « فإذا تجاوز الصبيُّ أربعة أشبار فقد أخذ في الترقي إلى غاية الكمال » وهذا غير متصوَّر ، لأنّ الطفل الذي تجاوز أربعة أشبار بشبر نفسه لايحسن عقد إزاره فضلاً عن الأخذ في الترقي إلى غاية الكمال ، وإنّما المعنى تجاوز خمسة أشبار بشبر الرجال ، وهي ثلثا قامة الرجل كما ذكرنا .

« ثانيها » أنّه أراد بـ « خمسة الأشبار » السّيف ، قال ابن هشام اللخمي في «شرح شواهد الجمل » : هذا هو الصحيح لأنه منتهى طول السيف ، في الأكثر ، كما أنّ منتهى طول القوس ثلاث أذرع وإصبع .

قال الراجز [1] : (الرجز)

أرْمَى عَلَيْها وَهْيَ فَرْعٌ أجْمَعُ   وَهْيَ ثَلاثُ أذْرُعٍ وإصْبَعُ

وإنما زاد إصبعاً لاختلاف أذرع الناس في الطول والقصر . وربما زادوا شبراً كما قال آخر [2]:

* وَهْيَ ثَلاثُ أذْرُعٍ وشِبْرُ *

---

(١) الرجز لحميد الأرقط في شرح التصريح ٢٨٦/٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٣٤١ ؛ والمقاصد النحوية ٥٠٤/٤ .

وهو بلا نسبة في ديوان الأدب ١١٨/١ ؛ والأشباه والنظائر ٢١٩/٥ ؛ وإصلاح المنطق ص٣١٠ ؛ وأوضح المسالك ٢٨٦/٤ ؛ وتاج العروس (فرع ، رمى) ؛ وتهذيب اللغة ١٨٤/٣ ؛ وجمهرة اللغة ص١٣١٤ ؛ والمخصص ١٦٧/١ ، ٣٨/٦ ، ٦٥/١٤ ، ٨٠/١٦ ؛ ومقاييس اللغة ٢٦/١ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٧٦ ؛ والخصائص ٣٠٧/٢ ؛ ولسان العرب (ذرع ، فرع ، رمى ، علا) ؛ وأدب الكاتب ص٥٠٧ ؛ والأزهية ص٢٧٦؛ والكتاب ٢٢٦/٤ .

(٢) الرجز بلا نسبة في تاج العروس (بجر ، حبجر) ؛ وتهذيب اللغة ٣١٥/٥ ، ٦٢/١١ ؛ وديوان الأدب ٥٥/٢ ؛ ولسان العرب (بجر ، حبجر) ؛ والمخصص ٤٥/٦ .

وكما أنّ منتهى طول القناة أحد عشر ذرَاعاً[١] .

قال عُتبة بن مِرداس[٢]: (الطويل)

وأسْمرَ خَطّيّاً كَأنّ كُعُوبَهُ ... نَوَى القَسْبِ قَدْ أرْمَى ذِراعاً على العَشرِ

وقال البحتري أيضاً : (البسيط)

كالرّمْحِ أذْرُعَهُ عَشرٌ وواحِدةٌ ... فليْسَ يُزري بِهِ طُولٌ وَلا قِصَرُ

« ثالثها » أنه أراد عصا الخطبة . وهذا غير مناسب لما قبله ولما بعده .

« ورابعها » أنه أراد الخيزُرانة التي كان الخلفاء يحبسونها بأيديهم . وهذا أيضاً غير مناسب كالذي قبله . على أن « يزيد » ليس خليفة ولا من نسل الخلفاء وأراد هذا القائل الخلفاء الأمويين .

« خامسها » أنه أراد خلال المجد الخمسة : العقل ، والعفة ، والعدل ، والشجاعة ، والوفاء . وكانت عندهم معروفةً بهذا العدد ؛ كذا نقلوه . ولا يخفى أنه لو كان المراد هذا لبقي[٣] ذكر الأشبار لغواً .

« سادسها » أنه أراد بخمسة الأشبار القَبر لأنّ البيت من مرثيَة ، وهذا باطل لا أصل له ، فإنّه من قصيدة في مدح يزيد بن المهلب ، وكان حياً .

واسم « زال » ضمير يزيد ، وخبرها البيت الذي بعده ، وهو « يدني خوافق إلخ» وأراد بالخوافق الرايات وهو جمع خافقة ، يقال خفقت الراية بالفتح تخفق

(١) الذراع مؤنثة ؛ وقد تذكر ، كما جاءت هنا ؛ انظر اللسان (ذرع) .

(٢) كذا في جميع أصول الطبعات . والمشهورة " عتيبة بن مرداس " . بالتصغير .

انظر الأغاني ٢٢٧/٢٢ ؛ وجمهرة أنساب العرب ٢١٣ ؛ والشعر والشعراء ص٢٨٦ . وفي الشعراء : " هو عتيبة ، ويقال : عتبة بن مرداس " .

والبيت منسوب لحاتم طيئ في ديوانه ص٢٣٨ ؛ والتنبيه والإيضاح ١٢٨/١ ؛ وتاج العروس (رمى) ؛ وديوان الأدب ١٠٧/٤ ؛ ولسان العرب (رمى) .ولأوس بن حجر في تهذيب اللغة ١٦٧/١٤ ؛ ولسان العرب (ردى) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٨٠٥ ؛ وكتاب العين ٦٧/٨، ٢٩٣ ؛ ولسان العرب (قسب) ؛ ومجمل اللغة ١٦٣/٤ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٢٠٠/١ ، يقول الميمني : " في الطبعة الأولى " لبقي ... إلخ " .

بالكسر والضم خَفقاً وخَفَقاناً ، إذا تحركت واضطربت . و« معتبط الغبار » بالعين والطاء المهملتين ، هو الموضع الذي لم يُقاتَل عليه و لم يُثر فيه غبار قبل ما أثاره هذا الممدوح ، يقال أعبطت الأرضَ ، إذا حفرت منها موضعاً لم يحفر فيها قبل ذلك . و«المثار » : المهيَّج والمحرَّك . وروى بدله [1] :

يُدنِي كَتَائِبَ مِنْ كَتَائِب تَلتَقِي ... في ظِلّ مُعْتَرِكِ العَجَاجِ مُثَارِ

و« الكتائب » : جمع كتيبة وهو الجيش . و« المعترك » : موضع الاعتراك وهو المحاربة ، وأراد بـ« ظله » الغبار الثائر في المعركة ، فإنه إذا اشتد لا يرى معه ضوء فيصير كالظل الكثيف . و« مذ » : اسم ، فقيل : إنّها ظرف مضاف إلى الجملة ، وقيل : إلى زمن مضاف إلى الجملة ، وقيل : مبتدأ فيجب تقدير زمان للجملة يكون هو الخبر . و« الإزار » : معروف ، وقيل : كنى بعقد الإزار عن شدّه لما يحتوي عليه من كساءي المجد . وهذا يناسب تفسيره خمسة الأشبار بخلال المجد الخمسة . و«خمسة الأشبار » مفعول أدرك بتقدير مضاف كما تقدم .

وقال الأعلم، على مانقله اللخميّ: « فاعل سما مضمر لدلالة المعنى عليه ، والتقدير : وسما جسمه أو طوله . وفاعل أدرك مضمر أيضاً عائدٌ على الجسم الذي دلّ عليه المعنى . ومعنى أدرك : انتهى . والأفعال يُحمل بعضها على بعض إذا اشتركت في المعنى ، والتقدير : انتهى طوله أو جسمه خمسة أشبار ، ويكون انتصاب خمسة أشبار على أنّه مفعول على إسقاط حرف الجرّ ، أي : انتهى إلى خمسة أشبار » اهـ .

أقول : هذا كلُّه تعسفٌ لا ضرورةَ تدعو إليه ، ومثل هذا قول ابن يسعون في «شرح شواهد الإيضاح » : « ويجوز نصبه نصب الظروف بقوله سما ، أي : فعلا مقدار خمسة الأشبار » اهـ . فإنّه تعسف أيضاً ؛ لأنه يكون المدرك غير معلومٍ ماهو ، وبقي قوله « أدرك » غير مفيد شيئاً . ومن فسر الخمسة بالسيف والعصا والخيزرانة ، فهو على حذف مضاف ، أي : فأدرك أخذ خمسة الأشبار للقتال به أو للجس باليد أو للخطبة. وقال ابن يسعون ، بعد جعل « الخمسة » مفعولاً لأدرك على تقدير معناها السيف أو خلال المجد الخمسة ، ما نصّه : « ويجوز نصب خمسة نعتاً لإزاره ، أو بدلاً منه ، أو عطف بيان » . اهـ فتأمل .

---

(١) أي بدل بيت الفرزدق السابق الذكر .

وأما يزيد فهو ابن المهلّب بن أبي صُفرة ، أحدُ شجعان العرب وكرمائهم. وشهرته في الشجاعة والكرم غنيّة عن الوصف . كان في دولة الأمويين والياً على خراسان ، وافتتح جُرجان ودِهِستان وطبرستان . وبعد الحجاج صار أميرَ العراقَين . وأجمع علماء التاريخ على أنّه لم يكن في دولة بني أمية أكرمُ من بني المهلب كما لم يكن في دولة بني العباس أكرمُ من البرامكة . وولد يزيد سنة ثلاث وخمسين من الهجرة ، وتوفي مقتولاً يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين ومائة . وقد ترجمه ابن خلّكان وترجم والدَه بما لا مزيد عليه . وستأتي ترجمة والده في «رُبَّ» من حروف الجر في شرح قوله[1] : (الكامل)

* فَلَقَدْ يَكُونُ أخَا دَمٍ وَذَبائِحِ *

و« **الفرزدق** » هو أبو فِراس ، واسمه همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم البصري . وهمّام بصيغة المبالغة من الهمة .. وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ، بعد أن قال : اسمه همام[2] : « وكان للفرزدق إخوة ، منهم : هُميم بن غالب وبه سمّي الفرزدق ، والأخطل وكان أسنّ منه[3] ، وأخت يقال لها جعثِن كانت امرأة صدق » ، وكان جرير في مهاجاته للفرزدق يذكرها بسوء . قال اليربوعي : وكذب عليها جرير وكان يقول : أستغفر الله فيما قلت لجعثن . قال : وكانت إحدى الصالحات .

---

(١) عجز بيت لزياد بن الأعجم يرثي فيه المغيرة بن المهلب في ديوانه ص٨٧ ؛ والأشباه والنظائر (حماسة الخالدين) ٣٥٧/٢ ؛ وأمالي المرتضى ٣٠١/٢ ؛ والتعازي والمراثي ص٥٩ ؛ والشعر والشعراء ٤٣٨/١ ؛ واللسان (كون) والمراثي ص٣٣ ؛وللصلتان العبدي في أمالي المرتضى ١٩٩/٢ .وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٥١٢ .وصدره :

* وانْضِحْ جَوانِبَ قَبْرِهِ بِدِمائِها *

(٢) الشعر والشعراء ص ٣٨٢-٣٨٣ .

(٣) كذا في طبعتي بولاق والسلفية ؛ وفي الأغاني ٢٧٦/٢١ ؛ والشعر والشعراء ص٣٨٢ : " وكان للفرزدق أخ يقال له همِيم ، ويلقب بالأخطل " .

وفي الشعراء : " وكان له أخوة ، منهم هميم بن غالب ، وسمي الفرزدق باسمه وهو القائل :

لعمر أبيك فلا تكذبن	لقد ذهب الخير إلا قليلا
ولقد فتن الناس في دينهم	وخلّى ابن عفان شراً طويلا

و« الفرزدق » قال صاحب « العباب » : قال الليث : الفرزدق : الرغيف الذي يسقط في التنور ؛ ويقولون أيضاً الفرزدقة . قال : وقال بعضهم : هو فتات الخبز . وقال غيره : الفرزدق القطعة من العجين وأصلها بالفارسية بَراذده. وقال ابن فارس : هذه كلمة منحوتة من كلمتين ، من فرز ومن دقّ لأنه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة ، فهي من الإفراز والدقيق ا.هـ فلقب بأحد هذه المعاني .

ويشهد للأول ما روي أنه كان أصابه جُدري وبقي أثره في وجهه .ويروى أن رجلاً قال له : يا أبا فراس ، كأنّ وجهك أحراحٌ مجموعة ! فقال : تأمَّلْ هل ترى فيها حِرَ أمِّك ؟ والأحراح : جمع حِرٍ بالكسر وحذف لام الفعل ، هو فرج المرأة - وأخذ الفرزدق هذا الجواب من كلام أبي الأسود الدِّيلي ، فإنه كما في « الأغاني»[1] قال : «كان طريق أبي الأسود إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان فيهم رجل متفحِّش يكثر الاستهزاء بمن يمرّ به ، فمر به أبو الأسود يوماً فلما رآه قال لقومه: كأنَّ وجهَ أبي الأسود وجهُ عجوز راحت إلى أهلها بطلاق ! فضحك القوم وأعرض عنه أبو الأسود. ثم مرّ بهم ، فقال لهم : كأنَّ غضون قفا أبي الأسود غضون الفِقاح! فأقبل عليه أبو الأسود فقال : هل تعرف فقحة أبيك فيهن ؟ فأفحمه وضحك القومُ منه ، وقاموا إلى أبي الأسود فاعتذروا إليه ، و لم يعاوده الرجل بعد ذلك » .

ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثالث ، وبه صرح ابن قتيبة في « أدب الكاتب » فقال: « والفرزدق قطع العجين ، واحدها فرزدقة ، ومنه سمي الرجل ، وهو لقبٌ له لأنّه كان جهم الوجه » . ويحتمل أنه لقب بالمعنى الثاني بأنْ شبه غضون وجهه بفتات الخبز . وقال ابن السيّد في « شرح شواهد الجُمَل » ، وتبعه فيها ابن هشام اللخميُّ وابن خلف وغيرهما : قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : « إنّما سمِّي الفرزدق لغلظه وقصره ، شبّه بالفَتيتة التي تشربها النساء وهو الفرزدقة » ا.هـ .

أقول : لم أر الفرزدقة بهذا المعني في اللغة ، ولا الفتيتة بمعنى ما ذكره . على أنّ ابن قتيبة لم يذكر في الطبقات شيئاً في تلقيبه بالفرزدق . ثم رأيت في الأغاني في ترجمته [2] أن الفرزدق الرغيف الضخم الذي يجفّفه النساء للفَتوت . ورَوى أن الجهم ابن سُويد بن المنذر الجَرمي قال له : ما وجدَت أمُّك اسماً لك إلاّ الفرزدق الذي

(١) الأغاني ١٢/٣٠٢ .

(٢) الأغاني ٢١/٢٧٦ .

تكسّره النساء في سَويقها ! - قال : والعرب تسمي خبز الفَتوت الفرزدق - فقال له الفرزدق : أحقُّ النّاس بأن لا يتكلم في هذا أنت ، لأن اسمك اسم متاع المرأة ؛ واسم أبيك اسم الحمار ، واسم جدك اسم الكلب.

وروى بسنده عن أبي عمرو بن العلاء قال : أخبرت عن هشام العَنَزي أنه قال : «جمعني والفرزدقَ مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : من أنت ؟ قال : أما تعرفني ! قلت: لا . قال : فأنا أبو فراس ؟ قلت : ومن أبو فراس ؟ قال : أنا الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : أو ما تعرف الفرزدق ؟! قلت : أعرف الفرزدق أنه شيء تتخذه النساء عندنا بالمدينة تتسمّن به ، وهو الفتوت . فضحك وقال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم » .

وقال السيد المرتضى في أماليه : « والفرزدق لقب ، وإنّما لقّب به لجهامة وجهه وغلظه ، لأنّ الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين ، وقيل إنها الخبزة الغليظة التي يتخِذ منها النساء الفَتوت » .

وفي« الأغاني » بسنده إلى محمد بن وُهيب الشاعر قال : « جلستُ بالبصرة إلى جنب عطّار فإذا أعرابيةٌ سوداء قد جاءت فاشترت من العطّار خَلوقا ، فقلت له : تجدُها اشترته لابنتها ، وما ابنتها إلاّ خنفساء . فالتفتتْ إليَّ متضاحكة وقالت : لا والله ! إلاّ مَهاةٌ جَيداء ، إن قامت فقناة ، وإن قعدت فحصاة ، وإنْ مشت فقطاة ؛ أسفلها كثيب ، وأعلاها قضيب ؛ لا كفتَياتكم اللواتي تسمّنونهنّ بالفتوت . ثم انصرفت وهي تقول [1]:(الرجز)

إنّ الفَتُوْتَ للفَتَاةِ مَضْرَطَه يَكرُبها في البَطْنِ حَتّى تَثْلِطَه

فلا أعلمني ذكرتُها إلاّ أضحكني ذِكرها » .

وبالجملة هو وجرير والأخطل النصراني في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين. واختلف العلماء بالشعر فيه وفي جرير في المفاضلة . وكان يونس يفضّل الفرزدق ويقول : لولا الفرزدق لذهب شعر العرب . وقال ابن شُبرُمة : الفرزدق أشعر الناس . وقال أبو عمرو بن العلاء : لم أرَ بدوياً أقام في الحضر إلاّ فسَد لسانه ، غير رؤبة والفرزدق .

---

(١) الخبر والرجز في الأغاني ٨٣/١٩ . ورواية الأغاني : " يكربها بالليل .." .

وفي « العمدة » لابن رشيق [١] : « كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء [في] الجاهلية وأشعر شعراء وقته . فقال : أشعر الجاهلية امرؤ القيس، وأضربُهم مثلاً طرفة . وأما شعراءُ الوقت فالفرزدق أفخرهم ، وجرير أهجاهم ، والأخطل أوصفهم » .

وقد طبَّق المفصِلَ الأصبهانيُّ في قوله حين سئل عنهما : من كان يميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدة أسره فليقدِّم الفرزدق ، ومن كان يميل إلى أشعار المطبوعين والكلامِ السمح الجزل فليقدِّم جريراً .

قال أبو عبيدة : وكان الفرزدق يشبّه من شعراء الجاهلية بزهير .

وكان صعصعة جدُّ الفرزدق ، كما قال ابن قتيبة في الطبقات[٢] : عظيم القدر في الجاهلية ؛ وكان اشترى ثلاثين موؤدة ثم أسلم وصار صحابياً . وأم صعصعة قُفَيرة - بتقديم القاف على الفاء وبالتصغير - بنت مسكين الدّارميِّ ، وكانت أمها أَمةً وهبها كسرى لزُرارة ، فوهبها زرارة لهند بنت يثربيّ ، فوثب أخو زوجها ، وهو مِسكين ابن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم ، على الأمة فأحبلها فولدت له قُفيرة ، فكان جرير يعيِّر الفرزدقَ بها . وكان لصعصعة قيون - والقين الحداد - منهم جُبير ، ووَقْبان ، ودَيسم ، فلذلك جعل جرير مجاشعاً قيوناً .

وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير فقال [٣]: (المتقارب)

وَجَدْنا جُبَيْراً أبَا غَالِب ... بَعِيْدَ القَرابَةِ مِنْ مَعْبَدِ

يعني معبد بن زُرارة . وكان يعيبهم بالخزيرة ، وذلك أن ركباً من مجاشع مرُّوا بشهاب التغلبي فسألهم أن ينزلوا ، فحمل إليهم خَزيرة ، فجعلوا يأكلون وهي تسيل على لحاهم وهم على رواحلهم .

و« الخزيرة » - بفتح الخاء وكسر الزاي المعجمتين وبالراء المهملة - : قطعُ لحمٍ صغارٌ توضع في القدر بماء كثير ، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق . فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة . ويقال خزير أيضاً بدون تاء تأنيث .

(١) العمدة ١/٩٦ .

(٢) الشعر والشعراء ص٣٨١ .

(٣) البيت لجرير في ديوانه ٨٤٣ يرد فيه على الفرزدق ؛ والشعر والشعراء ص٣٨٢ .

وأما غالب أبو الفرزدق فإنّه كان يكنى أبا الأخطل . واستُجير بقبره بكاظمة ، فاحتملها عنه الفرزدق [١] .

وفي « نهج البلاغة » : وقال علي رضي الله عنه لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق، في كلام دار بينهما : ما فعلتْ إبلك الكثيرة ؟ قال : ذَعذعتها الحقوقُ يا أمير المؤمنين. فقال رضي الله عنه: ذاك أحمدُ سبيلها ! قوله ذعذعتها بذالين معجمتين وعينين مهملتين بمعنى فرقتها . يقال ذعذعته فتذعذع ؛ وذعذعةُ السرّ : إذاعته .

قال شارح « نهج البلاغة » ابن أبي الحديد : « دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عِقال المجاشعي على أمير المؤمنين ، رضي الله عنه ، أيام خلافته – وغالبٌ شيخ كبير ، ومعه ابنه همامٌ الفرزدق وهو غلام يومئذ – فقال له علي رضي الله عنه: مَن الشيخ ؟ قال : أنا غالب بن صعصعة . قال : ذو الإبل الكثيرة ؟ قال : نعم . قال: ما فعلت إبلك ؟ قال : ذعذعتها الحقوق وأذهبتها الحمالات والنوائب ، قال : ذاك أحمد سبيلها ، مَن هذا الغلام مَعَك ؟ قال : هذا ابني . قال : ما اسمه ؟ قال : همّام ، وقد روّيته الشعرَ يا أمير المؤمنين وكلامَ العرب ، ويوشك أن يكون شاعراً مُجيداً . فقال : أقرئه القرآن فهو خير له . فكان الفرزدق بعدُ يروي هذا الحديث ويقول : ما زالت كلمته في نفسي . حتّى قيّدَ نفسه بقيدٍ وآلى ألاّ يفكّه حتى يحفظ القرآن . فما فكّه حتى حفظه » ا.هـ .

وقد روَى عنه ، عليه السلام ، أحاديثَ وعن غيره من الصحابة . وعاش حتى قارب المائة ، ومات بعلّة الدُّبيلة [٢] ، رحمه الله تعالى .

قال النّويريّ في تاريخه : مات الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وله إحدى وتسعون سنة ، ومات فيها جرير أيضاً .

وقال السيّد المرتضي ، قدّس الله سرّه ، في أماليه [٣] . « الفرزدق مع تقدّمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذِّروة العُليا [٤] ، والغاية القصوى ، شريف الآباء كريم البيت؛

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٠٦/١ : " أي احتمل الحمالة " .

والحمالة : الدية يحملها الإنسان عن غيره .

(٢) الدبيلة : داء يجتمع في الجوف .

(٣) أمالي المرتضى ٦٢/١ .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : "العَلياء" بالهمزة . وإنما العليا ، بفتح العين مهموزة أو غير مهموزة بمعنى المكان =

له ولآبائه مآثر لا تُدفع ، ومفاخر لا تُجحد .. وكان مائلاً إلى بني هاشم ، ونَزع في آخر عمره عمّا كان عليه من القذف والفسق ، وراجعَ طريقةَ الدين . على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً من الدين جملةً ، ولا مهملاً لأمره اصلاً .. روي أنه تعلّق بأستار الكعبة ، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف ، وقال [١] : (الطويل)

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبّي وإنَّنِي ... لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمٌ وَمَقَامِ
عَلى حَلْفَةٍ لا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِماً ... وَلا خَارِجاً مِنْ فِيَّ زَوْرُ كَلامِ
أَطَعْتُكَ يا إبْلِيسُ تِسْعِينَ حِجّةً ... فَلَمّا انْقَضَى عُمْري وَتَمّ تَمَامِي
فَزِعْتُ إلى رَبِّي وأيقَنْتُ أَنَّنِي ... مُلاقٍ لأيَّامِ الحُتُوفِ حِمَامِي

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والثلاثون [٢] : (الطويل)

٣١- وشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ
فَذُو العَرشِ مَحْمُودٌ وَهَذا مُحَمَّدُ

على أنّه يمكن لمح الوصف مع العلمية ، أي : يمكن أن يلاحظ بعد العلمية الوصف الذي كان قبلها وبملاحظته يوضع علماً ، فإن « محمدا » وضع علماً لنبيّنا صلى الله عليه وسلم بملاحظة معناه ، فإن معناه في اللغة ، كما قال صاحب «العباب» وغيره : الذي كثرت خصاله المحمودة ؛ كما قال الأعشى في مدح النعمان ابن المنذر [٣] : (الطويل)

إليكَ أبيتَ اللعنَ كانَ كَلالُها ... إلى الماجدِ الفَرعِ الجَوادِ المُحمّدِ

وبعد أن صار علماً يجوز أن يلحظ معناه اللغويّ كما لحظه حسّان في هذا البيت.

= العالي ، أما العُليا بضم العين كما أثبتت في الشنقيطية ، فهي مؤنث الأعلى .

(١) من قصيدة للفرزدق يخاطب فيها إبليس ويهجوه ، ويعلن توبته عن هجو الناس . هي في ديوانه ص٧٦٩-٧٧١ ؛ والبيتان ١-٢ في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيتان ١-٢ هما الإنشاد الرابع والأربعون بعد الستمائة ٦/٢٤١ . والأول بلا نسبة في تاج العروس (رتج) ؛ وتهذيب اللغة ١١/٤ ؛ ولسان العرب (رتج) .

(٢) من قصيدة لحسان بن ثابت يمدح فيها الرسول الكريم في ديوانه ص٣٣٨-٣٣٩ .

(٣) البيت في ديوان الأعشى ص٢٣٩ ؛ وتاج العروس (حمد) ؛ والتنبيه والإيضاح ٢/٢٠ ؛ ومقاييس اللغة ٢/١٠٠؛ ولسان العرب (حمد) . الماجد : الكريم الشريف . والفرع : الشريف العالي النسب .

وهو أول أبيات ثمانية مدح بها نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم . والصواب في روايته « شَقَّ له من اسمه » بدون واو ، فإنها للعطف و لم يتقدم شيء يعطف عليه ؛ لكن يبقى الشعر مخروماً - والخرم جائز عندهم ، وهو بالخاء المعجمة والراء المهملة ، عبارة عن حذف أول الوتد المجموع في أول البيت ،وذلك نحو فعولن ومفاعيلن ومفاعلتن - كما أن ضمير « له » راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومفعوله محذوف أي : شق له اسماً من اسمه ، واسم الله تعالى المشقوق منه : محمود ، بمعنى أن الحمد لا يكون إلا له ، ولا يقع إلاّ عليه ، فأراد تبارك وتعالى أنْ يشرك نبيه في اسم من هذا الوصف تعظيم له ، صلى الله عليه وسلم ، فسماه محمداً ، كما سيأتي بيانه. وقوله « من اسمه » بهمزة الوصل ، وسمعت بعضهم يقرؤه بهمزة القطع ، وهو لحن. وقوله ليجلّه روى بدله « كي يجلّه » وبقية الأبيات هذه [1] : (الطويل) .

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعدَ يَأْسٍ وَفَتْرةٍ ... مِنَ الرُّسْلِ وَالأَوْثانُ في الأَرْضِ تُعبَدُ

فأَمْسَى سِراجاً مُستَنيراً وَهَادِياً ... يَلُوحُ كَمَا لاحَ الصَّقِيلُ المُهنَّدُ

وأَنْذَرَنَا نَاراً وبَشّرَ جَنَّةً ... وَعَلّمَنا الإِسْلامَ فالله نَحْمَدُ

وَأَنْتَ إِلهُ العَرْشِ ربِّي وَخَالِقي ... بِذلِكَ ما عُمِّرتُ في النَّاسِ أَشْهَدُ

تَعَالَيْتَ رَبَّ النّاسِ عَنْ قَولِ مَنْ دَعَا ... سِواكَ إِلهاً ، أَنْتَ أَعلَى وأَمْجَدُ

لكَ الخَلقُ والنَّعْمَاءُ والأَمْرُ كُلّهُ ... فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي وإِيَّاكَ نَعْبُدُ

لأَنَّ ثَوابَ اللهِ كُلَّ مُوحِّدِ ... جِنانٌ مِنَ الفِرْدَوسِ فِيهَا يُخلّدُ

كذا في ديوانه من رواية أبي سعيد السّكري . ورأيت « في المواهب اللدنية » قال مؤلفه [2] : ثم إن في اسمه « محمد » خصائص ، منها أنّه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسّان بن ثابت [3] : (الطويل)

أغَرُّ عَلَيْهِ للنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ الله مِنْ نُورٍ يَلُوحُ ويُشْهَدُ

---

(١) ديوان حسن بن ثابت ص٣٣٨-٣٣٩ (دار المعارف) وديوانه ص٥١ (دار إحياء التراث) .

والبيت السابع في الدرر ٢٦٣/٥ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٦٩٤ ؛ ولسان العرب (فردوس) . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ٣٣٦/٢ ؛ وشرح شذور الذهب ص٥٢٩ ؛ وهمع الهوامع ٩٥/٢ .

المهند : السيف صنع في الهند . والصقيل : اللامع .

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري ، المتوفى سنة ٩٢٣ هـ .

(٣) الأبيات في ديوانه ص٥١ .

الأغر : الكريم الأفعال .

وَضَمَّ الإِلَـهُ اسمَ النَّبيّ إلى اسْمِهِ إذا قَال في الخَمْسِ المؤذّنُ أشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ من اسْمِه لِيُجلّه فَذُو العَرْشِ محمودٌ وهَذا مُحمَّدُ

وعلى هذه الرواية فالواو للعطف ، وفاعل « شق » ضمير الإله ، والضمير في«له» راجع للنبيّ . ثم قال صاحب المواهب : وأخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق عليّ بن زيد قال : كان أبو طالب يقول :

وشق له من اسمه ليجلّه * .... البيت

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بألفي ألفِ عام ، كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبي نُعيم في مناجاة موسى . وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال : إن الله أنزل على آدم عِصيًّا بعدد الأنبياء والمرسلين ثم أقبل على ابنه شيث فقال : أيْ بنيَّ ، أنت خليفتي من بعدي ، فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى، وكلما ذكرتَ الله فاذكر إلى جنبه اسمَ محمد ، فإنّي رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الرُّوح والطين ، ثم إني طفت السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ؛ وإنّ ربي أسكنني الجنة فلم أر في الجنة قصراً ولا غُرفة إلاّ اسمُ محمد مكتوباً عليها ؛ ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين ، وعلى ورق قَصب آجام الجنة ، وعلى ورق شجرة طُوبَى ، وعلى ورق سِدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحُجُب ، وبين أعين الملائكة ، فأكثرْ ذكره فإن الملائكة تذكره في كلِّ ساعاتها .

ولما سماه جده عبد المطلب بمحمد قيل له : كيف سمّيته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك ؟ فقال : لأني أرجو أن يحمده أهل الأرض كلُّهم ؛ وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب كما ذكر حديثها عليٌّ القَيروانيّ العابر «في كتاب البستان» قال : كان عبد المطلب قد رأى في المنام كأنّ سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرفٌ في السماء وطرف في المشرق وطرف في المغرب، ثم عادت كأنّها شجرةٌ على كلِّ ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلّقون بها ؛ فقصها فعُبِّرت له بمولودٍ يكون من صلبه ، يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ، ويحمده أهلُ السماء والأرض ، فلذلك سماه محمداً ، مع ما حدَّثته به أمه آمنة حين قيل لها : إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمّة ، فإذا وضعتِه فسمّيه محمداً .

قال السّهيليّ : محمد منقول من صفة في معنى محمود ، ولكن فيه معنى المبالغة

والتكرار ، لأن المحمّد الذي حمد مرة بعد مرة ، كما أن المكرَّم من أكرم مرة بعد مرة، وكذلك الممدّح ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله سبحانه سماه به قبل أن يسمى به . علمٌ من أعلام نبوته عليه السلام ، إذْ كان اسمه صادقاً عليه ، فهو صلى الله عليه وسلم محمود في الدنيا بما هَدى إليه ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة . فقد تكرَّر معنى الحمد .

ومحمود أيضاً من أسمائه صلى الله عليه وسلم ، قال صاحب المواهب : اعلم أن من أسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود ، لأنه تعالى حمد نفسه وحمده عباده ؛ وقد سمي الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود . وكذا وقع اسمه في زبور داود .

وقال الشامي في سيرته : « ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم المحمود ، وهو المستحق لأن يحمد لكثرة خصاله الحميدة . قال حسان بن ثابت رضي الله عنه[1] : (الطويل)

فأصْبَحَ مَحْمُوداً إلى الله راجِعاً يُبَكِّيْهِ حَقُّ المُرسَلاتِ ويَحْمَدُ

وهو من أسمائه تعالى . قال حسان أيضاً :

وشق له من اسمه ليجلّه . . . . البيت ا.هـ .

وعليه فهو اسم مشترك بين الله وبين نبيه ، و لم أر من صرح به غير الشامي .

وأما أحمد فهو اسمه عليه الصلاة والسلام الذي سمّي به على لسان عيسى وموسى.

قال السهيليّ : هو منقول من الصفة التي معناها التفضيل ، فمعنى أحمد : أحمد الحامدين لربه ، وكذلك هو في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد بها ربّه ، ولذلك يعقد له لواء الحمد .

وقال السخاوي في « سفر السعادة » : أحمد هو مأخوذ من الحمد كما أخذ من الحمرة أحمر ومن الصفرة أصفر ، وأحمد أبلغ من محمد ، كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمّر ومصفّر ، لأنه في أحمر وأصفر ألزم ، وليس أحمد بمنقول من الفعل المضارع ، ولا هو أفعل فتقول كأكرم ، ومن هذا « الله أكبر » .

---

(١) البيت في ديوان حسان بن ثابت ص٦٠ .

و« **حسان** » هو أبو الوليد بن ثابت بن المنذر الأنصاري من بني النجار : وأمه الفُريعة بنت خنس[١] من بني الخزرج . والفريعة بالفاء والعين المهملة مصغر فَرعة بالتحريك وهي القملة الكبيرة .

قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء [٢] : « وهو جاهلي إسلاميٌّ متقدم الإسلام ، إلا أنه لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهداً لأنه كان يرمى بالجبن لعلّة أصابته . وكانت له ناصيةٌ يُسدِلها بين عينيه .وكان يَضرب بلسانه رَوثة أنفه [٣] من طوله ، ويقول : والله لو وضعته على شَعرٍ لَحَلقه ، أو على صخرٍ لفَلَقه .

وعاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة ، فهو من المخضرمين ، ومات في زمن معاوية وكف بصره في آخر عمره».

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثلاثون [٤] : (الطويل)

٣٢- فَتًى فَارِسِيٌّ فِي سَرَاوِيلَ رَامِحُ

وصدره :

* أتى دونَها ذَبُّ الرِّيادِ كأنَّه *

على أن « سراويل » غير منصرف عند الأكثرين كما هنا :

وهذا البيت من قصيدة لتميم بن أُبَيّ بن مُقبل يصف الثّور الوحشيّ وضمير دونها لأنثاه ، و« دُونَ » بمعنى قدام . وروى : « يمشِّي بها ذبّ الرِّياد » وروى أيضاً

(١) في جميع طبعات الخزانة : " بنت خنس .." . وفي الأغاني ١٣٤/٤ : " ابنة خالد بن قيس بن لوذان بن عبد ود ابن ثعلبة بن الخزرج " .

(٢) الشعر والشعراء ص٢٢٣ .

(٣) روثة الأنف : أرنبته .

(٤) البيت في ديوان تميم بن أبي بن مقبل في ديوانه ص٤١ ؛ وأمالي القالي ١٦٤/٢ ؛ وتاج العروس (ذبب ، رود ، سرل) ؛ وجمهرة اللغة ص٦٦ ؛ وشرح المفصل ٦٤/١ ؛ ولسان العرب (ذبب ، رود ، سرل) ؛ ومجمل اللغة ٣٣٥/٢ ؛ ومقاييس اللغة ٣٤٩/٢ ؛ وللراعي النميري في ملحق ديوانه ص٣٠٣ ؛ وديوان المعاني ١٣٢/٢ .
وهو بلا نسبة في المخصص ٣٩/٨ ، ١٢/١٢ ، ١٧٠/١٥ .

« يرودُ بها » . و« الذبّ » - بفتح الذال المعجمة وتشديد الموحدة - ، قال في «الصحاح » : هو الثور الوحشيّ ، ويقال له ذَبّ الرِّياد لأنّه يرود : أي : يذهب ويجيء ولا يثبت في موضع . قال النابغة الذبياني يصف ناقته [1] : (البسيط)

كأنّما الرَّحْلُ منْها فَوْقَ ذِي جُدَدٍ ذَبِّ الرِّيادِ إلى الأشْباحِ نَظّارِ

وزاد في « العباب » فقال : ورجل ذبُّ الرِّياد : إذا كان زَوّاراً للنساء . قال عبدٌ من عبيد بَجيلة [2] : (البسيط)

قَدْ كنت فتّاحَ أبْواب مُغلّقَة ذَبّ الرِّيادِ إذَا مَا خُولِسَ النَّظَرُ

وقال القالي في أماليه [3] : « يقال : فلان ذَبّ إذا كان لا يستقر في موضع ، ومنه قيل للثور الوحشيّ : ذبّ الرِّياد ». وأنشد بيت الشاهد .

وقد خالف أبو هلال العسكري في ديوان المعاني [4] فزعم أن « ذبّ الرِّياد » اسم للوَعِل. ونسب البيت إلى الراعي فقال : وقد أحسنَ الراعي في وصف الوعل ؛ ثم قال « وذَبّ الرِّياد » علم على الوعل . والصواب ما قدمناه فيهما .

شبّه الشاعر ما على قوائم الثور الوحشيّ من الشعر بالسراويل ، وهو من لباس الفرس ، ولهذا شبَّهه بفتى فارسيّ ، وشبه قرنه بالرمح ولهذا قال : « رامح » أي : ذو رمح ؛ فقوله: « فتى » خبر كأن ، و « فارسيّ » صفة فتى ؛ و « في سراويل » حال من ضمير فارسي ، إذ هو بمعنى منسوب إلى الفُرس ، أو صفة لفارسي ، و«رامح » صفة ثانية لفتّى . و« السراويل » يذكر ويؤنث كما في « العباب » ، وجرّ بالفتحة لأنه غير منصرف ، قال الشارح المحقق : « واختلف في تعليله فعندَ س وتبعه أبو علي أنّه اسم أعجمي مفرد أعرب كما أُعرب الآجُرّ ، ولكنه أشبه من كلامهم ما لا ينصرف قطعاً نحو قناديل ، فحمل على ما شابهه فمنع الصرف » .

---

(١) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص٢٠٣؛ وتاج العروس (ذبب) ؛ وكتاب العين ٣/٩٩ ؛ ولسان العرب (ذبب).

(٢) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة (ذبب) ؛ وتاج العروس (ذبب) ؛ وتهذيب اللغة ١٤/٤١٤ ؛ ولسان العرب (ذبب) .

(٣) أمالي القالي ٢/١٦٤ .

(٤) ديوان المعاني ٢/١٣٢ .

أقول : الذي رأيته في تذكرة أبي علي مخالفَةُ **س** فإنّه بعد أن نقل كلام **س** قال : «سراويل وإن كان واحداً فهو على مثال الجمع الذي لا يكون واحد على مثاله ، فأنت ما لم تسمّ به فهو منصرف كآجُرّ ، الذي ليس في الواحد ولا غيره على مثاله ، فإذا سمّيت به صار مثل شراحيل ا.هـ .

وكأن أبا عليّ فهمَ من قول **س** : أنه أعجمي كما أعرب الآجرّ ، أنه يريد يصرف كما يصرف الآجر؛ وليس كذلك ، بل مراده أنه معْرب لا مبنيّ كما أن الآجر معْرب ، بدليل قول **س** بعده : إلاّ أن سراويل أشبَهَ من كلامهم ما لا ينصرف في نكرة ولا معرفة .

و« **أبو هلال العسكري** »[1] هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مِهرانَ اللغويّ العسكري . وكان تلميذ أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري ، وافق اسمُه اسمَ شيخه واسمُ أبيه اسمَ أبيه ، وهو عسكريٌّ أيضاً ، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري .

وقد ترجمنا « أبا أحمد العسكري » في الشاهد الثامن والعشرين .

قال أبو طاهر السلَفي : « سألت الرئيس أبا المظفّر الأبيوَرْديّ بهَمذان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفّة معاً ، قال : كان يبزز[2] احترازاً من الطمع والدناءة والتبذّل، وكان الغالب عليه الأدب والشعر ؛ وله كتاب في اللغة سماه التلخيص ، وهو كتاب مفيد ؛ وكتاب صناعتي النظم والنثر ، وهو أيضاً كتاب مفيد جداً » .

قال ياقوت في « معجم الأدباء » : « وذكر غيرُه [3] أن أبا هلال كان ابن أخت أبي أحمد وله من الكتب بعد ما ذكره السلفيّ : «كتاب جمهرة الأمثال» . «كتاب معاني الأدب» . «كتاب أعلام المعاني» ، في معاني الشعر . «كتاب شرح الحماسة». «كتاب الأوائل » . «كتاب الفرق بين المعاني» . «كتاب نوادر الواحد والجمع» . «كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة» . «كتاب التبصِرة»، وهو كتاب مفيد . «كتاب الدرهم والدينار» . «كتاب العمدة» . «كتاب فضل الغنى

---

(١) انظر في ترجمته أعيان الشيعة ٢٢/١٥٤-١٥٩ ؛ وبغية الوعاة ١/٥٠٦ ؛ ومعجم الأدباء ٨/٢٥٨-٢٦٧ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ، يقول الميمني : " في معجم الأدباء ٣/١٣٦ : يبزز ، وفي بغية الوعاة : يتبزز ، والغالب على الظن أن معناه : يبيع الثياب ، وهي البزّ " .

(٣) أي غير أبي طاهر السلفي .

على العُسر» . «كتاب ما تلحن فيه الخاصّة» . «كتاب المحاسن في تفسير القرآن» ، خمس مجلدات . و«كتاب ديوان شعره».

قال ياقوت : « وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء ، غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة » .

هذا ما ذكره ياقوت . وله عندي « كتاب الفروق في اللغة » . و« كتاب ديوان المعاني » [1] ؛ وهما دالاّن على غزارة علمه . ومن شعره [2] : (الطويل)

إذا كانَ مَالِي مَالَ مَنْ يَلْقُطُ العجَمْ ... وَحَالِيَ فِيكُمْ حَالَ مَنْ حَاكَ أَوْحَجَمْ
فأيْنَ انْتِفَاعِي بالأصَالَةِ والحِجَا ... وَما رَبحَتْ كَفّي عَلى العِلمِ والحِكَمْ!
وَمَنْ ذا الذِي فِي النَّاسِ يُبصِرُحَالَتِي ... وَلا يَلْعَنُ القِرطاسَ والحِبرَ والقَلَمْ

وله أيضاً [3] : (الطويل)

جُلُوسِيَ في سُوقٍ أبيْعُ وَأشْتَري ... دَلِيْلٌ عَلَى أنَّ الأنَامَ قُرُوْدُ
وَلا خَيْرَ فِي قَومٍ يَذِلّ كِرامهُمْ ... وَيَعْظُمُ فِيهِم نَذْلُهم وَيَسُودُ
وَيَهْجُوهُم عنّي رَثَاثَةُ كُسْوَتِي ... هِجَاءً قَبِيْحاً مَا عَلَيْهِ مَزِيْدُ !

وأما « تميم » صاحب الشاهد فهو ابن أُبيّ بن مُقبل[4] ، وأبيّ بالتصغير وتشديد الياء ، ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العَجلان بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وكان يبكي أهل الجاهلية . وبلغ مائة وعشرين سنة . وكان يهاجي النّجاشيّ الشاعر ؛ فهجاه النّجاشيّ فاستعدى عليه عمرَ رضي الله عنه ، فقال [5] : يا أمير المؤمنين ، هجاني. فقال عمر : يا نجاشيُّ ما قلت ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قلت ما لا أرى فيه عليه بأساً . وأنشده[6]: (الطويل)

---

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .

(٢) الأبيات في ديوان أبي هلال العسكري ص١٩٥-١٩٦ ؛ وبغية الوعاة ١/٥٠٧ ؛ ومعجم الأدباء ٨/٢٦١ .

(٣) الأبيات في ديوان أبي هلال العسكري ص٩٧ ؛ ودمية القصر ١/٥٢٧ ؛ ومعجم الأدباء ٨/٢٦١-٢٦٢ .

(٤) انظر في ترجمته مقدمة ديوانه ص٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٥/٩٧ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٤٣ .

(٥) الخبر والشعر في العمدة ١/٥٢ و ١/٧٦ .

(٦) الأبيات وخبرها في زهر الآداب ١/٥٤ ؛ والعمدة ١/٥٢ . والأبيات ١-٣ في البيان والتبيين ٤/٣٧ .

إذا اللهُ جَـازَى أهْـلَ لُؤْمٍ بذِلَّـة فجازى بني العَجلان رهْطَ ابنِ مقبلِ

فقال عمر : إن كان مظلوماً استُجيب له ، وإن لم يكن مظلوماً لم يُستجب له .

قالوا : وقد قال أيضاً : (الطويل)

قَبيلَتُـهُ لا يَغْـدِرونَ بِـذِمّـةٍ وَلا يَظْلِمُـونَ النّـاسَ حبَّـةَ خَـرْدَلِ

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ! قالوا : فإنّه قال :

ولا يَـردونَ الـمَـاءَ إلاّ عَشِـيَّـةً إذا صَـدَر الـوُرّادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلِ

فقال عمر : ذلك أقلُّ للزحام [١] ! قالوا : فإنّه قال :

تَعَافُ الكِلابُ الضَّارِياتُ لُحومَهُـمْ وتأْكُل مِنْ كَعْبِ بنِ عَـوْفٍ وَنَهْشَلِ

فقال عمر : يكفي ضَياعاً من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا : فإنّه قال :

ومـا سُـمّيَ العَجْـلانَ إلاّ لِقَولِـهـم خُذِ القَعْبَ واحْلُبْ أيها العَبْدُ واعْجلِ

فقال عمر : كلُّنا عبد ، وخير القوم خادمهم ! قال تميم : فسله يـا أمـير المؤمنـين عن قوله :

أولئِـكَ إخْوانُ اللَّعِيْـنِ وأُسْرة الـ ـهَجيْـنِ وَرَهْطُ الـوَاهِنِ الـمُتَذلِّـلِ

فقال عمر : أمّا هذا فلا أعذرك عليه ! فحبسه ، وقيل جَلَده .

قال صاحب زهر الآداب [٢] : «كان بنو العَجلان يفخرون بهذا الاسم ، إذ كان عبد الله بن كعب جدُّهم إنّما سمي العَجلان لتعجيله القِرى للضيفان: وذلك أن حيّاً من طيّئ نزلوا به فبعثَ إليهم بقِراهُم عبداً له ، وقال له : اعجلْ عليهم . ففعل العبد فأعتقه لعَجلته ؛ فقال القوم : ما ينبغي أن يسمَّى إلاَّ العَجلان . فسمِّي بذلك فكان شرفاً لهم ؛ حتّى قال النّجاشيّ هذا الشعر فصار الرجل إذا سئل عن نسبه قال : كَعبيّ. ويرغب عن العجلان » .

---

(١) في العمدة ٥٢/١ : " ذلك أقل للسكاك ، يعني الزحام " .

والبيت الرابع للنجاشي الحارثي في لسان العرب (عيف) . والخامس للنجاشي في تاج العروس (عجل) . وهو بلا نسبة في مجالس ثعلب ص٤٣١ ؛ ومقاييس اللغة ٢٣٨/٤ .

(٢) زهر الآداب ٥٤/١ .

قال : وزعمت الرواة أنّ بني العجلان استعْدوا على النّجاشيّ . وذكر هذه الحكاية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون [١]: (المتقارب)

٣٣- عَلَيْهِ مِنَ اللُّؤْمِ سِرْوَالَةٌ فَلَيْسَ يَرِقُّ لِمُسْتَعْطِفِ

على أنَّ « السراويل » عند المبرِّد عربيٌّ ، وهو جمع سروالة ، و« السروالة »: قطعة خرقة.

أقول : هذا البيت قيل مصنوع ، وقيل قائله مجهول ، والذي أثبته قال : إنّ سِروالة واحدة السراويل ، وكيف تكون سروالة بمعنى قطعة خرقة ، مع الحكم بأنها واحدة السراويل ، هذا لا يكون ! وقال السيرافي : سروالة لغة في السراويل ، إذ ليس مراد الشاعر عليه من اللؤم قطعةٌ من جزء السراويل .

و« سروالة » ، في البيت : مبتدأ مؤخر وعليه خبر مقدم . وقوله : « من اللؤم»، كان في الأصل صفة لسروالة ، فلما قدم عليه صار حالاً منه ، هذا هو المقرر. وقال العيني[٢] : و« من اللؤم » صفة لسروالة فيكون محلُّها الرفع . وهذا خطأ . و«اللؤم» بالهمز: شحّ النفس ودناءة الآباء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون [٣] : (الرجز)

٣٤- جاءَ الشّتاءُ وقَميصي أخلاقْ شَراذمٌ يَعجبُ منه التَّوّاقْ

(١) البيت بلا نسبة في تاج العروس (سرول) ؛ والدرر ٨٨/١ ؛ وشرح الأشموني ٥٢٢/٢ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٢٧٥/١ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١٠٠ ؛ وشرح المفصل ٦٤/١ ؛ ولسان العرب (رسل) ؛ والمقتضب ٣٤٦/٣ ؛ وهمع الهوامع ٢٥/١ .

(٢) المقاصد النحوية ٣٥٤/٤ ؛ وانظر في ذلك ابن يعيش ٦٤/١ ؛ وهمع الهوامع ٢٥/١ .

(٣) الرجز بلا نسبة في الأزهية ص٣٠ ؛ وتاج العروس (خلق ، شرذم) ؛ وتهذيب اللغة ٣٠/٧ ، ٢٥٦/٩ ؛ وجمهرة اللغة ص٦١٩ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢١٣ ؛ وكتاب العين ٣٠٢/٦ ؛ ولسان العرب (توق ، خلق ، شرذم) . ورواية اللسان : " شراذم يضحك مني ...." .

على أن « شراذم » لفظة جمع بالاتفاق .

أقول : نسب أبو حنيفة الدِّينَوَريّ في « كتاب النبات » هذا البيت إلى بعض الأعراب ، وقال : الأخلاق والأرمام والأرماث لا تكون إلاّ في الخُلقان ، وقال : إنّما نعت الواحد بالجمع لكثرته فيه : كما قالوا بُرمةٌ أعشار إذا انكسرت ، أريدَ أن كسرها كثير .وفي « العباب » : وقد خَلُق الثوب - بالضم - خُلوقة ، أي : بلي ؛ وثوبٌ أخلاق : إذا كانت الخلوقة فيه كلّه ، كما قالوا برمة أعشار وأرضٌ سباسب .

وفي « الزاهر » لابن الأنباري : وقال الفرّاء : من العرب من يقول قميص أخلاق وجبّة أخلاق ، فيصف الواحد بالجمع ، لأن الخلوقة في الثوب تتّسع فيسمى كلُّ موضع منها خَلَقا ثم يجمع على هذا المعنى ، ومن قال جُبّة خَلَق قالوا في التثنية : جُبّتان خَلَقان ، وفي الجمع : جباب أخلاق .

و« الشراذِم » بالشين والذال المعجمتين : جمع شِرذمة بكسر الأول والثالث[1]، قال في « الصحاح » : « الشِّرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشيء، وثوب شَراذمُ أي : قطع » . و« التوّاق » بفتح التاء المثناة الفوقية وتشديد الواو : اسم ابن الشاعر ، قاله الفرّاء وغيره . وأصله مبالغة تائق ، من تاقت نفسه إلى الشيء بمعنى اشتاقت ، قال الشاعر[2] : (الرجز)

* الـمَرْءُ تَـوّاقٌ إِلى مَا لَـمْ يَنَـلْ *

وقال صاحب « العباب » : وروى النواق بالنون ؛ وقال في « نوق » : والنواق من الرجال الذي يَرُود الأمور ويصلحها . وعلى هذا فيجوز أن يراد به أيضاً الرفّاء ونحوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون ، وهو من شواهد **س**[3]:(الطويل)

---

(١) في طبعة بولاق : " والثاني " . وهو تحريف . والتصويب من طبعتي السلفية وهارون .

(٢) الرجز بلا نسبة في البيان والتبيين ١٩٤/٣ ؛ وقبله :

* من عاش دهراً فسيأتيه الأجل *

(٣) البيت للفرزدق في إنباه الرواة ١٠٥/٢ ؛ وبغية الوعاة ٤٢/٢ ؛ والدرر ١٠١/١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣١١/٢ ؛ وشرح التصريح ٢٢٩/٢ ؛ وشرح المفصل ٦٤/١ ؛ والكتاب ٣١٣/٣ ، ٣١٥ ؛ ولسان العرب (عرا ، ولى) ؛ وما ينصرف وما لا ينصرف ص١١٤ ؛ ومراتب النحويين ٣١ ؛ والمقاصد النحوية ٣٧٥/٤ ؛ والمقتضب ١٤٣/١ ؛ و لم أقع عليه في ديوانه . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١٤٠/٤ ؛ وشرح الأشموني ٥٤١/٣ ؛ وهمع الهوامع ٣٦/١ . والبيت وخبره في طبقات فحول الشعراء ١٧/١ .

٣٥- وَلَو كَانَ عَبْدُ اللهِ مَولًى هَجَوْتُهُ
وَلَكِنَّ عَبْدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

على أنّ بعض العرب يجرُّ نحو « جَوارٍ » بالفتحة فيقول : مررت بجواريَ كما قال الفرزدق « مولى مَواليَ » بإضافة مواليَ إلى مولى والألف للإطلاق ، وجمهور العرب يقول : مررت بجوارٍ ، ومولى موالٍ ، بحذف الياء والتنوين ، في الجر والرفع ، وأما في النصب عندهما فلاً تحذف الياء بلٍ تظهر الفتحة عليها ، نحو رأيت جواريَ . والمراد بجوار : ما كان جمعاً على هذا الوزن معتل اللام .

وهذا خلاف ما قاله **س** ، قال الأعلم في شرح أبياته : « الشاهد في إجرائه مواليَ على الأصل ضرورة ، وكان الوجه مَوالٍ كجوار ونحوه من الجمع المنقوص ، فاضطر إلى الإتمام والإجراء على الأصل كراهة للزحاف » ا.هـ .

وكذا قال صاحب « الصحاح » قال : « وإنّما قال مواليا لأنه ردَّه إلى أصله للضرورة ، وإنّما لم ينون لأنه جعله بمنزلة غير المعتلّ الذي لا ينصرف » .

وصاحب « اللباب » وغيره جعله قولاً للنحويين لا لغةً لبعض العرب ، وقال : ونحو جوارٍ حكمه حكم قاضٍ رفعاً وجراً على الأعرف ، وحكم ضوارب نصباً ، وقيل نصباً وجراً . وبهذا سقط اعتراض ابن أبي إسحاق على الفرزدق في قوله :

ولو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

و« المولى » : الحليف ، هو الذي يقال له مولى الموالاة ، والحليف : المعاهد ، يقال منه تحالفا ، إذا تعاهدا وتعاقدا على أن يكون أمرهما واحداً في النُّصرة والحماية، وبينهما حِلْف وحِلْفة بالكسر فيهما أي : عهد . والرجل إذا كان ذليلاً يوالي قبيلة وينضم إليها ليعتزّ بهم ، وإذا والى مَولى كان أذلّ ذليل ، وكذلك القبيلة تُوالِي . وأراد بالموالي الحضرميّين ، وكانوا مواليَ بني عبد شمس ابن عبد مناف ، يقول : لو كان عبد الله ذليلاً لهجوته ، ولكنه أذلُّ من الذليل لأنه حليفُ الحضرميين ، وهم حلفاء بني عبد شمس . وهذا مبالغة في الهجو .

والحضرميّ : منسوب إلى حَضْرَمَوت ، وحضرموت : بلد وقبيلة . والصواب في رواية البيت :

* لَوْ كَانَ عَبْدُ اللهِ مولى هَجَوْتُه *

بحذف الواو وجعلِ البيت مخروماً ؛ فإنّه بيتٌ واحد و لم يتقدّمه شيء حتى تكـون الواو عاطفة .

وعبد الله هو عبد الله بن أبي إسحاق الزيـاديّ الحضرمـي . قـال الواحـدي في «كتاب الإغراب ، في علم الإعـراب » : « كـان عبـد اللـه مـن تلامـذة عنبسـة بـن مَعْدان[1] ، وهو [2] من تلامذة أبي الأسود الدؤلي واضع النحو . وليـس في أصحـاب عنبسة مثل عبد الله ، واسمه ميمـون الأقـرن ، وهـو الـذي كـان يـردُّ على الفـرزدق قولَه[3]: (الطويل)

وَعَضُّ زَمَانٌ يا ابنَ مرْوانَ لَـمْ يَدَعْ مِنَ الـمَالِ إلاَّ مُسْـحَتـاً أوْ مُجَلَّفُ

فهجاه الفرزدق بقوله :

فلـو كـان عبـد الله مـولـى هجـوتـه . . . . البيـت

وكان يقال[4] : عبد الله أعلم أهـل البصـرة وأعقلهـم . وفـرّعَ النحـو وقاسـه . وكان أبو عمرو بن العلاء قد أخذ عنه النحو . ومن أصحاب عبد الله الذيـن أخـذوا عنه النحو عيسى بن عمر الثّقفي ، ويونس بن حبيب ، وأبو الخطاب الأخفش »ا.هـ.

وقال أبو بكر محمد بن عبـد الملـك بـن السـرَّاج المعـروف بالتـاريخي ، في تـاريخ النحاة : وتوفي عبد اللـه هذا سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وصلّى عليه بلال بن أبي بردة .

واعلم أنّهم قد ذكروا في سبب هجو الفرزدق لعبـد اللـه أن عبـد اللـه لحّنـه في قوله « إلاّ مسحتا أو مجلفُ » فإنّه عطف المرفوع على المنصوب كما نقلـه الواحـدي

---

(١) في طبعة بولاق : " سعدان " . وهو تصحيف صوابه من السلفية نقلاً عن الشنقيطية .

(٢) أي عنبسة . وفي نزهة الألباء : " .. وعن أبي عبيدة أنه قال : اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية فكان أبرع أصحابه عنبسـة بـن معـدان المهـري . واختلـف النـاس إلى عنبسـة فكـان أبـرع أصحابـه ميمـون الأقرن".

(٣) البيـت في ديـوان الفـرزدق ٢٦/٢ ؛ وجمهـرة أشـعار العـرب ص٨٨٠ ؛ وجمهـرة اللغـة ص٣٨٦ ، ١٢٥٩ ؛ والخصائص ٩٩/١ ؛ ولسان العرب (سحت ، جلـف ، ودع) . وهـو بـلا نسـبة في الإنصـاف ١٨٨/١ ؛ وجمهـرة اللغة ص٤٨٧ ؛ وشرح شـواهد الإيضـاح ص٢٧٩ ؛ وشـرح المفصـل ٣١/١ ، ١٠٣/١٠ ؛ والمحتسـب ١٨٠/١ ، ٣٦٥/٢ .

(٤) النص في مراتب النحويين ص٣١ .

وغيره. وسيأتي إن شاء الله شرح هذا البيت مستوفًى في باب العطف ، فلما بلغ الفرزدق تلحين عبد الله إياه هجاه بهذا البيت ، فلما بلغ هجوُ الفرزدق لعبد الله[1] قال : قولوا للفرزدق لحنت في هذا البيت أيضاً ، حيث حرّكت مواليَ في الخفض.

هكذا روَوا هذه الحكاية ؛ والذي رأيته في تاريخ النحاة للتاريخي ، المذكور آنفاً ، قال : حدثني ابن الفهم عن محمد بن سلاّم قال[2] : أخبرنا يونس أن ابن أبي إسحاق قال للفرزدق ، في مديحه يزيد بن عبد الملك بن مروان :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجَى مُخُّها رِيْرِ

فقال له ابن أبي إسحاق : أسأت ! موضعها رفع ، وإن رفعتَ أقويت ! وألحَّ الناسُ على الفرزدق في ذلك فقلبها فقال :

* على زواحف نزجيها محاسيرِ *

ثم ترك الرواةُ هذا ورجعوا إلى القول الأوّل . قال يونس : وهذا جيِّد . فلمّا أكثر ابن أبي إسحاق على الفرزدق هجاه فقال :

لو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

وقد حكى مثل حكاية التاريخي أبو القاسم علي بن حمزة البصري اللغوي في «كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة » ، قال : « وقد حكى أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي في إسنادٍ ذكره ، في أخبار الفرزدق : أن عبد الله بن أبي إسحاق النحوي قال : إنّ الفرزدق لحن في قوله :

* على زواحف تزجى مخُّها ريرِ *

وأنَّ ذلك بلغ الفرزدق فقال : أما وجَد هذا المنتفخُ الخُصيين لبيتي مخرجاً في العربية ؟ أما إنِّي لو أشاء لقلت :

* على زواحفَ نُزجيها محاسيرِ *

ولكنّني والله لا أقوله ! ثم قال :

فلو كان عبد الله مولى هجوته . . . . البيت

---

(١) في جميع الطبعات : " لعبد الله " . وهو خطأ صوابه أن يقال : " الفرزدق عبد الله " .

(٢) الخبر بكامله في طبقات فحول الشعراء ١/١٧ .

فبلغ ذلك عبدَ الله فقال : عُذره شرٌّ من ذنبه ، والخفض في رير جيّد وتقديره على زواحفَ ريرٍ مخُّها تزجى » ا.هـ . كلامه .

وهذا البيت مركب من بيتين وهما (١) : (البسيط)

مُسْتقبليْنَ شَمالَ الشَّام تَضرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنَدِيْفِ القُطْنِ مَنْثُورِ
عَلَى عَمائِمنا يُلْقَى وأرْحُلُنا عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيْهَا مَحَاسِيْرِ

و« الشمال » هي الريح المعروفة وهي مفعولةٌ .وجملة « تضربنا » : حال منها . و« الحاصب » بمهملتين : الريح التي تثير الحصباء . و« الزواحف » : جمع زاحفة بالزاي المعجمة والحاء المهملة ، وهي الإبل التي أعيت فجرّت فراسنها ، يقال زحف البعير إذا أعيا فجرّ فِرسِنَه أي : خفّه . و« نزجيها » : نسوقها ، والإزجاء : السوق . و« محاسير » : جمع مَحسور ، من حسرت البعير حسراً إذا أتعبته فهو حسير أيضاً ، ويقال أحسرته بالألف أيضاً ، ويكون لازماً أيضاً ؛ يقال حسَر البعير يحسُر حسوراً ، إذا أعيا . و« الرِّير » ، على ما في الرواية الأخرى ، هو بإهمال الراءين ؛ قال الفرّاء : مخٌّ رير بفتح الراء وكسرها ، ورار أيضاً : أي : فاسد ذائب من الهزال .

ومن الأمثال(٢) : « أسمحُ منْ مخَّةِ الرِّيرِ » قال الزمخشري في أمثاله : الرير والرار : المخّ الذي قد ذاب في العظم حتّى كأنه ماء ؛ وسماحةُ : ذوبه وجريانه.

وترجمة « الفرزدق » ذكرت في الشاهد الثلاثين .

﴿ تتمة ﴾

قد تكلم ابن جنّي ، في شرح تصريف أبي عثمان المازني المسمّى بالتصريف الملوكي (٣) ، بتفصيل جيد في الكلام على تنوين « جوارٍ » أحببت أن أذكره هنا قال:

« فأما جَوار وغَواش ونحوهما ، فللسائل أن يقول : لم صرف هذا الوزن ، وبعد

---

(١) البيتان في ديوان الفرزدق ٢٦٢-٢٦٣ ؛ وتاج العروس (زحف) ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٣٦/٥ ؛ ولسان العرب (زحف) . والثاني في كتاب العين ١٦٣/٣ ؛ ومجمل اللغة ٤٢/٣ ؛ ومقاييس اللغة ٤٩/٣ .

(٢) المثل في جمهرة الأمثال ٥٣٢/١ ؛ والدرة الفاخرة ٢٢٩/١ ؛ والمستقصى ١٧٢/١ ؛ والميداني ٣٥٣/١ ؛ ولسان العرب (مخخ) .

(٣) المنصف ٧٠/٢-٧٥ ، بقليل من التصرف .

ألفه حرفان [١] ؟ وقد قال أبو إسحاق الزجّاج في هذا ما أذكره لك : وهو أنه ذهب إلى أن التنوين إنّما دخل في هذا الوزن لأنه عوض من ذهاب حركة الياء ، فلما جاء التنوين وهو ساكن والياء قبله ساكنة ، التقى ساكنان فحذفت الياء فقيل هؤلاء جوارٍ قيل هذا قاضٍ ومررت بقاضٍ ؛ يريد أن أصله هؤلاء جواريُ ، ثم أسكنت الياء استثقالاً للضمة عليها فبقيتْ جواريْ ، ثم عوض من الحركة التنوين فالتقى ساكنان فوجب حذف الياء ، ألا ترى أنّ الحركة لما ثبتت في موضع النصب في قولك رأيت جواريَ لم يؤت بالتنوين ؟ لأنّه إنّما كان يجيء عوضاً من الحركة ، فإذا كانت الحركة ثابتة لم يلزم أن يعوض منها شيء .

وأنكر أبو علي هذا القول على أبي إسحاق وقال: ليس التنوين عوضاً من حركة الياء ، وقال : لأنّه لو كان كذلك لوجب أن يعوَّض التنوين من حركة الياء في يرمي، ألا ترى أن أصله يرميُ بوزن يضرب ؟ فكما لم نرهم عَوَّضوا من حركة هذه الياء ، كذلك لا يجوز أن يكون التنوين في جوارٍ عوضاً من ذهاب حركة الياء . فإن انتصر منتصرٌ لأبي إسحاق فقال : إلزام أبي عليٍ إياه لا يلزمه ، لأن له أن يقول إن «جوارٍ» ونحوه اسم والتنوين بابه الأسماء ، و«يرمى» فعل والتنوين لا مدخل له فيه ، فلذلك لم يلزم أن يعوَّض من حركته . قيل له: ومثال « مَفاعل » أيضاً لا يدخله التنوين[٢]! فإن قال : مفاعل اسم والاسم مما يصحُّ فيه التنوين . قيل له : لو كان الأمر كذلك لوجب أن يعوّض من حركة الألف في «حبلى» ونحوها تنويناً . فإن قال : لو عوض لدخل التنوين ما لا ينصرف على وجه من الوجوه ! قيل : وكذلك مثال مفاعل لا ينصرف معرفة ولا نكرة . فإن قال: مفاعل قد ينصرف في بعض المواضع في ضرورة الشعر ، وحبلى وبابها لم يصرف قطُّ لضرورة .

قيل : إنما لم يصرفوا حبلى للضرورة، لأنّ التنوين كان يُذهب الألف من اللفظ فيُحصَل على ساكن هو التنوين ، وقد كانت الألف قبله ساكنة فلا يزدادون أكثر مما كان قبل الصرف ، فتركوا الصرف في نحو حُبلى لذلك . ألا ترى أنهم يصرفون نحو « حمراء » فيقولون مررت بحمراء للضرورة ؟ لأنهم قد ازدادوا حرفاً يقوم به وزنُ البيت ، وهمزة حمراء كألف سكرى وحبلى .

(١) بعده في المنصف : " الراء والياء والشين والياء " .

(٢) بعده في المنصف : " فجرى مجرى الفعل " .

والقول في هذا ما ذهب إليه الخليل وسيبويه : من أن الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين ، فلما حذفت الياء صار في التقدير جَوار بوزن جَناح ، فلما نقص عن وزن فواعل دخله التنوين كما يدخل جناحاً ؛ فدلَّ على أن التنوين إنّما دخله لما نقص عن وزن ضوارب ، ولذا إذا تم الوزن في النصب وظهرت الياء امتنع التنوين أن يدخل ، لأنّه قد تمّ في وزن ضوارب ، فالتنوين على هذا معاقِبٌ للياء لا للحركة ، إذ لو كان معاقباً للحركة لوجب أن يدخل في « يرمي» لأنَّ الحركة قد حذفت من الياء في موضع الرفع .

وشيء آخر يدلُّ عندي على أن التنوين ليس بدلاً من الحركة ، وذلك أن الياء في جوار قد عاقبت الحركة في الرفع والجر ، في الغالب ، وإذا كان كذلك فقد صارت الياء لمعاقبتها الحركة تجري مجراها . فكما لا يجوز أن يعوّض من الحركة وهي ثابتة ، كذلك لا يجوز أن يعوض منها وفي الكلمة ما هو معاقبٌ لها وجارٍ مجراها .

وقد دلّلت في هذا الكتاب على أن الحركة قد تعاقب الحرف وتقوم مقامه في كثير من كلام العرب .

فإن قال قائل : فلم ذهب الخليل وسيبويه إلى أن الياء قد حذفت حذفاً حتّى أنه لما نقص وزن الكلمة عن بناء فواعل دخلها التنوين ؟ قيل : لأنّ الياء قد حذفت في مواضعَ لا تبلغ أن تكون في الثقل ، مثل هذا كقوله تعالى[1] : «الكبيرُ المتَعال » ، و[2]« يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ » ، و[3] « يَوْمَ التّنادِ » .

وقال الشاعر [4] : (الكامل)

* وأخُو الغَوانِ مَتَى يَشِبْ يَصرِمْنَهُ *

---

(١) سورة الرعد : ١٣/٩ .

(٢) سورة القمر : ٥٤/٦ .

(٣) سورة غافر : ٤٠/٣٢ .

(٤) صدر بيت للأعشى في ديوانه ١٧٩ . وعجزه :

* ويَكُنَّ أعْداءً بُعَيْدَ وِدادِ *

البيت للأعشى في ديوانه ص١٧٩ ؛ والدرر ٢٤٢/٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٩/١ ؛ والكتاب ٢٨/١ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ٣٨٧/١ ؛ وسر صناعة الإعراب ٥١٩/٢ ، ٧٧٢ ؛ ولسان العرب (غنا) ؛ والمنصف ٧٣/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٥٧/٢ .

وقال آخر (١): (الوافر)

* دوامِي الأَيْـــدِ يَخبِطْـــنَ السَّرِيْحَا *

فاكتفى في جميع هذا بالكسرة من الياء ، وهو كثيرٌ جداً ، فلما كان الاكتفاء بالكسرة جائزاً مستحسناً في هذه الأسماء الآحاد ، والآحاد أخفُّ من الجموع ، كان باب « جوارٍ » جديراً بأن يلزم الحذف لثقله . ألا ترى أنه جمعٌ وهو مع ذلك الجمعُ الأكبرُ الذي تنتهي إليه الجموع ! فلما اجتمع فيه ذلك وكانوا قد حذفوا الياء مما هو أخفُّ منه ألزموه الحذف البتة حتى لم يجز غيره . وقد حذفت الياء من الفعل أيضاً في موضع الرفع حذفاً كالمطّرد كقوله تعالى(٢) : « ما كُنّا نَبْغ » ، (٣)« والليل إذا يَسْرِ » وهو كثير . فهذا يدلُّك على اطّراد حذف الياء .

فإن قال قائل : الفعل أثقل من الاسم ، فكيف ألزم بابُ جوارِ الحذفَ و لم يلزموه الفعل ؟ قيل له : لم يلزم في الفعلِ ، لأن الياء قد تحذف للجزم حذفاً مطرداً ، فلو ألزموها الحذفَ في موضع الرفع أيضاً لالتبس الرفع بالجزم ؛ وأجازوا الحذف في بعض المواضع استخفافاً .

فإن قيل : هلاّ فصلت بين الرفع والجر أيضاً في جَوارٍ كما فصلت بين الرفع والجزم ! قيل له : الضمة والكسرة وإن اختلفتا في الصورة فقد اتفقتا في أنَّ كل واحدةٍ منهما حركة ، وأنهما كلتيهما مستثقلتان في الياء ، فكذلك لم يفصلوا بينهما في باب جَوار ، واعتمدوا على ما يصحب الكلام من أوله إلى آخره (٤) ، وليس

---

(١) عجز بيت لمضرس بن ربعي وصدره :

* فَطِرْتُ بِمُنْصِلي في يَعْمَلاتٍ *

وهو الإنشاد السبعون بعد الثلاثمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت في شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٣٦/٤ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٦٢/١ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٤٨١ ؛ ولسان العرب (ثمن ، يدي) . وله أو ليزيد بن الطثرية في شرح شواهد المغني ص٥٩٨ ؛ ولسان العرب (جزز) ؛ والمقاصد النحوية ٥٩١/٤ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦٠/٢ ؛ والإنصاف ٥٤٥/٢ ؛ وجمهرة اللغة ص٥١٢ ؛ والخصائص ٢٦٩/٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٥١٩ ؛ ٧٧٢ ؛ والكتاب ٢٧/١ ، ١٩٠/٤ ؛ ولسان العرب (خبط) ؛ ومغني اللبيب ٢٢٥/١ ؛ والمنصف ٧٣/٢ .

(٢) سورة الكهف : ٦٤/١٨ .

(٣) سورة الفجر : ٤/٨٩ .

(٤) في المنصف : " أو آخره " .

كذلك في الرفع والجزم ، لأنهما لم يتَّفقا في حال كما اتفقت الضمة والكسر . فافهم» .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون ، وهو من شواهد **س**[1]: (الطويل)

٣٦- سَماءُ الإلهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمائِيَا

وصدره :

* لَهُ مَا رأتْ عينُ البَصير وفوقَه *

أنشده لِما تقدَّم في البيت قبله .

قال أبو جعفر النحّاس في « شرح شواهد **س** » ، نقلاً عن الأخفش ، ومثله ابن جنّي في « شرح تصريف المازني » واللفظ له قال : « قد خرج هذا الشاعر عما عليه الاستعمال من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه جمع « سماء » على فعائل فشبّهها بشَمال وشمائل ، والجمع المعروف فيها إنما هو « سُمِّي » على فُعول ، ونظيره عَناق وعُنوق . ألا ترى أن سماء مؤنثة كما أن عَناقاً كذلك ؟

والثاني : أنّه أقر الهمزةَ العارضة في الجمع مع أن اللام معتلة ، وهذا غير معروف، ألا ترى أن ما تعرض الهمزةُ في جمعِهِ ولامُه واو أو ياء أو همزة فالهمزة العارضة فيه مغيَّرة مبدَلة نحو خطيئة وخطايا ، ومطيَّة ومطايا ، ولم يقولوا : خَطائي ولا مَطائي !.

والثالث : أنّه أجرى الياء في « سمائي » مُجرى الباء في ضوارب ، ففتحها في موضع الجر ، والمعروف عندهم أن تقول : هؤلاء جَوارٍ ومررت بجوار ، فتحذف الياء وتدخل التنوين . وللنحويين في ذلك احتجاجٌ لما يذهبون إليه من أنّ أصل مطايا مطائي ، ألا ترى أن الشاعر لما اضطر جاء به على أصله فقال : « سمائيا » كما أنّه لما اضطُرّ إلى إظهار أصل « ضنّ » .

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٧٠ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٠٤/٢ ؛ والكتاب ٣١٥/٣ ؛ ولسان العرب (سما) . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٣٧/٢ ؛ والخصائص ٢١١/١ / ٢١٢ ، ٣٤٨/٢ ؛ وما ينصرف وما لا ينصرف ص١١٥ ؛ والمقتضب ١٤٤/١ ؛ والممتع في التصريف ٥١٣/٢ ؛ والمنصف ٦٦/٢ ، ٦٨.

قال [١] : (البسيط)

* أنّي أجُــودُ لأقْــوامٍ وَإنْ ضَنِنُــوا *

وكما قال الآخر [٢]: (الطويل)

* صَــدَدْتِ فَأطْوَلْــتِ الصُّــدُودَ *

يريد « أطْلت » . فهذه الأشياء الشاذة فيها حجج في أن يقولوا : إن أصــل هـذا كذا.

وكذلك مــا حكــى عنهــم مــن أنّهــم يقولــون : غفــر اللــه لــه خطائئــه – بــوزن خطاعِعه[٣] – فيه دلالة على أن أصل رزايا رزائي بوزن رزاعع [٤] . ألا ترى أن رزيئـة كخطيئة ! فلابدّ لهم في جميع ما يدعونه من قياسٍ يرجعون إليه ، أو مســموع يحملــون ما غيِّر عليه» . انتهى .

---

(١) عجز بيت لقعنب بن أم صاحب وصدره :

* مَـهْلاً أعَاذِلَ قَـدْ جَـرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي *

وهو لـه في الخصـائص ١/١٦٠ ، ٢٥٧ ؛ وسمط اللآلئ ص٥٧٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٣١٨ ؛ والكتـاب ١/٢٩، ٣/٥٣٥ ؛ ولسان العرب (ظلل ، ضنن) ؛ والمنصف ١/٣٣٩ ، ٢/٣٠٣ ؛ ونوادر أبي زيد ص٤٤ . وهـو بلا نسبة في شـرح شافية ابـن الحـاجب ٣/٢٤١ ، وشرح المفصـل ٣/١٢ ؛ ولسـان العـرب (حمم) ؛ والمقتضـب ١/١٤٢ ، ٢٥٣ ، ٣/٣٥٤ ؛ والمنصف ٢/٦٩ .

(٢) هو الإنشاد الثامن بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهو صدر بيت للمرار الفقعسي ؛ وتمامه :

صـددت وأطولت الصـدود وقَلّمـا وصــالٌ على طُـولِ الصُّـدودِ يـدومُ

والبيت في ديوان المرار ص٤٨٠ ؛ والأزهيـة ص٩١ ؛ والـدرر ٥/١٩٠ ؛ وشـرح أبيـات المغني ٥/٢٤٦ ؛ وشـرح أبيات سيبويه ١/١٠٥ ؛ وشرح شـواهد المغـني ٢/٧١٧ ؛ ومغـني اللبيـب ١/٣٠٧ ، ٢/٥٨٢ ، ٥٩٠ . وهـو بـلا نسـبة في الإنصـاف ١/١٤٤ ؛ والخصـائص ١/١٤٣ ، ٢٥٧ ؛ والـدرر ٦/٣٢١ ؛ وشـرح المفصـل ٧/١١٦ ، ٨/١٣٢، ١٠/٧٦ ؛ والكتاب ١/٣١ ، ٣/١١٥ ؛ ولسان العرب (طول ، قلـل) ؛ والمحتسـب ١/٩٦ ؛ والمقتضب ١/٨٤ ؛ والممتع في التصريف ٢/٤٨٢ ؛ والمنصف ١/١٩١ ، ٢/٦٩ ؛ وهمع الهوامع ٢/٨٣ ، ٢٢٤ .

(٣) في طبعـة بـولاق : " خطاعفه " . وهـو تصحيـف صوابـه مـن الطبعـة السـلفية . وفي حاشـية الطبعـة السـلفية ١/٢٢٥: " كذا في ش مع أثر تصحيح . وفي الطبعة الأولى (خطاعفه) وليس للكلمة معنـى لغـوي وإنمـا هـو محـض تمثيل.

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ١/٢٢٥ : " في ش (زراعع) وليس لها أيضاً معنى لغوي " .

وهذا كلُّه من الأصول لابن السيرافي ، إلاّ أنَّ ابن جنّي بسط ما أجمله لابن السرّاج .

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأمية بن أبي الصلت ، مطلعها[1] : (الطويل)

أَلا كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ غَيْرَ رَبِّنَا ... و للهِ مِيْراثُ الّذِي كَانَ فَانِيَا
وَلِيٌّ : لَهُ مِنْ دُون كُلِّ ولايَةٍ ... إذا شَاءَ لم يُمْسُوا جَميعاً مَوالِيا
وَإنْ يَكُ شَيْءٌ خَالداً وَمعمَّرا ... تأمَّلْ تَجدْ مِنْ فَوقِهِ الله بَاقِيَا
لَهُ مَا رَأتْ عَيْنُ البَصِيْرِ وَفوقَهُ ... سَمَاءُ الإِلَهِ فَوقَ سَبْعِ سَمائِيا

وهذه قصيدةٌ عظيمة تشتمل على توحيد الله وقصص بعض الأنبياء كنوح، ويوسف ، وموسى ، وداود ، وسليمان [عليهم السلام] [2] .

ويعجبني منها قوله :

أَلا لَنْ يَفُوتَ المَرءَ رَحْمَةُ ربِّهِ ... وَلَو كانَ تَحْتَ الأرْضِ سَبعِينَ وادِيا
يُعَالَى وتُدْركهُ مِنَ الله رَحْمَةٌ ... ويُضْحِي ثَناهُ فِي البَريةِ زاكِيا

وقوله في آخرها :

وأنْتَ الذي مِنْ فَضْلِ سَيبٍ ونِعْمَةٍ ... بَعَثْتَ إلى موسَى رَسُولاً مُنَادِيَا
فَقالَ : أعِنِّي يابنَ أُمّي فَإنَّنِي ... كَثِيرٌ بهِ يارَبِّ صِلْ لِي جَناحِيا
وَقُلْتَ لهارُونَ : اذْهَبا فتَظاهَرا ... عَلى المَرْءِ فِرْعَونَ الذي كان طَاغِيا
وَقُولا لَهُ : آأنتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ ... بلا وَتِدٍ حتّى اطْمأنَّتْ كَما هِيا
وَقُولا لَهُ : آأنتَ رَفَّعْتَ هَذه ... بلا عَمَدٍ أرفِقْ إذاً بِكَ بَانِيا
وَقُولا لَهُ : آأنتَ سَوَّيتَ وَسْطَها ... مُنيْراً إذا ما جَنَّهُ اللّيْلُ سَارِيا
وَقُولا لَهُ: مَنْ أخْرَجَ الشَّمْسَ بُكْرَةً ... فأصْبَحَ مامَسَّتْ مِنَ الأرْضِ ضَاحِيا
وَقُولا لَه: مَنْ أنبتَ الحَبَّ في الثّرى ... فأصْبَحَ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رابِيا
فأصْبحَ مِنه حَبُّهُ فِي رُؤُوسِهِ ... فَفِي ذَاك آياتٌ لِمَنْ كَانَ واعِيا

وقوله : « وليٌّ له من دون كل ولاية إلخ » هو خبر مبتدأ محذوف ، أي : ربّنا وليٌّ؛ وهو فعيل بمعنى فاعل ، من وليه إذا قام به ، وكل من ولي أمر أحد فهو وليّه ؛

---

(١) القصيدة في ديوان أمية بن أبي الصلت ٧٠-٧١ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ١/٢٢٦ .

والضمير في « له » راجع لقوله « الذي كان فانيا » . والولاية ، قال أبو عمرو : هي بالكسر في العمل ، وبالفتح في الدِّين . وقوله : « إذا شاء إلخ » يقول : إذا شاء أماتهم وفرقهم . و« الموالي » : الورثة ، جمع مولى ، قال تعالى[1] : «ولكلٍّ جَعلنا مَواليَ» ، أي : ورثة . وقوله « له ما رأت عينُ البصير إلخ » له : خبر مقدم وضميره لربنا ، و« ما » موصولة مبتدأ مؤخر ؛ وتقديم الخبر للحصر ، أي : الذي رأته الأعينُ مِلْكٌ لربنا ليس لأحدٍ شيء منه [2] ؛ وضمير « فوقه » عائد لـ« ما» الموصولة . وسماء الإله أراد به العرش ، مبتدأ وخبره الظرف قبله . وقوله « فوق سبع سمائيا » حال من الضمير المستتر في « فوقه » . ومَن رفع سماء الإله بالظرف قبله كان « فوق سبع سمائيا » حالاً من سماء الإله . كذا في إيضاح الشعر لأبي علي .

قال ابن جنّي في « الخصائص »[3] : « وكان أبو علي ينشدنا : فوق ستّ سمائيا» .

وكذا رأيته أنا قد أثبته في « الإيضاح » ، وكذلك رأيته أنا أيضاً في ديوان «أميّة»، فيكون المراد بسماء الإله : السماء السابعة .

« **وأمية** » هو أمية بن أبي الصَّلت[4] ، واسمه : عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثّقفي .

قال الأصمعيّ : ذهب أميّة في شعره بعامّةِ ذكر الآخرة ، وعنترة بعامّة ذكر الحرب . وقد صدّقه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض شعره .

وفي صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال : « رَدِفت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل معك من شعر أُميّة بن أبي الصَّلت شيء ؟ قلت : نعم . قال: هيه ! فأنشدته بيتاً، فقال : هيهِ ، ثم أُنشدته بيتاً ، فقال : هيهِ ، حتّى أنشدته مائة بيت فقال : « كاد لَيُسلم » ، وفي رواية : « لَيُسلم في شعره » . وفي رواية : « آمن شعره وكفر قلبه».

---

(١) سورة النساء : ٤/٣٣ .

(٢) في النسخة الشنقيطية : " منها " . وهو تصحيف .

(٣) الخصائص ١/٢١١ .

(٤) انظر في ترجمته الأغاني ١٧/٣٠٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٤/٤٠٠ ؛ والشعر والشعراء ص٣٦٩ ؛ والسمط ٣٦٢ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٢٥٩ .

وفي الإصابة عن ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد قول أمية [1]: (الكامل)

رَجُلٌ وثَورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ والنَّسْرُ للأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصِدُ

فقال : صدق ، وهذه صفة حَمَلَة العرش .

وفي شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال : إنّ حملة العرش ثمانية : رجل ، وثور ، ونَسر ، وأسد ، هذه أربعة وأربعة أخرى ؛ فأما اليوم فهم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أُيّدوا بأربعةٍ أخرى فذلك قوله تعالى[2] : « ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانِيَةٌ » . كذلك بلغني ، والله أعلم ويقال : إن الذي في صورة رجلٍ هو الذي يشفع لبني آدم في أرزاقهم ، وأما الذي في صورة نَسر فهو الذي يشفع للطَّير في أرزاقهم . وبلغني أيضاً أن لكلِّ ملَكٍ منهم أربعةَ وجوهٍ : وجه رجل ، ووجه ثور ، ووجه أسد ، ووجه نسر ا.هـ .

وفي« الأغاني »[3] بسنده لما أُنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية : (البسيط)

الحمدُ للهِ مُمْسَانا ومُصْبَحنا بالخَيْرِ صَبّحَنا رَبِّي ومَسَّانا

ربُّ الحَنيفةِ لَمْ تَنفد خَزائِنُها مَملوءَةً طَبَقَ الآفاق أشْطَانا

أَلا نَبِيٌّ لَنا مِنّا فَيُخبِرنا ما بُعدُ غَايَتِنا مِن رأسِ مَجْرَانا

بَينَا يُربّبنا آباؤُنا هَلَكُوا وبينما نَقْتَنِي الأَوْلادَ أَبْلانا

وَقَدْ عِلِمنا لو انَّ العِلمَ يَنفَعُنا أنْ سَوفَ تَلْحقُ أُخرانا بأولانا

وَقَدْ عَجبْتُ وَما بالموتِ مِنْ عَجَبٍ مَا بالُ أَحْيائِنَا يَبكونَ مَوتانَا !

---

(١) البيت في الإصابة ١٣٣/١ ؛ بخلاف يسير في الرواية ، وهي " زحل وثور ....".
وبعده : فقال : صدق هكذا صفة العرش " .

(٢) سورة الحاقة : ٦٩/١٧ .

(٣) الأبيات في ديوانه ص٦٢-٦٣ ؛ والأغاني ١٢٩/٤ .
والبيت الأول في إصلاح المنطق ص١٦٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٩٢/٢ ؛ وشرح المفصل ٥٣/٦ ؛ والكتاب ٩٥/٤ ؛ ولسان العرب (مسا) . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ٣٥٢/٢ ؛ وشرح المفصل ٥٠/٦ . والثالث في الرد على النحاة ص١٢٥ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٦٦/٢ ؛ والكتاب ٣٣/٣ ؛ والمقاصد النحوية ٤١٢/٤ . وهو بلا نسبة في شرح شذور الذهب ص٣٩٩ . والخامس في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٩٤/٢ .

إلى أن قال :

يـاربِّ لا تـجعلَـنّـي كـافِـراً أبــداً واجعـل سَريـرَةَ قَلْبي الدَّهْرَ إيْمانَـا
واخْلِطْ بهِ بنْيتِـي واخْلِطْ بهِ بَـشَري واللحمَ والـدَّمَ ما عُمِّرتُ إنْسَـانـا
إنّي أعُـوذُ بـمَنْ حَـجَّ الحَجيْـجُ لَـهُ والـرَّافِعـونَ لِـديْنِ الله أرْكـانَـا
مُسـلِمِـينَ إليْـــهِ عِـنْدَ حَجّـهـم لـمْ يَبتَـغُوا بثَـوابِ الله أثْـمانَـا

فقال صلى الله عليه وسلم : « آمن شعرُه وكفر قلبه » .

وقال ابن قتيبة في « طبقات الشعراء »[١] : « وكان أمية يُخبر أن نبياً يخرُج ، قد أظلّ زمانه ، وكان يؤمّل أن يكون ذلك النبيَّ ؛ فلما بلغه خروج النبي صلى الله عليه وسلم كفر به حسداً» . ولما أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعره قال : « آمن لسانه وكفر قلبه » . وأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب ، وكان يأخذها من الكتب.

منها قوله [٢] : (الوافر)

بـآيـةِ قَـامَ يَنْطِقُ كُـلُّ شَـيْءٍ وخَـانَ أمـانَـةَ الـدِّيْـكِ الغُـرَابُ

وزعم أن الدِّيك كان نديماً للغراب ، فرهنه على الخمر وغدرَ به وتركه عند الخمَّار ، فجعله الخمَّار حارساً .

ومنها قوله [٣] :

* قَمَـرٌ وَسَـاهُـورٌ يُسَـلُّ ويُغْمَـدُ *

وزعم أهلُ الكتاب أنّ « الساهور » غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف[٤] .

---

(١) الشعر والشعراء ص٣٦٩ .

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص١٩ ؛ وتذكرة النحاة ٦٨٤ ؛ والحيوان ٣٢١/٢ ؛ والشعر والشعراء ص٣٧٠ .

(٣) عجز بيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٢٥ . وصدره :

* لا نَقْصَ فِيْهِ غَيْرَ أنَّ خَبِيْئَهُ *

والبيت في ديوان أمية ص٢٥ ؛ وتاج العروس (سهر) ؛ والتنبيه والإيضاح ١٣٥/٢ ؛ وتهذيب اللغة ١٢٠/٦ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٢٤٠ ؛ وديوان الأدب ٣٧١/١ ؛ ولسان العرب (سهر ، ملك) .

(٤) انظر في ذلك الشعر والشعراء ص٣٧٠ .

وقوله في الشمس[١]: (الكامل)

لَيسَتْ بِطالِعَةٍ لَهُمْ فِي رِسْلِها إلاَّ مُعَذَّبَةً وإلاَّ تُجْلَدُ

وكان يسمِّي السماوات صاقورة وحاقورة [وبرْقِعَ][٢] . وعلماؤنا لا يرون شعره حجة على الكتاب .

ولما حضرته الوفاة قال [٣]: (الخفيف)

كُلُّ عَيْش وإنْ تَطَاوَلَ يَوماً صَائِرٌ مَرَّةً إلى أنْ يَزُولا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ ما قَدْ بَدَا لِي فِي رُؤوسِ الجبالِ أرْعَى الوُعُولا

قال شارح ديوانه في شرح بيت الشمس : قال أبو عمرو : قال أبو بكر الهذَلِيّ : قلت لعكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما : أرأيت ما بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأمية بن أبي الصّلت : « آمن شعره وكفر قلبه » ؟ فقال : هو حقٌّ ، وما أنكرتم من ذلك ؟ قال : قلنا : أنكرنا قوله [٤] :

والشَّمسُ تُصبِحُ كُلَّ آخِرِ لَيلَةٍ حَمْرَاءَ يُصْبِح لَونها يَتَورَّدُ
لَيْسَت بِطَالِعةٍ لَهُم فِي رسلِها . . . . . (البيت)

فما شأن الشمس تجلد ؟ قال : والذي نفسي بيده ما طلعت الشمسُ قَطّ حتّى ينخَسَها سبعون ألف ملك يقال لها : اطلُعي ! فتقول : لا أطلُع على قوم يعبدوني من دون الله . فيأتيها مَلكان حتى تستقلّ لضياء العباد ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدَّها عن الطلوع ، فتطلع على قرنيه فيُحرقه الله تحتها . وما غربت قطّ إلاّ خرّت لله ساجدة ، فيأتيها شيطان يريد أن يصدَّها عن سجودها فتغرب على قرنيه فيُحرقه الله تحتها .

فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « تطلع بين قَرنَيْ شيطان » وتغرب بين قرني شيطان [٥] » .

---

(١) البيت في ديوانه ص٢٥ ؛ والأغاني ٤/١٣٠ ؛ والشعر والشعراء ص٣٧٠ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الشعر والشعراء ص٣٧١ .

(٣) البيتان في ديوانه ص٤٥ ؛ والأغاني ٤/١٣٢ . والشعر والشعراء ص٣٧١ .

(٤) البيتان في ديوانه ص٢٥ ؛ والأغاني ٤/١٣٠ .

(٥) الخبر برواية أخرى في الأغاني ٤/١٣٠-١٣١ .

وفي« الأغاني »[١] عن الزبير بن بكار قال : حدّثني عمي قال : كان أميّة في الجاهلية نظر الكتب وقرأها ، ولبس المسوح تعبدًا ، وكان [ممن] ذكر إبراهيم[٢] وإسماعيل والحنيفية ، وحرَّم الخمر ، وتجنَّب الأوثان ، وصام ، والتمس الدين طمعاً في النبوّة ؛ لأنه كان قد قرأ في الكتب أن نبياً يبعث في الحجاز من العرب وكان يرجو أن يكون هو ، فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم حسده . وكان يحرّض قريشاً بعد وقعة بدر ويرثي من قتل فيها ، فمن ذلك قصيدته الحائية التي نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن روايتها التي يقول فيها [٣]: (مجزوء الكامل)

مَاذا بِبَدْرٍ والعَقَنْـقَلِ مِنْ مَرازِبَةٍ جَحَاجِحْ

لأن رؤوس من قتل بها عتبة وشيبة : ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وهما ابنا خاله ، لأنّ أمّه رقية بنت عبد شمس .

وفي « الإصابة » : ذكر صاحب المرآة في ترجمته عن ابن هشام قال : كان أميّة آمَن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقدِم الحجاز ليأخذ ماله من الطائف ويهاجر ، فلما نزل بدراً قيل له : إلى أين يا أبا عثمان ؟ فقال : أريد أن أتبع محمداً فقيل له : هل تدري ما في هذا القليب ؟ قال : لا . قال : فيه شيبة وربيعة [٤] وفلان وفلان . فجدع أنف ناقته وشقَّ ثوبه وبكى ، وذهب إلى الطائف فمات بها . ذكر ذلك في حوادث السنة الثامنة . والمعروف أنه مات في التاسعة . ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً ، وصح أنه عاش حتى رثىأهل بدر ، وقيل إنّه الذي نزل فيه قوله تعالى [٥] : «الذي آتيناه آياتِنا فانسَلَخَ منها ». وقيل : إنه مات سنة تسع من الهجرة في الطائف كافراً قبل أن يُسلم الثقفيون .

---

(١) الأغاني ١٢٢/٤ .

(٢) في طبعة هارون نقلاً عن الشنقيطية : " وكان ذكر إبراهيم " . والزيادة يقتضيها السياق .

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٢٠ ؛ والأغاني ١٢٢/٤ ؛ وتاج العروس (جحجح) ؛ والسيرة النبوية ٣٠/٢ ؛ وكتاب العين ١١/٣ ؛ ومجمل اللغة ٣٨٣/١ ؛ ومقاييس اللغة ٤٠٥/١ . وهو لابن الزبعرى في أساس البلاغة (جحجح) . وهو بلا نسبة في لسان العرب (جحجح ، قدم) .

والجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد المسارع إلى المكارم . والمرازبة ، جمع مرزبان ، وهو أمير القوم وكبيرهم.

(٤) في الإصابة ١٣٣/١ : " فيه شيبة وعتبة ابنا خالك " .

(٥) سورة الأعراف : ١٧٥/٧ .

ورأيت في ديوانه قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم أولها : (المتقارب)

لَكَ الحَمْدُ والمنُّ رَبَّ العِبَا ... دِ أنْتَ المليْكُ وأنْتَ الحَكَمْ

إلى أن قال :

ودِنْ دِينَ رَبِّكَ حَتَّى التُّقَى ... واجْتَنِبَنَّ الهَوَى والضَّجَمْ
مُحَمَّدٌ أرْسَلَهُ بالهُدَى ... فَعَاشَ غَنِيًّا وَلَمْ يَهْتَضَمْ
عَطَاءٌ مِنَ الله أُعْطِيْتَه ... وَخَصَّ بِهِ الله أهْلَ الحَرَمْ
وَقَدْ عَلِمُوا أنَّهُ خَيْرُهُمْ ... وَفِي بَيْتِهِمْ ذِي النَّدَى والكَرَمْ
يَعِيْبُونَ مَا قَالَ لَمَّا دَعَا ... وَقَدْ فَرَّجَ الله إحْدَى البُّهَمْ
بِهِ وَهُوَ يَدْعُو بصِدْقِ الحَدِيـ ... ـثِ إلى الله مِنْ قَبْلُ زَيْغِ القَدَمْ
أَطِيْعُوا الرَّسُولَ عِبَادَ الإلهِ ... تُنَجّونَ مِنْ شَرِّ يَوْمِ ألَمْ
تُنَجُّونَ مِنْ ظُلُماتِ العَذابِ ... وَمِنْ حَرِّ نَارٍ عَلَى مَنْ ظَلَمْ
دَعَانَا النَّبِيُّ بِهِ خَاتَمٌ ... فَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ أسَرَّ النَّدَمْ
نَبِيٌّ هُدًى صَادِقٌ طَيِّبٌ ... رَحِيمٌ رَؤُوفٌ بِوَصْلِ الرَّحِمْ
بِهِ خَتَمَ الله مَنْ قَبْلَهُ ... وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ نَبِيٍّ خَتَمْ
يَمُوتُ كَمَا مَاتَ مَنْ قَدْ مَضَى ... يُرَدُّ إلى الله بَارِي النَّسَمْ
مَعَ الأنْبِيَا فِي جِنانِ الخُلُودِ ... هُمُ أهلُهَا غَيرَ حِلِّ القَسَمْ
وَقَدَّسَ فِيْنَا بِحُبِّ الصَّلاةِ ... جَمِيعاً وَعَلَّم خَطَّ القَلَمْ
كِتَاباً مِنَ الله نَقرا بِهِ ... فَمَنْ يَعتَدِيْهِ فقَدْ مَا أثِمْ[1]

« ما » زائدة ، و« أثم » فعل ماض .

﴿ تتمة ﴾

تتبعت من اسمه أميّة فوجدتهم خمسة : أحدهم هذا ، والثاني : أميّة بن كعب المحاربي ، والثالث : أميّة بن خلف الخزاعي . والرابع : أميّة بن أبي عائذ الهذلي . والخامس : أميّة بن الأسكر الكناني .

ولم يذكر واحداً منهم الآمدي في كتابه «المؤتلف والمختلف» مع أن هذا من شرط كتابه .

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٣٢/١ : " في ش : فمن يقتد به " .

ونترجم إن شاء الله من هؤلاء من يأتي له شعر في هذه الشواهد ، بعون الله تعالى وحسن توفيقه .

* * *

وأنشد بعده : (يَفوقَانِ مِرْداسَ في مَجْمَعِ)

تقدم الكلام عليه مستوفى في الشاهد السابع عشر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون [1] : (البسيط)

٣٧- كَمْ دُوْنَ مَيَّةَ مِنْ خَرْقٍ وَمِنْ عَلَمٍ كَأَنَّهُ لامِعٌ عُرْيَانُ مَسْلُوبُ

على أن « عريان » جاء في ضرورة الشعر ممنوعَ الصّرف ، تشبيهاً بباب سكران.

قد تقدم في الشاهد السابع عشر أنّ الكوفيين يجيزون ترك الصرف للضرورة[2] في الأعلام وغيرها ، ومن جملة شواهدهم [3]: (الطويل)

* والسَّيف عريَان أحْمَرُ *

وتقدم . و« كم » هنا للتكثير . و« دون » بمعنى قدام . و« ميّة » اسم محبوبة ذي الرمّة ولقبها الخرقاء كما تقدم بيانه في الشاهد الثامن . وفي أكثر نسخ هذا الشرح « بيشة » بدل مية ، وهو موضع باليمن وهو مأسدة . وفي « كتاب النبات» للدينَوَريّ : « بيشة » : واد عظيم من أودية نجد . وهو تحريف من الكتّاب . و«الخرق»- بفتح المعجمة وسكون الراء المهملة وبالقاف - ، هو الأرض الواسعة التي تتخرَّق فيها الرياح . و« العلم » : الجبل ، والمنار الذي يهتدى به في الطرق . وجملة « كأنه » صفة للعلم والرابط ضمير كأنّه . شبَّهه برجل عريان سلب ثوبه فهو يشير

---

(١) البيت لذي الرمة في ديوانه ص ١٥٧٥ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص ٨٧٩ .

(٢) في حاشية طبعة هارون ١/٢٥٤ : " كلمة " ترك " ساقطة من ش " .

(٣) عجز بيت وصدره :

فأَوْفَضْنَ عَنْها وَهْيَ تَرْغُو حُشَاشَةً بِذِي نَفْسِها ....

والبيت بلا نسبة في الإنصاف ٢/٤٩٧ .

إلى القوم . و« اللامع » من لمع الرجل بيده إذا أشار، والموصوف محذوف أي : رجل لامع . وهذا البيت من أبيات عشرة لذي الرمّة .

وقبل هذا البيت [١] : (البسيط)

هَيْهاتَ خَرْقَاءُ إلاّ أنْ يُقَرِّبَها ذُو العَرْشِ والشَّعْشَعاناتُ الهَراجِيْبُ

يستبعد الوصول إليها لبعد ما بينهما ، إلا أن يقرّبها الله إليه والجمالُ . و«الشعشعانة » : الناقة الخفيفة الطويلة . و« الهراجيب » : جمع هرجاب ، وهي الناقة الطويلة الضخمة .

ثم بعد أن وصف الناقة في أبيات ثلاثة قال :

كَمْ دُونَ مَيّة من خَرْقٍ وَمِنْ عَلمِ . . . . . . (البيت)

وبعده :

وَمِنْ مَلَمِّعَةٍ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ تُرابُها بالشِّعافِ الغُبرِ مَعْصُوبُ

هذا معطوف على قوله « من خرق ومن علم » . و« الملمِّعة : اسم فاعل ، وهي الفلاة التي يلمع فيها السَّراب ؛ ويقال لها اللمَّاعة أيضاً .

قال ابن أحمر [٢] : (السريع)

كَمْ دُوْنَ لَيلَى مِنْ تَنُوفِيَّةٍ لَمَّاعَةٍ يُنْذَرُ فِيْهَا النُّذُرْ

والسراب يقال له يلمع ، ويشبّه به الكذوب . و« الشِّعاف » : رؤوس الجبال. و« المعصوب » : الملفوف عليه كالعصابة .

وبعده وهو آخر الأبيات :

كَأنَّ حِرباءها فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ ذُو شَيبة مِنْ رِجالِ الهِنْدِ مَصْلُوب

---

(١) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٤٢٣ – وفيه " العياهيم " مكان " الهراجيب " ؛ وتاج العروس (هرجب ، شعع) ؛ ولسان العرب (شعع ، عهم) .

(٢) البيت لابن أحمر في ديوانه ص٦٥ ؛ وتاج العروس (نذر ، لمع) ؛ ولسان العرب (نذر ، لمع ، نتف) ؛ ومقاييس اللغة ١/٣٥٥ .

وفي اللسان (لمع) : " قال ابن بري : اللماعة الفلاة التي تلمع في السراب " .

« الهاجرة » : نصف النهار عند اشتداد الحرّ . و« الحِرباء » : دويبة تستقبل الشمس على أغصان الشجر وتدور معها كيف دارت ، ويتلوَّن ألواناً بحرّ الشمس يخضرّ كأنه شيخ هنديٌّ مصلوب على عود .

وترجمة « ذي الرمّة » تقدمت في الشاهد الثامن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون ، وهو من شواهد **س**[1] : (الوافر)

٣٨- أنـا ابـنُ جَـلا وطَـلاّعُ الثّـنايـا
مَـتَى أَضَـعِ العِمَـامَـةَ تَعْرِفُـونِـي

على أن « جلا » غير منصرف عند عيسى بن عمر ، لأنّه منقول من الفعل، و لم يشترط غَلَبة الوزن بالفعل . وأجاب عنه الشارح المحقّق تبعاً لغيره بوجهين :

الأول وهو جواب **س** : أن العَلَم إنّما هو الفعل مع ضميره المستتر ، فهو جملة محكية وليس العَلَم هو الفعل بدون ضميره . ويردُ عليه أنّ « جلا » ليس اسماً لأبي الشاعر ولا لقباً له كما يعلم من ترجمته الآتية ، وإنما « ابنُ جلا » في اللغة المنكشف الأمر ، كما قاله المبرِّد في الكامل[2] .

وقال القالي في أماليه[3] : يقال هو ابن جلا ، أي : المنكشف المشهور الأمر ، وأنشد الأصمعيّ :

---

(١) هو الإنشاد الثاني والستون بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت من مقطوعة لسحيم بن وثيل الرياحي . وهو في الاشتقاق ص٢٢٤ ؛ والأصمعيات ص١٧ ؛ وأمالي القالي ٢٤٦/١ ؛ وكتاب الأوائل ٦٩/٢ ؛ والبيان والتبيين ٣٠٨/٢ ؛ وجمهرة اللغة ص٤٩٥ ، ١٠٤٤ ؛ والحماسة البصرية ١٠٢/١ ؛ وحماسة البحتري ٥٥/١ ؛ والدرر ٩٩/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٦/٤ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٥٩/١ ؛ وشرح المفصل ٦٢/٣ ؛ والشعر والشعراء ٦٤٧/٢ ؛ وطبقات فحول الشعراء ٥٧٩/٢ ؛ والكتاب ٢٠٧/٣ ؛ والمقاصد النحوية ٣٥٦/٤ . وهو بلا نسبة في الاشتقاق ص٣١٤ ؛ وأمالي ابن الحاجب ص٤٥٦ ؛ وأوضح المسالك ١٢٧/٤ ؛ وشرح الأشموني ٥٣١/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٤٩/٢ ؛ وشرح قطر الندى ص٨٦؛ وشرح المفصل ٦١/١ ، ١٠٥/٤ ؛ ولسان العرب (ثنى ، جلا) ؛ وما ينصرف وما لا ينصرف ص٢٠ ؛ ومجالس ثعلب ٢١٢/١ ؛ ومغني اللبيب ١٦٠/١ ؛ والمقرب ٢٨٣/١ ؛ وهمع الهوامع ٣٠/١ .

(٢) الكامل في اللغة ١٣٢/١ .

(٣) أمالي القالي ٢٤٦/١ .

أنا ابــن جــلا وطـلاّع الثنايا .. إلخ

قال : وابن أجلَى مثله . وأنشد للعجاج [١]:

لاقُـوا بِـهِ الـحجَّـاجَ والإصْحَـارا ... بِـهِ ابنَ أجْلَـى وافَـقَ الإسْـفَـارا

قال : ولم أسمع بابن أجلـى إلاّ في بيـت العجـاج . وقولـه « لاقـوا بـه » ، أي : بذلك المكان . وقوله : و« الإصحارا » ، أي : وجدوا به ابـن أجلـى ، كمـا تقـول لقيت به الأسد أي : كأني لقيت بلقائي . وقوله « وافق الإسـفارا » ، أي : واضحـاً مثل الصبح . وقال ابن الأثير في « المرصّع » : ابن جــلا ، وابـن أجلـى ، هـو الرجـل المعروف المشهور والأمر الواضح المكشوف . وزعم بعضهم أنَّ ابـن جـلا اسم رجـل كان فاتكاً صاحب غارات مشهوراً بذلك . وأنشد هذا البيت .

وقوله بعد هذا : « وهو في الأصل فعل ماض سمِّي به ، وإنما لم يصرف لأنـه أراد به الحكاية » فاسدٌ ؛ لأنه ركب من القولين قولاً .

وقال البلَويُّ في كتاب « ألف باء» : ابن جــلا وابـن أجلـى همـا بمعنـى التجلّـي والأمر المنكشف ، وهو أول النهار . وقال « صاحب القاموس » : وابن جلا الواضح الأمر كابن أجلى . وقال ابـن الأنبـاري والقـالي في « المقصـور والممـدود » لهمـا : وقولهم أنا ابن جلا : أنا ابن البارز الأمر، أنا ابن من لا ينكر .

فهذا كلُّه يدل على عدم اختصاصه بأحدٍ ، بل يجوز لكلِّ أحدٍ أن يقول للتمدُّح: أنا ابن جلا ، كما قال اللعين المِنقري يهجو رؤبة بن العجّاج [٢]: (البسيط)

إنّي أنَـا ابنُ جَلا إنْ كُنتَ تَعرِفُنِـي ... يَـا رُؤبَ والـحَيةُ الصَّمّاءُ والـجَبَلُ
أبـالأراجيزِ يـا ابْنَ اللُّـؤمِ تُوعِـدُنِـي ... وفِي الأراجِيزِ خِلتُ اللُّؤمُ والفَشَلُ

وهذا البيت ينشده النحويون :

* وفـي الأراجـيــز خلـتُ اللــؤمُ والـخــوَرُ *

(١) البيت في ديوان العجاج ٤١٢ ؛ وأمالي القالي ٢٤٦/١ ؛ وتاج العروس (جلو) ؛ ورصف المباني ص١٤٧ ؛ واللسان (جلا) .

وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٠٤٤ ؛ والمخصص ٢٠٧/١٣ .

(٢) البيتان في حماسة البحتري ٥٧/١ ؛ والوحشيات ٦٣ للمكعبر الضبي ؛ وهما في الحيوان ١٠٤/٤ للّعين المنقري.

والصواب ما ذكرناه . فإنّ القصيدة لامية ، إلاّ أن يكونَ من قصيدة أخرى رائية.
وقال الآخر[١] :

* أنَـا القُــلاخُ بـنُ جَـنَــابِ بــنِ جَــلا *

قال العسكري في « التصحيف » : جناب جدُّ القلاخ . انتسب إليه . وابن جلا ليس بجدٍّ ، إنما أراد أنا ابن الأمر المكشوف ، مثل قول سُحَيم :

* أنـا ابـن جـلا وطـلاّعُ الثنـايــا * .... انتهى

الثاني وهو جواب الزمخشري في « المفصّل » : أن « جلا » ليس بعلم ، وإنما هو فعل ماض مع ضميره صفة لموصوف محذوف . وبهذا الوجه أورده الشارح في باب النعت وفي باب أفعال المدح والذم أيضاً ، وضَعَّفه في الأبواب الثلاثة بأن الجملة إذا كانت صفة لمحذوف فشرط موصوفها أن يكون بعضاً من متقدّم مجرور بمن أو في كما بين .

ويبقى وجه ثالث ذكره ابن الحاجب في أماليه وهو أن يكون جلا اسماً لا فعلاً ، وأن يكون بتقدير ذي ، أي : أنا ابنُ ذي جلا ، والجلا هو انحسار الشعر عن مقدَّم الرأس.

أقول : في القاموس وغيره : « الجلا » بالقصر : انحسار مقدَّم الرأس من الشعر أو نصف الرأس ، أو هو دون الصلع ، جَلِيَ كرضِيَ جلاً . انتهى

وفي « المقصور والممدود » لابن الأنباريّ والقالي : الجلا انحسار الشعر من مقدم الرأس من جانبي الجبهة ، مقصور يكتب بالألف لأنه يقال : رجل أجلى وامرأة جلواء. وعلى هذا الوجه لا يحتاج إلى تقدير ذي ، فإنه يقال فلان ابن كذا بمعنى أنه ملازم له كما يقال أخو حروب . والصَّلَع ونحوه أحد مخايل الشجاعة وأماراتها ، وقيل من دلائل الكرم ، لأنّ العرب تقول : الذي ولد أصلع يكون كريماً بحسب الغالب . والمراد من وضع العمامة إزالتها عن الرأس ، إما لأن الذي يعرفه إنما رآه مكشوفَ الرأس في الحروب لكثرة مباشرته إياها فإذا رأى العمامة جهله ، وإما لأن

---

(١) الرجز للقلاخ بن حزن السعدي في تاج العروس (خنثر ، جلو) ؛ وتهذيب اللغة ٣٢/٧ ، ١٨٧/١١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧/٤ ؛ ولسان العرب (جلا) . ولابن جلا في تاج العروس (جمل) . وهو بلا نسبة في المخصص ١٧٥/١٣ .

الذي يعرفه إنما رآه لابساً آلات الحرب وعلى رأسه البيضة لكثرة حروبه فينحّي عمامته ويلبس البيضة .

وهذا محصل كلام ابن الحاجب في أماليه ، وعبارتهُ : قوله « متى أضع العمامة تعرفوني إلخ » إما أن يريد كثرة مباشرته الحروب فلا يراه الأكثر إلا بغير عمامة فقال: متى أضع العمامة يعرفني الذي ما رآني إلاّ غير متعمم ، أو يريد أنّني بكثرة مباشرتي الحروب ولباسي بيضة الحرب فمتى أضع العمامة وألبس آلة الحرب يعرفوني . يعني إذا حاربت عُرفت بإقدامي وشجاعتي . انتهى .

[1]والوجه هو الأوّل ، وقد لحظه ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب ، فأخذه وضمنه ببعض تغيير في الرشيد عُمَر الغويّ وكان به داء الثّعلب ، وهو من نوادر ما قيل في أقرع ، وقال : (الوافر)

عَجِبْتُ لِمَعْشَرٍ غَلِطُوا وَغَضُّوا ... مِنَ الشَّيْخِ الرشيدِ وَأَنْكَرُوهُ
هُوَ ابْنُ جَلا وَطَلاّعِ الثَّنَايَا ... مَتَى يَضَعِ العِمَامَةَ يَعْرِفُوهُ

وقال أبو العباس أحمد اللّخمي المالكي وتوفي في سنة ٦٠٣ ثلاث وستمائة:[2]

يُسَرُّ بالعِيْدِ أقْوامٌ لَهُم سَعَةٌ ... مِنَ الثَّراء وأمّا المُقْتِرُونَ فَلا
هَلْ سَرَّنِي وَثِيابِي فِيهِ قَوْمُ سَبَا ... أَوْ رَاقَنِي وَعَلَى رَأْسِي بِهِ ابْنُ جَلا

يعني بقوم سبا قوله تعالى [3] : « مزّقناهم كل ممزق » ، وابن جلا ما له عمامة.

وقال ثعلب في أماليه [4] في الكلام على هذا البيت : و« العمامة » تلبس في الحروب وتوضع في السلم . وهذا خلافُ الواقع وضد معنى البيت .

وقال الكرماني شارح شواهد الموشّح «شرح الكافية الحاجبية للخبيصي» : قوله « متى أضع العمامة » يحتمل معنيين بحسب اختلاف التقديرين :

الأول أن يقدر « على » ، فيكون التقدير متى أضع العمامة على رأسي تعرفوني أني أهلٌ للسيادة والإمارة .

---

(١) المقطع بحرفيته في شرح أبيات المغني ٤/٨ مع البيتين .

(٢) البيتان في شرح أبيات المغني ٤/٩ .

(٣) سورة سبأ ٣٤/١٩ .

(٤) انظر مجالس ثعلب ص٢١٢ . ولفظه : " والعمامة تلبس في الحرب " .

والثاني أن يقدر « عن » ، أي : متى أضع العمامة على رأسي تعرفوا شجاعتي بواسطة صَلَع رأسي ، لأنّه أحد مخايل الشجاعة .

هذا كلامه . ولم يتعرض لمعنى وضع العمامة العيني ولا السيوطي ولا صاحب المعاهد في شروح شواهدهم . و« طلاّع » مبالغة طالع يقال : طلعت الجبل طلوعاً أي: علوته ، يتعدّى بنفسه . وطلعت فيه : رقِيته .

قال ثعلب في أماليه : من رفع طلاّع الثنايا [1] [جعله مدحاً لابن ، ومن خفضه جعله مدحاً لجلا . يعني أنه روي فيه الخفض والرفع ، والجيد عندي الرفع . والثنايا]: جمع ثنية .

قال المبرِّد في « الكامل »[2] : « هي الطريق في الجبل والطريق في الرمل [3] [يقال له: الخَلُّ]، وإنّما أراد [4] [به] أنّه جلدٌ بطلع الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها» .

قال دريد بن الصِّمَّة يعني عبد الله أخاه [5] : (الطويل)

كَمِيشُ الإزارِ خَارِجٌ نِصفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ السَّوْءاتِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

و« النجد » : ما ارتفع من الأرض .

وقال ابن قتيبة في « أبيات المعاني »[6] : « قوله طلاّع الثّنايا أي : يطلع على الثنايا ، وهي ما علا من الأرض وغلظ . ومثله قولهم : طلاّع أنجُد » .

وقال العيني : و« الثنايا » : جمع ثنية ، وهي السنّ المشهورة . وهذا غير لائق به .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي ٤/٨ .

(٢) الكامل للمبرد ١/٢٢٦ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من الكامل وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤/٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من الكامل وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤/٨ .

(٥) البيت لدريد بن الصمة من مرثيته في أخيه عبد الله ؛ وهو في ديوانه ص٦٦ ؛ وتهذيب اللغة ٩/٢٣٤ ، ١٠/٤٨٨ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٨١٨ ؛ والكامل ص٤٩٧ ؛ ولسان العرب (سوق) ؛ والمراثي ص١٠٦ ؛ والمخصص ١٣/٦٧ ، ١٦/٣٧ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (جلل) .

والعزاء : الشدة . وطلاع : أي يطلع للأمور العظيمة .

(٦) المعاني الكبير ١/٥٣٠ .

وهذا البيت مطلع قصيدة لسُحيم بن وَثيل الرِّياحي ، وليس هو للعرجي كما توهّمه التفتازاني في المطوَّل . وبعده [(١)] :

وإنّ مكَانَنَا مِنْ حِمْيَريّ ... مَكانُ اللّيث مِنْ وَسَطِ العَرِيْنِ
وإنّي لَنْ يَعُودَ إليّ قِرْنِي ... غَداةَ الغِبّ إلاّ فِي قَرِيْنِ
بِذِي لِبَدٍ يصِدُّ الرَّكبُ عنْهُ ... وَلا تُؤْتَى قَرِيْنَتُهُ لِحِينِ
عَذَرتُ البُزْلَ إذْ هِيَ خَاطرتني ... فَمَا بَالِي وَبَالُ ابْنَيْ لَبُونِ
وَمَاذا يَبتَغِي الشُّعراء مِنّي ... وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الأرْبَعِيْن
أخُو خَمسينَ مُجْتَمعٌ أشُدِّي ... ونَجَّذَني مُداوَرة الشُّؤون
فَإنَّ عُلالَتِي وَجِراءَ حَولِي ... لَذُو شِقٌّ على الضَّرَعِ الظَّنون
كَرِيْم الخَال مِنْ سَلَفَيْ رِياح ... كَنَصْلِ السّيْفِ وضّاح الجَبِين
مَتَى أحلل إلى قطنٍ وَزَيْدٍ ... وَسَلمى تكثرِ الأصْوات دُوْنِي
وَهَمّام مَتَى أحلل إليْهِ ... مَحَلَّ اللّيثِ فِي عِيْصٍ أمين
ألفّ الجانبَين بِهِ أسودٌ ... مُنَطّقَة بِأصْلابِ الجُفُون
وإنَّ قَنَاتَنا مشظٌ شَظَاها ... شَدِيدٌ مَدُّها عُنُقَ القَرين

روى صاحب المعاهد وغيره ، أنّ السبب في هذه الأبيات : أنّ رجلاً أتى الأبيرد الرِّياحي وابنَ عمه الأخوص[(٢)] ، وهما من ردُف الملوك من بني رياح، يطلب منهما هِناءً لإبله ، أي : قطرانا . فقالا له : إذا أنت أبلغت سحيم بنَ وثيل الرِّياحيَّ هذا الشعرَ أعطيناك . فقال : قُولا . فقالا : اذهب وقل له :

فإنّ بُداهَتِي وَجِراء حَولِي ... لذو شِقّ علَى الحطِمِ الحَرُونِ

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه[(٣)] وانحدر في الوادي يُقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال : اذهب وقل لهما . وأنشد هذه الأبيات . قال : فأتياه واعتذرا له ،

---

(١) الأبيات تم تخريجها في الشاهد الثامن والثلاثين .

(٢) في طبعة بولاق : " الأحوص " . بالمهملة . وفي طبعتي السلفية وهارون : " الأخوص " . بالمعجمة نقلاً عن الشنقيطية .

وفي طبقات فحول الشعراء ، والعمدة : " الأحوص " بالمهملة . وفي شرح أبيات المغني للبغدادي ٤/٩-١٠ : "الأخوص" . بالمعجمة .

(٣) في طبعة بولاق : " حصاه " . وهو تصحيف صوابه من طبعتي السلفية وهارون نقلاً عن النسخة الشنقيطية .

فقال : إنّ أحدكما ليرى أنّه صنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا ، وحسَبَه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة البعير الأربّ ؟! انتهى .

وفي « العمدة » لابن رشيق [١] : أنّ الأحوص والأبيرد ابني المعذّر ، وهما شاعران مُفْلِقان . وقال عبد الكريم : الأبيرد ابن أخي الأحوص . انتهى .

و« الرُّدُف » بضمتين : جمع رِدف - بكسر فسكون -[٢] . والرِّدف هو الذي يجلس على يمين الملك ، فإذا شرب الملك شرب الرِّدف قبل الناس ، وإذا غزا الملك قعد الرِّدف في موضعه وكان خليفتَه على النـاس حتّى ينصرف ، وإذا عادت كتيبة الملك أخذ الردف ربع الغنيمة .

و« البُداهة » بضم الموحدة : أول جري الفرس ، و« الجِراء » بكسر الجيم : مصدر جاراه مجاراة وجراءً ، أي : جرى معه .و« الحول » : العام . و« الشِّق » بالكسر : المشقة. و« الحَطِم » بفتح الحاء وكسر الطاء المهملتين : الفرس الهرِم . قال في «الصحاح» : الحطِم المتكسِّر في نفسه ، ويقال للفرس إذا تهدَّم لطول عمره : حطِم . ويقال : حطِمت الدابّة بالكسر إذا أسنت ، وحَطَمته السن بالفتح حطماً . و«الحَرون» : الفرس الذي لا يقاد ، وإذا اشتدّ به الجري وقف .

وهذا البيت تعريضٌ لسحيم بأنه لا يبلغ غايتَهما لكبره وعجزه . والأزبُّ بالزاي المعجمة ، والزَّبَب هو طول الشعر ، ويقال بعير أزبّ ؛ ولا يكاد يكون الأزبّ إلاّ نفوراً [٣] لأنّه ينبت على حاجبيه شعرات ، فإذا ضربته الريح نفر .

وقول سحيم « وإن مكاننا من حميريّ » يأتي في نسبه أنّ حميرياً أحد أجداده . و« اللَّيث » : الأسد . و« العَرين » بفتح المهملة : الأجمة ، والغابة وفيها يكون

---

(١) العمدة ١/١٠٩ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ١/٢٣٩ يقول الميمني : " أراه غلطاً . والصواب أن صاحب المعاهد تسامح في التعبير بقوله من ردف الملوك ، وهومفرد مكان أرداف الملوك وهوجمعه . والرديف وإن كان بمعنى الردف إلا أنه لم يأت بمعنى ردف الملوك . وأما الردف - بضمتين - فالقياس يقتضي أن يكون جمعاً لرديف ، كطرق وطريق " .

(٣) ومنه المثل المشهور : " كل أزب نفور " . انظر في ذلك مجمع الأمثال للميداني ٢/١٠٧ ؛ واللسان (زبب) . وقائل المثل هو زهير بن جذيمة لأخيه أسيد ، وكان أسيد جباناً " .
والمثل في الألفاظ الكتابية ص٧٦ ؛ وتمثال الأمثال ٢/٥١٥ ؛ وجمهرة الأمثال ٢/١٥٤ ؛ وجمهرة اللغة ص٦٨ ، ٧٨٨ ؛ والدرة الفاخرة ٢/٣٩٨ ؛ والعقد الفريد ٣/١١٩ ؛ وكتاب الأمثال ص٣١٧ .

مأوى الأسد . يريد أنه في بحبوحة النسب إلى حميريّ لا في أطرافه. و« القِرْن » بكسر القاف : الكفء في الشجاعة ، وقيل عامٌّ . و« الغِبّ » بالكسر : ورود الإبل الماء في اليوم الثاني ، وغداة الغب : اليوم الذي يسوقون إبلهم فيه . و« القرين » : المقارن والمصاحب . وفي بمعنى مع . وقوله « بذي لبد » ، بدل من قوله في قرين . وفاعل «يصدّ » ضمير ذي لبد . وضمير عنه وقرينته [١] للقِرن . و« ذو اللبدَ » هو الأسد ، بكسر اللام وفتح الباء : جمع لِبدة كقِرَب جمع قِربة ، واللّبدة هي الشعر المتلبِّد بين كتفي الأسد . و« القرينة » : النفس ، يقول : إنّ قِرني لا يقدر أن يقابلني من خوفه إلاّ مع رفيق ، كالأسد يقدر أن يدفع ركباً عنه ، حتّى تسلم نفسه منّي لحينٍ من الأحيان .

وقوله : «عَذَرت البزل» هو جمع بازل ، وهو البعير المسن . و«خاطرتني» : راهنتني[٢] ، من الخَطَر بالتحريك وهو الشيء الذي يُتراهن عليه ، وقد أخطر المالَ: جعله خطراً بين المتراهنين . وخاطره على كذا : راهنه . و« ابن اللبون » : ولد الناقة إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة . يقول : إذا راهنني الشيوخ على شيء عذرتهم لأنهم أقراني ، وأما الشُّبان فلا مناسبةَ بيني وبينهم . وأراد بابنَيْ لبون الأبيرد وابن عمه، فإنّهما طلبا مجاراتَه في الشعر .

وقوله : « وماذا يبتغي الشعراء مني إلخ » ، رواه الجوهري « وماذا يدَّري الشعراء » . قال : ادّراه : افتعله ، بمعنى ختله ، من درى الصيد إذا ختَله . واستشهد النحاة بهذا البيت على كسر نون الجمع .

وقوله « أخو خمسين » أي : أنا أخو خمسين سنة . واجتماع الأشُدّ عبارةٌ عن كمال القوى في البدن والعقل . وقال صاحب « العباب » : والرجل المجتمِع: الذي بلغ أشدَّه واستوت لحيته ، ولا يقال ذلك للنّساء ، وأنشد هذا البيت لسحيم . وفيه نظر . وقوله : و« نجّذني » بالذال المعجمة ، أي : هذّبني . قال في « الصحاح » : «ورجل منجَّذ أي : مجرَّب أحكمته الأمور » . وهو من الناجذ وهو آخر الأضراس،

(١) في طبعة بولاق : " فريسته " . وهو تصحيف صوابه من طبعتي السلفية وهارون نقلاً عن الشنقيطية .

(٢) من الخطر ، وهو الشيء الذي يتراهن عليه ، كذا فسره ، والوجه أن يكون خاطره بمعنى : ساماه وصاوله ، أصله من خطران الفحل بذنبه يرفعه مرة بعد مرة من نشاطه وصولته . وذلك كما فسره به الأستاذ محمود شاكر في حاشية الطبقات ١/٧٢ .

ويسمّى ضرس الحِلم بكسر الحاء ،لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل . و«المداورة»: مفاعلة من دار يدور ، بمعنى المعالجة والمزاولة . والشؤون : الأمور ، والأحوال ، جمع شأن .

وقوله : « فإنّ عُلالتي إلخ » العلالة - بضم العين المهملة - : بقية جري الفرس. و« الضَّرَع » ، - بفتح الضاد المعجمة والراء المهملة - : الضعيف .وفي « القاموس وضرُع ككرم : ضعف ، فهو ضَرَع محركة ، من قوم ضَرَع محركة أيضاً ، ومهر ضَرَع محركة : لم يقو على العدو . و« الظَّنون » بالمعجمة كصبور : الرجل الضعيف والقليل الحيلة . وهذا تعريضٌ بأنَّ فيهما ضعفاً لا يقدران على مجاراته وإن كان شيخاً.

وقوله : « كريم الخال » أي : أنا كريم الخال . و« رِياح » بكسر الراء المهملة وبالمثناة التحتية ، هو ابن يربوع وأبو قبيلة سُحيم . و« أحلُلَ » : أنزل . وقَطَن وزيد هما خالاه . وسَلمى خالته . وكثرة أصواتهم للترحيب والتهنئة .وهمَّام هو عمه . و« العِيص » - بكسر العين وبالصاد المهملتين - : الشجر الكثير الملتفّ . وبيَّن بهذين البيتين سلَفيْه من رياح . و«الألفُّ» : الموضع الملتفّ الكثير الأهل .و«المنطَّقة»: المحزَّمة بالمِنْطقة ، وهي الحزام . يقال : انتطق الرجل وتنطّق : شدّ وسطه بالمِنْطقة كمكنسة ، وهي ما يُنتطق به . و« الجفون » : جمع جَفْن بالفتح ، وهو قراب السيف. وأراد بالجفون السيوف ، وبالأصلاب سيورها .

وقوله : « وإنّ قناتنا مَشِظ إلخ » مشظ - بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وإعجام الظاء - : هو الذي يدخل في اليد من الشوك إذا مُسّ . يقال مشظ من باب فرح : مسّ الشوكَ أو الجذع فدخل في يده منه شيء ،و« الشَّظَى » -بفتح الشين والظاء المعجمتين - ، بمعنى الشظيَّة وهي الفِلقة والقطعة من الشيء . والشَّديد من الشدّة . ومدُّها فاعل شديد . و« عُنقَ القرين » منصوب بمدّها . و« القرين » : القرن المقاوم .

والبيت على طريق التشبيه . يقول : من تعرَّض لنا بسوء ناله مكروه يتأذّى به ، كالذي يمسُّ جلده قناة مَشِظة فيدخل في جلده من شظاها وهي مع ذلك صُلبة ، من قُرن بها مدّت عنقه إليها و لم تنثن إليه . كذا في « شرح أبيات الإصلاح» لابن السيرافي .

و« **سُحَيم** »[1] : مصغر أسحم ، تصغير ترخيم من السُّحمة بالضم ، وهي السواد . ابن « وَثيل » - بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة - ، وهو في اللغة كما في القاموس : الليف ، والرشاء الضعيف ، والحبل من القِنّب ، والضعيف . وفي «الإصابة» لابن حجر - وتبعه السيوطي في « شواهد المغني » - أنه بالتصغير، وهو غير منقول . « ابن أُعَيفر » : مصغر أعفر بالعين المهملة والفاء ، وهو الرمل الأحمر والأبيض وليس بالشديد البياض . وأعيفر « ابنُ أبي عمرو بن إهاب بكسر الهمزة ابنِ حِمْيَري » بلفظ النسبة إلى حِمْيَر ، وهو أبو قبيلة من اليمن ، وهو حِمْيَر بن سبأ بن يَشْجب بن يَعْرُب بن قحطان .

قال ابن الكلبي في جمهرة الأنساب : حميري بن رياح يقال فيه حَمَّريّ أيضاً أي : بفتح الحاء وتشديد الميم .

وزعم الدماميني في الحاشية الهندية أنّ الياء في حميريّ زائدة[2] ، أو للنسبة بتقدير من نسب حميري . وهذا من عدم اطّلاعه على نسب الشاعر .

وتقدم في شرح أول بيت من الشواهد أنّ حميريًّا أحد آباء ذي الخِرَق الطُّهَوي أيضاً . وحميريّ بن رياح ، وتقدم ضبطه .

ورياح بنُ يربوع . ويربوع اثنان : أحدهما يربوع أبو حيّ من تميم ، وهو يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معدّ بن عدنان . والثاني أبو بطن من مُرَّة ، وهو يربوع بن غيظ بن مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار .

وسُحيم بن وثيل يتّصل نسبه بيربوع بن حنظلة ، كما قال ابن الكلبي في الجمهرة. فمن بني حميري بن رياح بن يربوع بن حنظلة سُحيمُ بن وثيل بن عمرو بن جُوين بن أهَيب بن حميريّ الشاعر ، القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ...... (البيت)

وهو الذي نافر غالباً أبا الفرزدق في الإسلام . انتهى

---

(١) انظر في ترجمته الشعر والشعراء ص٥٣٨ ؛ وشرح أبيات المغني ٤/١٠ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٥٧١ .

(٢) أي في قولهم : أحمري ، وأصفري ، للأحمر والأصفر ، يريدون الياء للمبالغة .

وليس في آباء سحيم من اسمه جلا . وسحيم شاعر معروف في الجاهلية والإسلام، عدّه الجُمحي في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام[١] وقال : سحيم بن وثيل شاعر خنذيذ[٢] شريف ، مشهور الذكر في الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع في قومه.

وقال ابن دريد : عاش سُحيمٌ في الجاهلية أربعين سنة وفي الإسلام ستين سنة ، فهو من الشعراء المخضرمين ، وله أخبار مع زياد ابن أبيه ، وهو الذي افتخر مع غالب بن صعصعة والد الفرزدق في نحر الإبل ، فبلغ علياً رضي الله فأفتى بحرمة مانحره سحيم .

وستأتي إن شاء الله تعالى هذه القصّة مشروحة في باب الاشتغال في قول جرير[٣]: (الطويل)

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيْبِ أفْضَلَ مجْدِكُمْ ... بَنى ضَوطَرَى لَوْلا الكَمِيَّ المُقَنَّعا

وله سَمِيّان من الشعراء : أحدهما سُحيم بن الأعرف ، وهو من بني الهجيم ، وكان في الدولة الأموية ، ولم يذكر ابن قتيبة في طبقات الشعراء غير هذا[٤] وأورد طرفاً من شعره . والثاني سُحيم عبد بني الحَسحاس ، وكان عبداً حبشيًّاً ، وهو صاحب القصيدة التي أوّلها [٥] : (الطويل)

---

(١) كذا في الأصل . وفي شرح أبيات المغني للبغدادي أيضاً . لكن الحقيقة أن ابن سلام عدّه في الطبقة الثالثة من الإسلاميين . انظر طبقات فحول الشعراء ص٥٧١ .

(٢) الخنذيذ : الشاعر المجيد المنقح المغلق .

(٣) البيت لجرير في ديوانه ص٩٠٧ ؛ وتاج العروس (لو) ؛ وتخليص الشواهد ص٤٣١ ؛ وجواهر الأدب ص٣٩٤؛ والخصائص ٤٥/٢ ؛ والدرر ٢٤٠/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ١٢٦/٥ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٧٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٦٦٩/٢ ؛ وشرح المفصل ٣٨/٢ ، ١٤٤/٨ ؛ والمقاصد النحوية ٤٧٥/٤ ؛ ولسان العرب (أما ، لا). وللفرزدق في الأزهية ص١٦٨ . ولجرير أو للأشهب في شرح المفصل ١٤٥/٨ . وهو بلا نسبة في الأزهية ص١٧٠ والأشباه والنظائر ٢٤٠/١ ؛ والجنى الداني ص٦٠٦ ؛ ورصف المباني ص٢٩٣ ؛ وشرح الأشموني ٦١٠/٣ ؛ وشرح ابن عقيل ص٦٠٠ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٣٢١ ؛ وشرح المفصل ١٠٢/٢؛ والصاحبي في فقه اللغة ص١٦٤ ، ١٨٢ ؛ ومغني اللبيب ٢٧٤/١ ؛وهمع الهوامع ١٤٨/١ .والنيب :جمع ناب ، وهي المسنة من الإبل .

(٤) الحقيقة أن ابن قتيبة ذكر أيضاً سحيم بن وثيل الرياحي ص٥٣٨ ؛ كما ذكر سحيم عبد بني الحسحاس ص٣٢٠ . وربما يكون ذلك راجع إلى اختلاف أو نقص في النسخ .

(٥) هو الإنشاد التاسع والأربعون بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيت لسحيم عبد بني الحسحاس في الإنصاف١٦٨/١ ؛وسر صناعة الإعراب ١٤١/١ ؛وشرح التصريح ٨٨/٢ =

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيا ... كَفَى الشَّيْبُ والإسْلامُ لِلمَرْءِ نَاهِيَا

وهو من شواهد مغني اللبيب ، وسنذكر إن شاء الله ترجمته بتوفيق الله تعالى في الشاهد الرابع[1] والتسعين .

ولم يذكر الآمدي في كتابه « المؤتلف والمختلف »[2] واحداً من هؤلاء الثلاثة، مع أنّه من شرط كتابه .

وقد حصل اللّبس للعيني في باب المعرب والمبني من اتفاق أسماء هؤلاء ، فزعم أنّ الأول هو الثالث فقال : سُحيم بن وثيل الرياحيّ كان عبداً حبشياً ، وكان عبد بني الحسحاس . هذا فيما قاله الجوهري . انتهى .

مع أنّ الجوهري لم يذكر لفظ سُحيم في صحاحه .

وأغربُ من هذا كلّه أنّه أورد أبياتاً قبل بيت « أنا ابن جلا » ، وأكثرها من قصيدة المثقّب العبدي التي أوّلها [3] : (الوافر)

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينِي ... وَمَنْعُكِ ما سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

وفيها بيتٌ لعلي بن بدّال ، من بني سليم وهو [4]: (الوافر)

= وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٣٨/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٣٢٥/١ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٨٧ ؛ والكتاب ٢٦/٢ ، ٢٢٥/٤ ؛ ولسان العرب (كفى) ؛ ومغني اللبيب ١٠٦/١ ؛ والمقاصد النحوية ٦٦٥/٣ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص١٤٤ ؛ وأوضح المسالك ٢٥٣/٣ ؛ وشرح الأشموني ٣٦٤/٢ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٤٢٥ ؛ وشرح قطر الندى ص٣٢٣ ؛ وشرح المفصل ١١٥/٢ ، ٨٤/٧ ، ١٤٨ ، ٢٤/٨ ، ٩٣ ، ١٣٨ ؛ ولسان العرب (نهى) .

(١) في طبعة بولاق : " الثاني والتسعين " . والتصويب من الطبعة السلفية ٢٤٤/١ .

(٢) ذكر الآمدي في المؤتلف والمختلف : سحيم بن الأعرف الهجيمي ص٦٥ ؛ وذكر سحيم بن عطية بن عمرو ص١٢٨ .

(٣) البيت للمثقب العبدي ، وهو مطلع قصيدته النونية المشهورة في ديوانه ص١٣٦ ؛ والشعراء ص٣١١ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٢٧٢ ؛ والمراثي ص٢٣٣ ؛ والمفضليات ص٢٨٨ . والبين : الفراق .

(٤) البيت للمثقب العبدي في ملحق ديوانه ص٢٨٣ ؛ والأزهية ص١٤١ ؛ والمقاصد النحوية ١٩٢/١ ؛ ولعلي بن بدال في أمالي الزجاجي ص٢٠ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١١٢ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ٣٥٧/١ ؛ وجمهرة اللغة ص٢٨٦ ، ١٣٠٧ ؛ورصف المباني ص٢٤٢ ؛وسر صناعة الإعراب ٣٩٥/١ ؛ وشرح الأشموني ٦٦٩/٣ ؛ =

فَلو أنّا على حَجَرٍ ذُبِحنا جَرَى الدَّمَيانِ بالخبرِ اليَقِينِ

وهذا ثالث أبيات ثلاثة يأتي شرحها إن شاء الله في باب المثنى ، وفيها ثلاثة أبيات لسُحيم بن وثيل من الأبيات التي شرحناها ، وهي قوله : أنا ابن جلا ..البيت . والثاني : وماذا يبتغي الشعراء منّي . البيت ، والثالث : أخو خمسين مجتمع أشُدّي .. البيت . فما أورده مجموع من شعر شعراء ثلاثة . وقال في باب ما لا ينصرف عند شرح بيت « أنا ابن جلا » : قائله سُحيم بن وَثيل الرّياحي ، وقيل المثقّب العبدي ، وقيل أبو زبيد ، وقيل إنّه من قصيدة سُحيم التي أولها :

* أفاطِمُ قَبْلَ بينك مَتِّعيني *

﴿ تتمة ﴾

المخضرَم بالخاء والضاد المعجمتين على صيغة اسم المفعول ، ونقل السُّيوطي في «شرح تقريب النووي» عن بعض أهل اللّغة كسر الراء أيضاً . قال صاحب القاموس: هو الماضي نصفُ عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام ، وقيل : مَن أدركهما . وهذان القولان يعمّان الشاعر [وغيره . وقيل : الشاعر[1]] الذي أدركهما ، وهذا هو المشهور . وعليه اقتصر صاحبُ الصحاح . ثم توسّع حتّى أُطلق على من أدرك دولتين، كرؤبة بن العجّاج وحمّاد عجرد ، فإنّهما أدركا دولة بني أميّة ودولة بني العباس.

وقال السُيوطي في «شرح التّقريب» : المخضرم في اصطلاح أهل الحديث هو الذي أدرك الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم و لم يره ، وفي اصطلاح أهل اللغة هو الذي عاش نصفَ عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام ، سواء أدرك الصُّحبة أم لا ، فبين الاصطلاحين عمومٌ وخصوص من وجه ، فحكيم بن حزام مخضرم باصطلاح اللغة لا الحديث ، وبشر بن عمرو مخضرم باصطلاح الحديث لا اللغة . انتهى .

وفي تعريفه اصطلاح اللغة نظر وتأمل .

= وشرح شافية ابن الحاجب ٦٤/٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٨١ ؛ وشرح المفصل ١٥١/٤ ، ١٥٢ ، ٨٤/٥ ، ٥/٦ ، ٢٤/٩ ؛ ولسان العرب (أخا ، دمى) ؛ والمقتضب ٢٣١/١ ، ٢٣٨/٢ ، ١٥٣/٣ ؛ والمقرب ٤٤/٢ ؛ والممتع في التصريف ٦٢٤/٢ ؛ والمنصف ص١٤٨ .

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٤٥/١ : " زيادة من ش " . أي من النسخة الشنقيطية .

ثم قال : والمراد بإدراك الجاهليّة ما قبل البعثة ، كما قال النوويّ في شرح مسلم. قال العراقي : وفيه نظر ، والظاهر إدراك قومه أو غيرهم على الكفر قبل فتح مكة ، فإنَّ العرب بعده بادروا إلى الإسلام وزال أمر الجاهلية ، وخطب صلى الله عليه وسلم في الفتح بإبطال أمرها .

وقد ذكر مسلم في المخضرمين بشير بن عمرو ، وإنّما ولد بعد الهجرة .

قال ابن رشيق في « العمدة »[1] : قال أبو الحسن الأخفش : ماء خِضْرِم كزبرجٍ، إذا تناهى في الكثرة والسَّعة ، فمنه سمِّي الرجل الذي شهد الجاهليةَ والإسلامَ: مخضرماً، كأنه استوفى الأمرين . قال : ويقال أذن مخضرمة ، إذا كانت مقطوعةً ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام .

وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه[2] قال : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها فسمِّي كلُّ من أدرك الجاهلية والإسلام مخضرماً . وزعم أنه لا يكون مخضرماً حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم [3] . وهذا عندي خطأ ، لأنّ النابغة الجَعْدي ولَبيداً قد وقع عليهما هذا الاسم.

وحكى علي بن الحسن كراع : يقال : شاعر مُحضرم بحاء غير معجمة مأخوذ من الحضرمة ، وهي الخلط ، لأنه خلط الجاهلية والإسلام [4] .

وحكى ابن خلّكان مع الحاء المهملة كسر الراء أيضاً .

واعلم أنَّ الشعراء أربع طبقات[5] : الأولى جاهليٌّ قديم ، الثانية المخضرم ، الثالثة إسلامي ، الرابعة مُحْدَث . وهم أربعة أقسام : شاعر خِنذيذ بالخاء والنون والذالين المعجمات على وزن إبريق ، وهو الذي يجمع إلى جيِّد شعره روايةَ الجيد من شعر غيره. وشاعر مُفْلِق وهو الذي لا رواية له إلاّ أنّه مجوّد كالخنذيذ في شعره ، والمفلق معناه الذي يأتي في شعره بالفِلْق - بالكسر - وهو العجَب ، وقيل هو اسم الداهية . وشاعر فقط وهو الذي فوق الرديء بدرجة . وشُعرور وهو لا شيء . وقيل: بل هم

---

(١) العمدة ١/١١٣ .

(٢) عمه هو الأصمعي .

(٣) بعده في العمدة ١/١١٣ : " وقد أدركه كبيراً و لم يسلم " .

(٤) في العمدة : " بالإسلام " .

(٥) العمدة ١/١١٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٤/١١ .

شاعر مفلق ، وشاعر مطلق ، وشويعر، وشعرور .

وسمي الشاعر شاعراً لأنّه يشعر لما لا يشعر له غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليدُ معنى واختراعه ، واستطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة فيما أجحف به غيره من المعاني ، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ ، وصَرفُ معنى إلى وجه من وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون[1] : (الرجز)

٣٩- نُبّئتُ أخْوالِي بَنِي يَزِيْدُ ظُلْماً عَلَيْنا لَهُمُ فَدِيْدُ

على أن « يزيد » علم محكيٌّ لكونه سمّي بالفعل مع ضميره المستتر ، من قولك : المال يزيدُ ، ولو كان من قولك يزيد المال لوجب منعه من الصرف ، وكان هنا مجروراً بالفتحة . و « نبئت » : مجهول نَبَّأ بالتشديد ، من النبأ وهو الخبر .

وقال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علمٌ أو غلبة ظن ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأٌ حتّى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقه أن يتعرَّى عن الكذب كالتواتر ، وخبرِ الله ، وخبر الرسول . ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال : أنبأته بكذا أخبرته به ، ولتضمنه معنى العلم قيل : أنبأته كذا ، كقولك علّمته كذا .

قال السمين : أنبأ ونبّأ ، وأخبر وخبّر ، متى تضمنت معنى أعلم تعدّت لثلاثة مفاعيل، وهو نهاية التعدّي . وأمّا أعلمته بكذا فلتضمنه معنى الإحاطة . قيل ونبأته أبلغ من أنبأته ، ولذلك قال تعالى[2] : « مَنْ أنْبأكَ هَذا قَالَ نبّأنِيَ العَليمُ الخَبيرُ » ، ولم يقل أنبأني لأنّه من قِبل الله تعالى .

---

(١) هو الإنشاد الثامن والخمسون بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ص١٧٢ ؛ وشرح التصريح ١١٧/١ ؛ والمقاصد النحوية ٣٨٨/١ ، ٣٧٠/٤ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١٢٤/١ ؛ وتهذيب اللغة ٧٤/١٤ ؛ وشرح أبيات المغني ٣١٣/٧ ؛ وشرح المفصل ٢٨/١ ؛ ولسان العرب (زيد ، فدد) ؛ ومجالس ثعلب ص٢١٢ ؛ ومغني اللبيب ٦٢٦/٢ ؛ ومجمل اللغة ٥٥/٤ ؛ ومقاييس اللغة ٤٣٨/٤ .

(٢) سورة التحريم : ٣/٦٦ .

والمفعول الأول هنا ضمير المتكلم في نُبِّئت ، والثاني أخوالي ، والثالث جملة لهم فديد . وأصل المفعولين الأخيرين المبتدأ والخبر . و« الفديد » : الصَّوت ، وهو مصدر، فدّ يفِدّ بالكسر ، أي : أن أصواتهم تعلو علينا ولا يوقّروننا في الخطاب . ورجل فَدَّاد بالتشديد : شديد الصوت . وفي الحديث : « إنّ الجفاء والقسوة في الفدّادين » ، وهم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم . و« بني يزيد» هم تجارٌ كانوا بمكة حرسها الله تعالى - وإليهم تنسب « البرود اليزيدية » كما يأتي آنفا - نعت لأخوالي ، أو بيان له ، أو بدل منه .

وقال ابن الحاجب في « الإيضاح » : لايحسن أن يكون بدلاً ، لأنّ البدل هو المقصود بالذكر ، ولو جعلته بدلاً لاحتاج إلى موصوف مقدّر ، وهم الأخوال أو ما يقوم مقامهم . ولا حاجة إلى هذا التقدير مع الاستغناء عنه ، فيتعين أن يكون صفة. وقد يجوز البدل على قبحه . انتهى .

وفيه نظر ، فإنّه على تقدير كونه بدلاً لا يحتاج إلى موصوف مقدر ، فإنّه مذكور، وهو أخوالي .وليس معنى الإبدال أن يكون المبدل منه لغواً ساقطاً عن الاعتبار ، كيف وقد يعود الضمير عليه في نحو قُطع زيد إصبعُه ، فلو كان في حكم الساقط بالكلية لجهل مرجع الضمير ، و لم يقل أحدٌ إنّه راجع إلى زيد مقدر مع وجوده ، وإنّما المقصود بالذكر في بدل الكل المبدل منه والبدل جميعاً، كما حقّقه الشارح المحقق . ويؤيده أنهم جعلوا الجنَّ بدلاً من شركاء في قوله تعالى[1] : «وجَعَلُوا لله شُركاء الجنَّ». فلولا اعتبارهما ما كان معنًى لقولنا وجعلوا لله الجن .

وقد تبع ابنُ الحاجب الزمخشريَّ في هذا ، فإنّه منع في كشّافه أن يكون « أن اعبدوا الله » بدلاً من ضمير به من قوله تعالى [2] : « ما قُلتُ لهم إلاّ مَا أمَرتَني بِهِ أنِ اعبُدُوا الله » ظنّاً منه أن المبدل منه في قوة الساقط ، فتبقى الصلة بلا عائد . ووَهَّمه صاحب المغني بأن العائد موجودٌ حسّاً فلا مانع .

وقد نقض ابن الحاجب ما عدَّه قبيحاً هنا بقوله في أماليه : والأحسن أن يكون «بني يزيد » بدلاً من أخوالي ، لأنَّ البدل إنما يكون بالأسماء الموضوعة للذوات ، بخلاف ابن فإنّه موضوع لذات باعتبار معنى هو المقصود وهو البنوَّة .

---

(١) سورة الأنعام : ١٠٠/٦ .

(٢) سورة المائدة : ١١٧/٥ .

قال الشارح المحقق : الأغلب في البدل أن يكون جامداً ، بحيث لو حذف الأول لاستقلَّ الثاني و لم يحتج إلى متبوع قبله في المعنى . انتهى .

ولا يجوز أن يكون « بني يزيد » المفعولَ الثالث ، لأنّه لم يُرد الإخبار عن أخواله بأنّهم بنو يزيد ، ولأن قوله « لهم فديد » يبقى غير مرتبط بما قبله . وقوله « ظلماً » عندي أنه تمييز محوَّل عن المفعول ، أي : نُبِّئت ظلم أخوالي .

وقال ابن الحاجب في «الإيضاح » ، واختاره ابن هشام في شواهده : وقد أجيز أن يكون ظلماً مفعولاً ثالثاً، يعني ظالمين ، أو ذوي ظلم ، ويكون مابعده كالتفسير له. ولا يخفى ما في هذا. وقال في أماليه : لايجوز أن يكون حالاً ، أي : بالتأويل المذكور ، من أخوالي ، لأن المبتدأ لا يتقيّد ، ولا من ضمير « لهم » لأنها لا تتقدم على عاملها المعنوي . وفيه أنه حال من المفعول لا من المبتدأ ، لأنه انفسخ حكمه . وقوله «لأن المبتدأ لا يتقيد» فيه مسامحة ، لأنّ الحال إنّما هي قيد في عاملها لا في صاحبها ، ولما كان العامل في المبتدإِ الابتداء ، وهو ليس معنى فعلياً ليصح تقييده ، امتنع مجيء الحال منه لذلك .

ومن جوّزه كسيبويه لم يلتزم اتّحاد العاملِ فيهما ، فجوّز أن يكون العامل في المبتدأ الابتداء وفي الحال منه الانتساب . واعتُرض بأن الانتساب عاملٌ ضعيف لا يتحقّق إلا بتقدُّم الطرفين عليه . وأجيب بأن قوة طلب المبتدأ لخبره جعلته في حكم المتقدم. ولا يجوز أيضاً أن يكون مفعولاً لأجله كما اختاره العيني ، سواء كان علة لنُبئت لأنّه لم ينبّأ لأجل ظلمهم ، أو للاستقرار لأنّه تقدّم على عامله المعنوي ، أو للفديد لأنّه يلزم تقدم معمول المصدر عليه . وقيل تمييزٌ من « لهم فديد » أي : يصيحون ظلماً لا عدلاً . وفيه أن التمييز لا يتقدم على عامله . وقيل هو مفعول مطلق عامله من لفظه محذوفاً .

وقال العيني : ويجوز أن يكون حالاً بتقدير جملة ، أي : في حال كونهم يظلمون علينا ظلماً ، فحذفت الجملة التي وقعت حالاً وأقيم المصدر مُقامها . ولا يخفى أن هذه الوجوه كلّها ظاهرٌ فيها التعسّف . وقوله « علينا » إمّا متعلّق بظلماً [١] أو بقوله «لهم[٢]» ، ولا حاجة حينئذ إلى تضمين الفديد معنى الجور، خلافاً للعيني لأنّه يتعدى

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٤٩/١ : " في ش بياض مكان كلمة (بظلماً) " .

(٢) في طبعة بولاق : " لهم فديد " . وهو خطأ .

بعلى . وقوله لهم خبر مقدم لقوله فديد ، وهو بإشباع ضمة الميم ، وإسكانُها خطأ ، لأنّه يؤدي إلى جعل كلِّ مصراع من بحر ؛ وذلك لا يجوز كما بيَّنه الدماميني في الحاشية الهنديّة .

واعلم أن الرواية « يزيد » بالمثناة التحتية ، ورواه ابن يعيش بالمثناة الفوقية. قال ابن الحاجب في « الإيضاح » : ومن رواه بالفوقية فقد تنطّع وتبجَّح بأنه قد علم أن في العرب « تزيد » بالتاء الفوقية ، وإليه تنسب البرود التزيدية . وهو مردود من وجهين : أحدهما أن الرواية هنا بالتحتية . والثاني أنّ تزيد بالفوقية في كلامهم مفرد لا جملة . قال [1]: (الكامل)

يَعثُرْنَ في حَدّ الظُّباتِ كأنَّما كُسِيَتْ بُرودَ بَنِي تَزيدَ الأذرُعُ

فاستعماله كالجملة خطأ . انتهى .

وفيما قاله أمران : الأول قوله وإليه تنسب البرود التزيدية وإيراده البيت ، أعني «كسيت برود بني تزيد الأذرع » مأخوذ من « الصحاح » ، فإنه قال فيه : وتزيد أي : بالمثناة الفوقية وهو تزيد بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وإليه تنسب البرود التزيدية[2] . قال علقمة [3] : (البسيط)

رَدَّ القِيانُ جِمالَ الحيِّ فاحْتَملُوا فَكُلُّها بالتَّزيدِيَّاتِ مَعْكُومُ

وهي برود فيها خطوط حُمر يشبّه بها طرائق الدم ، قال أبو ذؤيب :

يَعثُرن في حدّ الظُّباتِ كأنما كُسيت برودَ بني تَزيدَ الأذرُعُ

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١/ ١٠ ؛ وشرح أشعار الهذليين ١/ ٢٥ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١٧٠٨ ؛ واللسان (نبت ، زيد) ؛ والمحتسب ٢/ ٨٨ ؛ والمفضليات ص٤٢٥ ؛ والممتع في التصريف ٢/ ٤٨٦ ؛ والمنصف ١/ ٢٧٩ . وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص١١٦ ؛ والخصائص ٢/ ٣١٤ ؛ واللسان (فيا) ؛ وتاج العروس (في) .

(٢) في شرح اختيارات المفضل ١٧٠٩ :" وقال الأصمعي : بنو يزيد بالياء ، وهم تجارٌ ، كانوا بمكة يبيعون القَصَبَ " .

(٣) البيت لعلقمة بن عبدة في ديوانه ص٥١ ؛ والتصحيف ص٣٢٩ ، ٤٨٢ ؛ والحيوان ٦/ ٣٣٥ ؛ وشرح المفصل ١/ ٢٨ ؛ وتاج العروس (زيد) ؛ ولسان العرب (زيد) .
رواية الديوان : " ردَّ الإماء " .
وفي الديوان : " والتزيديات : ثياب منسوبة إلى تزيد بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة " .

انتهى . وفيه أمور :

الأول أنه قصر في تعديد من اسمه تزيد ، وهم على ما ذكره العسكري في «التصحيف» ثلاثة : أحدهم تزيد قضاعة ، وهو ما ذكره . والثاني تزيد الأنصار وهو تزيد بن جُشم بن الخَزْرَج بن حارثة ، منهم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعاذ بن جبل رضي الله عنه . والثالث تزيد تنوخ ، كانت الترك أغارت عليهم فأفنتهم ، فقال عمرو بن مالك التزيدي [(١)] : (الوافر)

وَلَيلتَنَا بِآمِدَ لَمْ نَنَمْهَا كَلَيْلَتِنا بِمَيَّا فَارِقِيْنَا

الثاني قوله تزيد بن حُلوان بالضم ، وتبعه صاحب « العباب » و«القاموس» وغيرهما ، صوابه تزيد بن حَيْدان ، نبه عليه العسكري في «التصحيف » فيما تلحن فيه الخاصة [(٢)] .

الثالث قوله وإليه تنسب البرود التزيدية ، صوابه الهوادج التزيدية[(٣)] ، كما قال العسكري . قال : والبرود اليزيدية إنّما هو بالمثناة التحتية منسوبة إلى بني يزيد بالتحتية، وبنو يزيد تجار كانوا بمكة حرسها الله وهي برود حمر .

وأما قول أبي ذؤيب « كسيت برودَ بني يزيد الأذرع » فليس إلا يزيد بالياء تحتها نقطتان . ومن قال في هذا البيت بني تزيد بالتاء فقد أخطأ . وقد ادّعى الجهمي النسابةُ على الأصمعي أنّه صحّف تزيد بالتاء منقوطة فوقها ، ولا أدري أصدق الجهميُّ أم كذب ، لأن الأصمعي ينكر في تفسير أشعار هذيل من يقول تزيد بتاء منقوطة فوقها [(٤)] . انتهى كلام العسكري .

ورأيت في شرح أشعار هُذَيل للسكريّ في نسخة بخط أبي بكر القناوي ، وقد قرأها ابن فارس على ابن العميد وعليها خطهما ، قال في تفسير هذا البيت : العامة تقول بني تزيد ، أي : بنقطتين من فوق ، و لم أسمعها هكذا . ورأيت في شرحها أيضاً للإمام المرزوقي في هذا البيت : روى الأصمعي بني يزيد أي : بالتحتية وقال : هم

---

(١) البيت في تاج العروس (ترد ، زيد) ؛ ومعجم البلدان (آمد) ؛ وهو بلا نسبة في اللسان (أمد) . والرواية فيه بخلاف .

(٢) التصحيف ص١٠٥ ؛ وفي الاشتقاق ص٥٣٧ : أن تزيد بن عمران بن الحاف .

(٣) في شرح ديوان علقمة للأعلم ص٥١ : " وقال الأصمعي : التزيديات : هوادج " .

(٤) في طبعة بولاق : " فيها " . والتصويب من السلفية نقلاً عن النسخة الشنقيطية .

تجار كانوا بمكة . وروى أبو عمرو بني تزيد أي : بالفوقية ، وقال : هو تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . واحتج ببيت علقمة :

* فكلها بالتَّزيْديَّاتِ مَعْكُوم *

و« الظبة » : حدُّ السهم والسيف . ومعنى البيت أنَّ الحمر تعثرُ والسِّهام فيها، وأذرعها مما سالت من الدماء عليها كأنها كسيت برودًا حمرًا ، شبّه طرائق الدم بطرائق البُرود . انتهى .

وفي « العباب » للصاغاني : قال ابن حبيب : تزيد بالمثناة فوق هو تزيد بن حلوان ، إلى آخر ما ذكره صاحب « الصحاح » . وقال غير ابن حبيب : يزيد بالمثناة من تحت ، وهم تجار كانوا بمكة . وروى أبو عبيدة : برود أبي يزيد، وقال : كان يبيع العَصْب بمكة ، وهو ضرب من البرود . وصاحب « القاموس » قد أخلَّ باختصاره ، حيث لم يقيد بالفوقية أو بالتحتية فإنه قال : تزيد بن حلوان أبو قبيلة ، ومنه البرود التزيدية ، وبها خطوط حمر . فلا يعلم هو بالتاء أم بالياء .

رأيت في « معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري في الكلام على جزيرة العرب، عندما ذكر تفرُّق كلمة العرب ووقوع الحروب بينهم وتشتتهم ، أنّ تزيد تنوخ هي تزيد قضاعة . قال : وخرجت فرقة من بني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ورئيسهم عمرو بن مالك التزيدي ، فنزلوا عبقر من أرض الجزيرة ، فنسج نساؤهم الصوف وعَمِلوا منه الزَّرابيّ ، فهي التي يقال لها « العبقرية » ، وعملوا البرود وهي التي يقال لها « التزيدية » ، وأغارت عليهم الترك فأصابتهم وسبَتْ منهم . فذلك قول عمرو بن مالك بن زهير : (الوافر)

ألا للهِ لَيْلٌ لَمْ نَنَمْهُ ... عَلَى ذاتِ الحِصَابِ مُجَنّبِيْنا
وَلَيْلَتنا بِآمِدَ لَمْ نَنَمْها ... كَلَيْلَتِنَا بِميَّا فَارِقِيْنَا

وأقبل الحارث بن قُراد البهراني [1] ومضت بهراءُ حتّى لحقت بالترك فهزموهم واستنقذوا ما بأيديهم من بني تزيد . انتهى .

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٥٢/١ : " كانت في الطبعة الأولى البهرائي بالهمزة ، والتصحيح من الشنقيطية ، ونبه عليه أيضاً الأستاذ الميمني ، قال : الصواب البهراني منسوباً إلى بهراء ، كما يقال في المنسوب إلى صنعاء صنعاني ، وهو من شواذ النسب " .

الأمر الثاني في كلام ابن الحاجب أن قوله تزيد بالفوقية في كلامهم مفرد لا جملة إلخ . أقول : لا مانع من استعماله مفرداً وجملة ، باعتبار نقله مع الضمير وبدونه ، كما استعمل يزيد بالوجهين مع الاعتبارين في قوله :

* لِيَبْكِ يَزِيْد ضارعٌ لخصُومة *

فإنّهم قالوا روي « ليبك » بالبناء للفاعل و« يزيد » مفعوله وهو منصوب بالفتحة و«ضارع » فاعله ، وروي بالبناء للمفعول و« يزيد » نائب فاعل ، وأي فرق بينهما ؟! تأمّل .

﴿ تتمة ﴾

هذا البيت في غالب كتب النحو ، ولم أظفر بقائله ، ولم يعزُه أحد لقائله غير العيني ، فإنّه قال : هو لرؤبة بن العجاج . وقد تصفّحت ديوانه فلم أجده فيه . والله أعلم .

* * *

باب الفاعل

أنشد فيه ، وهو الشاهد الأربعون [1] : (الطويل)

٤٠ - جَزى رَبُّهُ عَنّي عَدِيَّ بنَ حاتِم
جَزاءَ الكِلابِ العَاوِياتِ وقَدْ فَعَلْ

على أن الأخفشَ وابنَ جني قد أجازا اتصال ضمير المفعول به بالفاعل مع تقدُّم الفاعل لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به كاقتضائه للفاعل .

أقول : وممن ذهب مذهبهما أبو عبد الله الطُّوال من الكوفيين ، وابن مالك في التسهيل وشرحه ، وأطال في الرد عليه الشاطبيّ في شرح الألفية ، ونَصَر الإمام عبد القاهر الجرجاني مذهبَ الأخفش في المسائل المشكلة .

قال الفَناريّ في «حاشية المطول » : وذهب بعضهم إلى عدم إخلال الإضمار قبل الذكر بالفصاحة ، مستنداً بأن عبد القاهر قدوةٌ في فنّ البلاغة ، وهو المرجعُ فيها، وكلامه حجةٌ مطلقاً . وقد بيّن ابنُ جنّ مذهبه في «الخصائص » فقال : وأجمعوا على أن ليس بجائز « ضرَبَ غلامُه زيداً » لتقدم المضمر على مظهره لفظاً ومعنى ، وقالوا في قول النابغة :

* جزى ربُّه عني عديّ بنَ حاتم *

إن « الهاء » عائدة على عديّ خلافاً على الجماعة . فإن قيل : الفاعل رتبته التقدم، والمفعول رتبته التأخر فقد وقع كلٌّ منهما الموقعَ الذي هو أولى به ، فليس لك أن تعتقد في الفاعل إذا وقع مؤخراً أنَّ موضعه التقديم . فإذا وقع مقدماً فقد أخذ

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص١٩١ ؛والخصائص ٢٩٤/١ . وله أو لأبي الأسود الدؤلي في الدرر ٢١٧/١. وللنابغة أو لأبي الأسود أو لعبد الله بن همارق في شرح التصريح ٢٨٣/١ ؛ والمقاصد النحوية ٤٨٧/٢؛ ولأبي الأسود في ديوانه ص١٢٤ ؛ وتخليص الشواهد ص٤٩٠ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١٢٥/٢ ؛ وشرح الأشموني ٥٩/٢ ؛ وشرح شذور الذهب ص١٧٨ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٥٢ ؛ ولسان العرب (عوى) ؛ وهمع الهوامع ٦٦/١ .

مأخذه ، وإذا كان كذلك فقد وقع المضمر قبل مظهره لفظاً ومعنًى ، وهذا ما لا يجوّزه القياس . قيل : الأمر وإن كان ظاهره ما تقوله فإن هنا طريقاً آخر يسوِّغك غيرَه، وذلك أن المفعول قد شاع واطّرد كثرة تقدمه على الفاعل ، حتى دعا ذاك أبا عليّ إلى أن قال :

إن تقديم المفعول على الفاعل قسمٌ قائم برأسه ،كما أن تقديم الفاعلِ قسم أيضاً قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً [١]، فلما كثر وشاع تقديم المفعول صار كأن الموضع له ، حتى إنّه إذا أخر فموضعه التقديم ، فعلى ذلك كأنه قال: « جزى عديًّ بن حاتم ربه » ، ثم قدّم الفاعل على أنه قد قدّره مقدماً عليه مفعوله ، فجاز لذلك . ولاتستنكر هذا الذي صوَّرته لك ، فإنه مما تقبله هذه اللغة ، ألا ترى أن سيبويه أجاز في جر الوجه من قولك : هذا الحسن الوجه أن يكون من موضعين :

أحدهما بإضافة الحسن إليه ، والآخر تشبيهه له بالضارب الرجل ، مع أنّا نعلم أن الجرَّ في الرجل إنما جاءه من تشبيههم إيّاه بالحسن الوجه ، لكن لما اطرد الجرُّ في الضارب الرجل صار كأنهأصل في بابه ، حتّى دعا ذاك سيبويه إلى أن عاد فشبّه الحسنَ الوجه به ، وهذا يدلُّك على تمكن الفروع عندهم ، حتى أن الأصول التي أعطت فروعها حكماً قد حارت [٢] ، فاستعارت من فروعها ذلك الحكم ، فكذلك تصيير تقديم المفعول لما استمرّ وكثر كأنه هو الأصل وتأخير الفاعل كأنه أيضاً هو الأصل . ويؤكد أن الهاء في ربه لعدي بن حاتم من جهة المعنى ، عادةُ العرب في الدعاء ، لا تكاد تقول جزى ربُّ زيد عمراً وإنما يقال جزاك ربك خيراً أو شرّاً ، وذلك أوفق لأنّه إذا كان مجازيه ربه كان أقدر على جزائه وإيلامه ، ولذلك جرى العرف بذلك ؛ فاعرفه . انتهى .

وملخص كلامه أن المفعول في هذه الصورة متقدم في الرتبة ، لكن تأخر لضرورة الشعر ، فالضمير المتصل بالفاعل عائد على متقدم حكماً . وهذا غير قول الشارح المحقق « لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به » .

على أن حفيد السعد قال في «حاشية المطول » : فيه أنّ ذلك لا يدفع الإضمار

---

(١) ساق ابن جني بعد هذا شواهد من القرآن ، ومن أشعار العرب . والنص هنا منقول من الخصائص بتصرف .

(٢) وكذا في الخصائص ، أي رجعت . وحار يحور : رجع .

قبل الذكر . نعم لو كان اقتضاء المفعول أشدّ ، تم الكلام . انتهى .

وتبع التفتازاني في المطول الشارح فيما ذكرناه وأورد بيت الشاهد وقوله [(١)]:

لما عَصَى أصْحَابُهُ مَصعباً ... أدّى إليْهُ الكَيْلَ صَاعاً بصَاع

ثم قال : وردَّ بأن الضمير للمصدر المدلول عليه بالفعل أي : ربّ الجزاء وأصحاب العصيان ، كقوله تعالى [(٢)] : « اعدِلُوا هُوَ أقْرَبُ للتّقوَى » أي : العدل . وأما قوله [(٣)] : (البسيط)

جَزى بَنُوه أبا الغِيلانِ عَنْ كِبَرٍ ... وَحُسْنِ فِعْلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ

وقوله [(٤)] : (الطويل)

ألا لَيتَ شِعْرِي هَلْ يَلومَنَّ قَومُه ... زُهَيراً علَى ما جَرَّ مِنْ كُلِّ جَانبِ

فشاذ لا يقاس عليه . انتهى .

قال الفناريّ : ويمكن أن يقال الضمير في ربه راجع إلى المتكلّم على طريقة الالتفات عند السكاكيّ ، على قول امرئ القيس :

* تطاولَ ليلك بالإثمد *

انتهى . ولا يخفى بطلانه لسماجته ، فإن الالتفات إنّما وقع من المتكلم إلى خطاب النفس لا إلى الغيبة . فتأملْ .

و«الجزاء» : المكافأة . و« عن » هنا للبدل كقوله تعالى[(٥)] : « وَاتَّقوا يَوْماً لا تُجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً » . وقوله « جزاء الكلاب » مصدر تشبيهي ، أي :

---

(١) هو الشاهد رقم /٤١/ من شواهد الخزانة .

(٢) سورة المائدة : ٥/٨ .

(٣) البيت لسليط بن سعد في الأغاني ٢/١٤٥ ؛ والدرر ١/٢١٩ ؛ ومعجم ما استعجم ص٥١٦ ؛ والمقاصد النحوية ٢/٤٩٥ . وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٤٨٩ ؛ وتذكرة النحاة ص٣٦٤ ؛ وشرح الأشموني ١/١٧٠ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٥٢ ؛ وهمع الهوامع ١/٦٦ .

(٤) البيت لأبي جندب الهذلي في تذكرة النحاة ص٣٦٤ ؛ وشرح أشعار الهذليين ١/٣٥١ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/١٠٣ ؛ والخصائص ٢/٤١٥ .

(٥) سورة البقرة : ٢/٤٨ .

جزاء كجزاء الكلاب العاويات ، وهو الضرب والإهانة . قيـل : هـذا ليس بشيء ، وإنما المراد الكلاب التي تتداعى للسفاد . يقال : عاوت الكلبة الكلاب فهي معاويـة ، أي : دعتهم للسفاد . ولا يكاد يستعمل العُواء للكلاب إلا عند السفاد ، والمستعمل في غير ذلك النُّباح ، وإنّما العواء للسباع . وقيل إنّه يعني بالعاويات المسعورة ، ومن شأنها إذا أريد برؤها أن يؤخذ سَفُّود فيُدخل في أدبارها . والسُّعر بضمة وبضمتين ، والسّعار بضمّ أوله : الجنون . والسَّعِرُ ككتف : المجنون . وروي : « الكلاب العاديات» ، جمع العادي من العَدْو . دعا عليه بأحد هذه المعاني ثم حقّقها عليه فقال:«وقد فعل» أي: استجاب الله ما دعوتُ عليه وحقّقه .ومثله للمتنبي:(الطويل)

وهَـذا دُعـاءٌ لَـوْ سَـكَـتُّ كَفَيـتُـه لأنّي سَـأَلْتُ الله فِيك وَقَـدْ فَعَـلْ

وجملة « وقد فعل » حال من ربّه .

وهذا البيت لأبي الأسود الدّيلي يهجو به عديّ بن حاتم الطائي .

وزعم ابن جنّي وغيرُه أنّه للنابغة الذبياني . وهو وإن عاصر عديّاً لكن الذي روي له إنما هو[1] : (الطويل)

جَزَى الله عَبْساً عَبْسَ آل بَغِيض جَزاءَ الكِلابِ العَاوِياتِ وَقَدْ فَعَلْ

وليس فيه ما نحن فيه ، وسيأتي الكلام عليه . وقال العيني : قيل إن قائله لم يُعلم، حتى قال ابن كيسان : أحسبه مولداً مصنوعاً . قال : والضمير لغير عدي ، فكأنّه وصف رجلاً أحسن إليه ثم قال : جزاه ربه خيراً وجَزَى عني عديّ بن حاتمِ شراً ، فحينئذ لا شذوذَ في البيت . ولا يخفى ركاكته .

أما « **أبو الأسود الدُّيلي** »[2] فاسمه ظالم بن عمرو بن سفيان بن جَندل بن يعمر ابن حُليس بن نُفاثة بن عديّ بن الدِّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار . وهم إخوة قريش ، لأن قريشاً تختلف في الموضع الذي افترقت فيه مع بني أبيها . والنسابون يقولون : إنّ من لم يلده فهر بن مالك بن النضر فليس قرشياً .

---

(١) ديوان النابغة الذبياني ص١٩١ .

(٢) انظر في ترجمته الأغاني ٢٩٧/١٢ ؛ والشعر والشعراء ص٦١٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٢٩/٤ ؛ والكامل في اللغة ٣٤٠/١ ؛ ومعجم الشعراء ص٢٤٠ ؛ ومراتب النحويين ص٢٤ .

وهو واضع علم النحو بتعليم عليٍّ رضي الله عنه ، وكان من وجوه شيعته واستعمله على البصرة بعد ابن عباس . وقبل هذا كان استعمله عمرُ بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما . وتوفي فيما ذكره المدائني في الطاعون الجارف في سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة ، وقيل مات قبل ذلك .

قال الجاحظ [١] : أبو الأسود الدِّيلي معدودٌ في طبقاتٍ من الناس ، وهو فيها كلِّها مقدمٌ ومأثور عنه الفضل في جميعها ، كان معدوداً في التابعين والفقهاء والمحدِّثين، والشعراء ، والأشراف والفرسان والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضرين الجواب ، والشِّيعة ، والبخلاء ، والصُّلع الأشراف ، والبخلاء الأشراف . وقال أبو عبيدة معمر بن المثنّى : كان أبو الأسود كاتباً لابن عباسٍ على البصرة ، وهو الذي يقول [٢] : (الكامل)

وإذا طَلَبْتَ مِنَ الخَلائِق حَاجةً فادْعُ الإلهَ وأحْسِنِ الأعْمَالا
فَليُعْطِيَنَّكَ مَا أرادَ بِقُدرَةٍ وَهْوَ اللَّطِيفُ إذا أَرادَ فِعالا
إنّ العِبادَ وشَأنَهُمْ وأمُورَهُمْ بِيَدِ الإلهِ يُقلِّبُ الأحْوَالا
فَدعِ العِبَادَ ولا تكُنْ بِطلابِهِمْ لَهِجاً تَضَعْضَعُ للعِبادِ سُؤالا

وفي الأغاني بسنده إلى ابن عياش [٣] قال : خطب أبو الأسود امرأةً من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسرّ أمرَها إلى صديقٍ له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدّث به ابن عم له كان يخطبها ، وكان لها مالٌ عند أهلها، فمشى ابن عمها الخاطبُ لها إلى أهلها الذين مالُها في أيديهم فأخبرهم خبر أبي الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذي في أيديهم ، ففعلوا ذلك وضارُّوها حتى تزوجت ابن عَمها ، فقال أبو الأسود في ذلك [٤] : (الطويل)

لَعَمْري لَقَدْ أفْشَيتُ يَوماً فَخَانَنِي إلى بَعْضِ مَنْ لَمْ يخشَ سِرّاً مُمنّعا
فَمزّقَهُ مِزْقَ العَمَى وَهْوَ غَافِلٌ ونَادَى بِما أخفيتُ مِنْهُ فأسْمَعَا
فَقُلْتُ ولَمْ أفْحُش لعاً لكَ عاثِراً وَقَدْ يَعثُرُ السَّاعِي إذا كَانَ مُسْرِعا

---

(١) في غير كتابي الحيوان والبيان والتبيين .

(٢) الأبيات في ديوان أبي الأسود ص١٢٣ ؛ والأغاني ٣٠١/١٢ .

(٣) في طبعة بولاق : " ابن عباس " . وصوابه من الأغاني ٣٠٥/١٢ .

(٤) الأبيات والخبر في ديوانه ص١١٥-١١٦ ؛ والأغاني ٣٠٥/١٢ . والثالث بدون نسبة في تاج العروس (لعا) .

وَلَسْتُ بِجازِيْكَ المَلامَةَ إنَّنِي أرَى العَفْوَ أدْنَى للرَّشادِ وأوْسَعا
ولكِنْ تَعَلَّمْ أنَّهُ عَهْدُ بَينِنا فَبِنْ غيرَ مَذمومٍ ولكِنْ مُودَّعا
حَدِيْثٌ أضَعْنَاهُ كِلانَا ، فَلَنْ أُرَى وأنت نجيّا آخرَ الدّهْرِ أجْمَعا
وَكُنْتَ إذا ضَيَّعْتَ سِرَّكَ لَمْ تَجِدْ سِوَاكَ لَهُ إلاّ أشَتَّ وأضْيَعَا

وقال فيه أيضاً [(١)]: (الطويل)

أمِنْتُ امرأً في السِّرِّ لَمْ يَكُ حَازِماً ولكنّه فِي النُّصْحِ غَيْرُ مُرِيْبِ
أذاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حتّى كأنّهُ بِعَلْياءَ نَارٌ أُوْقِدَتْ بِثَقُوبِ
وَكُنتَ مَتَى لَمْ تَرْعَ سِرّك تَنتَشِرْ قَوارِعُهُ مِنْ مُخْطِئٍ وَمُصِيبِ
فَما كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمؤتِيكَ نُصْحَهُ وَمَا كُلُّ مُؤتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيْبِ
وَلَكِنْ إذا ما اسْتُجْمَعا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحُقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبِ

وفي « الأغاني » أيضاً بسنده عن عَوانة [(٢)] ، قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأةٍ بالبَصرة فيتحدّث إليها ، وكانت [بَرزةً [(٣)]] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسودَ هل لك أن أتزوّجك ، فإنّي صَناعُ الكفّ حسنةُ التدبير ، قانعةٌ بالمَيْسور ، قال: نعم . فجمعت أهلَها وتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره، وأسرعت في ماله ، ومدّت يدها إلى خِيانته ، وأفشت سرَّه ؛ فغدا على مَن كان حضر تزويجه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم [(٤)]: (المتقارب)

---

(١) البيت الرابع هو الإنشاد السابع والعشرون بعد الثلاثمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .
الأبيات في ديوانه ٩٨-٩٩ ؛ والأغاني ١٢/٣٠٥ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤/٢٢٨ .والثاني في الحيوان ٥/٦٠١ . وهو بلا نسبة في تاج العروس (ذيع) ؛ وتهذيب اللغة ٣/١٤٨ ؛ واللسان (ذيع) . والرابع في الحيوان ٥/٦٠١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/٤٣٨ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٦٣٦ ؛ ولأبي الأسود أو لمودود العنبري في شرح شواهد المغني ص٥٤٢ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦/٢٦٩ ؛ والدرر ٥/٢٦٦ ؛ والكتاب ٤/٤٤١ ؛ ومغني اللبيب ص١٩٨ ؛ وهمع الهوامع ٢/٩٥ .

(٢) الأغاني ١٢/٣١٠ .

(٣) التتمة من الأغاني . والبرزة – بالفتح – : التي تبرز للرجال وتحادثهم .

(٤) البيت الخامس منها هو الإنشاد الواحد والتسعون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .
الأبيات في ديوانه ١٢٢-١٢٣ ؛ والأغاني ١٢/٣١٠ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧/١٨٢-١٨٣ . والأول في شرح شافية ابن الحاجب ٣/٣٧ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٣١٤ ؛ والخامس في الأشباه والنظائر ٦/٢٠٦ ؛ والدرر ٦/٢٨٩ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١/١٩٠ ؛ وشرح شواهد المغني ٢/٩٣٣ ؛ والكتاب ١/١٦٩ ؛ واللسان =

أَرَيتَ امْرأً كُنْتُ لَمْ أَبلُه ... فقَالَ اتَّخِذْنِي صَدِيْقَاً خَلِيْلا
فَخَالَلْتُهُ ثُمَّ أَكْرَمْتُهُ ... فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدُنهِ فَتِيْلا
وأَلفَيْتُهُ حِيْنَ جَرَّبْتُهُ ... كَذُوْبَ الحَدِيْثِ سَرُوقاً بَخِيلا
فَذَكَّرْتُهُ ثُمَّ عَاتَبْتُهُ ... عِتَاباً رَفِيقاً وَقَولاً جَمِيْلا
فَألفَيتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ ... وَلا ذاكِرَ اللهِ إلاّ قَلِيْلا
أَلسْتُ حَقِيقاً بِتَودِيْعِهِ ... وإتْبَاعِ ذَلِكَ صُرْماً طَوِيْلا

فقالوا له : بلى والله يا أبا الأسود ! فقال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتُها [لكم[1]] ، وأنا أحب أن أستر ما أنكرتُه من أمرها . فانصرفت معهم .

وفيه أيضاً بسنده إلى ابن عيّاش [2] قال : كان المنذر بن الجارود العَبديّ صديقاً لأبي الأسود ، يعجبه مجالستُه وحديثه ؛ وكان كلٌّ منهما يغشى صاحبَه؛ وكانت لأبي الأسود مُقطّعة من برود يكثر لُبسها فقال له المنذر : لقد أدمنتَ لُبس هذه المقطّعة ! فقال أبو الأسود : ربّ مملول لا يستطاعُ فراقه ! فعلم المنذر أنّه قد احتاج إلى كسوة ، فأهدى له ثياباً ، فقال أبو الأسود يمدحه [3] : (الطويل)

كَسَاكَ ولَمْ تَسْتكسِهِ فَحمِدْتَهُ ... أخٌ لَكَ يُعطِيكَ الجَزيْلَ ويَاصِرُ
وإنَّ أَحَقَّ النّاسِ، إنْ كُنتَ حامِداً ... بحمدِكَ مَنْ أعطاكَ والعِرْضُ وافِرُ

وروى الحريري في « درّة الغواص »[4] ، عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

= (عتب ، عسل) ؛ والمقتضب ٣١٣/٢ ؛ والمنصف ٢٣١/٢ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ٦٥٩/٢ ؛ ورصف المباني ص٤٩ ، ٣٥٩ ؛ وسر صناعة الإعراب ٥٣٤/٢ ؛ وشرح المفصل ٦/٢ ، ٣٤/٩ ، ٣٥ ؛ ومجالس ثعلب ص١٤٩ ؛ ومغني اللبيب ٥٥٥/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٩٩/٢ .

(١) التتمة من الأغاني .

(٢) في طبعة بولاق : " عباس " . والتصويب من الأغاني ٣٣١/١٢ .

(٣) البيتان في ديوانه ص٨٥ ؛ والأغاني ٣٣١/١٢ ؛ وإنباه الرواة ٢٣/١ ؛ وحماسة البحتري ٥٦٣/٢ ؛ ودرة الغواص ص٧١ ؛ وسمط اللآلئ ١٦٦/١ ؛ وطبقات النحويين ص١٩ ؛ والكامل في اللغة ٣٤١/١ ؛ ومعجم الأدباء ١٩٣/١٨ ؛ وشرح التصريح ٣١٦/١ .

وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ٢٠٣/١ .

رواية الديوان : " الجزيل وناصر " .

(٤) درة الغواص ص٧١ .

اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم، وابن الأعرابي؛ فتجاريا الحديث[١] إلى أن حكى أبو نصر: أنّ أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثيابٌ رثّة، فكساه ثياباً جُدُداً من غير أن عرّض له بسؤال، فخرج وهو يقول ... وأنشد البيتين ثم قال: وأنشد أبو نصر: «ويا صر» يريد به: ويعطف؛ فقال له ابن الأعرابي: بل هو «وناصر» بالنون؛ فقال له أبو نصر: دعني يا هذا وياصري، وعليك بناصرك!».

وفي «الأغاني»[٢] أيضاً بسنده إلى أبي عبيدة قال: «كان أبو حرب بن أبي الأسود قد لزِم منزل أبيه بالبصرة، ولا ينتجع أرضاً ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها؛ فعاتبه أبوه على ذلك، فقال أبو حرب: إنْ كان لي رزق فسيأتيني! فقال له أبوه[٣]: (الوافر)

وَمَا طَلَبُ المَعِيْشَةِ بالتَّمَنِّي ... وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوكَ فِي الدِّلاءِ
تَجِيءُ بِمِلْئِهَا يَوْماً، ويَوماً ... تَجِيءُ بِحَمأةٍ وقَلِيلِ مَاءِ

وفيه أيضاً بسنده إلى عبد الملك بن عمير[٤] قال: كان ابن عباس، رضي الله عنه، يكرِم أبا الأسود لّما كان عاملاً بالبصرة لعلي، رضي الله عنه، ويقضي حوائجه، فلما ولي ابنُ عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجَه، لما كان يعلمه من هواه في علي، رضي الله عنه، فقال فيه أبو الأسود[٥]: (الطويل)

ذكَرْتُ ابنَ عبَّاسٍ ببَابِ ابنِ عَامِرٍ ... وَمامَرَّ من عَيْشِي ذَكَرْتُ وَمَافضَلْ
أَمِيرينِ كَانَا صَاحِبَيَّ كِلاهُمَا ... فَكلاًّ جَزاهُ اللهُ عنِّي بما فعَلْ
فَإنْ كَانَ شرّاً كانَ شرّاً جَزاؤُهُ ... وإنْ كانَ خَيْراً كانَ خيراً إذا عَدَلْ

---

(١) في درة الغواص: "فتحاذبا".

(٢) الأغاني ٣٢٩/١٢ - ٣٣٠.

(٣) البيتان في ديوانه ص٨٠؛ والأغاني ٣٣٠/١٢؛ وجمهرة الأمثال ٧٤/١. وهما بلا نسبة في أساس البلاغة (دلي)؛ وفصل المقال ص٢٩٣؛ وكتاب الأمثال ص١٩٩؛ والمستقصى ٣٣٨/١؛ ومجمع الأمثال ٩٠/٢. والأول بلا نسبة في المخصص ٣١/١٦.
الحمأة: الطين الأسود

(٤) الأغاني ٣١٧/١٢.

(٥) الأبيات والخبر في ديوانه ص٤٦؛ والأغاني ٣١٧/١٢- ٣١٨؛ وطبقات النحويين ص١٩.
والأول بلا نسبة في المخصص ١٢٦/١٤؛ والثاني في الرد على النحاة ص١٠٤؛ وشرح المفصل ٣٨/٢؛ والكتاب ١٤٢/١؛ وهو بلا نسبة في شرح أبيات سيبويه ٨٨/١.

وفيه أيضاً بسنده إلى العُتبيّ قال : كان لأبي الأسود جارٌ في ظهر داره ، له بابٌ إلى قبيلة أخرى ، وكان بين داره ودار أبي الأسود بابٌ مفتوح يخرج منه كلٌّ واحد إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابنَ عمّ أبي الأسود دنياً ، وكان شرساً سيِّئ الخلق ، فأراد سدّ ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضرّ بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضررٌ ولا مُؤنة ! فأبى إلاّ سدَّه ، ثم ندم على ذلك لأنه أضرّ به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي يسلكها منه بعُدَ عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه [1] : (الوافر)

بُليتُ بصاحِبٍ إنْ أدْنُ شِبراً ... يَزدني في مُباعَدةٍ ذِراعَا
وإنْ أمْدُدْ لَهُ في الوَصْلِ ذَرْعِي ... يَزدْني فَوقَ قِيْسِ الذَّرعَ بَاعَا
أبَتْ نفسِي لَهُ إلاّ اتّباعَا ... وَتَأبَى نَفْسُهُ إلاّ امْتِناعَا
كِلانا جَاهِدٌ : أَدْنُو وَيَنْأى ... فَذلِكَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا اسْتَطَاعَا

وقال فيه أيضاً [2] : (مجزوء الكامل)

أعصَيتَ أمْرَ ذَوي النُّهى ... وأطَعْتَ أمْرَ ذَوي الجَهالَه
أخْطَأتَ حِيْنَ صَرَمْتَني ... والمَرءُ يَعجِزُ لا محالَه
والعَبدُ يُقرعُ بالعَصَا ... والحرُّ تكْفِيه المَقَالَه

وقد أطلنا في إيرادِ شعره ، لكنّا أطبنا [3] : فإن حِكَمه شفاء الصدور ، ودرر قلائد النحور .

وأما « **عديُّ بن حاتم** »[4] فنسبته : عدي بن حاتم الطائيّ بن عبد الله بن سعد ابن حشرج بن امرئ القيس بن عديّ بن أخزمَ بن أبي أخزم ، واسمه هَزومة بن ربيعة ابن جَرول بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوث بن طيِّئ بن أدد بن زيد بن كهلان ؛ إلا أنهم يختلفون في بعض الأسماء إلى طيِّئ .وكنية عديّ: أبو طريف. قال أبو حاتم السجستاني

---

(١) الأبيات في ديوانه ص٦٩-٧٠ ؛ والأغاني ١٢/٣٢٠ .

(٢) الأبيات في ديوانه ص٦٩ ؛ والأغاني ١٢/٣٢٠ . والثاني في اللسان (حول) . وهو بلا نسبة في البيان والتبيين ٣/٢٧ .

(٣) في طبعة بولاق : " أطنبنا " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية نقلاً عن النسخة الشنقيطية .

(٤) انظر في ترجمته الشعر والشعراء ص١٦٩ ؛ وشرح أبيات المغني ٢/٧٧ . وقد جاء نسبه في النسخة الشنقيطية ناقصاً .

في « كتاب المعمّرين » : « عاش عدي مائة وثمانين سنة » ا.هـ.

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان من سنة سبع . وقال الواقدي : من سنة عشر . وخبره في قدومه خبرٌ عجيب وحديث صحيح . ثم قدم على أبي بكر رضي الله عنه بصدقات قومه في حين الرِّدّة ، ومنع قومَه وطائفةً معهم من الردّة بثبوته على الإسلام وحسن رأيه ؛وكان سريّاً شريفاً في قومه ، خطيباً حاضر الجواب، فاضلاً كريماً . روي عنه أنّه قال : ما دخل وقتُ صلاة قطّ إلاّ وأنا أشتاق إليها . وروي عنه أنّه قال : ما دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قطّ إلاّ وسَّع لي أو تحرَّك ؛ ودخلت عليه يوماً في بيته وقد امتلأ من أصحابه ، فوسّع لي حتى جلست إلى جنبه .

وفي حديث الشعبي ، أنّ عديّ بن حاتم قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إذْ قدم عليه : « ما أظنك تعرفني ؟ فقال : وكيف لا أعرفك ، وأول صدقة بيّضَتْ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقةُ طيِّئ . أعرفُك آمنتَ إذ كفروا ، وأقبلتَ إذ أدبروا ووَفيتَ إذْ غدروا » .

ثم نزل عديٌّ الكوفة وسكنها ؛ وشهد مع علي رضي الله عنه الجمل ، وفقئت عينه يومئذ ، ثم شهد مع عليّ رضي الله عنه صِفّين والنَّهروَان ، ومات بالكوفة وهو ابن مائة وعشرين في سنة سبع وستين . كذا في « الاستيعاب » لابن عبد البر .

وأما شعر النابغة الذبياني فهو [1] : (الطويل)

جَزى اللـه عَبْساً عَبسَ آل بَغِيضٍ ... جَزاءَ الكِلابِ العَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلْ

بما انتهكوا مِنْ رَبِّ عَدنَانَ جَهْرةً ... وعَوفٌ يُناجيهُم وَذلكُم جَلل

فأصْبَحْتُم واللـه يَفْعَلُ ذاكُمُ ... يُعزّكم مَولَى مواليكُم شَكَل

وروى : ... يبوك النّساءَ المرضِعاتِ بنو شَكل

إذا شَاء منْهُم ناشِئٌ دَرْبَخت لَهُ ... لَطِيفَةَ طَيِّ الكَشْحِ رابِيَة الكَفَل

قال المفضل بن سلمة في« الفاخر » : روى هذا الشعر للنابغة الذبياني ، وقيل إنه لعبد الله بن هُمارق بضم الهاء وآخره قاف ، وهو أحد بني عبد الله بن غطفان .

---

(١) الأبيات في ديوان النابغة الذبياني ص١٩١ بخلاف يسير . والفاخر ص٢٢٧ ؛ والعمدة ١/١٤٤ ؛ والمقاصد النحوية ٢/٤٨٧ ؛ والنقائض ص٩٩ .

وليس في هذا الشعر شاهدٌ لما نحن فيه . والسبب فيه : أن بني عبس لحقت ببني ضبّة بعد يوم الفَروق ، ثم وقع بينهما دمٌ ففارقتهم عبس فمرّت تريد الشام ، وبلغ بني عامر ارتفاعُهم فخافوا انقطاعَهم من قيس بن زهير رئيس بني عبس ، فخرجت وفود بني عامر إليهم فدعتهم إلى أن يرجعوا ويحالفوهم ، فقال قيس بن زهير : حالِفوا قوماً في صُيّابة بني عامر ليس لهم عدد فيبغوا عليكم بعددهم ، وإن احتجتم أن يقوموا بنصرتكم قامت بنو عامر . فحالَفوا معاوية بن شَكَل بن كعب بن عامر بن صعصعة ، فمكثوا فيهم إلى أن قال الشاعر هذه الأبيات يعيِّر بني عبس ، فلما بلغت قيساً قال : ماله قاتله الله أفسد علينا حِلفنا ! فخرجوا عنهم .

و« يبوك » : مضارع باك المرأة بمعنى جامعها ، بالباء الموحدة وآخره كاف . و«دَربخت » بالدال والراء المهملتين وبالباء الموحدة والخاء المعجمة ، يقال دربخت الحمامة لذكرها : طاوعته للسِّفاد . والصُّيّابة - بضم الصاد المهملة وتشديد المثناة التحتية - : الخالص ، والصميم ، والأصل ، والخيار من كلِّ شيء، والسيّد . وصُيّابة القوم : لُبابهم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والأربعون [1] : (السريع)

٤١ - لمّا عَصى أصْحَابُهُ مُصْعَباً
أدّى إليْهِ الكَيْلَ صَاعاً بِصَاعْ

لِما تقدم في البيت الذي قبله .

قال حفيد السعد في « حاشية المطول » : أفرد ضمير « إليه » مع أنه راجع إلى الأصحاب ، قصداً إلى كلّ واحد منهم .

وقال الفناريّ : قيل الضمير في « أدّى » راجع إلى شخص مذكور فيما سبق ، وفي «إليه » راجع إلى مصعب . وقيل : الضمير في أدّى راجع إلى مصعب وفي إليه راجع إلى أصحابه ، قصداً إلى كل واحد منهم ، أو نقول لمشابهة لفظ « أفعال » للمفرد ، ولهذا يجيء في كثير من المواضع وصفُ المفرد به ، نحو : ثوبٌ أسمال ونطفة

---

(١) البيت للسفاح بن بكير في شرح اختيارات المفضل ص١٣٦٢ (الحاشية) . وهو بلا نسبة في لسان العرب (فجا).

أمشاج ، ونظيره قوله تعالى[١] : « وَإِنَّ لكمْ في الأنعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّا في بُطونِـه»؛ فإن الضمير في بطونه راجع للأنعام ا.هـ .

وهذا الكلام برمّته من « شرح اللبّ » في باب المفعول المطلق .

وقوله « أدّى إليه الكيل » إلخ ، قال الميْداني في « مجمع الأمثال »[٢] : «جزاه كيل الصاع بالصاع » أي : كافأ إحسانه بمثله وإساءته بمثلها .

وقوله « صاعاً » قال الحفيد : هو في موضع الحال مثل بايعته يداً بيدٍ ، وهو في الأصل جملة ، أي : صاع منه بصاع ، كذا كتب قدّس سرّه بخطّه في الحاشية ا.هـ .

وقال الفناريّ : وقوله « صاعاً بصاعٍ » حال من ضمير أدّى ، والأصل مقابلاً صاعاً بصاع ، ثم طُرح مقابلاً وأقيم صاعاً مقامه ، ثم الحال ليست هي صاعاً وحده، بل هو مع قوله بصاع ، لأن معنى المنوب عنه يحصل بالمجموع ، كذا ذكره صاحب «الإقليد » في « كلّمته فاه إلى فيّ » ا.هـ .

ومرجع الضميرين على ما تقدم ناشئ عن عدم الاطلاع عليه .

والبيت من قصيدة للسفّاح بن بُكير بن مَعدان اليربوعي ، رثى بها يحيى بن شدّاد ابن ثعلبة بن بشر ، أحد بني ثعلبة بن يربوع [٣] . وقال أبو عبيدة : هي لرجل من بني قُريع ، رثى بها يحيى بن ميسرة صاحب مُصعَب بن الزبير ، وكان وفيّ له حتى قتل معه .

وهذه أبيات من مطلعها[٤] : (السريع)

---

(١) سورة النحل : ٦٦/١٦ .

(٢) المثل في مجمع الأمثال للميداني ١٦٨/١ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية يقول الميمي : " في مقطعات مراثٍ عن ابن الأعرابي ص١١٦ : " أبو السفاح التعلبي أحد ولد بني عميرة بن طارق بن حصبة يرثي يحيى بن مبشر اليربوعي " . وفي الموفقيات للزبير بن بكار (ترجمة مصعب منه التي طبعها ووستنفلد) أيضاً أنه أبو السفاح ، وهو بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعي " .

(٤) البيت الأول للسفاح في شرح اختيارات المفضل ص١٣٦٢ ؛ وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢٣٧/١٢ ؛ واللسان (صلا) .

والبيت الثاني تم تخريجه قبلاً . أما الثالث فهو للسفاح أيضاً في الدرر ٢٣/٣ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١٣٦٣ ؛ وشرح التصريح ٣٩٩/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٩٥ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٨٥/٣ ؛ =

صَلَّى عَلَى يَحْيَى وأشْيَاعِهُ رَبٌّ رَحِيمٌ وَشَفِيعٌ مُطَاعْ
لَمَّا عَصَى أصْحَابُهُ مُصْعَباً أدّى إليهِ الكَيْلَ صَاعاً بصَاعْ
يا سَيِّداً مَا أنْتَ مِنْ سَيِّدٍ مَوَطَّأُ البَيْتِ رَحِيبِ الذِّراعْ

نقلته من «المفضّليات» وشرحها لابن الأنباري . فالضمير في « أدّى » راجع إلى يحيى ، وضمير « إليه » راجعٌ إلى مصعب .

ورُوي البيت أيضاً كذا :

لَمَّا جَلا الخُلاّنُ عَنْ مُصْعَبٍ أدّى إليهِ القَرضَ صَاعاً بِصَاعْ

فلا شاهد في البيت على هذه الرواية [1] ، وهي رواية المفضل الضبيّ في «المفضليات» .

و«جلا» بالجيم بمعنى تفرّق ، من الجلاء بالفتح والمد ، وهو الخروج من الوطن ؛ يقال : قد جَلَوا عن أوطانهم وجلوتهم أنا - لازمٌ ومتعدٌ - ويقال أيضاً أجْلو عن البلد وأجليتهم أنا ، كلاهما بالألف . و«الخُلاّن» : جمع خليل . وقوله « يا سيداً ما أنت من سيد » إلخ ، يأتي إن شاء الله تعالى في الشاهد الخامس والثلاثين بعد الأربعمائة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون[2] : (الطويل)

٤٢- ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلُومَنَّ قَومُه
زُهَيْراً عَلَى مَا جَرَّ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

لِما تقدّم في البيت الذي قبله .

= والدرر ٣٥/٤ ، ٢٣٤/٥ ؛ وشرح شذور الذهب ص٣٣٦ ؛ وشرح قطر الندى ص٣٢٠ ؛ والمقرب ١٦٥/١ ؛ وهمع الهوامع ١٧٣/١ ، ٩٠/٢ .

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٦٤/١ يقول الميمني : " ورواية الموفقيات " لما جفا المصعب خلانه " فلا شاهد أيضاً" .

(٢) البيت لأبي جندب في ديوان الهذليين ٨٧/٣ ؛ وتذكرة النحاة ص٣٦٤ ؛ وشرح أشعار الهذليين ٣٥١/١ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٠٣/٢ ؛ والخصائص ٤١٥/٢ .
والثاني في ديوان الهذليين ٨٨/٣ ؛ وشرح أشعار الهذليين ٣٥١/١ .

قال الفناري : إنما لم يجز ها هنا رجوعُ الضمير إلى المصدر المدلول عليه وهو اللّوم ، أو إلى الشاعر على سنن الالتفات ، لأنّ مقصود الشاعر قومُ زهير، فإنَّ الذوق السليم يَفهم من هذا البيت تحريضَ أقربائه على لومه ولومَهم على ترك لومه ، ولعلّ قوم زهير غير قوم الشاعر . والله أعلم . اهـ .

وقوله « على ما جرَّ » في « القاموس » : « الجريرة » : الذنب والجناية ، جرّ على نفسه وغيره جريرة يجر بالضم والفتح جرّاً . وقال حفيد السعد : قوله على ما جر ، أي: على العار الذي جرّه ومدّه من كلّ جانب وناحية ، بسبب الظلم والعداوة. لكنّه قُدِّس سرُّه قد كتب في الحاشية : يقال جرَّ عليهم جريرة ، أي: جنى جناية . وقال الفناري : وقد يروى بالحاء المهملة والزاي المعجمة ، من الحزّ وهو القطع . اهـ وهذا لا وجهَ له هنا ، والرواية إنّما هي الأولى كما يأتي، وبعده :

بِكَفّي زُهَيْرٍ عُصْبَةُ العَرْجِ مِنْهُمُ وَمَنْ بِيْعَ فِي الرَّكْبَيْنِ لَخْمٍ وَغالِبِ

والبيتان من شعر أبي جُنْدَب بن مُرَّة القِرْديّ . قال السكّري في شرح أشعار هذيل : زهير من بني لِحْيان . و« جرّ » : جنى ، أي : جرّ على نفسه جرائر من كلّ جانب . وروى « قومَه زهيرٌ » اهـ يعني بنصب قومه ورفع زهير ، وعليه لا شاهد فيه . وقوله «بكفّي زهير إلخ » عصبة مبتدأ والظرف قبله خبره . « ومَن بيع » معطوف على المبتدأ . و« العُصبة» : الجماعة . و« العَرج» ، بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها جيم : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، بها قتل قوم زهير وسُبي نساؤهم وذراريهم . وضمير «منهم » لقوم زهير ، والظرف حال من عصبة بتقدير مضاف له وللمعطوف ، أي : قُتل العصبة في العرج وسُبي من بيع في الرّكبين ، حال كونهم من قوم زهير ، بسبب جناية كفّي زهير . ولخم وغالب بدل من الركبين . و«لخم » : حيّ من اليمن . و« غالب » : قبيلة من قريش . ويقدر « منهم » أيضاً بعد قوله : ومن بيع .

وسبب هذا الشعر ما رواه السكري قال : مرض أبو جندب ، وكان له جارٌ من خزاعة اسمه خاطم [1] ، فقتله زهيرٌ اللِّحياني وقتلوا امرأته ، فلما برأ أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتّى قدم مكة ، فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف ،

(١) في جميع طبعات الخزانة : " خاطم " . بالمعجمة . وفي شرح أشعار الهذليين ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٨١٠ : "حاطم " . بالمهملة . واسمه حاطم بن هاجر .

فعرف الناس أنه يريد شرّاً ، فقال[١] : (الرجز)

إنّـي امْـرؤٌ أبْكي علَى جَـارِيَّـهْ أبكِـي علَى الكَعْبيِّ والكَعبيَّـه
وَلَـو هَلَكْتُ بُكَيـا عَليَّـهْ كـانـا مَكانَ الثّوبِ مِنْ حَقْـويَّـه

يقال « عذت بحقويك » . يريد : كانا في موضع المعاذ ، أي : كانا مـني بمكـان مَن أجَرْت. فلما فرغ من طوافه وقضى من مكّة حاجته ، خرج في الخُلَعـاء مـن بكـر وخزاعة فاستجاشَهم على بني لِحْيان ، فخرجوا معه حتى صبّح بهـم بـني لحيـان في العَرج ، فقتل فيهم وسبى من نسائهم وذراريهم ، وباعهم فاشترتهم هاتان القبيلتـان ، فقال أبو جندب في ذلك :

* ألا ليتَ شعري هل يلومنّ قومُه * . . . البيتين

و« القِرْدي » نسبة إلى قرد بكسر القاف ، على لفـظ الحيـوان المعـروف ، وهـو بطن من هُذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . ولحيان بكسـر الـلام وسـكون المهملـة بعدها مثناة تحتية : بطن من هذيل أيضاً . وأبو جندب شاعر جاهلي .

﴿ تتمـــة ﴾

البيت الذي في المطول وهو قوله : جزى بنوه إلخ

رواه الأصبهاني في « الأغاني » في ترجمة عدي بن زيد كذا [٢] : (البسيط)

جَـزَى بَنُـوهُ أبـُو الغيْـلانِ مِـنْ كِبَـرٍ وَحُسْنِ فِعْلٍ كَما يُـجْزَى سِنِمَّـارُ

وذكر فيه جزاء سنمار ؛ قال : « وأما صاحب الخورنق فهو النعمان بن الشقيقة، وهو الذي ساح على وجهه فلم يُعرف له خبر ؛ والشَّقيقة -أمّه - بنت أبي ربيعة بـن ذُهل بن شبيان . وهو النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ بن نصر ابـن ربيعـة اللّخمي . فذكر ابن الكلبي أنه كان سببُ بنائه الخورنق : أن يَزدجِرد بن سابور كـان

(١) الرجز لأبي جندب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص٣٤٩ ، وشرح شواهد الإيضاح ص١٦٠ .

(٢) البيت لسليط بـن سعد في الأغـاني ١٤٥/٢ ؛ والـدرر ٢١٩/١ ؛ ومعجـم مـا استعجم ص٥١٦ ؛ والمقـاصد النحوية ٤٩٥/٢ . وهـو بـلا نسبة في تخليص الشـواهد ص٤٨٩ ؛ وتذكـرة النحـاة ص٣٦٤ ؛ وشـرح الأشموني ١٧٠/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٥٢ ؛ وهمع الهوامع ٦٦/١ .
ورواية الأغاني : " جزى بنوه أبا غيلان عن كبر " .

لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مريء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدُلّ على ظهر الحيرة ؛ فدفع ابنَه بهرام جُور بن يزدجرد ، إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عامله على أرض العرب ، وأمره بأن يبني الخورنقَ مسكناً له ولابنه ، وينزله إيّاه معه بإخراجه إلى بَوادي العرب ؛ وكان الذي بنى الخورنقَ رجلاً يقال له سنمّار ، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفّوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحقه لبنيته بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت ! فقالوا : وإنك لتبني ما هو أفضلُ منه و لم تبنه ؟! ثم أمر به فطُرح من رأس الجوسق .

وفي بعض الروايات أنه قال : إني لأعرف في هذا القصر موضعَ عيب إذا هدم تَداعَى القصر .

فقال : أما والله لا تدلّ عليه أحداً أبداً ! ثم رمى به من أعلى القصر[١] فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة ، منها قول أبي الطمحان القيني[٢] : (الطويل)

جَزاءَ سِنمّار جَزَوْها ، وربِّها وباللّاتِ والعُزَّى ، جَزاءَ المُكَفَّرِ

ومنها قول سَليط بن سعد[٣] :(البسيط)

جَزَى بَنُوه أبا الغِيلانِ مِنْ كِبَرٍ وَحُسن فِعْلٍ كَما يُجْزَى سِنِمَّار

وقال عبد العزّى بن امرئ القيس الكلبي ، وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغسّاني أفراساً ووفد إليه فأعجب به واختصَّه ، وكان للملك ابنٌ مسترضَع في بني عبد وُدّ – من كلب – فنهشته حيّة فظن الملك أنّهم اغتالوه ؛ فقال لعبد العزّى : جئني بهؤلاء القوم ! فقال : هم قومٌ أحرار ليس لي عليهم فضل في نسب ولا فعل ؟ فقال : لتأتيني بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ! فقال له : رجونا من جنابك [٤] أمراً حال دونه عقابُك ، ودعا ابنيه شراحيل وعبد الحارث فكتب معهما إلى قومه[٥]: (الطويل)

---

(١) في القاموس (سنمار) : " أو غلام لأحيحة ، بَنَى أطمة ، فلمّا فرغ منه قال : لقد أحكمته . قال : إني لأعرف حجراً لو نزع لتقوض من عند آخره ، فسأله عن الحجر فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم فخرّ ميتاً " .

(٢) البيت في الأغاني ١٤٥/٢ لأبي الطمحان .

(٣) البيت لسليط بن سعد في الأغاني ١٤٥/٢ ؛ وشرح الأشموني ١٧٠/١ .

(٤) في الأغاني ١٤٥/٢ : " من حبائك " .

(٥) البيت الأول بلا نسبة في الأغاني ١٤٥/٢ ؛ وتاج العروس (سنمر) ؛ وتهذيب اللغة ١٥٦/١٣ ؛ وجمهرة =

جَـزانِـي جَـزاهُ الله شَـرَّ جَـزائِـهِ ... جَزاءَ سِنِمَّار ومَـا كانَ ذا ذَنْـبِ
سِوَى رَصَّه البنيـانَ عِشْرينَ حِجَّـةً ... يَعـلّ عَلَيـهِ بالْقَرامِيـدِ والسَّـكْبِ

وهي أبيات . قال : فقتله النعمان » ا.هـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون[1] :(الطويل)

٤٣-كَأنْ لَـمْ يَمُتْ حَيٌّ سِـواكَ وَلَـمْ تَقُـمْ
عَلَـى أحَـدٍ إلاّ عَلَيْـكَ النَّـوائِـحُ

على أنه إذا وقع مرفوع بعد المستثنى في الشعر أضمروا له عاملاً من جنس الأول، أي : قامت النوائح . والمسألة مفصَّلة في الشرح .

وهذا البيت من أبيات مذكورة في الحماسة لأشجعَ السُّلميّ وهي :

مَضَى ابنُ سعيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ ... وَلا مَغْـرِبٌ إلاّ لَـهُ فِيـهِ مَـادِحُ
وَمـا كُنـتُ أدْري مَـا فَواضِلُ كَفِّـهِ ... عَلَى النّاسِ حتّى غَيَّبتهُ الصَّفائِحُ
فَأصْبَحَ فِـي لَـحْدٍ مِنَ الأرضِ مَيّتـاً ... وَكَانَت بِهِ حيّاً تَضِيْقُ الصَّحاصِحُ
سَأبكِيكَ مافاضَتْ دُموعِي فإنْ تَغِضْ ... فَحَسْبُكَ مِنّـي ما تُجِنُّ الـجَوانِحُ
وَمَـا أنـا مِنْ رُزْءٍ وإنْ جَـلَّ جَـازِعٌ ... ولا لِسُرورٍ بَعـدَ مَوتِـك فَـارِحُ
لَئِـنْ حَسُنَتْ فيكَ المراثِي وذِكْرُهـا ... لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكِ الـمَدائِحُ

كأن لم يمت حي سواك .. البيت .

و«الصفائح» : أحجار عراض يسقف بها القبر . و«الصحاصح» : جمع صحصح وهي الأرض المستوية الواسعة .و«تغيض» : تنقص ، يقال غاض الماء وغِضتُه .

= الأمثال ٣٠٥/١ ؛ وجمهرة اللغة ص١٢٢٢ ؛ ولسان العرب (سنمر) ؛ ومجمع الأمثال ١٦٠/١ ؛ والمستقصى ٥٢/٢ . بخلاف يسير في الرواية في الصدر . ورواية الصدر : " جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا " .

والثاني بلا نسبة أيضاً في تاج العروس (سنمر) .

(١) الأبيات لأشجع السلمي هي في ديوانه ص١٩٩-٢٠٠ ؛ والأوراق ص١٣٥ ؛ وأمالي القالي ١١٨/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٥٧٥/٣ ؛ وهي له أو للبراء بن ربعي الفقعسي في شرح حماسة أبي تمام للأعلم الشنتمري . وهي بلا نسبة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨٥٦/٢ . والأبيات قالها في رثاء عمرو بن سعيد بن سليم .

وقوله « كأنْ لم يمت » كأن مخفّفة واسمها ضمير شأن . يقول : أفرطَ الحزن عليك حتى كأنّ الموت لم يُعهَد قبل موتك ، وكأن النياحة لم تقم على مَن سواك .

و« **أشجع** » هو ابنُ عمرو السُّلميّ [١] ، ويكنى أبا الوليد ، من ولد الشّريد بن مطرود السُّلميّ ، تزوّج أبوه امرأة من أهل اليمامة فشخَص معها إلى بلدها فولدت له هناك أشجع ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه فقدمت به أمه البصرة فطلبت ميراث أبيه ، وكان له هناك مال ، فماتت بها . ورَبيَ أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبته، ثم كبر وقال الشعر فأجاد وعُدّ في الفحول ، وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس عيلان شاعر ، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس واثبتت نسبه، ثم خرج أشجع إلى الرَّقّة والرشيدُ بها ، فنزل على بني سُليم ، ومدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصة ، فوصله الرشيد فأثرى وحسُنت حاله . ولما ولّى الرشيدُ جعفرَ بن يحيى خراسان ، جلس لتهنئة الناس ، وأنشده الشعراء ، ودخل في آخرهم أشجع ، فقال : لتأذنْ في إنشاد شعر قضيتُ به حق سودُدك وكمالك ، وخففت به ثقل أياديك عندي فقال : هات يا أبا الوليد ، فأنشده [٢] : (المتقارب)

أتصبرُ يا قلبُ أم تجزَعُ ... فإنّ الدِّيارَ غداً بَلْقعُ
غداً يَتَفرّق أهْلُ الهوَى ... ويكثرُ باكٍ ومسترجِعُ

إلى أن بلغ قوله :

ودَوِّيةٍ بينَ أقْطارِها ... مقاطِعُ أرضِينَ لا تُقْطَعُ
تجاوزْتُها فوقَ عَيْرانَةٍ ... مِنَ الرِّيحِ في سَيْرِها أسْرَعُ
إلى جَعْفرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةٌ ... وأيُّ فَتى نحْوَهُ تَنْزِعُ
فما دُونَهُ لامْرئ مَطمعٌ ... ولا لامرئٍ غيرهُ مُقْنَعُ
ولا يَرفَعُ النَّاسُ ما حَطَّه ... ولا يَضَعُونَ الذي يَرْفَعُ

---

(١) انظر في ترجمته الأغاني ٢١٢/١٨ ؛ والشعر والشعراء ص٧٥٨ ؛ وطبقات الشعراء ص٢٥٠ .

(٢) أبيات العينية في ديوانه ص٢٢٥-٢٢٩ ؛ قالها في جعفر بن يحيى ؛ وهي في الأوراق ص٨٢ ، ١٠٣ ؛ وفي الأغاني ٢٢٤/١٨-٢٢٥ ؛ وتاريخ ابن عساكر ٦٣/٣ ؛ والشعر والشعراء ٧٥٩/٢-٧٦٠ .

وفي حاشية الطبعة السلفية ، يقول الميمني ٢٧٠/١ : ط هذه العينية طويلة بديعة ، سردها الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأشجع ..." .

البلقع : الأرض القفر . والدوية : الصحراء الواسعة . والعيرانة : الناقة النشيطة .

يـريــدُ الـملـوكُ مَـدَى جَعْـفـر ... وَلا يَصْنَعُونَ كَمـــا يَصْنَـــعُ
وَلَيْـس بـأوسَـعِهـم فِـي الغِنَـى ... ولـكـنّ مَعـروفَـهُ أوْسَـــعُ
يَلُـــوذُ المُلُـــوكُ بـآرائِـــهِ ... إذا نَـالَـهـا الـحَـدَثُ الأفْـظَـعُ
بَـديْهتُـــــهُ مِثْـلُ تَـدبيـرِهِ ... مَتَـى رُمتَـه فَهْـو مُسْتَجْمِـــعُ
وَكَـمْ قَـائِـلٍ ، إذْ رأى ثَـرْوَتِـي ... وَمَـا فِـي فُضُـول الغِنَى أصْنَـعُ
غَـداً فِـي ظِـلال نَـدى جَعْفَر ... يَجُـرُّ ثِيَـابَ الغِنـى أشْـجَـعُ
فَقُـلْ لِـخراسَـانَ تـحيَـا فَقَـدْ ... أتـاهَـا ابـنُ يـحيى الفَتَـى الأرْوَعُ

فأقبل عليه جعفر يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار[1] .

قال الصولي في الورقات : قال لي يوماً عبد الله بن المعتز : مِن أين أخـذ أشجع قوله:

وليـس بـأوسـعهم فـي الغنـى ... . (البيت)

فقلت : من قول موسى شَهَوات لعبد الله بن جعفر بن أبي طـالب رضي اللـه عنه:

ولَـمْ يَـكُ أوْسَـع الفِتْيـانِ مَـالاً ... وَلَكِنْ كَــانَ أرْحبَهُم ذِراعَــا

فقال : أصبت ، هكذا هو ! ا.هـ.

ورأيت في الحماسة في باب الأضياف : وقال أبو زياد الأعرابيُّ الكلابي :(الوافر)

لَـــهُ نـارٌ تَشـبُّ عَلَـى يَفَـاعٍ ... إذا النِّيـرانُ أُلبِسَتِ القِنـاعَـا
ولـم يـك أكـثـر الفتيـان مـالاً ... . (البيـت)

وإنما لقِّب « **موسى** » بشهوات[2] ، لأنَّ عبد اللـه بن جعفر كـان يشتهي عليـه الشهواتِ فيشتريها لـه موسى ويـتربَّح عليـه . وهـو مولًى لبـني سـهم ؛ وأصلـه مـن أذرَبيجان . كذا في كتاب الشعراء لابن قتيبة[3] .

---

(١) الخبر بكامله في الأغاني ١٨/٢٢٤-٢٢٥ .

(٢) انظر في ترجمته الأغاني ٣/٣٥١ ؛ والشعر والشعراء ص٤٨١ ؛ والسمط ص٨٠٧ ؛ ومعجم الشعراء ص٣٧٧.

(٣) الخبر في الشعر والشعراء ٢/٤٨١ .

وقال أبو عبيد البكري في « شرح أمالي القالي » [١] : موسى شهوات هو موسى ابن يسار مولى قريش ، ويقال مولى بني سهم ، ويقال مولى بني تَيم ؛ كان يجلب إلى المدينة القَنْد [٢] والسكّر من أذربيجان ، فقالت امرأة : ما يزال موسى يجلب إلينا الشهوات ، فغلب عليه .

وقال ابن شبّة : كان موسى سؤولاً مُلحفاً ، فإذا رأى مع أحد شيئاً يعجبه : من ثوب أو متاع أو دابّة ، تباكى ، فإذا قيل له : مالك ! قال : أشتهي هذا ، فسمِّي موسى شهوات . وقال ابن الكلبي : سمّي بذلك لقوله في يزيد بن معاوية[٣] : (الخفيف)

لَسْتَ مِنّا وَلَيْسَ خَالُكَ مِنّا ... يا مُضِيْعَ الصَّلاةِ بِالشَّهَواتِ

يقال « موسى شهوات » على الصفة ، وعلى الإضافة وهو أصحُّ ويكنى أبا محمد ، وهو أخو إسماعيل بن يسّار .ا.هـ .

وبيت موسى شهوات نسبه السَّعد في المطول ، وصاحب المعاهد في «شواهد التلخيص » ، إلى أبي زياد الأعرابي الكلابي كما في الحماسة .

قال الصوليّ : بعد أن تصرّف جعفر بالأمر والنهي والتولية والعزل ، بدا للرشيد عزلُه ، فعزله عن خراسان، فاغتمَّ لذلك جعفر فدخل عليه أشجع فقال[٤] : (السريع)

أمْسَتْ خُراسَانُ تُعزّى بِمَا ... أخْطأهَا مِنْ جَعْفَرِ المُرتَجَى
كَانَ الرَّشِيدُ المُعتلى أَمْرُهُ ... وَلّى عَلَى مَشْرِقِها الأبْلَجَا
ثُمَّ أراهُ رَأيُهُ أنَّهُ ... أمْسَى إليهِ مِنْهم أحْوَجَا
كَمْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بأسْبَابِهِ ... مِنْ مُحْصَنٍ أهْلاً وَكَمْ زَوَّجَا
وَكَمْ بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ كُرْبَةٍ ... فِي مُدَّة تَقْصُرُ قَدْ فَرَّجَا

فقال له جعفر : قمت والله بالعذر لأمير المؤمنين ، وأصبت الحق ، وخفّفت عليّ العزل ! فأمر له بألفِ دينار أخرى .

---

(١) سمط اللآلئ ص٨٠٧ .

(٢) القَند - بالفتح - : عسل قصب السكر إذا جمد . معرّب .

(٣) البيت لموسى شهوات (موسى بن يسار) في تاج العروس (شهى)

(٤) الأبيات في ديوان أشجع ص١٩٦-١٩٧ ؛ والأغاني ١٨/٢٢٥-٢٢٦ .

ولمّا دخل أشجع على الرشيد بالرَّقّة كان قد فرغ من قصره الأبيض، فأنشده[١]: (الكامل)

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلامُ ... فِيهِ لأعْلامِ الهُدَى أعْلامُ
نَشَرَتْ عليْهِ الأرْضُ كسْوَتَها التي ... نَسَجَ الرَّبيعُ وَزَخْرفَ الأوْهامُ

إلى أن قال :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يا ابنَ عَمِّ مُحمّدٍ ... رَصَدان: ضَوْءُ الصُّبْحِ والإظْلامُ
فإذا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ ، وإذا غَفا ... سَلَّتْ عليهِ سُيُوفَكَ الأحْلامُ

قال الصُّوليّ في الورقات ، بسنده إلى أشجع : إن الرشيد قال لي : من أين أخذت قولك « وعلى عدوك .. البيتين » ؟ فقلت : لا أكذب والله ! من قول النابغة[٢]: (الطويل)

فَإنَّكَ كاللَّيْلِ الَّذي هُوَ مُدْرِكي ... وَإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عَنْكَ وَاسِعُ

فقال صه ! هو عندي من كلام الأخطل لعبد الملك بن مروان – وقد قال له : أنا مجيرك من الجحّاف – فقال : من يجيرني منه إذا نمْت ؟!

وترجمة أشجعَ مطولة في الورقات للصّوليّ ، وفي الأغاني للأصبهاني[٣] .

وأشجع ليس ممن يستشهد بكلامه ، فكان ينبغي تأخيره عن البيت الذي بعده .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون[٤] : (الكامل)

---

(١) الأبيات في ديوان أشجع ص٢٥٢-٢٥٣ ؛ والأغاني ٢١٤/١٨ ؛ وتاريخ ابن عساكر ٦٠/٣ .

(٢) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص٣٨ ؛ وتاج العروس (نأى) ؛ وكتاب العين ٣٩٣/٨ ؛ ولسان العرب (طور، نأى) .

وهو بلا نسبة في مقاييس اللغة ٣٧٨/٥ ؛ ومجمل اللغة ٣٦٨/٤ .

(٣) الأغاني ٢١٢/١٨ وما بعدها .

(٤) البيت لموسى بن جابر الحنفي في الأغاني ٣١٨/١١ ؛ والحماسة برواية الجواليقي ص١١٣ ؛ وديوان الحماسة للمرزوقي ص٣٦٣ ؛ وشرح حماسة أبي تمام للأعلم ١١٥/١ ؛ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٨٩/١ ؛ واللسان (سوا) . وليحيى بن منصور الحنفي في جمهرة اللغة ص٧٠٧ ؛ وهو بلا نسبة في الاشتقاق ص٢٤٥ ؛ والمخصص ١٥١/١٥ .

٤٤- لا أَشْتَهِي يَا قَوْمِ إلاَّ كَارِهاً
بَابَ الأَمِيْرِ ولا دِفَاعَ الحَاجِبِ

على أنّ « بابَ الأمير » منصوب بـ « لا أشتهي » مقدَّراً . والمسألة مفصلة في الشرح أيضاً .

قال أمين الدّين الطَّبرسي ، في شرح الحماسة : هنا « كارها » حال ، يقول : لا أعلّق شهوتي بورود باب الأمير ومدافعةِ الحاجب إلاّ على كَره ؛ يصف ميله إلى البدوِ وأهله وإلفه إياهم .

وقال السيد في حاشيته على المطول : قصَر فيه الشاعر نفسَه في زمان اشتهائه بابَ الأمير على صفة الكراهة له ؛ فهو من قصر الموصوف على الصفة. ويمكن أن يقال : قصر فيه اشتهاءه باب الأمير عليه موصوفاً بالكراهية له لا يتعداه إليه موصوفاً بصفة الإرادة له ، فهو من قصر الصفة على الموصوف . ولك أن تقول قصَر اشتهاءه البابَ على أنه مجتمِع مع كراهيته له دون إرادته إياه؛ فيكون أيضاً من قصر الموصوف على الصفة . ثم اشتهاء الشيء إن لم يكن مستلزماً لإرادته لم ينافِ كراهته ، فجاز أن يكون الشيء مشتهًى مكروهاً كاللّذات المحرَّمة عند الزهّاد ، كما جازأن يكون الشيء مراداً منفوراً عنه ، كشرب الأدوية المرّة عند المرضى . فإن قيل : الاشتهاء يستلزم الإرادة ، فالجمع بينه وبين الكراهية باختلاف الجهة ، فيشتهي الدخول على الأمير لما فيه من التقرُّب ، ويكرهه لما فيه من المذلّة ودفاع الحاجب ، فبالحقيقة المشتهى هو التقرب ، والمكروه تلك المذلة . ا.هـ .

وبهذا يُعرف سقوطُ قول بعض شراح الحماسة هنا ، فإنه قال : ليس قوله «كارهاً » حالاً من أشتهي ، لأنه لا يكون كارهاً للشيء مشتهياً له في حال ، من أجل أنّ الشهوة منافية للكراهة ، ولكنّه حالٌ من فعل مقدّر ، والمعنى : لا أشتهي باب الأمير ولا آتيه إلا كارهاً ، أو ولكن آتيه كارهاً ا.هـ .

وهذا البيت أول أبياتٍ ثلاثة مذكورة في الحماسة ، لموسى بن جابر الحنفي [1]، والبيتان بعده :

وَمِنَ الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ وَمُزَنَّدُونَ شُهودُهُمْ كَالغَائِبِ

(١) المصادر السابقة في الشاهد الرابع والأربعين .

مِنْهُـــمْ أُسُودٌ لا تُــرامُ وَبَعْضُـهُـمْ مِـمَّا قَمَشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الـحَاطِبِ

يشبّه الرجـل ، في مَضائـه وصرامتـه ، وفي دقّتـه إذا هـزُل ، بالسيـف والسـنان. و«مذروبة » : محدّدة ، وكذلك مذرَّبة ، وكلَّ شيء حدّدته فقد ذرَبته . يقـول : مـن الرجال رجالٌ كالأسنة المطرورة مَضاءً ونفـاذاً في الأمـور . والمزنّـد وكذلـك الزنـد : الضيق ؛ وقولهم : فلان زند متين ، أي : زند شديد الضّيق متين شـديد بَخيـل . أي : إن نالهم خطبٌ ضاقوا عنه ولم يتّجهوا فيه لرشد . وكان من حقه أن يقول :«ومنهـم مزندون » ، لكنه اكتفـى بـالأوّل كقولـه تعـالى[1] : « منهـا قـائمٌ وحَصِيـدٌ » . قـال المرزوقي: سمعت أبا علي الفارسي يقول : كل صفتين تتنافيان فـلا يصـح اجتماعهمـا لموصوف واحد ، فلا بدّ من إضمار « من » معهما إذا فُصّل جملة بهما ، متى لم يجـئ ظاهراً ؛فإن أمكن اجتماع صفتين لموصوفٍ واحد استغنى عن إضمار «من» كقولك: صاحبـاك منهمـا ظريـف وكريـم . وقولـه :«شـهودهم» إلى آخـره يـروى بدلـه «حضورهـم»، يريـد أنـه لا غَنـاء عندهـم فحضورهـم كغيبتهـم ، كقـول الشـاعر : (الطويل)

شَهِدْتَ جَسِيماتِ العُلىوَهْوَ غائِبُ وَلَوْ كَـانَ أَيْضاً شَاهِداً كَـانَ غَائِبـاً

قال الطبرسيّ : يجوز أن يريد بالشهود جمعَ شاهد وهو الحـاضر ، وأراد بالغـائب الكثرة فتكـون جنسـاً ، وإن كـان الشـهود مصـدراً فالغـائب يجوز أن يكـون جنسـاً كالأوّل ، أي : شهودهم كغيبة الغائب بحـذف المضـاف ؛ ويجوز أن يكـون مصـدراً كالباطل . وقوله «منهم ليوث » إلخ . يقول : من الرجال رجـال كالأسـود في العـزة والمنعة ، لا يُطلب اهتضامُهم ولا يُطمَع فيهـم ، ومنهـم متفـاوتون كقُمـاش البيـت – وهو رديءُ متاعه جُمع من ههنا وههنا . وقوله : «وضَمّ حبل الحاطب » هو كقـول الآخر[2] .

* وكلهـمْ يـجمعُهـمْ بيـتُ الأدَم *

---

(١) سورة هود : ١١/١٠٠ .

(٢) الرجز بلا نسبة في تاج العروس (خيف ، أدم) والتنبيه والإيضـاح ٦٨/١ ؛ وثمار القلوب ص١٩٣ ؛ وجمهرة اللغة ص٦١٨ ؛ والعقد ٩٩/٣ ؛ وكتاب العين ٣٢٦/٧ ؛ وكنايات الجرجاني ص١١٧ ؛ واللسـان (أدم ، حلب ، سوا) ؛ والمراثي ١٤٣ . وقبله :

* الناسُ أسواءٌ وشتّى في الشّيَمْ *

قال الأصمعي : بيت الأدَم يجمع الجيّد والرديء ، ففيه من كل جلد رقعة ؛ وكذلك الحاطب يجمع في حبله الرطبَ واليابس ، والجَزل والشَّخت ، وربما احتطب ليلاً فضم في حبله أفعى وهو لا يدري .

ونحوه قول العامة في الشيء المتفاوت والقوم المختلطين : « هم خِرق البُرنس ». استأنف بهذا البيت تلك القسمة على وجه آخر، فهو من باب البيان : وهو أن يحمل الشاعر معنًى ويفسِّره بما يليه .

وصاحب هذه الأبيات موسى بن جابر الحنفي ، أحد شعراء بني حنيفة المكثِرين ، يقال له ابن الفُريعَة وهي أمُّه ، كما أنَّ حسان بن ثابت رضي الله عنه يقال له ابن الفُريعة ، وتقدّم في ترجمته . ويقال كان نصرانيًّا ، وهو القائل[1] : (الطويل)

وَجَدْنا أبَانَا كَانَ حَلَّ ببلْدةٍ سِوًى بينَ قَيسٍ قَيس عَيلانَ والفِزْرِ
بِرابيَةٍ أمّا العَدُوُّ فَحولَنا مُطِيفٌ بنَا في مِثلِ دائِرةِ المُهْرِ
فَلمَّا نَأَتْ عنّا العَشِيرةُ كُلُّها أقَمنا وحَالَفْنا السُّيوفَ عَلَى الدَّهْرِ

كذا في « المؤتلف والمختلف » للآمدي[2] .

و« سِوًى »: صفة بلدة بمعنى متوسطة . و« الفِزْر » : لقبٌ لسعد بن زيد مناة . والمعنى : وجدنا أبانا حلّ ببلدة متوسطة لديار قيس بن عيلان وسعد بن زيد مناة . يريد : حلّ بين مضر ونأى عن ربيعة ، لأن قيساً والفزر من مضر .

وقوله « فلما نأت » إلخ ، يقول : لما خذلتنا عشيرتُنا وهم ربيعة ، اكتفينا بأنفسنا فأقمنا بدار الحفاظ والصَّبر ، واتخذنا سيوفنا حلفاء على الدهر ، وهذا مثلٌ ضربه لاستقلالهم فيما نهضوا فيه بعدَدهم وعُدّتهم ، وبلائهم وصبرهم ، واستغنائهم عن القاعدين .

---

(١) الأبيات في المؤتلف ص٢٤٨ ؛ والبيتان ١،٣ ومعهما بيت آخر في الحماسة بشرح الأعلم ص٢١٣ ؛ والحماسة برواية الجواليقي ١٠٢ .

والأول في الأغاني ٣١٨/١١ ؛ واللسان (سوا) ؛ وليحيى بن منصور الحنفي في جمهرة اللغة ص٧٠٧ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٣٢٦ ؛ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٧١/١ . وهو بلا نسبة في المخصص ١٥١/١٥ ؛ والاشتقاق ص٢٤٥ .

(٢) المؤتلف والمختلف ص٢٤٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه [(١)] : (الطويل)

٤٥ - لِيُبْكَ يَزِيْدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ
وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيْحُ الطَّوائِحُ

على أن الفعل المسند إلى « ضارعٌ » حذف جوازاً ، أي : « يبكه »[(٢)] ضارع؛ وهذا على رواية لُيبك بالبناء للمفعول و« يزيد » نائب فاعل . وأما على روايته بالبناء للفاعل ففاعله « ضارع » ويزيد مفعوله ، ولا حذف ، ولا شاهد . وهذه الرواية هي الثابتة عند العسكري ، وعَدّ الرواية الأولى غلطاً ، فإنه قال في «كتاب التصحيف» فيما غلط فيه النحويون : ومما قلبوه وخالفهم الرواة، قول الشاعر « لُيُبْكَ يزيد ضارع» .. البيت . وقد رواه خالدٌ والأصمعي وغيرهما بالبناء للفاعل من البكاء ونصب يزيد[(٣)] .

ومثله في كتاب فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني ، قال : أنشد الأصمعيّ «لِيَبكِ يزيدَ ضارعٌ » أي : بالبناء للفاعل ، ولم يعرف لُيبكَ يزيد أي : بالبناء للمفعول، وقال : هذا من عمل النحويين .

وزعم بعضُهم أنه لا حذف في البيت على الرواية الأولى أيضاً ، لجواز أن يكون يزيد منادى وضارع نائب الفاعل ، قال ابن هشام في « شرح الشواهد»: والتوجيه

---

(١) هو الإنشاد التاسع والأربعون بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للحارث بن نهيك في شرح شواهد الإيضاح ص٩٤ ؛ وشرح المفصل ٨٠/١ ؛ والكتاب ٢٨٨/١ ؛ وللبيد ابن ربيعة في ملحق ديوانه ص٣٦٢ ؛ ولضرار بن نهشل في الدرر ٢٨٦/٢ ؛ ومعاهد التنصيص ٢٠٢/١ ؛ وللحارث بن ضرار في شرح أبيات سيبويه ١١٠/١ ؛ ولنهشل أو للحارث أو لضرار أو للمزرد بن ضرار أو للمهلهل في المقاصد النحوية ٤٥٤/٢ .

وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٤٥/٢ ، ٢٤/٧ ؛ وأمالي ابن الحاجب ص٤٤٧ ، ٧٨٩ ، وأوضح المسالك ٩٣/٢ ، وتخليص الشواهد ص٤٧٨ ؛ والخصائص ٣٥٣/٢ ، ٤٢٤ ؛ وشرح الأشموني ١٧١/١ ؛ وشرح المفصل ٨٠/١ ؛ والشعر والشعراء ص١٠٥ ، ١٠٦ ؛ والكتاب ٣٦٦/١ ، ٣٩٨ ، ولسان العرب (طوح) ؛ والمحتسب ٢٣٠/١ ؛ ومغني اللبيب ص٦٢٠ ؛ والمقتضب ٢٨٢/٣ ؛ وهمع الهوامع ١٦٠/١ . وهو لنهشل بن حري في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢٩٥/٧ ؛ والمراثي ١٢٧ .

(٢) في جميع الطبعات : " أي يبكيه " . وهو خطأ صوابه من شرح أبيات المغني .

(٣) انظر التصحيف ص٢٠٨ .

الأول أولى لأنه قد روى لِيَبكِ يزيد بفتح ياء يبكِ وكسر كافه ونصب يزيد ، فلما ظهر ضارعٌ فاعلاً في هذه الرواية استحقّ أن يقدر فاعلاً في الأخرى ليستويا . وتوهَّم الدماميني في الحاشية الهندية ، وتبعه الفناريّ في حاشية المطول ، أن القائل بنداء يزيد يزعم أنه منادى في الروايتين ، واستشكله بأنه لم يثبت رفع يزيد في رواية البناء للفاعل. وليس كما توهّم ، فإن الذي خرجه على النداء إنما هو على رواية لِيُبكَ بالبناء للمفعول كما نقل ابنُ هشام ، والرواية الأولى أبلغ بتكرار الإسناد إجمالاً ثم تفصيلاً ، كما بيّنه السعد في المطوّل .

وقال ابن خلف : لما قال ليبك يزيد عمَّ المأمورين بالتفجع على هذا الميت والبكاء عليه من كثرة الغنَاء ، ثم خص هذين الصنفين من جملة الباكين عليه لشدة احتياجهما إليه ، ثم قال نقلاً عن بعضهم : إن الإبهام على المخاطب في مثل هذا النحو الذي يقصد به العموم ، تعظيمٌ للمقصود ومدح عميم .

و« يزيد » على رواية البناء لفاعل غير منصرف للعلمية ووزن الفعل لأنه منقول من الفعل دون ضميره المستتر ، وعلى الرواية الأخرى يحتمل أن يكون كالأول وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون منقولاً من الفعل مع فاعله المستتر ويكون حينئذ جملة محكية .

واعلم أن هذا البيت لوقوعه في المتن شرحه الشارح المحقق ، ونحن نذكر ما يتعلق به . فقوله الضارع : الذليل ، من قولهم ضرَع ضراعة ، فعله من الباب الثالث ، وورد في لغة أيضاً من باب تعب ، ويقال أيضاً ضرُع ضَرعاً كشرُف شرفاً بمعنى ضعُف ، فهو ضَرعٌ أيضاً تسميةً بالمصدر ، كذا في « المصباح » . وقوله : « لخصومة » متعلق بضارع وإن لم يعتمد على شيء إلخ . أقول : ظاهره أنه لم يعتمد على شيء مما ذكر من شروط عمل اسم الفاعل النصب ، وفيه أنه معتمد على موصوف مقدر . قال ابن مالك في الخلاصة : (الرجز)

وَقَدْ يكُونُ نَعتَ مَحْذُوف عُرِف فَيسْتَحِقُّ العَملَ الذِي وُصِف

ويحتمل أن يكون معناه أنه متعلق بضارع وإن فرض أنه لم يعتمد على شيء ، لأنه يكفيه رائحة الفعل ، وكيف لا يتعلق به مع اعتماده على موصوف مقدر ، لكنه بعيد عن السياق .

قال الفناريّ في « حاشية المطول » : « فإن قلت : بل قد اعتمد على الموصوف

المقدّر ، أي : شخص ضارع ، فعلى تقدير اشتراط الاعتماد في تعلق الجارّ به لا محذورَ أيضاً ! قلت : إن كفى في عمله الاعتماد على موصوف مقدر لا يتصور الإلغاء، لعدم الاعتماد حينئذ ، لتصريح الشارح -يعني السعد- في« شرح الكشاف»، بأنّ ذكر الموصوف مع اسم الفاعل ملتزَم لفظاً أو تقديراً تعييناً للذات التي قام بها المعنى . وهو مخالف لتصريحهم ، اللهم إلا أن يقال : الاعتماد على موصوف مقدّر إنما يكفي لعمله إذا قوي المقتضي لتقديره ، كما في يا طالعاً جبلاً ، ويا راكباً فرساً ، لانضمام اقتضاء حرف النداء إلى اقتضاء نفس اسم الفاعل ؛ لكن تأتّي اعتبار مثل هذا المقتضى في كل موضع محلُّ نظر » ا.هـ . وهذا كلام جيد .

وقوله « لأجل الخصومة » أشار إلى أن اللام في الخصومة لام التعليل ؛ ويحتمل أن يكون بمعنى عند أيضاً . وقوله « فإن يزيد كان ملجأ للأذلّاء والضّعفاء » الأولَى ملجأ للأذلّاء والفقراء ، فإنّ المختبط : بمعنى السائل كما فسره الشارح به . وقوله «وتعليقه بيبك ليس بقويّ في المعنى [1]» قال الفناريّ : لأن مطلق الخصومة ليس سبباً للبكاء ، بل هي بوصف المغلوبية .

وقوله « والمختبط الذي يأتيك للمعروف من غير وسيلة » وقع في بعض النسخ: « الذي يأتي بالليل للمعروف » . والظاهر أن قيد الليل تحريف من النساخ ، وكون الاختباط الإتيانَ للمعروف من غير وسيلة هو قول أبي عبيدة ، فإنّه قال: المختبط : الرجل يسألك من غير معرفة كانت بينكما ، ولا يد سلَفت منه إليك، وعليه فيكون الاختباط متعدياً لمفعول واحد كما مثّل الشارح المحقق بقوله: «يقال اختبطني فلان».

وقال ابن خلف : الاختباط بمعنى السؤال والطلب ، فهو بمنزلة الاقتضاء ، تقول اختبطني معروفي فخبَطته ، أي : أنعمت عليه ، ومثله اقتضيته مالاً أي[2] : سألته إياه . وحكى بعضهم اختبط فلان فلاناً ورقاً ، إذا أصاب منه خيراً . فعلى تفسير أبي عبيدة في البيت حذف مفعولٌ واحد ، أي : ومختبط ورقاً أو رزقاً أو نحو ذلك . ويجوز أن يكون هذا المفعول ضمير يزيد أي : ومختبط إياه . وعلى التفسير الثاني فيه حذف مفعولين أي : ومختبط الناس أموالهم. ومثله إذا سألت فاسأل الله ، أي : إذا سألت أحداً معروفه فاسأل الله معروفه .

---

(١) انظر شرح الرضي ٦٨/١ .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " أن " . وهو تصحيف صوابه من طبعة هارون .

وروى : « ومستمنح » بدلَ ومختبط ، أي : من استمنحه أي : طلب مِنحته وهي العطيّة والرِّفد ،والأصل في المنحة هي الشاة أو الناقة يعطيها صاحبُها رجلاً يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن ؛ ثم كثر استعماله حتى أطلق على كلِّ عطاء . ومنحته من باب نفع وضرب ، إذا أعطيته .

وصف الشاعر يزيدَ بالنصر والكرم للذليل وطالبِ المعروف [١] ، فيقصده الضارع للخصومة ، ويلتجئ إليه المختبط إذا أصابته شدة السنين . وقوله « وأصله من خبطت الشجرة إلخ » الخبْط بسكون الباء : إسقاط الورق من الشجر بالعصا لعلْف الإبل . والخبَط بفتحتين هو الورق الساقط . والمِخبط بسكر الميم هي العصا التي يخبط بها ، والفعل من باب ضرب . وقال ابن مالك: الأصل فيه أن الساري والسائر لا بد من أن يختبط الأرضَ ، ثم اختصر الكلام فقيل للآتي طالباً للجدوى : مختبط . وخبطت الرجل إذا أنعمت عليه من غير معرفة ، وخبطته إذا سألته أيضاً ؛ فهو ضد .

وقوله « وهو إما على حذف الزوائد إلخ » أشار إلى أن الطوائح جمع على غير قياس ، لأنّ فعله رباعي ، يقال أطاحته الطوائح وطوّحته ، فقياس الجمع أن يكون المطيحات والمَطاوح ، فإن تكسير مُفعِل مفاعل بحذف إحدى العينين وإبقاء الميم ، وتخريج الجمع على حذف الزوائد هو لأبي علي الفارسي ، وتخريجه على النسب هو لأبي عمرو الشَيباني ، فإنّ تقديره عنده مما تطيحه الحادثات ذوات الطوائح .

ونقل ابن خلف عن الأصمعي أن العرب تقول[٢] : طاح الشيء بنفسه وطاحه غيره ، بمعنى طوّحه وأبعده ، فعلى هذا تكون الطوائح جمع طائحة من المتعدي قياساً ، ولا شذوذَ .

ولم أر هذا النقل في الكتب المدوّنة في اللغة ولا في غيرها .

وقوله « يقال طاح يطوح إلخ » طاح بمعنى هلك ، وكلُّ شيء ذهب وفني فقد طاح : وقوله « وطاح يطيح وهو واوي إلخ » فيكون أصلهما طوح يطوح بكسر الواو فيهما [٣] فأُعِلاّ .

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " للذليل وطلب المعروف " . وهو تصحيف صوابه من طبعة هارون .

(٢) في أصول جميع الطبعات :"طاح الشيء في نفسه" . وهو تصحيف . والتصويب من شرح أبيات المغني ٢٩٦/٧

(٣) وكذا في اللسان (طوح) :" قال سيبويه في طاح يطيح : إنه فعل يفعل ، لأن فعل يفعل لا يكون في بنات الواو، كراهية الالتباس ببنات الياء ، كما أن فعل يفعل لا يكون في بنات الياء، كراهية الالتباس ببنات الواو أيضاً " .

وجعله صاحب « العباب » ممّا عينُه جاء معتلاً بالواو تارة وبالياء أخرى و لم يعتبر أن الواو صارت ياء بالإعلال . وسبقه ابن جنّي في إعراب الحماسة فإنّه قال : ومن قال طاح يطيح فكان عنده كباع يبيع ، فقياسه أن يقول المَطايح ، فيصحح الياء لأنّها عين مُفعِل .

وقوله « مما تطيح متعلق بمختبط إلخ » هذا هو الظاهر المتبادر إليه ، وقال ابن خلف : وقوله مما تطيح ، موضعه رفع على النعت لمختبط ، أوله ولضارع جميعاً ، أي: كائن أو كائنان ، فتكون « ما » للجنس . ويؤيد هذا التأويل رواية من روى «ممن تُطيح » أي : من الذي تطيحه الطوائح فحذف العائد ؛ وروى أبو علي « قد طوّحته الطوائح » وهذا يؤيد كون هذه الجملة نعتاً لمختبط لرجوع الضمير إليه مفرداً. وقوله « أي : يسأل من أجل » أشار إلى أن « مِن » تعليلية . وقال ابن الحاجب في إيضاحه وأماليه : ومن للابتداء أو بمعنى السببية . فالأوّل على أن ابتداء الاختباط من الإطاحة أو سبب الاختباط الإطاحة . فإن قلت : ما الفرق بينهما ؟ قلت : فيه خلاف ، قال أبو حيان : كأن التعليل والسببَ عندهم شيء واحد ، قال السيوطي : هذا هو الحقّ .

وفي « شرح جمع الجوامع » للمَحلّي ما يصرّح به ، لأنّه قال المعبَّر عنه هنا بالسبب هو المعبَّر عنه في القياس بالعلّة ! وخالفهم ابن السبكي في « الأشباه والنظائر» فقال : إن الفرق بينهما ثابتٌ لغة ونحواً وشرعاً : قال اللغويون : السبب كلُّ شيء يتوصل به إلى غيره ومن ثم سمَّوا الحبل سبباً ، وذكروا أنّ العلة : المرض وكلمات يدور معناها على أنّ العلة أمر يكون عنه أمر آخر .

وذكر النحاة أن اللام للتعليل و لم يقولوا للسببية . وقال أكثرهم : الباء للسببية و لم يقولوا للتعليل ، وذكر ابن مالك السببية والتعليل . وهذا تصريح بأنّهما غَيرانِ . وقال أهل الشرع : السبب: ما يحصل الشيء عنده لا به ، والعلة : ما يحصل به . وأنشد ابن السَّمْعاني على ذلك: (الطويل)

أَلَمْ تَـرَ أنَّ الشَّيْءَ للشَّيْءِ عِلَّـةٌ ... تكونُ بِـهِ ، كالنّار تُقْدَحُ بالزَّنْدِ!

و« المعلول » يتأثر عن علّته بلا واسطةٍ بينهما ولا شرطٍ يتوقف الحكم على وجوده، والسبب إنّما يُفضي إلى الحكم بواسطة أو وسائط [1] ولذلك يتراخى الحكم

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٨١/١ : في الطبعة الأولى " وسايط " والتصحيح للأستاذ تيمور باشا .

عنه حتى توجد الشرائط وتنتفيَ الموانع . وأمّا العلّة فلا يتراخى الحكم عنها ، إذ لا شرط لها ، بل متى وجدت أوجبت معلولها بالاتفاق .. إلى آخر ما فصله .

وقوله : « إذهابُ الوقائع ماله ، أشار إلى لأنّ مفعول تطيح محذوف وهو ماله . وقوله : « أي : يبك لأجل إهلاك المنايا يزيد » ، أشار إلى أن مفعول تطيح على هذا التقدير هو يزيد ، وأراد بالمنايا أسباب الموت ، إطلاقاً لاسم المسبّب على السبب ، وإلاّ فالشخص الواحد لا تهلكه إلاّ منية واحدة . وقوله :« ويجوز أن تكون ما بمعنى التي»، زاد بعضهم : ويجوز أن تكون نكرة موصوفة .

وهذا البيت من أبيات لنهشَل بن حَرّيّ - على ما في شرح أبيات الكِتاب لابن خلف - في مرثية يزيد ، وهي[1] : (الطويل)

لَعَمْري لَئِنْ أمْسَى يَزيدُ بنُ نَهْشَلٍ ... حَشَا جَدَثٍ تَسْفِي عليهِ الرَّوائِحُ
لَقَدْ كانَ مِمَّنْ يَبسُطُ الكَفَّ بالنّدَى ... إذا ضَنَّ بالخيرِ الأكفُّ الشَّحائِحُ
فَبعدَكَ أبْدَى ذُو الضَّغينَةِ ضِغْنَه ... وَسدّ لِيَ الطَّرفَ العُيونُ الكَواشِحُ
ذَكَرْتُ الذي مَاتَ النّدى عِنْدَ مَوتِهِ ... بعَاقِبِهِ إذْ صَالحُ العَيْشِ طَالِحُ[2]
إذا أرَقٌ أفْنَى مِنَ اللّيلِ مَا مَضَى ... تَمَطَّى به ثِنيٌ مِنَ اللّيلِ راجحُ
لِيُبْكِ يَزيدُ ضَارِعٌ .. .. البيت
سَقَى جَدَثاً أمْسَى بِدَومَةَ ثَاوِيًا ... مِنَ الدَّلْوِ والجَوزاءِ غَادٍ وَرائِحُ

« الحشا » : ما في البطن . و« الجدث » بالجيم والثاء المثلثة : القبر . و«تسفي»: مضارع سفت الريح التراب : ذرته ، ويقال أسفته أيضاً فالمفعول محذوف. و« الروائح » : أي : الأيّام الروائح ، من راح اليوم يروح روحاً من باب قال ، وفي لغة من باب خاف، إذا اشتدت ريحه فهو رائح[3] . وأما كونه جمعَ ريح لم (أقف على من نبّه عليه ، مع أن ريحاً لم تجمع على هذا الوزن . و« ضنّ » ، يقال) ضنّ بالشيء يضنّ من باب تعب ، ضَنّاً وضِنّة بالكسر وضَنانة بالفتح : بخِل فهو

---

(١) الأبيات في شرح أبيات المغني ٧/٢٩٥ - ٢٩٦ ؛ والمراثي ص ١٢٧ .والأبيات ١ -٤ في المقاصد النحوية ٢/٤٥٤ .

(٢) بعاقبه .كذا في طبعة هارون ، والشنقيطية ، وهو ما يقتضيه تفسير البغدادي فيما بعد ، لكن صواب الرواية : بعاقبة - وهو رواية الطبعة السلفية - والعاقبة : الأخرة .

(٣) في طبعة بولاق :" راح " وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية .

ضنين، ومن باب ضرب لغة . و« الشحائح » : جمع شَحيح ، من الشُّحّ وهو البخل، وفعله من باب قتل ، وفي لغة من بابي ضرب وتعب . أراد : أنه إن فقد بالعدَم فهو حيّ بذكره بالكرم . وما أحسن قول أبي نصر الميكالي : (الكامل)

بَانِي العُلَى والمَجْدِ والإحْسَان والفَضْلِ والمَعْرُوفِ أَكْرَمُ بَانِي
الجُودُ رأيُ مُسدَّدٍ وموفَّق والبَذْلُ فِعْلُ مُؤيَّدٍ ومُعَان
والبرُّ أَكْرَمُ ما وَعَتْهُ حَقِيبَةٌ والشُّكْرُ أَفْضَلُ مَا حَوَتْهُ يَدانَ
وإذَا الكَرِيْمُ مَضَى وَوَلّى عَمرُه كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِعُمرٍ ثَان[1]

ولأجل هذا البيت الأخير أنشدت هذه الأبيات .

و« عاه » يعيه : حفظه وجمعه . و« الحقيبة» : أصله العجزُ ، ثم سمِّي ما يحمل من القُماش على الفرس خلف حقيبته مجازاً ، لأنه محمول على العجز .

وقوله « فبعدك أبدى إلخ » فيه التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . و« الضّغينة » والضغن بالكسر : اسم من ضغِن صدره ضغناً من باب تعب بمعنى حقد. و« سد » : أغلق. و« الطرف » : مصدر طرف البصر طرفاً من باب ضرب: تحرَّك ونظر ، وهو مفعول مقدَّم . و«العيون» : فاعل مؤخر . و« الكواشح » : جمع كاشحة مؤنث الكاشح ، وهو مضمر العداوة ، وكشحَ له بالعداوة : عاداه ككاشحه ، وإنما نسبه إلى العيون ، لأن العداوة أول ما تظهر من العين ، أي : صرت بعدك ذليلاً لا أقدر أن أرفع بصري إلى أحد . وفي نسخة « وسدّد لي » من التسديد وهو التقويم ، أي : صوّبت نحوي عيونُ الأعداء نظرَها ، وهذه أحسن .

وقوله « ذكرت الذي » إلخ ، ضمير موته راجع للذي ، وهو العائد ، والباء متعلقة بمات . و«العاقب» : الذي يخلُف من كان قبله في الخير ، وضمير «عاقبهِ» راجع للندى ، يقول : مات الندى مع من يخلفه عند موت يزيد . ويصح أن يعود الضمير ليزيد . و« إذ »: متعلقة بذكرت. والصالح من الصلاح ، والطالح من الطلاح وهو ضدُّ الصلاح . و«الأرق»: السّهر. و« تمطّى» : امتدّ وطال . وضمير « به » راجع إلى ما مضى . والثّني بكسر المثلثة وسكون النون ، يقال ثِنْيٌ من الليل ، أي :

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٨٢/١ :" وتقدم أبو الطيب المتنبي أبا نصر الميكالي بقوله :

كفل الثناء له برد حياته لمّا انطوى فكأنه منشور

وتقدمهما آخرون " .

ساعة ، وقيل وقت . و« راجح » أي: زائد ثقيل ، من رجح الميزان رجوحاً: مال . و« إذا » عاملها تمطّى. يشكو بهذا البيت طول الليل . وقوله « أمسى بدَومة ثاويا » دومة بفتح الدال والميم : اسم موضع بين الشام والموصل ، وهو من منازل جَذيمة الأبرش ، كان وقع فيه الطاعون ، ذكره الأخطل في شعره ، كذا في المعجم لأبي عبيد البكري . و«غاد»: فاعل سقى، واحده غادية وهي السحابة تنشأ غُدوة . والرائح : مطر العشي وهو آخر النهار . وقوله «من الدَّلو » كان في الأصل صفة لما بعده ، فلما قدم صار حالاً ؛ وإنما خصَّ السحاب بكونه من الدلو والجوزاء لكثرة مائه ؛ فإن الدلو وسط فصل الشتاء ، فإن الشمس تحلُّ فيه بالجدي والدلوِ والحوتِ ، والجوزاءُ آخر فصل الربيع ، والشمس تحل فيه بالحمل والثور والجوزاء .

و« **نهشل بن حَرِّيٍّ** »[1] بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين بلفظ المنسوب إلى الحَرّ أو إلى الحَرَّة ، وهو ابن ضَمرة بن جابر بن قطَن بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة [ابن مالك[2]] بن زيد مناة بن تميم.

وكان اسم ضَمرة جدّ نهشل شِقَّة بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف . ودخل على النعمان فقال له : من أنت ؟ فقال: أنا شِقَّة بن ضَمرة . قال النعمان[3] : «تسمع بالمُعَيْديّ لا أن تراه !» فقال : أبيت اللعن، إنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه ، إن نطقَ نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجنَان ! قال : أنت ضَمْرة بن ضَمْرة ؛ يريد أنَّك كأبيك . كذا في « كتاب الشعراء » لابن قتيبة[4]

وكان نهشل شاعراً حسنَ الشعر ، وهو القائل[5] : (الطويل)

---

(١) انظر في ترجمته الشعر والشعراء ص ٥٣٢ ؛ وشرح أبيات المغني ١٢٨/٤؛ وطبقات فحول الشعراء ص ٥٨٣ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٢٨٤/١ : " الزيادة من تصحيحات العلامة تيمور باشا ، ومن زيادات المرحوم الشنقيطي في هامش نسخته ".

(٣) المثل في أمثال العرب ص ٥٥ ؛ وتمثال الأمثال ٣٩٥/١ ؛ وجمهرة الأمثال ٢٦٦/١ ؛ وجمهرة اللغة ص٦٦٥ ؛ وزهر الأكم ١٧٦/٣ ؛ والعقد الفريد ٢٨٨/٢ ؛ والفاخر ص ٦٥ ؛ وفصل المقال ص ١٣٥ ؛ وكتاب الأمثال ص ٩٧ ؛ واللسان (ين ، دنا ، معد) ؛ ومجمع الأمثال ١٢٩/١ ؛ والوسيط في الأمثال ص ٨٣ .

(٤) الشعراء ٥٣٢ .

(٥) البيتان لنهشل بن حري في الحماسة الشجرية ٢٢٣/١ ؛ والشعراء ص ٥٣٢ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص ٥٨٤ ؛ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢٠١/١ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٣٩١ .

يصف يوما شديد الحر ، أراد شدة ما يقاسي من فيح النار .ضربه مثلا لشدة الأمور النوازل وصبرهم على كفاحها.

وَيَومٍ كَـأَنَّ الـمُصْطَلِيْنَ بِحَرِّهِ وإِنْ لَمْ تَكُنْ نَارٌ وقُوفٌ عَلَى جَمرِ
صَبَرنَـا لَـهُ حتّـى يَبُوخَ وإِنمـا تُفَرِّجُ أَيَّامُ الكَرِيْهةِ بِالصَّبْـرِ (١)

قال العسكري في « التصحيف » (٢) : وابنه حَرِّيّ بـن نهشـل بـن حـرِّيّ شـاعر أيضاً ، وله يقول الفرزدق :

أحرِّيّ قَدْ فَاتتكَ أختُ مُجاشِعٍ فُصيلَـة فـانكِح بَعْدَهـا أو تـأيَّـم

ونهشل بن حرِّيّ من المخضْرَمين ، نقل ابن حجر في « الإصابة » عن المرزُباني: أنه شريف مشهور مخضرم ، بقي إلى أيام معاوية ، وكان مع علـي في حروبـه ، وقُتـل أخوه مالك بصفّين وهو يومئذ رئيس بني حنظلة، وكانت رايتهم معه ؛ ورثـاه نهشـل بمراثٍ كثيرة .. قال : وأبوه شاعر شريف مشهور مذكور ، وجده ضَمرة سيدٌ ضخم الشرف ، وكان من خير بيوت بني دارم .

﴿تتمـــــة﴾

نسب النحاس هذه الأبياتَ في شرح أبيـات الكتـاب ، وتبعـه ابـن هشـام، للبيـد الصحابي ؛ وحكى الزمخشري أنها لمزرِّد أخـي الشمّاخ ، وقـال ابـن السـيرافي : هـي للحارث بن ضرار النهشلي يرثي يزيد بن نهشل ؛ وقال اللّبْلي : إنّها لضرار النهشلي، وذكر البعليُّ أنّها للحارث بن نُهَيك النّهشلي ، وقيل هي للمهلهل .

والصواب : أنّها لنهشل بن حـرِّيّ كمـا في شـرح أبيـات الكتـاب لابـن خلـف، وكذا في « شرح أبيات الإيضاح » . واللـه أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه (٣) :

---

(١) في طبعة بولاق : " صبرنا لها حتى تبوخ ..." وهو تصحيف .

(٢) في طبعة بولاق : " السكري " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية نقلاً عن النسخة الشنقيطية . وانظر في ذلك التصحيف للعسكري ص٣٩٥ .

(٣) هو الإنشاد الثاني والسبعون بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للنمر بن تولب في ديوانه ٣٥٧ ؛ وتخليص الشواهد ص٤٩٩ ؛ وسمط اللآلئ ص٤٦٨ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٦٠/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٥٢/٤ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٧٢/١ ، ٨٢٩/٢ ؛ وشرح المفصل ٣٨/٢ ؛ والكتاب ١٣٤/١ ؛ ولسان العرب (خلل،نفس)؛ والمقاصد النحوية ٥٣٥/٢ . وهو بلا نسبة في الأزهية ص٢٤٨ ؛ والأشباه والنظائر ١٥١/٢ ؛ والجنى الداني ص٧٢ ؛ وجواهر الأدب ص٦٧ ؛ والرد على النحاة ص١١٤ ؛ =

٤٦- لا تَجْزَعِي إنْ مُنْفِسٌ أهْلَكْتُهُ

وتمامه :

* وإذا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذلِكَ فاجْزَعِي *

على أن الكوفيين أضمروا فعلاً رافعاً « لمنفس » ، أي : إن هلك مُنْفِسٌ أو أُهلك منفس . وأورده في باب الاشتغال أيضاً كذا . وأما البصريون فقد رووه :

* لا تجزعي إن مُنْفِساً أهلكته *

وكذا أورده سيبويه بنصب منفِس على أنه منصوب بفعل مضمر تقديره إنْ أهلكتُ منفساً أهلكتهُ ، فأهلكته المذكور مفسِّر للمحذوف .

وهذه الجملة من باب الاشتغال لا تدخل في الجملة التفسيرية التي لا محل لها من الإعراب وإن حصلَ بها تفسير .

قال أبو علي في « البغداديات » : الفعل المحذوف والفعل المذكور في نحو قوله : « لا تجزعي إن منفساً أهلكته » ، مجزومان في التقدير ، وإن انجزام الثاني ليس على البدلية ، إذ لم يثبت حذف المبدل منه ، بل على تكرير «إن» أي : إن أهلكت منفساً إن أهلكته ؛ وساغ إضمار «إن» وإن لم يجزْ إضمار لام الأمر إلاّ ضرورة، لاتساعهم فيها ، بدليل إيلائهم إياها الاسمَ ، ولأن تقدمها مقوّ للدلالة عليها .

وقوله « وإذا هلكت » الواو عطفت هذه الجملة الشرطية على الشرطية التي قبلها ، ولم أر في جميع الطرق من روى بالفاء بدل الواو إلاّ العيني ، فإنّه قال : الفاء عاطفة . والمعنى لا يقتضي الفاء فإنها تدل على الترتيب والتعقيب والسببية ، والثلاثة منتفية سواء كان الترتيب معنوياً كما في قام زيد فعمرو ؛ أو ذِكريا وهو عطفُ مفصّلٍ على مجمل نحو[1] : « ونادَى نُوْحٌ رَبَّه فَقَال رَبِّ » .

وقوله « فعند ذلك فاجزعي » أورده الشارح في الفاء العاطفة ، على أن إحدى الفاءين زائدة ، ولم يعيّن أيتهما زائدة .

- وشرح الأشموني ١٨٨/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٦٤ ؛ وشرح قطر الندى ص١٩٥ ؛ ولسان العرب (عمر) ؛ ومغني اللبيب ١٦٦/١ ، ٤٠٣ ؛ والمقتضب ٧٦/٢ .

(١) سورة هود : ٤٥/١١ .

قال أبو علي في « المسائل القصرية »: الفاء الأولى زائدة والثانية فاء الجزاء ؛ ثم قال : اجعلِ الزائدة أيَّهما شئت . وعين القاضي في تفسيره الفاء الأولى ، فإنّه أورد البيت نظيراً لقوله تعالى[1]: « فَبذلكَ فَليَفرَحُوا »، فقال : الفاء في « بذلك » زائدة ، مثلها الفاء [2] الداخلةُ على « عَند » في البيت ، وتقديم «عند» للتخفيف كتقديم «ذلك» .

وسيبويه لا يثبت زيادة الفاء ، وحكم بزيادتها هنا للضرورة . ومَن تبعه وجَّه ما أوهم الزيادة ، فوجَّهها صاحب « اللباب » بأنها إنّما كررت هنا لبعد العهد بالفاء الأولى كما كرر العامل في قوله[3] : (الطويل)

لَقَدْ عَلِمَ الحَيُّ اليمانُونَ أنّني إذا قُلْتُ أمّا بَعْدُ أنّي خَطيبُهَا

أعيد « أني » لبعد العهد بأنني ، وأجاز الأخفش زيادتها في الخبر مطلقاً ، وحكى « زيد فوجد » . وقيّده بعضهم بكون الخبر أمراً أو نهياً نحو :

* وَقَائِلَةٍ خَولان فانْكِحْ فَتَاتَهُمْ *

وقوله[4] : (الخفيف)

* أنْتَ فانْظُرْ لأيِّ ذاكَ تَصِيْرُ *

وأوّله المانعون بأن التقدير : هذا زيد فوجد ، وهذه خولان ، وبأن الأصل انظر فانظرْ ، ثم حذف انظر فبرز ضميره . و«الجزَع» : قيل هو الحزن ، وقيل أخصُّ منه فإنه حزنٌ يمنع الإنسانَ ويصرفه عما هو بصدَده ويقطعه عنه .وأصله القطع ، يقال جزعت الحبلَ : قطعته لنصفه . ويقال أيضاً : جزعنا الواديَ ، أي : قطعناه عرضاً ؛

(١) سورة يونس : ٥٨/١٠ .

(٢) في جميع الطبعات : " الفاء في فبذلك زائدة ، مثلها الفاء " . والتصويب من شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٣) البيت بلا نسبة في شرح أبيات المغني ٥٣/٤ .

(٤) عجز بيت لعدي بن زيد في ديوانه ص٨٤ ؛ والأغاني ١٢٦/٢ ؛ والجنى الداني ص٧١ ؛ والدرر ٣٨/٢ ؛ والرد على النحاة ص١٠٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٤١٤/١ ، ٤١٥ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٦٩/١ ؛ والشعر والشعراء ٢٣١/١ ؛ والكتاب ١٤٠/١ ؛ ولسان العرب (منن) . وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٣٦٢ ؛ والخصائص ١٣٢/١ ؛ والدرر ٣٢٤/٥ ؛ ومغني اللبيب ١٦٦/١ ؛ وهمع الهوامع ١١٠/١ ، ١١١/٢ .
وصدره :

* أرَواحٌ مُوَدِّعٌ أمْ بُكُورُ *

وقيل هو قطعه مطلقاً . فالجزع بالفتح المصدر ، والجزع بالكسر منقطع الوادي ، وقيل هو الفزع . ومنه قوله تعالى[1] : « أجَزِعْنا أمْ صَبَرْنا » . والفزع أخصُّ من الخوف ، وهو انقباضٌ يعتري الإنسان ونفارٌ من كل شيء مخيف ؛ وهو من جنس الجزع . و« المُنْفِس » قال في « القاموس » : وشيء نفيس ومنفوس ومُنفس بالضم يُتنافس فيه ويرغب ، ونفُس ككرم نفاسة ونفاساً بالكسر ونفَساً بالتحريك ، و«النفيس» : المال الكثير ، ونفِس به كفرح : ضنَّ ، وعليه بخير : حسد ، وعليه الشيء نفاسة : لم يره له أهلاً . انتهى .

وفي « عمدة الحفاظ » : وأصل المنافسة مجاهدة النفس للتشبيه بالأفاضل في غير إدخال ضرر على غيره ، وشيء نفيس منفوس به أي : مضنون . و« الإهلاك » لشيء : إيقاع الهلاك به . والهلاك على أربعة أوجه : أحدها وهو المراد هنا افتقاد الشيء عنك وهو موجود عند غيرك ، ومنه : « هَلَكَ عنِّي سلطانيهْ » . والثاني : هلاك الشيء باستحالةٍ وفساد ، كقوله تعالى[2] : « ويُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ » . والثالث: الموت نحو : « إن امرؤٌ هلك » . والرابع : الشيء من العالم وعدمه رأساً ، وذلك هو المسمى فناء كقوله تعالى[3] : « كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهَه » . وقد يطلق الهلاك على العذاب والخوف والفقر ونحوها ، لأنها أسبابُه يقول : لا تجزعي من إنفاقي النفائس ما دمتُ حياً ؛ فإني أحصِّل أمثالها وأُخلفها عليك ، ولكن اجزعي إذا متّ فإنك لا تجدين خلفاً مني.

وهذا البيت آخر قصيدة للنمرِ بن تَولب ، يصف نفسه فيها بالكرم ويعاتب زوجتَه على لومها فيه ، وكان أضافَه قوم في الجاهلية فعقر لهم أربع قلائص واشترى لهم زقَّ خمر ، فلامته على ذلك ، فقال هذه القصيدة وهي[4] : (الكامل)

قَالَتْ لِتُعْذَلَني مِنَ اللَّيْلِ اسْمَعِ سَفَهٌ تبيُّتُكِ المَلامَةَ فاهْجَعِي

---

(١) سورة إبراهيم : ٢١/١٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٥/٢ .

(٣) سورة القصص : ٨٨/٢٨ .

(٤) الأبيات في ديوان النمر بن تولب ص٣٥٦-٣٦٠ ؛ والأبيات ١-٤ ، ٧-٨ في الحماسة البصرية ٣٣/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٧٢/١ ؛ والأبيات ٣-٩ في البخلاء ص١٦٤ ؛ والأبيات ٣-٤ ، ٦ ، ٩ في سمط اللآلئ ٤٦٨ ؛ والبيتان ٤ ، ٩ في اللسان (خلل) ؛ والأبيات ٩-١٤ في تاريخ الطبري ٧٧٤/١ .

قوله « اسمع » مقول قولها ، وقوله « سفه إلخ » هو خبر مقدم و« تبيتك » مبتدأ مؤخّر . و« الملامة » مفعول تبيتك وهو مضاف لفاعله . وروى « سفهاً » بالنصب فتكون كان مقدرة . وعلى الوجهين الجملة مقولة لقول محذوف ، أي : فقلت لها . يقول : لامت من الليل عجلةً عن الصبح ، وكان ذلك منها سفهاً ، مثله قول الشاعر [1] : (البسيط)

هبَّتْ تَلُومُ وبِئْسَتْ ساعَةَ اللاحِي هَلا انْتظَرْتِ بِهذا اللَّومِ إصْباحِي

و« السَّفه » : خفة العقل ؛ والأصل فيه خفّة النسج في الثوب . يقال ثوب سفيه أي : خفيف النسج . والسَّفه أيضاً : خفّة البدن ، ومنه زمام سفيه : أي : كثير الاضطراب . واستعمل في خفّة النفس كنقصان العقل في الأمور الدنيوية والأخروية . قال تعالى[2] : « فإنْ كانَ الّذي علَيهِ الحَقُّ سَفِيْهاً » ، أي : ضعيف العقل باعتبار خفّته ، ولذلك قوبل برزانة ، فقيل : رزين العقل . و« التبيُّت » : أراد به التبييت لأنّه مصدر بيّتَ الأمر ، أي : دبره ليلاً . و« الهجوع »: النوم بالليل .

لا تَجْزَعِي لِغَدٍ وأمْرُ غَدٍ لَهُ أتَعَجَّلِيْنَ الشَّرَّ مَا لَمْ تَمنَعِي

يقول : إننا الآن بخير فلمَ تعجَّلين الشر ما لم تمنعي من الخير . وقوله « وأمر غدٍ له» ، أي : أنّ أمر غد أو رزق غد موكول إلى غد ، فلا ينبغي له التحزُّن منذ اليوم . وقوله « أتعجَّلين » استفهامٌ توبيخي ، وتعجَّلين بفتح التاء ، وأصله بتاءين . وأراد بـ «الشر» الفقر أو الجزع ، و« ما » مصدرية ظرفية .

قَامَتْ تُبكّي أنْ سَبأتُ لِفِتْيَةٍ زِقّا وَخَابِيَةً بِعَودٍ مُقْطَعِ

« تُبكي » بضم التاء وكسر الكاف المشددة ، يقال بكّاه عليه تبكية أي : هيجه للبكاء فمفعوله محذوف .وروى تباكى أي : تتباكى . و« سبأ » الخمر مهموز الآخر كجعل سَبْأً وسباء واستبأها أيضاً ، بمعنى اشتراها للشُّرب لا للتجارة . و« الزِّق » بالكسر : جلد يجرز ولا ينتف صوفه ، يكون للشراب وغيره ، و« الزُّق » بالضم : الخمر نفسها. و« الخابية » : الجرة العظيمة ، ويقال الحُبّ والزير . وأصلها الهمز لكن تركوه . و« العَود » بفتح المهملة : المسنّ من الإبل . و« المقطع » بزنة اسم المفعول:

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص في ديوانه ص٥٢ ؛ ومختارات ابن الشجري ص٣٧٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢/٢٨٢ .

البعير الذي أقطع عن الضراب ، والبعير قام من الهزال . يخبر أنّها لامته فيما لا خطر له.

وَقَريتُ فِي مِقْرًى قَلائِصَ أرْبعاً وَقَرَيْتُ بَعْدَ قِرى قَلائِصَ أرْبَعِ

« قريت » الضيف قرى بالكسر والقَصر ، وقَراء بالفتح والمد ، أي : أضفته . و« المَقرى » بالفتح : موضع القرى ، وبالكسر وكذلك المِقراة القَصعة التي يقرى فيها. و«قلائص» مفعول قريت ، وهي جمع قَلوص وهي الناقة الشابة ، ولهذا حذف التاء من العدد . وقوله « بعد قرى قلائص أربع » ، كل لفظٍ مضافٌ لما بعده إلى الآخر . يقول: قريت في موضع قلائصَ أربعاً و لم يمنعني ذلك أن قريت بعدهن .

أَتبكيّاً مِنْ كُلِّ شَيءٍ هَيّنٍ سَفَهٌ بُكَاءُ العَيْنِ مَا لَمْ تَدْمَعِ

يقول : سفهٌ بكاؤك من كلِّ شيء لا يحزنك ولا تدمع عينك منه ، فلو كنتِ حزينة كان أعذر لك عندي .

فإذا أتاني إخوَتِي فَدَعِيْهِمُ يَتَعلَّلوا فِي العَيْشِ أو يَلْهوا مَعِي

« تعلَّل » بالأمر : تشاغل به . و« العيش » : الحياة المختصَّة بالحيوان ، وهو أخص من الحياة ، لأن الحياة تقال في الحيوان وفي المَلَك وفي الباري تعالى . و«اللهو»: الشغل عن مهمّات الأمور بما تميل إليه النفس ، و« الواو » في يلهوا ضمير الجماعة ، ولام الفعل محذوفة مثل الرجال يعفون .

لا تَطْرِدِيْهِم عَنْ فِراشِي إنّهُ لا بُدَّ يَوماً أنْ سَيَخلُو مَضْجَعِي

« الفراش » : البيت ، كذا قال محمد بن حبيب في شرحه . وهي هنا لفظة قبيحة. و« أنْ » مخففة من الثقيلة .

هَلاَّ سَألْتِ بِعَادِيَاءَ وَبَيْتَهُ والخَلِّ والخَمْرِ التي لَمْ تُمْنَع

قال شارح الديوان محمد بن حبيب : « بعادياء » يريد عن عادياء . يقول : لم يبق عادياء ، وكذلك أنا أقلُّ بقاء . وهو عادياء أبو السموءَل الأزدي الغسانيّ. وقال آخرون : يريد عاداً . وكل شيء قديم عند العرب عاديّ . وقوله «والخلّ والخمر التي لم تمنع » يعني الخير والشر ، كما يقال ما فلان بخلٍّ ولا بخمر، أي : ليس عنده خير ولا شر . واذهب فما أنت بخل ولا خمر . قال أبو عبيد في «الأمثال » : أراد أنّه كان لا يبخل بشيء مما كان عنده .

وفتاتِهِمْ عَنْزٍ عَشِيَّةَ أبْصَرَتْ ... مِنْ بُعدِ مَرْأًى في الفَضَاءِ وَمَسْمَعِ
قَالَتْ أَرَى رَجُلاً يُقَلِّبُ نَعْلَه ... أُصُلاً وَجوٌّ آمِنٌ لَمْ يَفْزَعِ

قوله « وفتاتهم » مجرور ، و« عنز » عطف بيان عليه ، وهو بفتح العين المهملة وسكون النون وآخره زاي معجمة اسم زرقاءِ اليمامة ، وكانت من جديس بنت ملكهم ، وكانت تغذّى بالمخ .

وفي « القاموس» : وعنز امرأة من طَسْم سُبيت فحملوها في هودج ، وألطفوها بالقول والفعل ، فقالت : « هذا شرَّ يوميَّ » حين صرت أكرم للسِّباء . ونصب شرّ على معنى ركبت في شر يوميها [١] . ثم قال : وزرقاء اليمامة امرأة من جَديس كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام [٢] .انتهى . فتأمل. قال الشاعر[٣] : (الرمل)

شَرَّ يَوْمَيْهَا وأغْواهُ لَهَا ... رَكِبَتْ عَنْزٌ بِحِدْجٍ جَمَلا

وكانت رأت رجلاً من طلائع [جمع] تُبَّع قدامَ الجيش يقلِّب نعلاً من مسيرة ثلاثة أيام ولم يفزع لهم أحد ولم يعلم بمجيئهم . و« الأُصُل » : جمع أصيل ، وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب . وقوله « وجو » يريد أهل جوّ ، وجو : اسم بلد ، وهي اليمامة التي تضاف إليها زرقاء اليمامة . وقوله : « وفتاتهم » قال ابن حبيب : نسب عنزاً إلى بيت عادياء وليست منهم ، وإنما كان شيئاً في أول الدهر فنسبه إلى بعضهم ، كما قال زهير : « كأحمر عاد » وإنّما كان في ثمود ، وكما قال آخر :

* مِثْلِ النَّصَارى قَتَلُوا المَسِيحَا *

فَكَأنَّ صَالِحَ أهْلِ جَوٍّ غُدْوَةً ... صُبِحُوا بِذَيفانِ السِّمامِ المُنْقَعِ

يريد الجميع ، لأنه إذا هلك الوجوه والصالحون منهم فالذين دونهم أحرى أن يَهلكوا . وقد صُبحوا بالبناء للمفعول من الصَّبوح ، وهو شرب الغداة ، تقول :

---

(١) انظر القاموس (عنز) .

(٢) القاموس (زرق) .

(٣) البيت لعامر بن المجنون في التنبيه والإيضاح ٢٤٦/٢ ؛ والمستقصى ١٣٠/٢ ؛ ولعنز اليمامة في تاج العروس (عنز) ؛ ولبعض شعراء جديس في تاج العروس (عنز) ؛ ولسان العرب (حدج ، عنز ، يوم ، أخا) ؛ وديوان الأدب ١١٢/١ .

وهو بلا نسبة في جمهرة الأمثال ٥٣٩/١ ؛ وفصل المقال ص١١٥ ؛ ومجمع الأمثال ٣٥٩/١ .

صبحته صَبحاً من باب ضربته . و« الذَّيفان » بفتح الذال وكسرها وبالمثناة التحتية وتهمز فيهما : السم القاتل ، و« السمام » بالكسر : جمع سم . و« المنقع » : كل ما ينقع بالماء ونحوه .

كَانُوا كأنعَمِ مَنْ رَأيتِ فأصْبَحُوا يَلْوونَ زَادَ الرَّاكِبِ المتمتّعِ

أي : كانوا بنعمة وخِصب ثم أصبحوا يعسر عليهم أن يزوّدوا راكباً ، لأنّهم لا يقدرون على ذلك . و« المتعة » : الزاد يقول : ما له متعة ولا بَتاتٌ . يقول المسافر متّعني وبتّتني [1] وزوِّدني ، كل ذلك بمعنى واحد .

كانَتْ مُقدّمةَ الخَمِيْسِ وخَلفَها رَقَصُ الرِّكابِ إلى الصَّباحِ بِتُبَّع

« الرقص » بفتحتين : الخبب ، وهو نوع من السَّير ، وأرقص الرجل بعيره : أي: حمله على الخبب . ويروى : « ركض الركاب » . و« الركاب » : الإبل ، واحدُه راحلة . وضمير « كانت » راجع إلى نظرة عنز المرأةِ المذكورة المفهومة من السياق. وخلف تلك النظرة إبلِ تُبّع تسير إلى الصباح حتّى لحقهم . و« تُبَّع » : أبو حسان بن تبَّع ، الذي غزا جَديس فقتلهم واستباحَ اليمامة .

لا تجزعي إنْ منفِسٌ أهلكتُه . . . . البيت

وهذا آخر القصيدة .

و« **النمر بن تولب** »[2] صحابي يعدُّ من المخضرمين ، ونسبه مذكور في «الاستيعاب» وغيره . وهو عُكْليٌّ منسوب إلى عُكل بضم المهملة وسكون الكاف، وهي أمَة كان تزوَّجها عوف بن قيس بن وائل بن عوف بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة، فولدت له ثلاثة بنين ، ثم مات فحضنتهم عُكلٌ فنسبوا إليها .

والنمر شاعر جواد ، واسع العطاء كثير القرى ، وهَّاب لماله ، وكان أبو عمرو ابن العلاء يسميه الكيِّس [3] لجودة شعره وكثرة أمثاله . ويشبَّه شعره بشعر حاتم

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٩١/١ : " ويقال إلى اليوم في طرابلس الغرب : بتت العروس ، أي جهزها " .

(٢) انظر في ترجمته الأغاني ٢٧٣/٢٢ ؛ والشعر والشعراء ص٢٢٧ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٩٣/١ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٥٩ ؛ والكامل في اللغة ٢١٩/١ ؛ والمعمرون ٧٩ .

(٣) في طبعة بولاق : " الكبش " . والتصحيح من الأغاني والشعراء والشنقيطية . وانظر في ذلك الأغاني ٢٧٣/٢٢؛ وسمط اللآلئ ص٦٩ ؛ والشعر والشعراء ص٢٢٧ .

الطائي . وقال أبو عبيدة : كان النمر شاعر الرِّباب في الجاهلية ، و لم يمدح أحداً ولا هجا . ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً وهو كبير .

قال أبو حاتم السجستاني في «كتاب المعمرين»[١] : عاش النمر بن تولب مائتي سنة ، وخرف وأُلقي على لسانه : انحروا للضيف ، أعطوا السائل ، اصبَحوا الراكب. أي : اسقوه الصَّبوح .

قال ابن قتيبة في ترجمته من «كتاب الشعراء»[٢] : وألقى بعض البطَّالين على لسانه : نيكوا الراكب ، فكان يقولها . ومن شعره[٣] : (الكامل)

لا تَغْضَبَنَّ عَلَى امرئٍ فِي مَالِهِ   وَعَلَى كَرائِمِ صُلْبِ مَالِكَ فاغْضَبِ
وإذا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الغِنَى   وإلى الذِي يُعطِي الرَّغائِبَ فَارْغَبِ

(١) في كتاب المعمرين ص٧٩ : " قال أبو حاتم ، وعاش النمر بن تولب بن أقيش العكلي مائتي سنة حتى أنكر بعض عقله " . و لم أجد تتمة الكلام في المعمرين ، فلعل البغدادي وَهِمَ . فالنص المنقول هو في الشعر والشعراء : ٢٢٧ .

(٢) لم نعثر على الكلام المنقول في كتاب الشعر والشعراء .

(٣) البيتان في ديوان النمر بن تولب ص٣٣٧ ؛ والأغاني ٢٢/٢٨١ ؛ والشعر والشعراء ص٢٢٨ . والأول في تاج العروس (رغب) ؛ ولسان الرب (رغب) .والثاني في اللسان (رغب) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٣٢٠ ؛ والجنى الداني ص٣٦٧ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص١٩١ .

باب التنازع

أنشد فيه ، وهو الشاهد السابع والأربعون[١]: (السريع)

٤٧- فَكُنْتُ كالسَّاعِي إلى مَثْعَبٍ مُوائِلاً مِنْ سَبَلِ الرَّاعِدِ

على أنَّ الكسائي وقع في أشنع مما فرَّ منه من حذف الفاعل مضمراً ، لئلا يلزم الإضمار قبل الذكر في نحو : ضرباني وضربت الزيدين ، مع أنّ الإضمار قبل الذكر قد ورد ، وحذف الفاعل في غير المسائل المحصورة لم يرد .

و « الساعي » من سعى الرجل في مشيه وسعَى إلى الصلاة : ذهب إليها على أي وجه كان . وأصل السعي التصرف في كلّ عمل ، ومنه قوله تعالى[٢] : «وأنْ لَيْسَ للإنسانِ إلاَّ ما سَعَى » . و « المثعب » بفتح الميم وسكون المثلثة وفتح العين المهملة قال في الصحاح : هو واحد مثاعب الحياض . وانثعب الماء : جرى في المثعب؛ وثعبت الماء في الحوض بالتخفيف : فجّرته . والثَّعَب بالتحريك : مسيل الماء في الوادي . و« الموائل » اسم فاعل من واءَلَ منه على وزن فاعَلَ أي : طلب النجاة وهرب . والموئل : الملجأ ، وقد وأل يئل وألا و وَؤلا على فُعول ، أي : لجأ . و«السَّبَلَ » بالسين المهملة والباء الموحدة المفتوحتين، هو المطر . و« الراعد » : سحاب ذو رعد ، ويقال رعدت السماء رعداً من باب قتل ، ورعوداً : لاح منها الرعد . كذا في « المصباح » . يقول : أنا في التجائي إليه كالهارب من السحاب ، ملتجئاً إلى الميزاب . ومثله قول الشاعر[٣] : (البسيط)

الـمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كالـمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ

---

(١) في حاشية طبعة هارون : " هو من شواهد شرح الشافية أيضاً . انظر شرحها للبغدادي ص١١١ " .

(٢) سورة النجم : ٣٩/٥٣ .

(٣) البيت لابن دريد في تاج العروس (دعص) ؛ وليس في ديوانه ؛ وهو بلا نسبة في لسان العرب (دعص) ؛ وجمهرة اللغة ص٦٥٣ .

والبيت لسعيد بن حسان [1] . وقبله :

فَــــرَرْتُ مِــنْ مَعْنٍ وإفْـلاسِــهِ إلــى اليَـزِيْـــدِيِّ أبـي وَاقِــدِ

و« معن » هو معن بن زائدة ، الأمير الجواد ، المضروب مثلاً في الجـود والكـرم. وإنما قال « وإفلاسه » لأن الإفلاس لازمٌ للكرام في أكثر الأيـام ؛ و« اليزيدي » هـو أحد أولاد يزيد بن عبد الملك .

وقد أورد العتبي هذين البيتين في تاريخ يمين الدولة محمـود بـن سُبُكْتكين تمثيلاً ، ونسبهما إلى سعيد بن حسان ، ونقلتهما منه ، لأني لم أرهما إلاّ فيه ، ونقلـت شـرح بيته الأول من شرح التاريخ المذكور لأبي عبد اللـه محمود بن عمر النيسابوري الشهير بالنجاتي .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون[2] : (الخفيف)

٤٨- لا تَخَلْنَـــا عَلَـــى غَـرَاتِـــكَ إنّـــا
طَالَـمَـا قَـدْ وَشَـــى بِـنَـا الأعْـــدَاءُ

على أن بعضهم جوّز في السعة حذف أحد مفعولي باب علمت للقرينة ، مستدلاًّ بهذا البيت ، أي : لا تخلْنا أذلاّء ، الأولَى هالكين أو جازعين . والقرينة البيـت الـذي بعده ، وهو[3] :

فَبقِيْنَـــا عَـلَـى الشَّــنـاءَةِ تَنمِـــ ـــينـا جُـدُودٌ وعِــزَّةٌ قَعْسَــاءُ

أي : فبقينا على بغض الأعداء لنا ، ولم يضِرنا بغضهـم . و« الشـناءة » بالفتح

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٩٣/١ : " في هامش أصل الطبعة الأولى سعيد بن حسان لم يدرك معن بن زائـدة ، وقد نفى الشارح فيما سيأتي إدارك الفرزدق لمعن وسعيد ، وسعيد قبل الفرزدق " .

(٢) البيت في ديوان الحارث بن حلزة ص٢٤ ؛ وشرح القصائد السبع ص٤٥٤ ؛ وشرح القصائد العشر ص٣٨١ ؛ وشـرح المعلقـات السبع ص١٢٢ ؛ وشـرح المعلقـات العشـر ص١٢١ ؛ ولسـان العـرب (غـرا) ؛ والمعـاني الكبـير ٨٧٢/٢. وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٥٨٦ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٩٨ .

وروايته المشهورة : " على غرائك " . وهي رواية شرح القصائد السبع الطوال .

(٣) البيت في ديوانه ص٢٥ ؛ وأمالي القالي ٢٠١/٢ ؛ وشرح القصـائد السبع ص٤٥٦ ؛ وشـرح القصـائد العشـر ص٣٨٢ .

والمد : البغض . و« تنمينا » : ترفعنا ، يقال نماه كذا أي : رفعه . و« القعساء »: الثابتة . و« الجدود » : جمع جَدّ بالفتح ، وهو الحظّ والبخت . وخال يخال بمعنى ظن وحسب . و« على » بمعنى مع . و« الغَراة » بالفتح والقصر اسم بمعنى الإغراء . ويقال أغريته به إغراء فأغري به بالبناء للمفعول . وقد روي « على غرائك » أيضاً بالمد ، وهو مضاف لفاعله ، والمفعول محذوف أي : الملك .

وقال أبو زيد في نوادره[1] : « يقال أغريت فلاناً بصاحبه إغراء ، وآسدت بينهما إيساداً ... ، إذا حملت كلَّ واحد منهما على صاحبه حتى غَرِيَ به أي : لزق به غرًى شديداً ، مقصور . وغُريت أنا بفلان فأنا أغرى به غِرًى، إذا أولعت به من غير تحميل» . وأنشد هذا البيت ، و« إنّا » بالكسر ، لأنه استئناف بياني . وطالما أي: كثيراً ما ، وهو فعل مكفوف عن الفاعل لاتصاله بما الكافّة ، وروى أيضاً : «قبلُ ما قد وشى» بضم اللام أي : قَبلك ، وما زائدة . ووشى به عند السلطان وشيا: سعى به . وقبل هذا البيت[2] :

أيُّها النّاطِقُ المُرَقِّشُ عَنّا عِنْدَ عَمرٍو وَهَلْ لِذاكَ بَقاءُ

و« المرقّش » : المزين ، أراد الذي يزين القول بالباطل . يقول : يا أيُّها الناطق عند الملك الذي يبلّغه عنّا ما يُريبه في محبّتنا إياه ، ودخولنا تحت طاعته ، هل لهذا التبليغ بقاء ! وهو استفهام إنكاري ؛ لأنّ الملك يبحث عنه فيعلم ذلك من الأكاذيب.

و« **عمرو** » هو عمرو بن المنذر الأكبر بن ماء السماء ، ويقال له أيضاً عمرو بن هند، ويلقب بالمحرِّق لأنه حرَّق بني تميم في النار ، وقيل بل حرَّق نخل اليمامة . وهو من ملوك الحيرة .

وهذه الأبيات من المعلقة المشهورة لابن حِلّزة ، وهو « **الحارث بن حلّزة**»[3] من بني يشكر بن بكر بن وائل ، وهو بكسر الحاء المهملة وكسر اللام المشددة وهو في

---

(١) نوادر أبي زيد ص١٩٨ .

(٢) البيت في ديوانه ص٢٤ ؛ وتاج العروس (قرش) ؛ وتهذيب اللغة ٣٢٢/٨ ؛ وشرح القصائد السبع ص٤٥٣ ؛ وشرح القصائد العشر ص٣٨١ ؛ وشرح المعلقات السبع ص٢٢١ ؛ وشرح المعلقات العشر ص١٢١ ؛ ولسان العرب (قرش) ؛ والمعاني الكبير ٨٧٢/٢ .

(٣) انظر في ترجمته الأغاني ٤٢/١١ ؛ والشعر والشعراء ص١٢٧ ؛ وشرح القصائد العشر ٣٨١ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٥١ .

اللغة كما قال الصّاغاني : اسم دُوَيِّبَّة ، واسم البومة ، والذكرُ بدون هاء ويقال امـرأة حلِّزة للقصيرة والبخيلة . و« الحلِّز » : السَّيِّئ الخلق ، انتهى . وقال قطـرب : حُكـي لنا أنّ الحلِّزة ضربٌ من النبات ، ولم نسمع فيه غـير ذلـك . قـال أبـو عبيـدة : أجـود الشعراء قصيدةً واحدةً جيدةً طويلةً ثلاثةُ نفر : عمرو بن كلثوم، والحارث بن حـلِّزة ، وطرفَة بن العبد .

وزعم الأصمعيُّ أنّ الحارث قال قصيدته هذه وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سـنة. وكان من حديثه أنّ عمرو بن هند لما ملك الحيرة وكـان جبّاراً ، جمـع بكـراً وتغلـب فأصلح بينهم ، وأخذ من الحيَّين رُهُناً من كل حيّ مائـة غـلام ، ليكـفَّ بعضهـم عـن بعض ، وكان أولئك الرُّهن يسيرون ويغزون مع الملـك ، فأصـابتهم سَموم في بعـض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون ، فقالت تغلب لبكر بن وائل : أعطونـا ديات أبنائنا فإنّ ذلك لازمٌ لكم . فأبت بكر ، فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم ، فقال عمرو بن كلثوم لتغلب[1] : بمن ترون بكـراً تَعصِـب أمرهـا اليـوم ؟ قـالوا : بمـن عسى ، إلاّ برجل من بني ثعلبة ؟ قال عمـرو : أرى الأمـر واللـه سينجلي عـن أحمـرَ أصلع أصمَّ من بني يشكر . فجاءت بكر بالنعمان بن هرِم ، أحد بني ثعلبة بن غنم بـن يشكر ، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم، فلمـا اجتمعـوا عنـد الملـك قـال عمـرو بـن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصمُّ جاءت بك أولاد ثعلبة تنـاضل عنهـم وقـد يفخـرون عليك . فقال النعمان : وعلَى من أظلّت السماء يفخرون .

قال عمرو بن كلثوم : والله إني لو لطمتك لطمةً ما أخذوا بهـا . قـال : واللـه أن لو فعلتَ ما أفلتَّ بها قيسَ أير أبيك ! فغضب عمـرو بـن هنـد ، وكـان يؤْثـر بـني تغلب على بكر ، وجرى بينهما كلام ، فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى هـمَّ بالنعمان ، فقام الحارث بن حلزة وارتجلَ هذه القصيدة ، وتوكّأ على قوسه فزعموا أنه انتظم [بها] كفَّه[2] وهو لا يشعر من الغضب .

وقال ابن السيد في « شرح أدب الكاتب »[3] . كان متكئاً على عَـنزة فـارتزَّت في جسده وهو لا يشعر . و« العنزة » بفتح العين المهملـة والنـون : رمـح صغير فيـه

---

(١) النص بكامله في شرح القصائد العشر ص٣٦٩-٣٧٠ .

(٢) في طبعة بولاق : " أنه اقتطم كفه " . وهو تصحيف صوابه من شرح القصائد العشر للتبريزي . ص٣٧٠ .

(٣) الاقتضاب ص٣٨٧ ؛ والشعر والشعراء ص١٢٧ .

زج، أي : حديدة . وكان عمرو بن هند شرِّيراً لا ينظر إلى أحد به سوء، وكان ابن حلِّزة إنما ينشده من وراء حجاب لبرصٍ كان به ، فلما أنشده هذه القصيدة أدناه حتّى جلس إليه .

وقال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[1] : وكان ينشده من وراء سبعة ستور فأمر برفع الستور عنه استحساناً لها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون ، وهو من شواهد سيبويه [2] : (الطويل)

٤٩ - وَلَوْ أنَّ مَا أسْعَى لأدْنَى مَعِيْشَةٍ
كَفَانِي وَلَمْ أطْلُبْ قَلِيْلٌ مِنَ المالِ
وَلكنَّمَا أسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ
وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُوَثَّلَ أمْثَالِي

على أنه ليس من التنازع . وقد بينه الشارح المحقق ، وأصله من إيضاح ابن الحاجب .

وقد تكلم عليه ابنُ هشام أيضاً في « مغني اللبيب » ، في « لو » وفي الأشياء التي تحتاج إلى رابط من الباب الرابع ، بتحقيقٍ لا مزيد عليه .

---

(١) الشعر والشعراء ص١٢٧ .

(٢) هما الإنشاد الثاني عشر بعد الأربعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيتان لامرئ القيس في ديوانه ص٣٩ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٥/٥ . والبيت الأول في الإنصاف ٨٤/١ ؛ وتاج العروس (لو) ؛ وتذكرة النحاة ص٣٣٩ ؛ والدرر ٣٢٢/٥ ؛ وشرح شذور الذهب ص٢٩٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٣٤٢/١ ، ٦٤٢/٢ ؛ وشرط قطر الندى ص١٩٩ ؛ والكتاب ٧٩/١ ؛ والمقاصد النحوية ٣٥/٣ ؛ وهمع الهوامع ١١٠/٢ . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ٢٠١/١ ، ٦٠٢/٣ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٨٠/٢ ؛ ومغني اللبيب ٢٥٦/١ ؛ والمقتضب ٧٦/٤ ؛ والمقرب ١٦١/١ .

والبيت الثاني في إصلاح المنطق ص٢١ ؛ والإنصاف ٨٤/١ ؛ وتاج العروس (أثل ، لو) ؛ وجمهرة اللغة ص١٢١ ؛ والدرر ٢٠٧/٢ ؛ ورصف المباني ص٣١٩ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٨/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٩٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٣٤٢/١ ، ٦٤٢/٢ ؛ ولسان العرب (أثر) . وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٣٤٠ ؛ ومغني اللبيب ٢٥٦/١ ؛ وهمع الهوامع ١٤٣/١ .

بقي أن ابن خلف نقل في « شرح أبيات الكتاب » عن أبي عبد الله الحسن بن موسى الدِّينوَريّ أنه قال : والذي يقْوى في نفسي وما سبقني إليه أحد أنّ قوله : ولم أطلب ، معناه ولم أسعَ ، وهو غير متعدّ فلذلك لم يحفِل به ولا أعملَ الأوّل . ولا أدري كيف خفي على الأفاضل من أصحابنا ذلك حتى جعلوا البيت شاهداً لجواز إعمال الأوّل . انتهى .

وهذا ليس بشيء ؛ فإن الطلب معناه الفحص عن وجود الشيء ، عيناً كان ذلك الشيء أو معنًى . و« السعي » : السير السريع دون العدْو ، ويستعمل للجدّ في الأمر، وهذا غير معنى الطلب وقد يكون لازماً له ، واستعماله في اللازم لا قرينة لَه ، مع أنَّ الأول متعدّ والثاني لازم ، ولم أطلب [1] مسند إلى ضمير المتكلم فكيف يرفع . و«ما» في أنّ ما مصدرية لا موصولة ، لاحتياجها إلى العائد المقدر ، أي : أسعى له .

قال ابن خلف : « المجد » : الشرف ، وأصله الكثرة فكأنّ معناه كثرة الأفعال الجميلة التي توجب لصاحبها الشرف ، وهو الارتفاع . انتهى .

ومثله في « عمدة الحفاظ » قال : وأصل المجد من مَجَدت الإبل : حصلت في مرعًى كثير واسعٍ ، وقد أمجدها الراعي : جعلها في ذلك . وتقول العرب : « في كلِّ شجرٍ نارٌ ، واستمجدِ المرخ والعَفار » ، ويروى بصيغة الماضي ، والمرخ فاعله ، بمعنى استكثر النار ، وفي « القاموس » « المجد نيل الشرف والكرم، أوْ لا يكون إلا بالآباء وكرم الآباء خاصة » . والموثّل ، قال ابن الأنباريّ في « شرح المفضليات » : هو المجموع ، ومنه قول امرئ القيس .

وقال ابن السكيت : « الموثّل » : المستمرّ المثبت ؛ يقال قد تأثَّل فلانٌ بأرض كذا وكذا ، أي : ثبتَ فيها . وقال : [قال][2] أبو عبيدة : [يقال:] مجد موثّل : قديم له أصل ، والتأثُّل : اتخاذ أصل مال . والأثْلة بسكون المثلثة : الأصل . قال الأعشى[3] :

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " ولم أسع " . وهو تصحيف ، صوابه من طبعة هارون . وفي شرح أبيات المغني : " ... ولم أطلب : ولم أسع " .

(٢) زيادات يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي ٥/٣٥ .

(٣) صدر بيت للأعشى في ديوانه ص١١١ . وعجزه :

* ولستَ ضَائِرَها ما أطّت الإبلُ * =

* أَلَسْـتَ مُنْتهيـاً عَنْ نَـحْـتِ أَثْـلَتِنَـا *

وهذان البيتان من قصيدة لامرئ القيس مطلعها :

أَلا عِـمْ صَبـاحَـاً أَيُّهـا الطَّـلَلُ البَـالِـي

وقد شرحنا في الشاهد الثالث من أولها إلى قوله :

نَظَرْتُ إِلَيْهَـا والنُّجُـومُ كَـأَنَّهـا مَصَابِيْـحُ رُهْبـانٍ تُشَـبُّ لِقُـفَّـالِ

عشرين بيتاً [١] وقد أخذ هذين البيتين وبسط معناهما خُفاف بن غُضَين البُرجميّ، كما رأيته في « مختار أشعار القبائل » لأبي تمام ، وفي « المؤتلف والمختلف» للآمدي[٢] : (الطويل)

وَلَو أَنَّ مَا أَسْعَى لِنفْسِيَ وَحْدَها لِـزادٍ يَسِير أَوْ ثِيابٍ عَلَى جِلْدِي
لأُنْتُ عَلَى نَفْسِي وبَلَّغَ حَاجَتي مِنَ المالِ مالٌ دُون بَعضِ الذِي عِندِي
وَلكِنَّما أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ وَكانَ أَبِي نَالَ المكارِمَ عَنْ جَدِّي

و« خُفاف » بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء الأولى . و« غُضَين » بضم الغين وفتح الضاد المعجمتين . و« أُنت » بضم الهمزة فهي ماض ، من الأون وهو الدَّعة والرفق والمشي الهين . وبعد هذين البيتين وهو آخر القصيدة :

وَما المرءُ ما دامَتْ حُشَاشَةُ نَفْسِهِ بِـمُدْرِكِ أَطْرافِ الخُطُوبِ وَلا آلي

أي : ولا بمقصّر ، من ألا يألُو بمعنى قصَّر . وقبلهما بيتان ، وحكايتهما بين سيف الدولة والمتنبي مشهورة [٣] ، وهما :

كَأَنِّيَ لَـمْ أَرْكَبْ جَـواداً لِلَـذَّةٍ وَلَـمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذاتَ خَلْخَالِ

- والبيت في أساس البلاغة (أثل) ؛ وتاج العروس (أطط ، أثل) ؛ وتهذيب اللغة ١٣١/١٥ ؛ ولسان العرب (أطط، أثل) ؛ ومقاييس اللغة ٥٩/١ ؛ ومجمل اللغة ١٦٨/١ .

(١) انظر الخزانة الشاهد الثالث .

(٢) المؤتلف والمختلف ص١٥٤ ؛ وفيه الأبيات الثلاثة .

(٣) انظر في ذلك المواهب الفتحية ١٠٧/١ ؛ وهي في شرح الواحدي لديوان أبي الطيب المتنبي ، ونقلها عنه العكبري في شرحه لقول المتنبي في مدح سيف الدولة :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

وَلَـمْ أسْبأ الـزِّقّ الـرَّوِيَّ وَلَـمْ أقُـلْ لِـخَيلي كُـرِّي كَـرةً بَعْـدَ إجْفَـالِ

• أخذهما عبدُ يغوثَ الجاهليُّ وأودعهما في قصيدة قالها بعد أن أسر في يوم الكُلاب الثاني ، ولم يرد عليه ما ورد على امرئ القيس ، وهما[1] :

كَأني لَـمْ أرْكبْ جَـواداً وَلَـمْ أقُـلْ لِـخَيلي كُـرِّي نَفّسِي عَنْ رِجَـالِيـا

وَلَـمْ أسْـبأِ الـزِّقَّ الـرَّوِيِّ وَلَـم أقُلْ لأيْسَارِ صِدْقٍ عَظِّموا ضَوْءَ نَـارِيـا

و« الأيسار » : جمع ياسر ، وهو الجازر ، والذي يلي قسمة جزور الميسر .

ونسب « امرئ القيس » على ما في « المؤتلِف والمختلِف »[2] : امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مُرتِع ابن معاوية بن ثور الأكبر – وهو كندة – بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مُرّة ابن أُدَد ، الشاعر المقدم .

ونسبه لابن الأنباريّ في « شرح المعلقات » : **امرؤ القيس** بن حجر بن الحارث ابن عمرو بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كِندة بن ثور بن مُرتِع بن عُفير بن الحارث بن مرّة بن عديّ بن أُدَد بن عمرو بن هَمَيْسَع بن عَريب بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالَخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام .

و« مُرتِع » بسكون الراء وكسر التاء[3] ، ذكره ابن ماكولا وابن الكلبيّ وقال: سمِّي بذلك لأنه كان يقال له أرْتِعْنا فيقول : أرتعتكم أرض كذا . والتشديد ذكره أيضاً لغة ، انتهى . وقال الصّاغاني في « التكملة » : إنّ مُرتعاً اسمه عمرو، وذكر بقية نسبه ، وهو أُدَد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان .

---

(١) هما من مفضلية له هي في المفضليات ص١٥٨ .

(٢) المؤتلف والمختلف ص٥ .

(٣) ضبط عند ابن الأنباري بضم الميم وفتح الراء وتشديد التاء المكسورة لأنه قال : " إنما سمي مرتعاً لأنه كان من أتاه من قومه رتعه ، أي جعل له مرتعاً لماشيته " .

أما في المؤتلف ص٥ : " ... بن مُرَتِّع .." .وفي حاشية المؤتلف " ضبط الأصل كله بالتشديد ، وضبطه في القاموس وشرحه كمحسن ومحدث " .

قال ابن خلف : ويكنى امرؤ القيس أبا زيد ، وأبا وهب ، وأبا الحارث . وذكر بعض اللغويين أن اسمه حُندُج ؛ وامرؤ القيس لقَب لـه لقّب بـه لجماله ، وذلك لأن الناس « قيسوا » إليه في زمانه فكان أفضلَهم . والحُنـدُج بضم الحاء المهملة والدال وسكون النون وآخره جيم ، وهو في اللغة : الرَّملة الطيبة ، وقيل : كثيب من الرَّمل أصغر من النقا . ويقال لامرئ القيس « ذو القروح » أيضاً لقوله[1] : (الطويل)

* وبُدِّلْتُ قَرْحَاً دامِياً بَعْدَ صِحَّةٍ *

ويقال له « الملك الضِّلِّيل » . و« حُجر » في الموضعين بضم الحاء المهملة وسكون الجيم ، و« المُرار » بضم الميم وتخفيف الراءين المهملتين : شجرٌ من أفضل العُشب وأضخمِه ، إذا أكلته الإبل قَلَصت مشافرُها فبَدت أسنانُها ، ولذلك قيل لجدّ امرئ القيس آكل المُرار ، لكَسْرٍ كان به .

وهذه أحواله على وجه الإجمال . قال ابن قتيبة في ترجمته[2] : « ولما ملك حُجر على بني أسد كان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ؛ فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سَرَاوتهم فقتلهم بالعِصيّ - فسموا عَبيد العصا - وأسرَ منهم طائفة فيهم عَبيد بن الأبرص ، فقام بين يَدي الملك وأنشده أبياتاً يرقّقه بها ، منها[3] : (مجزوء الكامل)

أنْتَ المَلِيْكُ عَلَيْهِمُ وَهُمُ العَبِيْدُ إلى القِيَامَهْ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وردَّهم إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تِهامة تكهّن كاهنهم عوف بن ربيعة الأسديّ فقال : يا عبادي ؛ قالوا: لبّيك ربّنا؛ فسجَع لهم على قتلِ حجر وحرَّضهم عليه[4] ؛ فركبت بنو أسد كلَّ صعب

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس في ديوان ص١٠٧ . وعجزه :

* لَعلَّ مَنايانا تَحَوَّلْنَ أبْؤُسا *

والبيت في الدرر ٥٤/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٦٩٥/٢ ؛ ولسان العرب (علل) . وهو بلا نسبة في مغني اللبيب ٢٨٨/١ ؛ وهمع الهوامع ١١٢/١ .

(٢) الشعر والشعراء ص٥٠ .

(٣) الخبر والبيت في ديوان عبيد بن الأبرص ص١٣٨ ؛ والشعر والشعراء ص٥٠-٥١ .

(٤) في الشعراء : زاد في الشعر والشعراء :"... لبيك ربنا ! فقال : والغلاّب غير المغلّب ، في الإبل كأنها الربرب ، لا يقلق رأسه الصخب ، هذا دمه يثعب ، وهو غداً أول من يُسْلب . قالوا : من ربنا ؟ قال : لو لا تجيش نفس جائشة، أنبأتكم أنه حُجُرٌ ضاحية ..." .

وذلول، فما أشرقَ لهم الضّحى حتى انتهوا إلى حجر فوجدوه نائماً فذبحـوه ، وشـدُّوا على هجائنه فاستاقوها . وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنـع في الشـعر بفاطمـة مـا صنع ، وكان لها عاشقاً ، فطلبها زماناً فلم يصل إليها، وكـان يطلـب منهـا مَوعـداً ؛ حتى كان منها يوم الغَدير بدارة جُلجُل ما كان » ، فقال[١] :

* قِفَـا نَبْـكِ مِنْ ذِكْـرَى حَبِيْـبٍ وَمَنْـزِلِ *

فلما بلغ ذلك حُجراً دعا مولًى له يقال له ربيعة فقال له : اقتل امرأ القيس وائتني بعينيه ، فذبح جؤذراً فأتاه بعينيه ؛ فندم حجر على ذلك ؛ فقال : أبيت اللعَن ، إني لم أقتله . قال : فائتني به : فانطلق ، فإذا هو قد قال شعراً في رأس جبل ، وهو قولـه[٢]: (الطويل)

فَـلا تُسلِمَنّي يـا رَبِيْـعُ لِهـذِهِ وَكـنتُ أرانِـي قَـبلَها بِـكَ واثِـقَا

فردّه إلى أبيه فنهاه عن قول الشعر ؛ ثم إنه قال[٣] : (الطويل)

* ألا عِـمْ صَباحَـاً أيُّهـا الطّـلَلُ البَـالِـي *

فبلغ ذلك أباه فطرده . كذا قال ابن قتيبة[٤] .

وفيه أن امرأ القيس قال هذه القصيدة في طريق الشام عند مسـيره إلى قيصـر بعـد قتل أبيه ؛ ولعله شعرٌ آخر .

ثم قال ابن قتيبة : فبلغه مقتلُ أبيه وهو بدَمُّون ، فقال[٥]: (الرجز)

تَطَـاوَلَ اللّيْـلُ عَلَيْنَـا دَمُّـونْ دمُّـونُ إنّـا مَعْشَـرٌ يَمانُـونْ
وإنَّنَـا لأهْلِنـا مُحِبّـون

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس في ديوانه ص٨ . وهي معلقته المشهورة . وعجزه :

* بِسَقْطِ اللّوى بينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ *

(٢) الخبر في ديوانه ص١٩٤-١٩٥ . والبيت مع آخرين ص١٩٥ ؛ والشعر والشعراء ص٥٠-٥١ .

(٣) صدر بيت لامرئ القيس في ديوانه ص٢٧ . وعجزه :

* وهل يعمن من كان في العصر الخالي *

(٤) الشعر والشعراء ص٥١-٥٢ .

(٥) الرجز في ديوانه ص٣٤١ ؛ وتاج العروس (دمـن) ؛وديـوان الأدب ٣٣٣/١ ؛ وشـرح أبيـات المغني للبغدادي ٧٨/٣ ؛ والشعر والشعراء ص٥٢ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٢١٤ .

ثم قال : « ضيّعني صغيراً ، وحمّلني دمَه كبيراً ؛ لا صَحو اليومَ ولا سُكر غداً، اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ » . ثم آلى : لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه . فلما كان الليل لاحَ له برق ، فقال[١] : (المتقارب)

أرِقْتُ لِبَرْقٍ بلَيْلٍ أهَلّ يُضِيءُ سَنَاهُ بأعْلَى جَبَلْ
بِقتْلِ بَنِي أسَدٍ ربَّهُمْ ألا كُلُّ شَيءٍ سِواهُ جَلَلْ

ثم استجاش بكر بن وائل فسار إليهم وقد لجئوا إلى كنانة فأوقع بهم ، ونجت بنو كاهل من بني أسد ، فقال[٢] : (الرجز)

يا لَهْفَ نَفْسِي إذْ خَطِئْنَ كاهِلا القَاتِلِيْنَ المَلِكَ الحُلاحِلا
تَاللهِ لا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلا

وقد ذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم فيأبَى عليه ذلك الشعراء . قال عبيد[٣]: (مجزوء الكامل)

يا ذا المخوِّفُنا بقَتْـ ـلِ أبيهِ إذْلالاً وَحَيْنا
أزَعَمْتَ أنّكَ قَدْ قَتَلْـ ـتَ سَراتنا كَذِباً وَمَيْنا

ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر حتى خرج إلى قيصر [يستمده][٤] .. ونظرت إليه ابنةُ قيصر فعشقته فكان يأتيها وتأتيه ؛ وفطن الطِّمّاح بن قيس الأسديّ لهما - وكان حُجر قتل أباه - فوشَى به إلى الملك . فخرج امرؤ القيس متسرّعاً ،

---

(١) البيتان من مقطوعة في ديوانه ص٢٦١ . والشعر والشعراء ص٥٢ .
والثاني في الدرر اللوامع ١٢٤/٥ ؛ وشرح شواهد المغني ٣٦٤/١ ؛ واللسان (جلل) ؛ وتاج العروس (جلل) . وهو بلا نسبة في مغني اللبيب ص١٢٠ ؛ وهمع الهوامع ٧٢/٢ ؛ وأساس البلاغة (جلل) .

(٢) الرجز في ديوان امرئ القيس ص١٣٤ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧٩/٣ ؛ والشعر والشعراء ص٥٢ . والشطر الأول في تاج العروس (قفل ، كهل) ؛ ولسان العرب (قفل) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٩٦٦ .
خطئن كاهلا ، يريد : إذا خطئت الخيل كاهلاً - وهو حي من بني أسد - وأصابت غيرهم . والحلاحل : السيد الشريف ، يعني أباه .

(٣) البيتان من قصيدة لعبيد بن الأبرص ديوانه ص١٤١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧٩/٣ ؛ والشعر والشعراء ص٥٢ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي ٧٩/٣ ؛ والخبر بكامله في شرح أبيات المغني ٧٨/٣ وما بعدها ؛ والشعر والشعراء ص٥٢ .

فبعث قيصر في طلبه رسولاً ، فأدركه دون أنقِرة بيوم ، ومعه حلة مسمومة ، فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه ، وتفطّر جسده [ومات هناك][1] . وكان يحمله جابر بن حُنَيّ التّغلبيّ ، فذلك قوله[2] : (الطويل)

فَإمّا تَرَيْنِي فِي رحالةِ جَابِرٍ ... عَلَى حَرَجٍ كالقَرِّ تخفقُ أكْفَانِي
فَيا رُبَّ مَكْروبٍ كَرَرْتُ وراءَهُ ... وَعَانٍ فَكَكْتُ الغُلّ مِنْهُ ففدّانِي
إذا المَرءُ لَمْ يَخْزُنْ عليْهِ لِسانَهُ ... فليسَ عَلَى شَيْءٍ سِواهُ بخَزّانِ

وقال حين حضرته الوفاة[3] : (منهوك الكامل)

وَطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَهْ ... وَجَفْنَةٍ مُثْعنْجِرَهْ
تَبْقَى غَداً بأنْقِرَهْ

قال ابن الكلبي : هذا آخر شيء تكلّم به ثم مات . وجابر بنُ حُنَيّ بضم المهملة وفتح النون والياء المشدّدة . و« الرِّحالة » بالكسر : قيل السرج ، وقيل السَّرج من جلودٍ لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد . و« الحَرَج » : الضيِّق . و« القَرُّ » بفتح القاف : مركَبٌ للرجال كالهَودج . و« المُسْحنفِر » : الواسع . و« المُثعَنجِر» : السائل المنسكب .

ثم قال ابن قتيبة : قال أبو عبد الله الجُمَحي [4] : كان امرؤ القيس ممن يتعهّر في شعره ، وذلك قوله [5] : (الطويل)

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٢) الأبيات في ديوانه ص٩٠ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣/١٠٩-١١٠ ؛ والشعر والشعراء ص٥٣ .

الحرج : خشبات يحمل عليها المريض . والقرّ : الهودج .

(٣) الأبيات في ديوانه ص٣٤٩ بخلاف يسير في الرواية ؛ وشرح أبيات المغني ٣/١١١-١١٢ ؛ والشعر والشعراء ص٥٣ .

المسحنفرة : الواسعة . والمثعنجرة : السائلة .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص٤١ .

(٥) هو الإنشاد العاشر بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .

صدر بيت لامرئ القيس في ديوانه ص١٢ . وعجزه :

* فألهيتها عن ذي تمائم محول *

وهو في الأزهية ص٢٤٤ ؛وتاج العروس(غيل) ؛والجنى الداني ص٧٥ ؛وجواهر الأدب ص٦٣ ؛والدرر ٤/١٩٣=

* فَمثْلكِ حُبلَى قَدْ طَرقْتُ وَمُرضِعٍ *

وقال[١] : (الطويل)

* سَمَوتُ إليها بَعْدَ ما نَامَ أهْلُها *

وقد سبقَ امرؤ القيس [٢] [العرب] إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب واتبعته فيها الشعراء : [من استيقاف صحبه ، والتبكاء في الديار] ، ودقّةِ التشبيه، وقرب المأخذ[٣] .

ويستجاد من تشبيهه قوله[٤] : (الطويل)

كَأنَّ عُيُونَ الوَحْشِ حَولَ خِبائِنَا وأرحُلِنا الجَزْعُ الذي لَمْ يُثقَّبِ

ومما عيب عليه قوله[٥] : (الطويل)

إذا مَا الثُّريَّا فِي السَّماءِ تَعرَّضَتْ تَعرُّضَ أثْنَاءِ الوِشَاحِ المُفَصَّلِ

قالوا : الثريّا لا تعرُّضَ لها ؛ وإنما أُراهُ أراد الجوزاء فذكر الثريّا على الغلط ، كما

= وشرح أبيات سيبويه ٤٥٠/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٤١٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٠٢/١ ، ٤٦٣ ؛ وشرح أبيات المغني ١٨٥/٣ ؛ والكتاب ١٦٣/٢ ؛ ولسان العرب (رضع ، غيل) ؛ والمقاصد النحوية ٣٣٦/٣ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٧٣/٣ ؛ ورصف المباني ص٣٨٧ ؛ وشرح الأشموني ٢٩٩/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص٣٧٢ ؛ ومغني اللبيب ١٣٦/١ ، ١٦١ ؛ وهمع الهوامع ٣٦/٢ .

(١) صدر بيت لامرئ القيس في ديوانه ص٣١ .

وتمامه :

* سمو حباب الماء حالاً على حال *

والبيت في تاج العروس (حبب) ؛ وشرح أبيات المغني ١١٠/٣ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٤٢ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٠/٤ ؛ ولسان العرب (حبب) .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من طبقات فحول الشعراء ص٥٥ .

(٣) كذا في جميع أصول الطبعات :" من استيقافه صحبه في الديار .. " والتصويب من الطبقات ص٥٥ .

قرب المأخذ : يريد أنه لطف الكلام ولينه حتى جعله قريب التناول ، وأزال عسره .

(٤) البيت في ديوان امرئ القيس ص٥٣ ؛ وتاج العروس (جزع) ؛ وأساس البلاغة (جزع) ؛ ولسان العرب (جزع)؛ وكتاب العين ٢١٦/١ .

(٥) البيت في ديوان امرئ القيس ص١٤ ؛ وأساس البلاغة (ثني) ؛ وتاج العروس (عرض) ؛ وتهذيب اللغة ٤٦٢/١؛ ولسان العرب (عرض) . وهو بلا نسبة في اللسان (ثني) .

قال الآخر [١] : « كأحمر عاد » وإنما هو « كأحمر ثمود » وهو عاقر الناقة .

وأقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فضلُّوا الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء ، إذْ أقبل راكب على بعير ، وأنشد بعضُ القوم[٢] : (الطويل)

ولـمَّـا رَأتْ أنَّ الشَّـريعَـةَ هَـمُّـهـا ... وأنَّ البَيَاضَ مِنْ فَرائِصِها دامِـي
تَـيمَّمَـتِ العَيْـنَ الَّـتي عِنْدَ ضَـارجٍ ... يَفِيءُ عليها الظلُّ عَرْمَضُها طَـامِـي

فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : امرؤ القيس ؛ فقال : والله ما كذب، هذا ضارجٌ عندكم - وأشار إليه - فمشوا على الركب فإذا ماء غَدَقٌ ، وإذا عليه العرمض والظلّ يفيء عليه ، فشربوا وحملوا ، ولولا ذلك لهلكوا » . انتهى كلام ابن قتيبة .

﴿ تتمة ﴾

ذكر الآمدي في « المؤتلف والمختلف »[٣] عشرة من الشعراء ممن اسمهم امرؤ القيس واحدٌ منهم صحابي ، وهو امرؤ القيس بن عابس الكندي [٤] . وزاد صاحب القاموس على ما قال الآمدي اثنين وهما صحابيان : أحدهما : امرؤ القيس بن الأصبَغ الكلبي ، وامرؤ القيس بن الفاخر بن الطَّمَّاح .

* * *

(١) هو زهير بن أبي سلمى ؛ وهو جزء من بيت من معلقة في ديوانه ص٢٨ . وتمامه :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عادٍ ثم ترضع فتفطم

يعني أحمر ثمود .

وفي شرح القصائد العشر للتبريزي ص١٨٤ : " وقال أبو العباس ، محمد بن يزيد : هذا ليس بغلط لأن ثمود يقال لها: عادٌ الآخرة " .

(٢) البيتان لامرئ القيس هما في ديوانه ص٤٧٥ ؛ والشعر والشعراء ص٥٥ ؛ ولسان العرب (ضرج) ؛ ومعجم البلدان (ضارج) .

والأول في تاج العروس (ضرج) . وهو بلا نسبة في لسان العرب (ضرج) ؛ ومقاييس اللغة ٢٦٢/٣ ؛ والثاني في أساس البلاغة (فيأ) ؛ والتنبيه والإيضاح ٢١٢/١ ؛ وتاج العروس (ضرج ، عرمض) ؛ ولسان العرب (ضرج،عرمض) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص١١٠٢ ؛ ومقاييس اللغة ٤٣٥/٤ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص٥-٩ .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : ".. بن عانس .." وهو تصحيف صوابه من المؤتلف والمختلف .

مفعول ما لـم يسم فاعله

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون[١] : (الكامل)

٥٠- نُبِّئْـتُ عَمْـراً غَيْـرَ شَـاكِـرِ نِعْمَتِـي

على أن « أعلَمَ » وأخواتها ، مما يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل ، إذا بنيت للمفعول لا ينوب عن الفاعل إلا المفعول الأوّل كما في هذا البيت ، فـإنَّ ضمـير المتكلـم كـان في الأصل مفعولاً أوّلا ، والتقدير نبأني فلان ، فلمّا بنى فعله للمفعول ناب عن الفـاعل . وقد بيَّنه الشارح المحقّق . و « عمراً » هو المفعول الثاني ، و « غير » المفعول الثالث، وأصلهما المبتدأ والخبر .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

* والكُفْـرُ مَخْبَثَـةٌ لِنَفْسِ الـمُنْعِـمِ *

وهذا البيت من معلقة عنـترة بـن شـدّاد العَبسـيّ . و« الكفـر » هنـا : الجَحـد ، يقال: كفر النعمة وبالنعمة ، إذا جحدها . و« مَخبَثَة » بفتح الميم ، من الخُبث ، يقال: خبُث الشيء خبثا من باب قرب : خلاف طـاب ، والاسـم الخباثـة ؛ ومَفعَلـة صيغـة سببِ الفعل والحاملِ عليه والداعي إليـه ، كقولـه صلـى اللـه عليـه وسـلم : « الوَلَـد مَجبنة مَبخلة » أي : سببٌ يجعـلُ والـدَه جبانـا : لم يشـهد الحـروب ليربّيـه ، ويجعلـه بَخيلا : يجمع المال ويتركه لولده من بعده . ومثله كثير في العربيّة .

ولم يتكلّم علماء التصريف على هذه الصيغة ، قـال الخطيـب التـبريزي في شـرح المعلّقة[٢] :« يقال : طعامٌ مَطيَبَةٌ للنفس ومَخْبَثَةٌ لها ، وشراب مَبْوَلَةٌ » انتهـى. يقـول : من أُنعمتْ عليه نعمةٌ فلم ينشرُها ولم يشكرها فإن ذلك سببٌ لتغيّر نفْـس المنعِـم مـن الإنعام على كلّ أحد . وليس المعنى: يتغير نفس المنعم على ذلك الجـاحد ، كمـا قـال شراح المعلقة ، فإنّه تقصير .

(١) البيت لعنترة العبسي في ديوانه ص٢١٤ ؛ ولسان العرب (خبث) .وهو بلا نسبة في رصف المباني ص٤٩ .

(٢) شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص٣٠٦ .

وهذا المصراع من باب إرسال المثل . ولما كان هذا البيت تامّا في نفسه لم نضف إليه شيئاً من هذه القصيدة .

وترجمة عنترة قد تقدمت مع أبيات من هذه المعلقة في الشاهد الثاني عشر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والخمسون[1] : (الوافر)

٥١- ولَوْ وَلَدَتْ قُفَيْرَةَ جَرْوَ كَلْبٍ
لَسُبَّ بِذلِكَ الجَرْوِ الكِلابَا

على أنّ الكوفيين وبعض المتأخرين أجازوا نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصريح .

قال ابن جنّي في « الخصائص »: « هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لايُعتَدّ به أصلاً ، بل لا يُثبَت إلاّ محتَقراً شاذّا » .

و « بعض المتأخرين » هو علي بن سليمان الأخفش تلميذ المبرّد .

و « قُفيرة » بتقديم القاف على الفاء وبالراء المهملة مصغّرا . اسم أم الفرزدق . وروي « فُكَيهة » أيضاً على وزنه ، وهو تحريف . و « الجرو » مثلث الجيم : ولد السباع ، ومنها الكلب .

ذمّ الشاعر قُفيرة بأنّها لو ولدت جرواً لسُبَّتْ جميعُ الكلاب بسبب ذلك الجروِ ، لسوء خُلقه وخَلْقه . وقال القالي [2] في « شرح اللباب »[3] : «وقيل : الكلاب ليست مفعولَهُ ، بل مفعول ولدت . وجرو نصب على النّداء، أو على الذم . وقيل الكلاب نصب على الذّم ، وجُمع لأن قُفيرة وَجروا وكلبا ثلاثة » . انتهى .

---

(١) البيت لجرير في الدرر ٢/٢٩٢ ؛ ولم أقع عليه في ديوانه . وهو بلا نسبة في الخصائص ١/٣٩٧ ؛ وشرح المفصل ٧/٧٥ ؛ وهمع الهوامع ١/١٦٢ .

(٢) كذا في أصول جميع الطبعات . وفي حاشية الطبعة السلفية ١/٣٠٦ ، يقول الميمني : " شارح اللباب (فالي) بالفاء ، راجع المزهر (٢ :٢٧٩ سنة ١٣٢٥) قال : هو محمد بن سعيد السيرافي . وفي البغية (٤٦) : لم أقف على ترجمة " .

(٣) اللباب في النحو لتاج الدين محمد بن أحمد بن السيف ، المعروف بالفاضل الاسفراييني ، كما جاء في كشف الظنون .

وهذا التخريج نقله ابن الحاجب في أماليه عن أبي جعفر النحاس في كتابه الكافي في النحو عن أبي إسحاق الزجّاج وقال : « معنى قوله لَسُبَّ: لحصل السبّ بسبب ذلك الجرو » . وهذا مستقيم .

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق ، مطلعها[1] : (الوافر)

أَقِلِّـي اللَّـومَ عَـاذِلَ والعِتَـابَا وقُـولِـي إنْ أصَبْتُ لَـقَـدْ أصَـابَـا

وتقدم شرحه مع ترجمة جرير في الشاهد الرابع .

وقبل البيت الشاهد :

وَهَـلْ أمٌّ تَكُـونُ أشَـدَّ رَعْـياً وصَـرًّا مِنْ قُفَيْـرَةَ واحْتِلابَـا

وقد نقض هذه القصيدةَ عليه الفرزدقُ بقصيدةٍ ، وكلتاهما مسطورة في «النقائض»[2].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون ، وهو من شواهد **س** :

٥٢- أمَرتُكَ الخَيرَ

وهو قطعة من بيت وهو[3] : (البسيط)

---

(١) هو الإنشاد السابع والخمسون بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهو في ديوان جرير ص٨١٣ ؛ والخصائص ١٥١/٣ ؛ والدرر ١٧٦/٥ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٤٩/٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٩٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ؛ وشرح الأشموني ١٢/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٤٦/٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٦٢/٢ ؛ وشرح المفصل ٢٩/٩ ؛ والكتاب ٢٠٥/٤ ، ٢٠٨ ؛ والمقاصد النحوية ٩١/١ ؛ وهمع الهوامع ٨٠/٢ ، ٢١٢ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٦٥٥ ؛ وجواهر الأدب ص١٣٩ ، ١٤١ ؛ وأوضح المسالك ١٦/١ ؛ ورصف المباني ص٢٩ ، ٣٥٣ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٧ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٩٨ ؛ وشرح المفصل ١٥/٤ ، ١٤٥ ، ٩/٧ ؛ ولسان العرب (ختا) ؛ والمنصف ٢٢٤/١ ، ٧٠/٢؛ ونوادر أبي زيد ص١٢٧ .

(٢) لم أقع على البيت الشاهد في النقائض .

(٣) هو الإنشاد الثالث والعشرون بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لعمرو بن معدي كرب في ديوانه ص٦٣ ؛ والدرر ١٨٦/٥ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٩٩/٥ =

أَمَرتُكَ الـخَيرَ فافْعَـلْ مـا أُمِرْتَ بِـهِ فَقَــدْ تَركتُكَ ذا مَـالٍ وذَا نَشَبِ

على أن الجزوليّ منع نيابة المنصوب بسقوط الجار ، مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار ، وأصله « أمرتك بالخير» ؛ لأنّ أمر يتعدّى بنفسه إلى مفعول واحد ، وهو الكاف هنا ، وبحرف الجر إلى آخرَ ، فـ « الخير » منصوب بنزع الباء بدليل « ما أُمرتَ به » .

قال الأعْلَم : « وسوّغ الحذف والنصب : أنّ « الخير » اسم فعلٍ يَحْسُنُ أنْ وما عملت فيه في موضعه ، و « أنْ » يحذف معها حرف الجر كثيراً ، تقول أمرتك أن تفعل ، تريد : بأن تفعل ، فإذا وقع موقعَ أن اسمُ فعلٍ شبّه بها فحسن الحذف . فإن قلت « أمرتك بزيد » لم يجُز أن تقول : أمرتك زيدا »[1]. انتهى .

ونقل ابن هشام اللخميّ هذا الكلام في « شرح أبيات الجمل » ، إلا أنّه قال : «الخير مصدر » . وهذا ليس بجيّد . قال المرزوقي في « شرح الفصيح »، عند قول الشاعر[2] : (الطويل)

وَمَنْ يَـلْقَ خيـراً يَحْمَدِ النّاسُ أمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ عَلَى الغَيِّ لائِما

« يجوز أن يكون جعل « الخير » كناية عن كل ما يُحمد من إصابة الحق وتعاطي العدل واتّباع الرشد ، ويكون « ومن يغوِ » على الضدّ منه ، ويجوز أن يكون الخير كناية عن الغنى خاصة ، والغيّ كناية عن الفقر . وقد علم أن الغنى محمود والفقر مذموم ، والعرب تسمّي كلّ مرتضى عندهم خيراً وحقّاً ، وصوابا

- وشرح شواهد المغني ص٧٢٧ ؛ والكتاب ٣٧/١ ؛ ومغني اللبيب ص٣١٥ ؛ ولخفاف بن ندبة في ديوانه ص١٢٦؛ وللعباس بن مرداس السلمي في ديوانه ص١٣١ ؛ ولأعشى طرود في المؤتلف والمختلف ص١٧ ؛ ولخفاف بن ندبة أو للعباس بن مرداس في شرح أبيات سيبويه ٢٥٠/١ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٦/٤، ٢٥١/٨ ؛ وشرح شذور الذهب ص٤٧٧ ؛ وشرح المفصل ٥٠/٨ ؛ وكتاب اللامات ص١٣٩ ؛ والمحتسب ٥١/١، ٢٧٢ ؛ والمقتضب ٣٦/٢ ، ٨٦ ، ٣٢١ .

ورواية الهجري المشهورة : " ذا نسب " . بالمهملة .

(١) النص بكامله في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢٩٩/٥ .

(٢) البيت للمرقش الأصغر في ديوانه ص٥٦٥ ؛ وتاج العروس (غوي) ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١١٠٤ ؛ ولسان العرب (غوى) . وهو بلا نسبة في كتاب العين ٢٣٨/٢ ؛ ومقاييس اللغة ١٩٢/٤ ، ٣٩٩ ؛ والمخصص ١٧٠/٦ ، ٧٦/١٣ .

وحسناً ، وكل مذموم عندهم شرًّاً وخطأً ، وسيئة وجهلاً وغيّاً » . انتهى .

وقد أورد القاضي هذا البيت عند قوله تعالى[1] : « فافْعَلُوا ما تُؤْمَرُون » على أنه بتقدير تؤمرون به كما في البيت . ولا يخفى ركاكة قول شارح شواهده الموصلي: «إن الأمر لا يستعمل إلاّ بالباء ، وقد شاع حذفه في هذا الفعل ، وكثر استعمال أمرته كذا ، حتى لحقت بالأفعال المتعدية إلى مفعولين » . هذا كلامه .

روى أبو عليّ الهَجَريُّ في نوادره [2] : « أمرتك الرشد » بدل الخيرِ ، وهو الصَّلاح وإصابة الصواب ، وفعله من بابي تعب وقتل . و« أُمرتَ » بالبناء للمَفعول ، وضمير « به » لما الموصولة أو الموصوفة . والفاء الأولى جواب شرط مقدّر ، أي : إن تمتثل فافعل . وقال اللخميّ : جوابٌ لما في الجملة من معنى الأمر ، والفاء الثانية جواب الأمر . وقال أيضاً : « ذا : حالٌ من الكاف في تركتك ، والعاملُ فيه ترك ، وهو بمعنى صاحب ، وهو عند ابن درستويه مفعول ثان لتركت لأنها تتعدى إلى مفعولين والثاني هو الأول . وهذا وهم لأن « تركت » في معنى « خلّيت » ، وخليت لا يجيء معها إلاّ الحال ، فكذلك لا يجيء مع تركت إلاّ الحال » . انتهى .

والصواب أن « ترك » يتضمن معنى جعل فيتعدى تَعديته ، وهذا مستفيض لا يخفى على مثله .

وقال ابن خلف : « وتركتك : إن كان بمعنى صيّرتك كان ذا مال مفعولاً ثانياً، كما تقول : تركت زيداً فقيهَ البلد : إذا كنت أنت الذي فقّهته وعلّمته، ومنه قوله سبحانه[3] : « تَرَكناها آية » أي : جعلناها وصيّرناها . وإن كانت بمعنى خلّفتك كان ذا مال حالا ، كما تقول : تركت زيداً وهو فقيه البلد » . انتهى .

و« قد» للتحقيق ، وقال اللخميّ : يجوز أن تكون للتوقّع أيضاً . و« المال» قال

---

(١) سورة البقرة : ٦٨/٢ .

(٢) لم يذكر البغدادي هذه النوادر في مراجعه ، ولم يذكرها في الخزانة إلا في هذا الباب وباب المفعول فيه . ويقول هارون في حاشية الخزانة ٣٤٠/١ : " ومن نوادر الهَجَريّ نسخة في دار الكتب باسم " التعليقات والنوادر " برقم ٢٤٢ لغة . واسم الهجري هارون بن زكريا " .

وفي شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠٠/٥ ورد ذكر هذه النوادر باسم النوادر المفيدة ، واسم الهجري هارون بن زكريا .

(٣) سورة القمر : ١٥/٥٤ .

اللخميّ : في « شرح فصيح ثعلب » : هو عند العرب الإبل والبقر والغنم ، ولا يقال للذهب والفضة مال ، وإنما يقال لهما : ناضّ ، وأقلّه ما تجب فيه الزكاة ، وما نقص عن ذلك فليس بمال . وحكى أبو عُمَر صاحب الياقوتة : المال : الصامت والناطق ، فالصامت : الدنانير والدراهم والجواهر ، والناطق : البعير والبقرة والشاة ، قال : ومنه قولهم : مالَه صامتٌ ولا ناطق . ومنهم من أوقع المال على جميع ما يملكه الإنسان . وهو الصحيح . انتهى .

ويشهد للقول الأخير قوله تعالى[1] : « وَلا تُؤْتُوا السُّفهاءَ أمْوالَكم » وهذا لا يخصّ شيئاً دون شيء . و« النشب » بالشين المعجمة ، قيل : بمعنى جميع ما يملك بمعنى المال ، وقيل : المال الأصيل الثابت بمعنى العَقار كالدُّور والضِّياع ، مأخوذ من نشب الشيء : إذا ثبت في موضع لزومه . فعلى الأوّل يكون من عطف المترادفين للتوكيد ، وعلى الثاني يكون من عطف الخاصّ على العام . وإن فسِّر المال بغير القول الأخير كان من عطف المتقابلين . وقال الأعلم : « قد قيل : إنّ النشب هنا جميع المال، فيكون عطفه على الأول مبالغة وتوكيداً ، وسوّغ ذلك اختلاف اللفظين » . وهذا كلامه فتأمّله ! وهذه رواية سيبويه [2][في كتابه و لم يختلفوا فيه] .

ورواه الهجري في نوادره : «ذا نسب» بالسين المهملة . قال اللخمي وأبو الوليد الوَقّشيّ فيما كتبه على كامل المبرِّد : هذا هو الصحيح ، لأنه لا معنى لإعادة ذكر المال ، وإنما يقول: تركتك غنياً حسيباً . يخاطب ابنه . وقد نسب السيوطي في «شرح أبيات المغني» هذا الكلام لابن السيد البَطَلْيَوْسيّ فيما كتبه على الكامل . وهذا لا أصل له ، فإنه لم يكتب عليه هنا شيئاً ، وإنّما كتب ما يقارب هذا في أبيات الجمل.

وقد ورد هذا البيت في شعرين : أحدهما في شعر أعشى طَرُود ، والثاني في شعرٍ اختلف في قائله . أما الأول فقد نقله الآمدي في « المؤتلف والمختلف »[3] وأبو محمد الأعرابي في « فُرحة الأديب » ، وهو : (البسيط)

---

(١) سورة النساء : ٥/٤ .

(٢) في طبعة بولاق : " وخدمة كلامه " . وفي الشنقيطية : " وخدمة كتابه " . والتصويب من شرح أبيات المغني للبغدادي : ٩٩/٥ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص١٦-١٧ ؛ وفيه الأبيات منسوبة لأعشى طرود . والأبيات في ديوان عمرو بن معدي كرب ص٦٢-٦٤ ؛ وهي في ديوان العباس بن مرداس السلمي ص٤٥-٤٦ ؛وهي ليست في مجموع ديوان خفاف ابن ندبة .

يا دارَ أسماءَ بَينَ السَّـفحِ فالرُّحَبِ أقْوَتْ وَعَفّى عَلَيها ذاهِبُ الحُقبِ
فَمَـا تَبَيَّـنُ مِنْهـا غيرُ مُنْتَضِدٍ وَراسِـياتٍ ثَـلاثٍ حَوْلَ مُنْتَصِبِ
وَعَرْصَةِ الدَّارِ تَستَنُّ الرِّيَاحُ بهـا تَـحنُّ فِيها حَنِيْنَ الوُلَّهِ السُّلُبِ
دارٌ لأسماء ، إذْ قَلبي بهـا كَلِـفٌ وإذْ أُقَـرِّبُ مِنْهـا غَـيْرَ مُقْتَرِبِ
إنّ الحبيبَ الّذي أمْسَيتُ أهجُـرُه مِنْ غَيرِ مَقْلِيَةٍ مِنّي ولا غَضَبِ
أصُـدُّ عَنْـهُ ارْتقابـاً أنْ أُلـمَّ بـهِ وَمَنْ يَخفْ قَالَةَ الواشِـينَ يَرتقبِ
إنِّي حَوَيتُ عَلَى الأقْوامِ مَكْـرُمَـةً قِدْماً ، وَحَذّرنِي مـا يتّقُون أبي
وقَـالَ لي ، قَولَ ذِي عِلْمٍ وَتجـرِبـةٍ بِسـالِفـاتِ أمُورِ الدَّهْرِ والحِقَبِ
أمرتك الرشـد فافعـل ما أمرت بـه .. (البيت) انتهى .

وقال اللخميّ : من قال إنّ البيت لأعشى طَرُود قال بعده :

لا تَبْخَلَنَّ بِمالٍ عَـنْ مَذاهِبِهِ فِي غَيرِ زَلَّةِ إسْرافٍ وَلا تَغَبِ
فَـإنَّ وُرّاثَـهُ لَنْ يَحْمَدوكَ بِـهِ إذا أجَنّوكَ بَيـنَ اللّبْنِ والخَشَبِ

وقد أورد الهجريّ أيضاً في نوادرِهِ هذين البيتين بعد البيت الشاهد ، وأما الثاني فهو هذا [1]:(البسيط)

فَقَال لِي ، قَوْلَ ذِي رأيٍ وَمَقْدرةٍ مُجَـرِّبٍ عَاقِـلٍ نَزْهٍ عَنِ الرِّيَبِ:
قَدْ نِلتَ مجداً ، فحاذرْ أنْ تُدنّسَهُ : أبٌ كَرِيمٌ وجَدٌّ غَيـرُ مُؤتَشِبِ
أمرتُكَ الخيرَ فافْعَلْ ما أُمرتَ بِهِ فَقَـدْ تَركْتُكَ ذا مَالٍ وذا نَشَبِ
واتـرُكْ خَلائِقَ قَومٍ لا خَلاقَ لَهُم واعْمَد لأخْلاقِ أهْلِ الفَضْلِ والأدَبِ
وإنْ دُعِيْـتَ لِغَـدْرٍ أوْ أُمرتَ بِهِ فاهْرُبْ بنفسِكَ عنه آبدَ الهَرَبِ[2]

وهذا الشعر قد نسب إلى عمرو بن معد يكرب ، وللعبّاس بن مرداس ، ولزُرعة ابن السائب ، ولخُفَاف بن ندبة .

قال اللخميّ : من نسب البيت لأحد الثلاثة الأوَل قال قبلهَ :

فقالَ لِي قول ذي رأي ومقدرة .. (البيت)

ونَسبَ قولَه : فاتـرك خلائـق قـوم لا خَـلاقَ لـهم

(١) الأبيات في ديوان عمرو بن معدي كرب ص٦٣-٦٤ ؛ وهي في ديوان العباس بن مرداس السلمي ص٤٦ .

(٢) في حاشية طبعة هارون ٣٤٣/١ : " كذا في ط . وفي ش مع أثر إصلاح : "آية الهرب " .

وقوله : قد نلت مَجداً فحاذرْ أن تدنّسه

البيتين ، إلى أعشى طَرود لا غير ، وقال : هما بعد البيت الشاهد . وقد نسبَ البيت ، في كتاب سيبويه ، لعمرو بن معد يكرب . والله أعلم .

و« **أعشى طَرود** » قال الآمدي في « المؤتلف والمختلف »[1] : « لم يذكر اسمه ولا عُرف نسبه إلى القبيل . وبنو طَرود ، مِن فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلان ، وهم حلفاء بني سُليم ثم في بني خُفاف » . انتهى .

ونقل الصّاغاني في « العباب » هذا الكلام و لم يزد عليه .

وقال أبو الوليد الوَقّشيّ نقلاً عن نوادر الهجريّ ، واللخمي نقلاً عن أبي مروان عبد الملك بن سِراج : إن أعشى طَرود[2] اسمه إياس بن موسى ، بكسر الهمزة بعدها مثناة تحتية ؛ و لم يزيدا على هذا .

قال المرزُبانيّ : حضَر هوذة بن الحارث ، المعروف بابن حملة [3] ، في أيام عمر، العطاءَ فدعا قبله إياس بن موسى هذا ، فقال هوذة : (الطويل)

لَقَد دارَ هذا الأمْرُ في غَيْرِ أهْلِهِ فأبْصِرْ ، أمينَ الله ، كَيفَ تَذُودُ
أيُدْعَى جُشَيمٌ والسُّويدُ أمامَنا ويُدْعَى إياسٌ قَبلَنا وَطَرُودُا!
فَإنْ كانَ هَذا في الكِتَابِ فَهُمْ إذنْ مُلُوكٌ سِوَى حَرْبٍ وَنَحنُ عَبيْدُ

انتهى . وفُهم من هذا أن أعشى طَرود إسلاميّ ، لكن لم يعلم ما هو : صحابيّ أم تابعيّ [4] ؟ والله أعلم .

وقوله : « يا دار أسماء بين السفح إلخ » ، قال ياقوت في «معجم البلدان» «السَّفح بلفظِ سفح الجبل ، وهو أسفله حيث يسفح فيه الماء . وهو موضع كانت به وقْعة بين بكر بن وائل وتميم » . و لم يذكر أبو عبيد هذه الكلمة في المعجم .

---

(١) المؤتلف والمختلف ص١٦ . وانظر في ترجمته شرح أبيات المغني ٥/٣٠٠ ؛ والكامل في اللغة ١/٢١ ؛ والمؤتلف والمختلف ص١٦ .

(٢) في حاشية المؤتلف والمختلف ص١٦ : " أعشى طرود يقال له أيضاً : أعشى فهم وأعشى سليم ، هذا واسمه إياس بن عامر كما في الصبح المنير والمكاثرة ، وانظر عيون الأخبار ٣/٩٤ " .

(٣) كذا في طبعات الخزانة جميعها . وفي الإصابة ص٩٠١٢ نقلاً عن المرزباني " بابن الحمامة " . والأبيات فيها .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ١/٣١٢ ، يقول الميمني : " ذكره الطبري وابن شاهين في الصحابة " .

و«الرُّحَب» بضم الراء وفتح الحاء المهملتين : موضع ، ولم يذكرها أبو عُبيدٍ ولا ياقوت . و«أقوتْ» : خلت من الأنيس ، كأنه ذهب قوتها . وعفّى عليها، بالتشديد كعفّاها : أي : طمسها ومحا علاماتها . و«الحقب» بضمتين : الدهر ، وبكسر ففتح: جمع حِقبة ، وهي السَنة ؛ أي : طمسها الدهْرُ الذاهب ، والسنون الماضية . و«تبيّن»: ظهر . و«المنتضد» : الحجارة المصفوفة بعضها فوق بعض . وأراد بقوله : راسيات ثلاث: حِجارةَ القِدرِ الثلاثة ؛ وهو معطوف على منتضد ، وكذلك عَرصة. و«استنّت الرياحُ » : هبّت عليها من هنا ومن هنا . و« الوُلّه » : جمع الواله : المرأة التي فقدت ولدها. و«السُّلُب» بضمتين : اللابسة الثياب السود . و«تحنّ» : من الحنين بمعنى الأنين .

وقوله : «وإذ أقرِّب منها .. إلخ». أي : أمنّي نفسي منها ما لا يكون . والمقليَة بتخفيف الياء : مصدر بمعنى القِلى ، وهو البغض والكراهية . و«الارتقاب» : الانتظار . و«أن أُلّم» : أي : لأن أنزل وأحُلّ به . و«التّغب» : بمثناة فوقية فغين معجمة ، قال اللخميّ : هو جمع تَغْبة وهي السقطة ، وما يعاب به ابنه . والتغب أيضاً : الهلاك ؛ وقال في «الصحاح» : « تغب بالكسر تَغَباً : هلك» . و«نَزْه» بفتح وسكون الزاي : البعيد ؛ سكّن الزاي ، وهي مكسورة للضرورة . و«المؤتشب»: المختلط يقال : أشبْت القوم ، إذا خلطتَ بعضهم ببعض .

* * *

المبتدأ والخبر

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون [١] : (المديد)

٥٣- غَيْرُ مأْسُوفٍ عَلَى زَمَنٍ
يَنْقَضِي بالهَمِّ والحَزَنِ

أورده مثالاً لإجراء « غير » قائم الزيدان ، مُجرى « ما » قائم الزيدان ، لكونه بمعناه.

وتخريج البيت على هذا أحد أقوال ثلاثة هو أحسنها ؛ وإليه ذهب ملك النحاة الحسن بن أبي نزار [٢] ، وابن الشجريّ أيضاً في أماليه .

و« مأسوف » اسم مفعول من الأسف وهو أشد الحزن ، وباب فعله فرح. و«على زمن » متعلق به على أنه نائب الفاعل . وجملة «ينقضي» صفة لزمن . و«بالهمّ» حال من ضميره ، أي : مَشوباً بالهمّ .

فلما كانت « غير » للمخالفَة في الوصف وجرت لذلك مَجرى حرف النفي ، وأضيفت إلى اسم المفعول المسند إلى الجار والمجرور - والمتضايفان بمنزلة الاسم الواحد - سَدّ ذلك مسدّ الجملة ؛ كأنه قيل : ما يؤسف على زمن هذه صفته .

قال أبو حيان في تذكرته : و لم أر لهذا البيت نظيراً في الإعراب إلاّ بيتاً في قصيدة المتنبي يمدح بها بدر بن عمّار الطّبرستانيّ يقول فيها : (الرمل)

لَيْسَ بالمُنكَرِ أنْ بَرّزتَ سَبْقا غَيرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ العِرابُ

فـ« العراب » مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ لأنه يصير التقدير :

---

(١) البيت لأبي نواس في أمالي ابن الحاجب ص٦٣٧ ؛ والدرر ٦/٢ ؛ ومغني اللبيب ١٥١/١ ، ٦٧٦/٢ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٩٤/٣ ، ٢٨٩/٥ ، ١١٣/٦ ، ٢٥/٧ ؛ وتذكرة النحاة ص١٧١ ، ٣٦٦ ، ٤٠٥ ؛ وشرح الأشموني ٨٩/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٠١ ؛ والمقاصد النحوية ٥١٣/١ ؛ وهمع الهوامع ٩٤/١ .

(٢) هو أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار . صاحب المسائل العشر المتعبات إلى الحشر . توفي سنة ٥٦٨هـ (إنباه الرواية ٣٠٥/١ ؛ وبغية الوعاة ص٢٢٠ ؛ ومعجم الأدباء ١٢٢/٨) .

العراب غير مدفوع عن السبق ؛ والعراب جمٌّ فلا أقلّ من أن يقول غير مدفوعة، لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكيره وتأنيثه بتقديمه وتأخيره .

والقول « الثاني » لابن جنّي ، وتبعه ابن الحاجب ، وهو : أن « غير » خبر مقدم ، والأصل : زمن ينقضي بالهمّ والحزن غير مأسوف عليه ، ثم قدمت عليه وما بعدها ، ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلى على غير مذكور ، فأتى بالاسم الظاهر مكانه وحذف الموصوف ، بدون شرطه المعروف، ضرورة .

و« الثالث » وهو لابن الخشاب : أن غير خبر لأنا محذوفاً ، و«مأسوف» : مصدر كالمعسور والميسور أريد به اسم الفاعل ؛ والتقدير : أنا غير آسف على زمن هذه صفته .

وهذا البيت لأبي نواس ، وهو ليس ممن يستشهد بكلامه ، وإنما أورده الشارح مثالاً للمسألة ، ولهذا لم يقل كقوله . وبعده بيت ثان وهو :

إنّما يرجُو الحَيَاةَ فَتًى ... عَاشَ فِي أَمْنٍ مِنَ المِحَنِ

و« **أبو نواس** » هو أبو علي الحسن بن هانئ بن عبد الأوّل بن الصباح الحَكَمي، بفتح الحاء والكاف ، نسبة إلى الحكم بن سَعدِ العشيرة ، وهي قبيلة كبيرة منها الجرّاح ابن عبد الله الحكمي أمير خراسان ، وكان جدّ أبي نواس من مواليه . وإنما قيل له : أبو نواس ، لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقه .

و« الذؤابة » بهمزة بعد الذال المضمومة : الضفيرة من الشعر إذا كانت غير ملويَّة ، فإن كانت ملويّة فهي عَقيصة ؛ والذؤابة أيضاً : طرف العمامة . وناس ينوس، إذا تدلّى وتحرك . و«العاتق» : ما بين المنكِب والعنق ، وهو موضع الرداء.

وقيل : إن خلفا الأحمر كان له وَلاء في اليمن ، وكان أميلَ الناس إلى أبي نواس فقال له يوماً : أنت من اليمن فتَكَنَّ باسم ملكٍ من ملوكهم الأذواء ! فاختار ذا نواس فكناه أبا نُواس ، بحذف صدره ، وغلبت عليه .

ومولده بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل ست وثلاثين ومائة . ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، وقيل سنة ست وقيل سنة ثمان .

ونشأ بالبصرة ثم خرج إلى الكوفة . وقيل بل ولد بالأهواز . وقيل بكُورة من كُوَر خُوزِستان سنة إحدى وأربعين ومائة . ونقل منها وعمره سنتان إلى البصرة .

وأمّه أهوازية اسمها جُلّبان . وكان [أبوه] من أهل دمشق من جند مَرْوان الحِمار ، انتقل إلى الأهواز للرّباط فتزوّجها .

وقدم أبو نواس بغداد مع والبة بن الحُباب الشاعر، وبه تخرّج . وعرض القرآن على يعقوب الحضرميّ . وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاريّ وأبي عبيدة، ومدح الخلفاء والوزراء . وكان في الشعر من الطبقة الأولى من المولّدين .

قال أبو عبيدة : أبو نواس للمُحدثين مثل امرئ القيس للمتقدّمين ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في الكلّ ؛ وما زال العلماء والأشراف يروُون شعره ويتفكّهون به ، ويفضّلونه على أشعار القدماء .

وقال أبو عمرو الشيباني : لولا أن أبا نواس أفسد بهذه الأقذار - يعني الخمور - لاحتججنا به ؛ لأنه كان محكَم القول لا يخطئ .

وديوان شعره مختلِف لاختلاف جامعيه ، فإنه اعتنى بجمعه جماعة : منهم أبو بكر الصُّولي ، وهو صغير . ومنهم عليّ بن حمزة الأصبَهاني ، وهو كبير جداً. وكلاهما عندي ، و لله الحمد على نعمه . ومنهم إبراهيم بن أحمد الطبري المعروف بتوزون [١] و لم أره إلى الآن .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون [٢] : (الطويل)

٥٤- عَلَى مِثْلِها مِنْ أرْبُعٍ ومَلاعِبِ

تُذالُ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّواكِبِ

على أنّه لما أنشد المصراع الأول عارضَه شخص فقال : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فانخزل منه وترك الإنشاد ، لأن تقديم الخبر في مثله يوهم الدعاء

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣١٥/١ : " في الطبعة الأولى : " توررون " بالراء ، والتصحيح من ابن خلكان - ترجمة أبي نواس -

والبغية وكشف الظنون . قالوا : إنه أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وبرع فيه ، وإنه كان صحيح النقل جيد الخط والضبط ، و لم يصنف شيئاً غير جمعه لشعر أبي نواس . وكان يسكن بغداد ، وتوفي سنة ٣٥٥هـ . راجع بغية الوعاة ، وآخر ترجمة أبي نواس في الوفيات " .

(٢) البيت لأبي تمام في ديوانه ص٤٠ ؛ وتحرير التحبير ص٤٩٥ .

باللعنة . وسمّى ابن أبي الإصبع هذا النوع في «تحرير التحبير» التوليدَ وقال : التوليد على ضربين: من الألفاظ ، ومن المعاني : فالذي من الألفاظ هو أن يزوّج المتكلم كلمةً من لفظهِ إلى كلمة من غيره فيتولّد بينهما كلام يناقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية ، وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ، ومثاله ما حكي أن مُصعَب بن الزّبير وَسم خيلَه بلفظة « عُدّة » فلما قتل وصارت إلى العراق رآها الحَجّاج فوسم بَعد لفظة عُدَّة لفظةَ « الفِرار[1]» فتولّد بين اللفظتين غيرُ ما أراده مصعب . ومن توليد الألفاظ توليدُ المعنى من تزويج الجمل المفيدة ، ومن لطيف التوليد قول بعض العجم : (الوافر)

كَأنَّ عِذَارَهُ فِي الخَدِّ لامٌ ... ومَبسِمَهُ الشَّهيَّ الطَّعْمِ صَادُ
وَطُرَّةَ شَعرِهِ لَيْلٌ بَهِيْمٌ ... فَلا عَجَبٌ إذا سُرِقَ الرُّقَادُ

فإنّ هذا الشاعر ولّد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لفظة «لص»، وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر « سرقة النوم » ، فجعل في هذا البيت توليداً وإدماجاً . وهذا من أغرب ما سمعتُ .

ومثاله ما حكي أن أبا تمّام أنشد أبا دُلَف :

* على مثلها من أربع وملاعبِ *

فقال بعض من أراد نُكتةً [2] : « لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ، فولّد من الكلامين كلاماً ينافي غرض أبي تمام من وجهين : أحدهما خروج الكلام عن التشبيب إلى الهجاء بسبب ما انضمَّ إليه من الدعاء .

والثاني خروج الكلام عن أن يكون بيتاً من شعر إلى أن صار قطعة من نثر . ومن هذا الضرب قول الشاعر : (الطويل)

ألُومُ زِياداً فِي رَكَاكَةِ عَقْلِهِ ... وَفِي قَولِهِ أيُّ الرِّجَالِ المهَذّبُ[3]
وَهَلْ يُحْسنُ التّهذيبُ منْكَ خَلائِقاً ... أرَقَّ مِنَ المَاءِ الزُلالِ وأطيَبُ !

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣١٦/١ : " في " ش " : الغرار بالغين المعجمة وشدة على الراء " . وهو تحريف .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٣١٦/١ : " في هامش الشنقيطية " نكايته " . والتصويب من تحرير التحبير .

(٣) زياد ، هو زياد بن معاوية ، النابغة الذبياني ، والعجز إشارة تضمينية لقول النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه ... على شعث أيّ الرجال المهذب

تَكلَّمَ والنُّعمانُ شَمْسُ سَمائِهِ وَكُلُّ مَليْكٍ عِندَ نُعمانَ كَوكَبُ(١)
وَلَوْ أبْصرَتْ عَيناهُ شَخْصكَ مرَّةً لأبْصرَ منهُ شَمسَهُ وهْيَ غَيْهَبُ

فإن هذا الشاعر زوّج مدح ممدوحه بتهذيب الأخلاق إلى قول النابغة : « أي الرجال المهذّب » ، فتولّد بين الكلامين ما ينافي غرض النابغة ، حيث أخرج الشاعر كلامه مُخرج المنكِر على النابغة ذلك الاستفهام ؛ وأوضح مناقضته للنابغة ببيته الثاني وهو قوله : « وهل يحسن التهذيب .. البيت » . وزوّج قوله في عجز البيت الثالث : « وكلّ مليك عند نُعمان كوكب » إلى قول النابغة : « بأنك شمسٌ والملوكُ كواكبُ» بدليل قول الشاعر ، يعني النابغة [٢] : « تكلّم والنعمان شمس سمائه .. البيت» فتولّد بين الكلامين قوله :(الطويل)

وَلَو أبْصَرَتْ عَيناهُ شَخْصَكَ مَرَّةً لأبْصَرَ مِنهُ شِمسَهُ وَهْيَ غَيْهَبُ

وأما الضرب « الثاني » وهو ما تولّد من المعاني ، كقول القطامي[٣] : (البسيط)

قَدْ يُدرِكُ المُتأنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعجِلِ الزَّلَلُ

فقال مَن بَعده [٤] : (البسيط)

عَليكَ بالقَصْدِ فِيما أنْت فاعِلُه إنَّ التَّخلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامي بكماله ؛ ومعنى عجز البيت مولّد بينهما ، وهو قوله :

* إنّ التخلّق يأتي دونه الخلُقُ *

---

(١) في طبعة بولاق : " نعماك كوكب " . وهوتصحيف صوابه من الشنقيطية .

(٢) في طبعة بولاق وهارون : " عن النابغة " . وهو تحريف ، وصوابه من الطبعة السلفية .

(٣) البيت للقطامي في ديوانه ص٢٥ ؛ وجمهرة أشعار العرب ٨٠٥/٢ ؛ وديوان المعاني ١٢٤/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٦١/٥ ؛ وللأعشى في تخليص الشواهد ص١٠٢ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (بعض) ؛ ومجالس ثعلب ص٤٣٧ .

(٤) هو الإنشاد السادس والعشرون بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت لسالم بن وابصة الأسدي في تاج العروس (خلق) ؛ وشرح أبيات المغني ٢٤٥/٣ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٧١٠ ؛ ولسان العرب (خلق) ؛ ونوادر أبي زيد ص١٨١ . وهو بلا نسبة في ديوان الأدب ٤٥٦/٢ ؛ وزهر الأكم ١٤٨/١ .

والقطامي أخذ معناه من عَدِيّ بن زيد العِبادي حيث قال[١]: (السريع)

قَـدْ يُـدْرِكُ الـمُـبـطـئُ مِـنْ حَـظِّـهِ والـخَيرُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ الـحَرِيْصِ

وعَدِيّ نظر إلى قول جُمانـة الـجُعفـيّ : (الطويل)

وَمستعجِلٍ والـمُكْثُ أدنَى لِرُشْدِهِ وَلَـمْ يَدْرِ فِـي اسْتعجَالِـهِ مـا يُبَـادِرُ

ومن التوليد توليدُ بديع من بديع ، كقول أبي تمّام[٢] : (الطويل)

لَـها مَنْظَـرٌ قَيْدُ النَّـواظِرِ ، لَـمْ يَـزَلْ يَـرُوحُ وَيَغْدُو في خَفارَتِـهِ الـحُـبُّ

فإنّه ولّد قوله « قيد النواظر » من قول امرئ القيس : « قيد الأوابد » لأن هـذه اللفظة التي هي « قيد » انتقلت بإضافتها من الطرد إلى النسيب ، فكأن النَّسيب تولّـد من الطّرد . وتناولُ اللفظ المفرد لا يعدّ سرقة .

وإنما سقنا هذا الفصل برُمّته لغرابته ، وقلّما يوجد في موضع آخر .

وقول أبي تمّام « على مثلها من أربع » ضمير مثلها مفسر بالتمييز المجـرور بمـن ؛ والأكثر أن يكون التمييز مفسِّراً لضمير نعم وبئس وربّ . قال ابـن هشـام في المغـني : والزمخشريّ يفسر الضمير بـالتمييز في غـير بـابي نعـم وربّ ، وذلـك أنـه قـال في[٣] : «فَسوّاهُنّ سَبْعَ سَموات» : الضمير في فسوّاهن ضمير مبهَم ، وسبع سموات تفسيره ، كقولهم رُبّه رجُلاً ؛ ولولا تشبيهه برُبّـه رجلاً لحمل على البدل. و« الأربُع » جمع ربْع بالفتح ، وهو محلّـة القـوم ومنـزلهم و« الملاعب» : جمع ملعَب وهـو موضع اللعـب . و« تُذال » : مبني للمجهول ، مضارع أذاله بمعنى أهانه ، وهو متعـدّي ذال الشـيء ذيْـلاً : هـان . والثابت في نسخ ديـوانه وشروحـه « أُذيلـت » . و« المصونـات » : من الصَّوْن وهو خلاف الابتذال . و«السواكب » : المنصبّة ، فإنّ سكب يأتي لازماً، يقال سكب الماء سكباً وسكوباً انصبّ ؛ ويأتي متعدياً ، يقال سكب زيد الماء .

قال الإمام أبو بكر بن يحيى الصُّوليّ في شـرحه : قـد أنكـر بعضهـم « مصونـات الدموع السواكب» وقال : كيف يكون من السواكب ما هو مصون ! وإنما أراد أبـو تمام : أذيلت مصونات الدموع التي هي الآن سواكب .

---

(١) البيت في شرح أبيات المغني للبغدادي ٦١/٥ .

(٢) البيت لأبي تمام في ديوانه ص٣٠ .

(٣) سورة البقرة : ٢٧/٢ .

ثم قوله : أذيلت بمعنى صُبّت صبّاً سائلاً حتى يصير لها ذيل ، ليس بجيّد ، فإن معنى البيت أهينت الدموع الغزيرة بسَكبها على مثل هذه المنازل ؛ لخلوّها من الحبائب.

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ مدح بها أبا دُلَف القاسم بن عيسى العِجلي ، وبعده : (الطويل)

أقولُ لِقُرْحان مِن البَيْنِ لَمْ يَجدْ رَسيسَ الهوَى بين الحَشَا والتَّرائِبِ
أعِنّي أُفرّقْ شَمْلَ دَمْعِي فَإنَّنِي أرَى الشَّملَ مِنْهُم لَيْسَ بالمتَقارِبِ

إلى أن قال :

إذا العِيْسُ لاقَتْ بي أبا دُلَفٍ فقدْ تَقَطَّعَ مَا بَيني وبَينَ النَّوائِبِ
هُنالِك تَلقَى الجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ تَمائِمُهُ والمَجْدَ مُرخَى الذَّوائِبِ
تَكادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنونُهَا إذا لَمْ يَعوِّذها بِنَغْمَةِ طَالِبِ[(١)]

قال الإمام المرزوقي في شرح ديوانه : « القرحانُ » أصله : الذي لم يصبْه الجُدَريُّ ، واستعاره هنا لمن لم يمتحن بالنوى ، ولم يدخل في إسار الهوى . قال في «الصحاح » : « رَسُّ الحمّى ورَسيسها : أول مسِّها » . وقوله : « أعنّي أفرّق .. البيت» ، قال الصُّوليّ : أي : لا أرى شملهم مجتمعاً بالرجوع إليها ، يقول : قد اجتمع دمعي ؛ لأني لم أبك حتّى رأيت منازلهم ، فأعِنّي بوقفةٍ [ثَمَّ [(٢)]] معي ، حتى أبكيهم فأستريح . وقوله : إذا العيس لاقت بي .. البيت ، يقول : إذا أقدمتْني الإبلُ إليه انقطعت الأسباب بيني وبين النوائب ، أي : لم يبق لها سبيل عليَّ . وقوله : هنالك تلقى الجود .. البيت ، قال الصُّوليّ : يقال : تقطَّعت تمائم فلان في بني فلان : إذا تربَّى ونشأ فيهم ؛ وأراد : أن المجدَ كالآمن فيهم أن يتحول إلى غيرهم ، فيكون قد أحاط به الشرف من كل جانب . ويروى « وافي الذوائب » .

وقوله : « تكاد عطاياه » .. البيت ، قال الإمام المرزوقي : يقول : قد تعوَّد هذا الرجل تفريقَ مالِه بالصِّلات ، وتبديدَه بالعطيّات ، حتى تقرُب عطاياه - لو أمسك

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣١٩/١ : " في الطبعة الأولى وكذا في ش " بنعمة " بالعين المهملة . والتصحيح للأستاذ الميمني " .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية : ٣١٩/١ : " ثم الزيادة من ش ".

يوماً – من أن تجنَّ إن لم يعلّق عليها عُوَذها من نَغَم الطلاَّب والزوّار [١] . وقوله : يجنّ جنونها ، إنما يريد: يجن صحتها، أي : يصير بدلَ صحتَّها جنون ؛ لكنه سماها بما يؤول إليه ، كما يقال خرجت خوارجه؛ وكذلك عطاياه أي : أمواله التي تصير عطاياه ، فسماه بما يؤول إليه[٢] .

وقال الصَّولي : مما أنكر أبو العباس ابن المعتز من رديء طباقه قوله : تكاد عطاياه.. البيت ؛ وفيه استعارة فقال : و لم يجنّ جنون عطاياه انتظاراً للطلب ، بل يبدأ بالعطاء ويستريح . وفيه قبحُ « لم يعوِّذها بنغمة طالب » : يعطبها لغير طالب . وفي هذا [٣] الاعتراض نظر ، فإن مراده : أنه أغنى الناسَ فلم يبق طالبٌ إلا نادراً ، فإذا أبطأ طالب المعروف جُنَّت عطاياه شوقاً إليه . فتأمل .

ومنها ، وهو مما يستجاد :

يَرَى أقْبَحَ الأشْياء أوْبَةَ آمِلٍ ... كسَتْه يدُ المأمُول حُلّةَ خائِبِ
وَأحْسَنَ من نَورٍ يفتّحُهُ النّدى ... بياضَ العَطايَا في سَوادِ المَطالِبِ
إذا ألْجمَتْ يوماً لُجَيمٌ وَحَولَها ... بَنُو الحِصْنِ نجلُ المحصَناتِ النَّجَائِبِ
فَإنّ المَنايا والصَوارمَ والقَنَا ... أقَارِبُهُم فِي الرَّوْعِ دُونَ الأقَارِبِ
جَحَافِلُ لا يَتْرُكْنَ ذا جَبَرِيَّةٍ ... سَليماً ولا يَحرُبْنَ مَن لَمْ يُحارِبِ
يَمدُّونَ من أيْدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ ... تَصُولُ بأسْيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ

و« لجيم » بالتصغير : أبو عجل جدِّ أبي دُلف . و«الحِصن» هو ثَعلبَة بن عُكابة؛ وبنو الحِصن أعمامه . (الطويل)

إذا افْتخَرَتْ يَوماً تَمِيمٌ بقَوسِها ... فَخَاراً على ما وَطَّدَتْ مِنْ مَناقِبِ
فأنتُمْ بِذِي قَارٍ أمَالَتْ سُيُوفُكم ... عُروشَ الذين اسْترهَنوا قَوسَ حَاجبِ

قال الإمام المرزوقي : يعني بالقوس قوسَ حاجب بن زُرارة ، رهنَها عند كسرى.

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية : ٣٢٠/١ : " في الطبعة الأولى ، وكذا في ش " من نعم الطلاب والزوار " . والتصحيح للأستاذ الميمني " .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٣٢٠/١ ، يقول الميمني : " ليس من باب تسمية الشيء بما يؤول إليه . بل من المبالغة.. وصف الشيء بنفسه كما يقال : ليل أليل ، ويوم أيوم ، وداهية دهياء ، وجد جده " .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٣٢٠/١ : " في الطبعة الأولى " هذه الاعتراض " . والتصحيح من ش " .

وكان السبب في ذلك أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان دعا على مُضَر وقال : «اللهم اشدُد وطأتك على مُضر ، وابعثْ عليهم سنين كسِني يوسف » . فتوالت الجدوبة عليهم سبعَ سنين .

فلما رأى حاجبٌ الجهدَ على قومه جمع بني زُرارة [١] . وقال: إني أزمعت على أني آتي الملك - يعني كسرى - فأطلب أن يأذنَ لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يحيَوا . فقالوا : رشَدت فافعل ! غير أنّا نخاف عليك بكرَ بن وائل . فقال : ما منهم وجهٌ إلا ولي عنده يد ، إلا ابن الطويلة التَّيمي ، وسأداويه [٢] . ثم ارتحل ، فلم يزل ينتقل في الإتحاف والبرّ من الناس حتى انتهى إلى الماء الذي عليه ابنُ الطويلة ، فنزله ليلاً ، فلما أضاء الفجرُ دعا بنطع ، ثم أمر فصُبَّ عليه التمر ، ثم نادى : حَيَّ على الغَداء ! فنظر ابن الطويلة فإذا هو بحاجب ؛ فقال لأهل المجلس : أجيبوه . وأهدى إليه جُزُراً ، ثم ارتحل ، فلما بلغ كسرى شكا إليه الجهَد في أموالهم وأنفسهم ، وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حدّ بلاده فقال : أنتم معشرَ العرب [أهل] غَدْرٍ [٣] ، فإذا أذنتُ لهم عاثوا في الرعية وأغاروا .

قال حاجب: إني ضامنٌ للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لي بأن تفي أنتَ ؟ قال : أرهنكَ قوسي ! فلما جاءَ بها ضحك مَن حوله ، فقال الملك : ما كان ليُسلِمها ، اقبضوها منه .. ثم جاءت مُضر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت حاجب فدعا لهم ، فخرج أصحابه إلى بلادهم ، وارتحل عُطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال: ما أنت بالذي وضعتها . قال : أجل إنه هلك وأنا ابنه وفيّ للملك . قال: ردُّوا عليه. وكساه حُلّة. فلما وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها ؛ فباعها من يهوديّ بأربعة آلاف درهم . فصار ذلك فخراً ومنقبَة لحاجب وعشيرته . فيقول أبو تمّام : إذا افتخرتْ تميم بذلك ، فأنتم قتلتم الذين كسبوهم هذا المجدَ مما ارتهنوه وهدمتم عزَّهم . وإنما يعني وقعة ذي قارٍ حين

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٢١/١ : " كذا في ش ، وعليها أثر تصحيح الشنقيطي . وفي الطبعة الأولى - بولاق - فزارة " .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٣٢١/١ : " في الطبعة الأولى وش : " سأداويه " والتصحيح للأستاذ الميمني عن النقائض . وقال : وقوس حاجب مثلٌ في العزّ . راجع خبر رهنها في النقائض ٤٦٢ ؛ والمعارف ٢٩٥ ؛ والروض ٣٣٤/٢ ؛ وثمار القلوب ٥٠١ والتلقيح ص٣٨٠ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من الإصابة ٢٤٥/٤ .

قتلت بنو شيبان العجمَ ونكّلوا فيهم [١] وكان رئيسهم سيّار بن حنظلة العِجلي . وأبو دلف عجليٌّ ، فلذلك خاطبه بهذا»ا.هـ.

وقد لمّح بعضهم إلى قوس « حاجب » بقوله في مليح قَلَندريّ [٢] قد حلق حاجبه، فقال : (الطويل)

حَبيْبي ، بحقِّ الله قُلْ ليَ ما الذي دَعَاكَ إلى هَذا ؟ فَقَالَ مجاوبي:
وَعدتُ بِوَصْلِ العاشقينَ تَعَطُّفاً فَلَم يَثِقُوا واسْترهنوا قَوسَ حَاجِبي [٣]

ولما أنشد أبو تمام أبا دلف هذه القصيدة استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال : والله ، إنها لَدون شعرك . ثم قال له : والله ما مثلُ هذا القول في الحُسن إلاّ ما رثيتَ به محمد بن حُميد الطوسيّ . فقال : وأيَّ ذلك أراد الأمير ؟ قال : الرائيّة التي أولها : (الطويل)

كَذا فليَجلَّ الخطبُ وليْفدَحِ الأمْرُ وَلَيسَ لِعَينٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُها عُذْرُ

وَدِدْتُ والله أنها لك فيَّ قال : بل أفدي الأمير بنفسي وأكون المقدَّم قبله . فقال: إنه لم يمتْ من رُثي بهذا الشعر .

و« **أبو تمام** » الطائي هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ بن يحيى ابن مروان بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عديّ بن عمرو بن الغوث [٤] بن طيئ .

وُلد في « جاسم » بالجيم والسين المهملة ، وهي قرية من قرى الجَيدُور بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية ، وهو إقليم من دمشق ، في آخر خلافة الرشيد سنة تسعين ومائة ، وقيل غير ذلك . ونشأ بمصر واشتغل إلى أن صار أوحدَ عصره . كان

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " ونكوا فيهم " . وهو تصحيف صوابه من طبعة هارون ٣٥٦/١ .

(٢) القلندرية : طائفة من الصوفية كانوا يحلقون لحاهم وحواجبهم وشواربهم ، ويتزينون بزي الأعاجم والمجوس .

(٣) في الشنقيطية وطبعة هارون : " بوصلي " . وفي السلفية : " بوصل " .

(٤) في طبعة بولاق : " يغوث " . وهو تصحيف . والتصحيح من طبعة هارون نقلاً عن الشنقيطية ؛ والوفيات ١٢١/١ في نسب أبي تمام .

وفي حاشية الطبعة السلفية ٣٢٢/١ ، يقول الميمني : " ... ومحال أن يلحق طيئاً بثلاثة عشر أباً .وعند السمعاني ٣٦٥ ، سبعة عشر أباً مصحّفاً " .

يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد . وله « كتاب الحماسة» الذي دل على غزارة علمه وكمال فضله وإتقان معرفته ، بحسن اختياره . وهو في جمعه للحماسة أشعر منه في شعره . وله كتاب « مختار أشعار القبائل » ، وهو دونَ الحماسة ؛ وكلاهما عندي .

ومات سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين ؛ وقيل غير هذا .

وكان شعره غير مرتب ؛ فرتبه الصُّوليّ على الحروف ، ثم رتبه عليّ بن حمزة الأصفهاني [(١)] على أنواع الشعر . وترجمته طويلة تركناها لشهرتها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون ، وهو من شواهد **س** [(٢)]:

(الكامل)

٥٥- وَلَقَدْ أمُرُّ عَلَى اللَّئِيْمِ يَسُبُّني فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِيْنِي

على أن التعريف غير مقصود قصده ؛ فإن تعريف « أل » الجنسية لفظي لا يفيد التعيين وإن كان في اللفظ معرفة .

وقد أورد الشارح هذا البيتَ في الحال ، والإضافة، والنعت ، والموصوف، والمعرف بأل أيضاً . وجملة « يسبّني » وصف اللئيم في المعنى ، وحال منه باعتبار اللفظ ؛ والأوّل أظهر للمقصود ، وهو التمدح بالوقار والتحمّل ، لأن المعنى : أمرُّ

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٢٣/١ ، يقول الميمي : " غلط ، صوابه أن علي بن حمزة بصري ، وحمزة بن الحسن أصفهاني " .

(٢) هو الإنشاد الأربعون بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيت لرجل من سلول في الدرر ٧٨/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٨٧/٢ ؛ وشرح التصريح ١١/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٣١٠/١ ، والكتاب ٢٤/٣ ؛ والمقاصد النحوية ٥٨/٤ ؛ ولشمر بن عمرو الحنفي في الأصمعيات ص ١٢٦ ؛ ولعميرة بن جابر الحنفي في حماسة البحتري ص ١٧١ . وهو بلا نسبة في الأزهية ص ٢٦٣؛ والأشباه والنظائر ٩٠/٣ ؛ والأضداد ص ١٣٢ ؛ وأمالي ابن الحاجب ص ٦٣١ ؛ وأوضح المسالك ٢٠٦/٣؛ وجواهر الأدب ص ٣٠٧ ؛ والخصائص ٣٣٨/٢ ، ٣٣٠/٣ ؛ والدرر ١٥٤/٦ ؛ وشرح شواهد الايضاح ص ٢٢١؛وشرح شواهد المغني ٨٤١/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص ٤٧٥ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٩؛ ولسان العرب (ثمم ، في) ومغني اللبيب ١٠٢/١ ، ٤٢٩/٢ ،٦٤٥ ؛ وهمع الهوامع ٩/١ ، ١٤٠/٢ .

على اللئيم الذي عادتهُ سبّي . ولا شك أنه لم يرد كل لئيم ، ولا لئيماً معيَّناً . والواو للقسم ، و« لقد أمر » جوابه ، والمقسم به محذوف ، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية - كما في الخصائص لابن جنّي - أو للاستمرار التجدّدي . و« مضَيت » معطوف على أمرّ ، بمعنى أمضي ؛ وعبر به للدلالة على تحقق إعراضه عنه . وقوله : « ثُمت » هي ثُمّ العاطفة ؛ وإذا كانت مع التاء اختصَّت بعطف الجمل . وقوله « لا يعنيني » أي : لا يهمني ، أو بمعنى لا يقصدني . وروى بدل هذا المصراع : « وأعفُّ ثم أقول ما يعنيني » يقال : عفَّ عن الشيء من باب ضرب، عِفّةً وعفافاً : امتنع .

وهذا البيت أول بيتين لرجل من بني سَلول . ثانيهما :

غَضبانَ مُمتلِئاً عَلَيَّ إهَابُهُ إنِّي وَحَقِّكِ سُخْطُهُ يُرضِيْنِي

و« غضبانَ » بالنصب : حال من اللئيم ، أو بالرفع : خبر مبْتدأ محذوف . و«ممتلئاً » : حال سببية من ضمير غضبان . و« إهابه » : فاعل ممتلئاً ؛ وهو في الأصل الجلد الذي لم يُدبَغ ، وقد استعير هنا لجلد الإنسان . و« السُّخط » بالضم : اسم مصدر ، والمصدر بفتحتين بمعنى الغضب ؛ والفعل من باب تعب .

وروى الأصمعي بيتين في هذا المعنى ، وهما[١] : (السريع)

لا يَغْضَبُ الحُرُّ عَلَى سِفْلَةٍ والحُرُّ لا يُغضِبهُ النَّذْلُ
إذا لَئِيْمٌ سَبَّنِي جُهْدَه أقُولُ زِدْنِي فَلِيَ الفَضْلُ

وأنشد سيبويه البيت الشاهد[٢] ، على أن « أمرّ » قد وضع موضع مررت ؛ وجاز أمرّ في معنى مررت ، لأنه لم يرد ماضياً منقطعاً ، وإنما أراد أن هذا أمره ودأبه ، فجعله كالفعل الدائم . وقيل : معنى « ولقد أمر » : ربما أمرّ ، فالفعل على هذا في موضعه.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون ، وهو من شواهد **س**[٣]: (الرجز)

---

(١) البيتان في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٢٨٩ ، عن الأصمعي .

(٢) المقطع بحرفيته في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٢٨٨ .

(٣) هو الإنشاد الواحد والثلاثون بعد الثلاثمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

=

٥٦- قَدْ أصْبَحَتْ أمُّ الخِيارِ تَدَّعِي
عَلَيَّ ذَنباً كُلُّهُ لَمْ أصْنَعِ

على أنّ الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر يجوز حذفه قياساً عند الفرّاء إذا كان منصوباً مفعولاً به ، والمبتدأ : لفظ « كلّ » . نقل الصفّار أنّه مذهب الكسائي أيضاً. وقد نقل ابن مالك في « التسهيل » الإجماعَ على جواز ذلك ؛ وزاد على «كلّ» ما أشبهها في العموم والافتقار : من موصول وغيره ، نحو : أيُّهُم يسألني أُعطي ، ونحو: رجلٌ يدعو إلى الخير أجيبُ ، أي : أعطيه وأجيبه . وقال شرّاح كلامه: لم نر هذا الإجماع ، بل منعه البصريون . وأما نقله في شبه « كل » فقد قال أبو حيان : لا أعلم له سلفاً في ذلك .

أقول : الصحيح جوازه بقلّة ، لوروده في المتواتر ، قرأ ابن عامر في سورة الحديد فقط[1] : « وكلٌّ وعَدَ اللهُ الحُسنَى » ، وأمّا في سورة النساء فقد قرأ مثلَ الجماعة بالنصب .

وقال ابنُ جنّي في « المحتسب » : « لحذف هذا الضمير وجهٌ من القياس ، وهو تشبيه عائد الخبر بعائد الحال أو الصفة ؛ وهو إلى الحال أقرب ؛ لأنها ضرب من الخبر؛ وهو في الصفة أمثَل بشبه الصفة بالصلة . وفي حذفه من لم أصنع ما يقوم مقامه ويخلفه ، لأنه يعاقبه ولا يجتمع معه ، وهو حرف الإطلاق أعني الياء في أصنعي ؛ فلما حضر ما يعاقب الهاء صارت لذلك كأنها حاضرة » ا.هـ .

ومفهوم قول الفرّاء أن المبتدأ ، إذا لم يكن كلا يمتنع حذف العائد . والصحيح فيه أيضاً الجواز بقلّة في الكلام والشعر ، أما الأول فقد قرأ يحيى وإبراهيم والسُّلميّ في الشواذّ : « أفحُكْمُ الجاهِلِيَّةِ يَبغون » بالمثناة التحتية . وأما الثاني فكثير ، منه قول الشاعر :

= الرجز لأبي النجم في الأغاني ١٥٩/١٠ ؛ وتاج العروس (خير) ؛ وتخليص الشواهد ص٢٨١ ؛ والدرر ١٣/٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٤/١ ، ٤٤١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢٤٠/٤ ؛ وشرح شواهد المغني ٥٤٤/٢ ؛ وشرح المفصل ٩٠/٦ ؛ والكتاب ٨٥/١ ؛ والمحتسب ٢١١/١ ؛ ومعاهد التنصيص ١٤٧/١ ؛ ومغني اللبيب ٢٠١/١ ؛ والمقاصد النحوية ٢٢٤/٤ . وهو بلا نسبة في شرح المفصل ٣٠/٢ ؛ والكتاب ١٢٧/١ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ؛ والمقتضب ٢٥٢/٤ ؛ وهمع الهوامع ٩٧/١ .

(١) سورة الحديد : ١٠/٥٧ .

* فخالدٌ يحمَدُ ساداتُنا *

أي : يحمده ساداتنا .

واعلم أن الشارح المحقق أورد هذا الشاهد في باب الاشتغال أيضاً وقال : «يروى برفع كل ونصبه » . وكذلك رواهما سيبويه . وقد أنكر عليه المبرّد رواية الرفع وقال: الذي رواه الجرمي وغيره من الرواة النصب فقط ، ومنع هذه المسألة نظماً ونثراً.

قال ابن ولّاد : **س** أيضاً رواه بالنصب ، وقال : إن النصب أكثر وأعرف ، فأغنَى هذا عن الاحتجاج عليه بقول الجَرميّ ، ألا ترى قوله إن الرفع ضعيف وهو بمنزلته في غير الشعر لأن النصب لا يكسر ، ولا يخل به ترك إضمار الهاء ، كأنه قال كله غير مصنوع . وقد روى أهل الكوفة والبصرة هذه الشواهد رفعاً كما رواها **س** ا.هـ .

وظاهر كلام **س** أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه فسحة . وتقدم الكلام عليها في أول شاهد من هذه الشواهد .

وزعم تقيّ الدين السبكيّ في رسالة « كلّ » وفي تفسيره : أن رواية النصب تساوي رواية الرفع في المعنى ؛ وذلك أنه قال : « لا فرق بين الرفع والنصب في قول **س** : إن المعنى : كلّه غير مصنوع . وهذا يقتضي أن النصب أيضاً يفيد العموم ، وأنه لم يصنع شيئاً منه ، لِما تقرّر من دلالة العموم . وقد تأمّلتُ ذلك فوجدتُ قول **س** أصحَّ من قول البيانيين ، وأن المعنى حضره وغاب عنهم ؛ لأنه ابتدأ في اللفظ بكلّ ومعناها كلّ فردٍ ، فكان عاملها المتأخر في معنى الخبر ، لأن السامع إذا سمع المفعول تشوّف إلى عامله كما يتشوَّف سامع المبتدأ إلى الخبر ، وبه يتم الكلام ؛ فكان كله لم أصنع مرفوعاً ومنصوباً سواءً في المعنى ، وإن اختلفا في الإعراب . ويبعد كل البعد أن يُحمل كلام سيبويه على أن كله لم أصنع بالرفع والنصب معناه عدم صنع المجموع فيكون قد صنع بعضه؛ لأنَّ معنى الحديث على خلافه في قوله : كل ذلك لم يكن » . إلى آخر ما ذكره .

ونقل الدماميني بعض هذا الكلام في الحاشية الهندية وقال : وكأن ابن هشام لم يقف على كلام **س** فنقل تساويَ المعنى في الرفع والنصب عن الشّلوبين وابن مالك ؛ ولو وقف على كلام سيبويه لم ينقل عنهما .

وقد نقل الشيخ بهاء الدين كلام سيبويه في عروس الأفراح وبيّنه، تابعاً لوالده السبكي.

ورواية الرفع عند علماء البيان هي الجيدة، فإنها تفيد عموم السلب، ورواية النصب ساقطةٌ عن الاعتبار بل لا تصحّ، فإنها تفيد سلبَ العموم، وهو خلاف المقصود. وما ذكره السبكيّ لم يعرجوا عليه؛ وهو مفصل في التلخيص وشروحه.

ورأيت للفاضل اليمني على هذا البيت كلاماً أحببتُ إيراده، وهو قوله: « معنى هذا البيت أنّ هذه المرأة أصبحتْ تدّعي عليّ ذنباً، وهو الشيب والصلع والعجزْ وغير ذلك من موجبات الشيخوخة. ولم يقلِ ذنوباً بل قال ذنباً، لأن المراد كِبر السن المشتمل على كلّ عيب، ولم أصنع شيئاً من ذلك الذنب. ولم ينصب كلّه، لأنه لو نصبه مع تقدُّمه على ناصبه لأفاد تخصيصَ النفي بالكلّ ويعود دليلاً على أنه فعل بعضَ ذلك الذنب؛ ومراده تنزيه نفسه عن كلِّ جزء منه، فلذلك رفعه إيذاناً منه بأنه لم يصنع شيئاً منه قط، بل كلُّه بجميع أجزائه غير مصنوع ».

ثم قال: « ولقائل أن يقول: لما كان الضمير في كله عائداً إلى « ذنباً » وهو نكرة، والنكرة لواحد غير معيّن، لابد أن يكون المضمر هو ذلك الذنب الذي ليس بمعيّن فقط لإعادة الضمير به، فلا يكون نفيه نفياً لجميع الذنوب، فلا يلزم ما ذكره من تنزيه نفسه من جملة الذنوب. لا يقال إن الضمير لما كان عبارةً عن النكرة المذكورة، ودخولُ النفي عليها يقتضي العمومَ، فدخول النفي عليه أيضاً يقتضي ذلك؛ لأنا نقول: إن الفرق ظاهر بين قولنا: لم أصنع ذنباً، وبين قولنا: لم أصنع ذلك الذنب المذكور الذي ليس بمعيّن، في اقتضاء الأول العمومَ دون الثاني » ا.هـ.

وقوله: « ولقائل أن يقول إلخ » فيه أنه قال أولاً: إن ذنب الشيخوخة يستلزم ثبوته جميعَ الذنوب. وحينئذ نفيُه يستلزم نفيَ جميع الذنوب. وقوله: « والنكرة لواحد غير معيّن » فيه أنه حَمل الذنْبَ سابقاً على كبر السن المشتمل على كلّ عيب. فالمراد به معيّن، وأفاد أن كُلاًّ حينئذ لاستغراق أجزاء هذا الذنب المعيّن، فإنْ رفع كلَّ أفاد استغراق جميع أجزاء ذلك الذنب، وإن نصب كلّ أفاد سلب العموم لجميع الأجزاء واقتضى ثبوت بعض الأجزاء. فهذا البحث غير وارد. فتأمل.

وبهذا يسقط قوله بعد هذا: « ثم نقول: فتكون القضية حينئذ شخصية؛ والتقدير: كل ذلك الذنب غير مصنوع لي. وإنما يكون ذلك إذا كان هنالك ذنب

ذو أجزاء يمكن الاتصاف ببعضه دون بعض . وعلى هذا إما أن يكون المراد بالكلّ الكلّ المجموعي وهو الغالب الظاهر من دخوله في الشخصيات ، فلا تفاوت في تقدم السلب عليه وتقديمه على السلب في عدم اقتضاء شمول النفي جميع الأجزاء ؛ أو يكون المراد كل واحد من الأجزاء كما يستعمل في الكليّ باعتبار الجزئيَّات فقد يظهر الفرق بينهما ؛ فإنك إن رفعت كلاًّ لزم عموم النفي لجميع الأجزاء وإن نصبتها لا يلزم ، مع أن الاستعمال على هذا الوجه في الشخصيّ قليل ، فإنه لا يلزم صدق ما ذكره من تبرئة نفسه من جملة أجزاء ذلك الذنب الواحد » ا.هـ .

وقال ابن خلف : قوله « كلّه لم أصنع » يحتمل أمرين : أحدهما أنه أراد أنه لم يصنع جميعها ولا شيئاً منها ، والوجه الآخر : أنه صنع بعضها و لم يصنع جميعها ، كما تقول لِمن يدَّعى عليك أشياء لم تفعل جميعها : ما فعلتُ جميعَ ما ذكرتَ ، بل فعلتُ بعضها ا.هـ .

أقول : احتماله لوجهين غير صحيح ؛ فإنّ كُلاًّ منهما مدلولُ روايةٍ يُعلَم وجهها مما تقدم . وقوله : أراد بقوله ذنْباً ذنوباً لكنه استعمل الواحد في موضع الجمع ؛ ليس كذلك ، كما علم من كلام الفاضل اليمني .

وهذا البيت مطلع أرْجوزة لأبي النَّجْم العِجْليّ .

وبعده : (الرجز)

مِنْ أنْ رَأَتْ رأسِي كَرأسِ الأصْلَعِ ... مَيّزَ عنهُ قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ
جَذبُ الليالي : أبطِئِي أو أسْرِعِي ... قَرناً أشِيْبيْهِ وَقَرناً فانْزَعِي
أفْناهُ قِيلُ الله للشَّمسِ : اطلُعِي! ... حتَّى إذا وارَاكِ أُفُقٌ فَارْجِعِي
حتَّى بَدا بَعْدَ السُّخَامِ الأفْرَعِ ... يَمْشِي كمَشْيِ الأهْدأِ المُكَنَّعِ
يا ابنَةَ عمَّا ، لا تلُومِي واهْجَعِي ... لا يخرقُ اللَّومُ حِجَابَ مَسْمَعِي
ألَمْ يكُنْ يَبْيَضُّ إنْ لَمْ يَصْلَعِ ... إنْ لَمْ يُصِبْنِي قَبلَ ذاكِ مَصْرَعِي
أفْنَاهُ ما أفْنَى إيَاداً فارْبَعِي ... وَقَومَ عَادٍ قَبْلَهُمْ وتُبَّعِ
لا تُسْمِعِيْنِي مِنْكِ لَوماً واسْمَعِي ... أيْهاتَ أيهَاتَ فَلا تطَلَّعِي
هِيَ المَقادِيْرُ ، فَلُومِي أوْ دَعِي ... لا تَطْمَعِي في فرقَتِي لا تَطْمَعِي[1]

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٢٩/١ : " في الطبعة الأولى (فرقع لاتطمعي) والتصحيح من ش مع أثر تصحيح بخط العلامة الشنقيطي " .

ولا تَرُوعِينـي(١) لا تـروِّعِـي ... واسْتشْعِري اليأسَ ولا تَفْجَّعِـي
فَـذاكِ خَيْـرٌ لكِ مِنْ أنْ تـجزَعِـي ... فتُحبَسـي وتُشْـتَمـي وتُوجَعِـي

و« أمّ الخيار » هي زوجة أبي النجم . وقوله : «من أن رأت إلخ» ، مِن تعليلية ؛ وزعم القُونَويّ في شرح تلخيص المفتاح أنها بيانية ، ثـم قـال : « فـإن قلـتَ : كيـف يبين الذنب برؤية أم الخيار ، فإن الرؤية قائمة بها والذنب قائم به ؟ قلت: أراد المرئـيّ وأطلق عليه الرؤية للملابسة » . انتهى .

و« الأصلع » : هو الذي لم يكن شعر على رأسه؛ وصَلِع الرأس صلَعاً مـن بـاب تعب ؛ والصَّلَع يحدث للمشـايخ إذا طعنـوا في السـن، قـال ابـن سـينا : « ولا يحـدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهنّ ، ولا للخُصيان لقرب أمزجتهم من أمزجـة النسـاء » . و« التمييز » : العزل، وفصْل شيء من شـيء ، والتشـديد للكـثرة ، فإنـه يقـال مـازه مَيْزاً؛ ويكون في المشتبهات . وضمير عنه للرأس . و« القنزع » : كقنفـذ ، والقُنزعـة بضم الزاي وفتحها ؛ وهي الشعر حوالي الرأس ، والخُصلة من الشعر تـترك علـى رأس الصبي ، أو هي ما ارتفع من الشعر وطال .

وأما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن القَنازع فهي أن يُؤخذ الشعر ويترك منه مواضع ، كذا في « القاموس» وجعل النون أصلية . وعن بمعنى بعد . وجذب الليالي: فاعل ميّز ، قال في «الصحاح» : جذبَ الشهر : مضى عامَّتـه . وقولـه : «أبطئـي أو أسرعي» : حال من الليالي على تقدير القول أو كون الأمر بمعنى الخبر ، وصحَّت من المضاف إليه لأن المضاف عامل فيهما ، وقيل : صفة الليالي . ويجوز أن يكون منقطعاً، أي : اصنعي أيتها الليالي فلا أبالي بعد هذا .

وقال القُونَويّ : « وقد يجوز أن يكون استئنافاً ، أمراً لأم الخيار ، على معنـى أنّ حالي ما قررت لك فعند ذلك أبطئي أو أسرعي في قبول العذر فيه ، فلا محيص لي عن ذلك . وهذا بديع » . انتهى .

وهذه غفلة عما بعده وهو : قَرناً أشِـيبيه إلخ ، فإنـه خطـاب لليـالي . و«القَـرن» بفتح القاف: الخُصلة من الشعر ، ونصبه من باب الاشتغال ، والقرن الثاني مفعول لمـا بعده. و«أشيبيه» فعل أمر والياء ضمير الليالي ، يقـال : أشـاب الحـزن رأسـه وبرأسـه بمعنى شيّبه. وقوله : و« انزعي» : من النَّزَع بفتحتين وهو انحسـار الشـعر عـن جـانبي

(١) في حاشية الطبعة السلفية : " كذا في ش . وفي الطبعة الأولى تروعين " .

الجبهة [(١)] من الرأس ، وهو أنزع ، وذلك الموضع النَّزَعة محركة . وقوله : أفناه ، قيل الضمير لجَذْب، وقيل لشعر رأسه ، وقيل لأبي النجم ، وهو المناسب لما بعده . وقيلُ الله : أمرُه ، وهو فاعل أفناه ، وهذا يدلُّ على أن الشاعر لا يريد أن المميَّز هو جذب الليالي الذي هو ظاهر كلامه ، بل يريد أن المميّز قول الله وأمره . وقوله : حتّى بدا ، فاعله المستتر ضمير أبي النجم . و« السُّخام» بضم السين والخاء المعجمة : اللين ، يقال ثوبٌ سُخام : إذا كان ليِّن المس مثل الخزّ . وريشٌ سُخام : أي : ليِّن رقيق . و«الأفرع» بالفاء، هو التامّ الشعر، قال في « الصحاح » [(٢)] : ولا يقال للرجل إذا كان عظيم اللّحية أو الجُمّة أفرع وإنما يقال رجل أفرع بضدّ الأصلع » . والأهدأ مهموز كجعفر: الأحدب . و« التكنّع » : التقبض ، كنِع كفرح : يَبِس وتشنج ، وشيخٌ كنع ككتف : شَنِج . وكَنَع كمنع كُنوعاً : انقبض وانضم . يقول : يمشي أبو النجم بعد الشباب كما يمشي الأحدب المتقبض الكزّ من الكبر .

وقوله : يا ابنة عمّا إلخ ، استشهد به شراح الألفية على أن أصله : يا ابنة عمّي ، فأبدلت الياء ألفاً . وفاعل يبيض ضمير الرأس . وإياد بالكسر : حيّ من مَعدّ . وقوله: فاربعي ، في «الصحاح» « ربع الرجل يربع بفتحهما : إذا وقف وتحبّس ، ومنه قولهم اربَع على نفسك ، أي : ارفق بنفسك وكُفّ » . و«أيهاتَ أيهاتَ» : لغة في هيهات. و«تَطلّعي» بفتح التاء وتشديد اللام وأصله تتطلعي بتاءين : من التطلّع للشيء. وقوله: «واستشعري» ، يقال : استشعرَ خوفاً ، أي : أضمره . و«اليأس» : ضدُّ الرجاء .

وترجمة أبي النجم تقدمت في الشاهد السابع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون ، وهو من شواهد **س** [(٣)]: (الوافر)

٥٧- ثَلاثٌ كُلّهُنَّ قَتَلْتُ عَمْداً
فَأخْزَى الله رَابِعَةً تَعُودُ

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١/٣٣٠ : " في الطبعة الأولى " الجهة " . والتصحيح من ش " .

(٢) عن ابن دريد .

(٣) البيت بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٢٨١ ؛ وتذكرة النحاة ص٦٤١ ؛ والكتاب ١/٨٦ .

لما تقدم في البيت قبله : وهو أنه حذف عائد المبتدأ الذي هو « كلّهن » من جملة الخبر حذفاً قياسياً عند الفرّاء . قال الأعلم : « استشهد به س على رفع كلّ مع حذف الضمير من الفعل ، وجعله مثل زيدٌ ضربت ؛ ولو نصب وقال [1] : كلّه لم أصنع ، وكلّهنَّ قتلت ، لأجراه على ما ينبغي و لم يحتج إلى الرفع مع حذف الضمير . والقول عندي : أنّ الرفع هنا أقوى من زيد ضربت ، لأن « كلاّ » لا يحسن حملها على الفعل ؛ لأنّ أصلها أن تأتي تابعة للاسم مؤكّدة ، كقولك : ضربت القوم كلهم، أو مبتدأة بعد كلام نحو : القوم كلهم ذاهب . فإن قلتَ : ضربتُ كلَّ القوم ، وبنيتها على الفعل لخرجت عن الأصل . فينبغي أن يكون الرفع أقوى من النصب وتكون الضرورة حذف الهاء لا رفعَ كلّ [2] » انتهى .

وتبعه في هذا ابنُ الحاجب في « شرح المفصّل » ونقله عنه السعد في المطوّل . ونقل ابن الأنباريّ في « الإنصاف » [3] أن هذا البيت مما استدل به الكوفيون على جواز تأكيد النكرة ، قال : « ولا حجة لهم فيه ، لأنه محمول على أنه بدل لا تأكيد . ويجوز أن يكون أيضاً ثلاث مبتدأ ، وكلهنّ مبتدأ ثان ، وقتلت خبر كلهنّ ، وهما جميعاً خبر ثلاث » انتهى .

وقال أبو جعفر النحاس : « ولا يُنشد ثلاثاً بنصبه بقتلت ؛ لأن قوله : كلهنّ قتلت ، جملة في موضع نعت لثلاث . ومن رفع قدَّره : لي ثلاث ، ويكون كلهنّ قتلت نعتاً . وإنّما لم يجز أن يُروى ثلاثاً لئلا يتقدم النعت على المنعوت » انتهى .

أقول : مَن رفع وجعل الجملة بعده نعتاً قدّر لي ونحوه خبراً للمبتدأ . وقوله «وإنما لم يجز أن يروى ثلاثاً .. إلخ » مراده : أنه إذا نصب ثلاث بقتلت كان ثلاثاً منعوتاً بجملة « كلهنّ قتلت » ، فيكون قتلت من أجزاء النعت لثلاثاً ، لأنَّه بعض الجملة المنعوت بها ، ومع كونه من أجزاء النعت هو عامل في المنعوت المتقدم ؛ فيكون المنعوت متأخراً في الرتبة ، فيلزم تقديم النعت على المنعوت من حيثُ الرتبة . وهذا

---

(١) في طبعة بولاق : " وقيل " . وهو تصحيف .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٣٣١/١ : " لم يذكر الأعلم الشنتمري هذا الكلام عند تفسير هذا الشاهد ، وإنما ذكر مثله عند تفسير شاهد يماثله ، وهو :

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... علي ذنباً كله لم أصنع "

(٣) في حاشية طبعة هارون ٣٦٧/١ : " لم أجد هذا الشاهد في كتاب الإنصاف على كثرة التنقيب فيه ، فلعل نسخة البغدادي أتم من النسخ المطبوعة " . وبدورنا لم نجد هذا الشاهد في الكتاب المذكور .

كلامٌ مخالف للقواعد لا ينبغي تسطيره من مثله .

ونقل ابن خلف عن أبي عليّ : أن ثلاث مبتدأ ، وكلهنّ قتلت خبر ، كأنه في تقدير : زيد أخاه ضربته . وفيه نظر ؛ فإن الشاهد ليس من باب الاشتغال لعدم الضمير . فتأمَّل .

واعلمْ أن الضمير المحذوف من الشاهد تقديره « قتلتها » لأن كُلاًّ المضافة إلى المعرفة يكون عائدها مفرداً ، قال تعالى[1] : « وكُلُّهُمْ آتيهِ » ، وفي الحديث : «كلكم جائعٌ إلاّ مَن أطعَمتهُ » ، وقال الشاعر [2] : (الطويل)

وكُلّهُمْ قَدْ نَالَ شِبْعاً لبَطْنِهِ وَشِبْعُ الفَتَى لُؤْمٌ إذا جَاعَ صَاحِبُهُ

وقال آخر [3] :(الوافر)

وكُلُّ القَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَأنَّ عَلَيَّ للحُبْشَانِ دَيْنَا

قال أبو حيان : ولا يكاد يوجد في لسان العرب كلهم يقومون ، ولا كلهنّ قائمات ؛ وإن كان موجوداً في تمثيل كثير من النحاة . قال السُّبكي ، في رسالة كلّ : « وقد طلبته فلم أجدْه . وجوَّز ابن مالك وغيرُه أن يُحمل على المعنى فيجمع ، وجعلوا منه : أنتم كلّكم بينكم دِرهم ، قالوا : يجوز كلكم بينه درهم على اللفظ ، وبينكم على المعنى ، وإنْ جعل كلّكم توكيداً جوَّز بعضهم [أيضاً [4]] أن يقول بينه، والمشهور بينكم » انتهى .

وقدَّر الضمير هنا بعضهم « قتلتهنّ »، وكأنه بناه على مذهب ابن مالك . وقدره ابن خلف نقلا عن بعضهم : « قتلته » أو « قتلتهم » . و لا أعرف وجهه .

وقوله : « فأخزى الله » هذه جملة دعائية ، يقال : خزي الرجل خِزيا ، من باب علم : ذلَّ و هان ؛ وأخزاه الله : أذله وأهانه . و « تعود » من العَود وهو

(١) سورة مريم : ٩٥/١٩ .

(٢) البيت لبشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة في تاج العروس (شبع) ؛ والحماسة بشرح المرزوقي ٢٦٥ ؛ وبشرح التبريزي ١٤١/١ ؛ وبرواية الجواليقي ص٨٣ ؛ ولسان العرب (شبع) ؛ والمستقصى ٣٧٥/٢ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٤٤٧/١ ؛ وجمهرة اللغة ص٣٤٣ ؛ وكتاب العين ٢٦٥/١ .

(٣) البيت لنفيل بن حبيب في السيرة النبوية ٥٣/١ ؛ والروض الآنف ٤٦/١ .

(٤) زيادة من طبعتي السلفية وهارون نقلاً عن الشنقيطية .

الرجوع ، قال صاحب «المصباح» : « عاد إلى كذا وعاد له أيضاً عودا وعودة : صار إليه » ، فالصّلة هنا محذوفة أي : تعود إليّ . قال ابن خلف : «يجوز أن يريد بالثلاث ثلاثَ نسوة تزوَّجهنَّ ، ويجوز أن يريد ثلاث نسوة هوينه فقتلهنَّ هواه ؛ أو يعني غير ذلك مما يحتمله المعنى ؛ وجعل مجيء الرابعة عَوداً- وإن لم تكن جاءت قبل - لأنه جعل فعل صواحبها الماضيات كأنه فِعلُها» . انتهى .

وقال شارح أبيات الموشّح [١] : ويروى : « تقود » من القَوَد ، وهو القصاص.

وهذا البيت - وإن كان من شواهد س - لا يُعرف ما قبله ولا ما بعده ولا قائله، فإن سيبويه إذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمه . وأما الأبيات المنسوبة في كتابه إلى قائليها فالنسبة حادثة بعده ، اعتنى بنسبتها أبو عُمَر الجَرمي . قال الجرمي [٢] : «نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً ، فأما ألف فعرفتُ أسماء قائليها فأثبتُّها ؛ وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائليها » .

وإنما امتنع سيبويه من تسمية الشعراء لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعضُ الشعر يروى لشاعرين وبعضه منحول لا يعرف قائله ، لأنه قدُم العهد به ؛ وفي كتابه شيء مما يروى لشاعرين ؛ فاعتمد على شيوخه ونسَبَ الإنشاد إليهم ، فيقول : أنشدنا ، يعني الخليل ، ويقول : أنشدنا يونس ؛ وكذلك يفعل فيما يحكيه عن أبي الخطاب وغيره ممن أخذ عنه . وربما قال : « أنشدني أعرابي فصيح » . وزعم بعض الذين ينظرون في الشعر أن في كتابه أبياتاً لا تعرف ، فيقال له : لسنا ننكر أن تكون أنت لا تعرفها ولا أهل زمانك [٣] وقد خرج كتاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير ، والعناية بالعلم وتهذيبه أكيدة ، ونُظر فيه وفتش ؛ فما طعن أحد من المتقدمين [عليه [٤]] ولا ادَّعى أنه أتى بشعر منكر . وقد روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة معرفة جميع ما فيها ولا ردُّوا حرفاً منها [٥].

---

(١) الموشح للخبيصي ، وهو شرح له على كافية ابن الحاجب .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٣٣٤/١ : " في الطبعة الأولى أبو عمرو الجرمي وأصلحها الشنقيطي وصححها الأستاذ الميمني اعتماداً على النزهة للأنباري ص٢٠٦ " .

(٣) العبارة التالية ، سبقت للبغدادي في مقدمته .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) في الشنقيطية : " ولا رووا حرفاً منها " . وفي طبعتي بولاق وهارون " ولا ردّوا حرفاً .." وهي في المقدمة أيضاً.

قال أبو إسحاق : إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة . قال أبو جعفر النحاس : وحدثنا علي بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد : أن المفتّشين من أهل العربية ومن له المعرفة باللغة تتبَّعوا على سيبويه الأمثلة ، فلم يجدوه ترك من كلام العرب إلا ثلاثة أمثلة : منها الهُنْدلِع وهي بقلة ، والدُّرْداقِس وهو عظم في القفا ، وشَنَمْصير وهو اسم أرض .

وقد فسّر الأصمعي حروفاً من اللغة التي في كتابه ، وفسر الجَرمي الأبنية ، وفسّرها أبو حاتم وأحمد بن يحيى . وكلٌّ واحد منهم يقول ما عنده فيما يعلمه، ويقف عما لا علم له به ، ولا يطعن على ما لا يعرفه ، ويعترف لسيبويه في اللغة بالثقة وأنه علم ما لم يعلموا ، وروى ما لم يرووا .

قال أبو جعفر [1] : لم يزل أهل العربية يفضلون كتاب سيبويه ، حتى لقد قال محمد بن يزيد : لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ، وذلك : أن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها ، وكتاب سيبويه لا يحتاج مِنْ فهمه إلى غيره . وقال أبو جعفر : سمعت أبا بكر بن شقير يقول : حدثني أبو جعفر الطبري[2] قال : سمعت الجرمي يقول هذا ! وأومأ بيديه إلى أذنيه ؛ وذلك أن أبا عُمر الجرميّ كان صاحب حديث ، فلما علم كتاب سيبويه تفقّه في الحديث إذْ كان كتاب سيبويه يُتعلّم منه النظر والتفتيش [3] . قال أبو جعفر : وقد حكى بعض النحويين أن الكسائي قرأ على الأخفش كتابَ سيبويه ودفع إليه مائتي دينار . وحكى أحمد بن جعفر [4] : أنَّ كتاب سيبويه وجد بعضُه تحت وسادة الفرَّاء التي كان يجلس عليها . وكان المبرِّد يقول – إذا أرادِ مُريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه – : هل ركبتَ البحر ؟ تعظيماً لما فيه ، واستصعاباً لألفاظه ومعانيه .

وقال المازني : مَن أراد أن يعملَ كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِي مما أقدم عليه . وقال أيضاً : ما أخلو في كلِّ زمن من أعجوبة في كتاب

---

(١) أبو جعفر ، هو أحمد بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بابن النحاس النحوي المصري ، انظر في ذلك كتاب سيبويه ١/٤ .

(٢) أبو جعفر الطبري ، هو محمد بن رستم الطبري ، روي عن المازني والسجستاني والجرمي . له ذكر في مجالس العلماء للزجاجي ص٦٣ ، ٦٥ ، ٣٥٣ ؛ وأمالي الزجاجي ص١٤٤ ، ١٤٥ ، ٣٢٨ .

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية : " النظر والتقيس " . صوابه من كتاب سيبويه ص ٦/١ .

(٤) انظر في ذلك حواشي كتاب سيبويه ١/٦ .

سيبويه ، ولهذا سمّاه الناس قرآن النحو . وقال ابن كيسان : نظرنا في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقُّه ، ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح ، لأنه كتاب أُلِّفَ في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ ، فاختصر على مذاهبهم قال أبو جعفر : ورأيت عليّ بن سليمان يذهب إلى غير ما قال ابن كيسان ، قال : عمل سيبويه كتابَه على لغة العرب وخطبها وبلاغتها؛ فجعل فيه بيّناً مشروحاً ، وجعل فيه مشتبهاً ، ليكون لمن استنبط ونظرَ فضلٌ . وعلى هذا خاطبهم الله عز وجل بالقرآن .

قال أبو جعفر : وهذا الذي قاله عليّ بن سليمان حسن ، لأن بهذا يشرُف قدر العالم وتفضُل منزلته ، إذ كان يُنال العلم بالفكرة واستنباط المعرفة ؛ ولو كان كلّه بيّناً لاستوى في علمه جميع من سمعه ، فيبطل التفاضل ؛ ولكن يستخرج منه الشيء بالتدبُّر، ولذلك لا يملّ ، لأنه يزداد في تدبره علماً وفهماً .

وقال محمد بن يزيد المبرِّد : قال يونس - وقد ذكر عنده سيبويه - : أظن هذا الغلام يكذب على الخليل . فقيل له : قد روى عنك أشياء فانظر فيها . فنظر وقال : صدق في جميع ما قال هو قولي .

ومات سيبويه قبل جماعة قد كان أخذ عنهم كيونس وغيره وقد كان يونس مات في سنة ثلاث وثمانين ومائة .وذكر أبو زيد النحوي اللغويّ كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه قال : كل ما قال سيبويه « وأخبرني الثقة [١] » فأنا أخبرته به .

ومات أبو زيد بعد موت سيبويه بنيف وثلاثين سنة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون ، وهو من شواهد سيبويه [٢] : (المتقارب)

٥٨- فَثَوْبٌ نَسِيتُ وثَوْبٌ أجُرْ

(١) في طبعة بولاق : " وأخبر عن الثقة " . صوابه من السلفية ٣٣٦/١ نقلاً عن الشنقيطية .

(٢) هو الإنشاد السادس عشر بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيت لامرئ القيس في ديوانه ص١٥٩ ؛ والأشباه والنظائر ١١٠/٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٧/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٧/٧ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٦٦/٢ ؛ والكتاب ٨٦/١ ؛ والمقاصد النحوية ٥٤٥/١ . وهو بلا نسبة في شرح ابن عقيل ص١١٣ ؛ والمحتسب ١٢٤/٢ ؛ ومغني اللبيب ٤٧٢/٢ .

أوله :

* فأقبلْتُ زحْفاً عَلَى الرُّكبَتَيْنِ *

على أن حذف الضمير المنصوب بالفعل من الخبر سماعيّ ، أي : فثوبٌ نسيته وثوب أجرّه .

قال ابن عقيل في « شرح الألفية » : وجاز الابتداء بثوب وهو نكرة لأنه قصد به التنويع .

قال الأعلم : ويجوز عندي أن يكون نسيت وأجرّ من نعت الثوبين ، فيمتنع أن يعمل فيه ، لأنَّ النعت لا يعمل في المنعوت ؛ فيكون التقدير فثوباي ثوبٌ منسيّ وثوب مجرور .

وقال ابن هشام في « مغني اللبيب » : « ومما ذكروا من المسوّغات : أن تكون النكرة للتفصيل ، نحو : فثوبٌ نسيت وثوب أجر . وفيه نظر ، لاحتمال نسيت وأجرّ للوصفية والخبر محذوف ؛ أي : فمن أثوابي ثوبٌ نسيته ، ومنها ثوب أجره . ويحتمل أنهما خبران وثَمَّ صفتان مقدَّرتان ، أي : فثوبٌ لي نسيته وثوب لي أجرّه . وإنما نسي ثوبه لشغل قلبه ، كما قال [١] : (الطويل)

* لَعُوبٌ تُنَسّيني إذا قُمْتُ سِرْبالِي *

وإنما جرّ الآخرَ ليعفّيَ الأثر على القافة ؛ ولهذا زحف على الركبتين » انتهى .

و« القافة » : جمع قائف ، وهو من يعرف الآثار ؛ يقال : قفا أثره ، أي : تبعه.

وروى[٢] :

---

(١) هو الإنشاد الثامن عشر بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهو عجز بيت لامرئ القيس في ديوانه ص٣٠ ، وصدره :

* ومثلك بيضاء العوارض طفلة *

وهو في الأزهية ص٢٣٢ ؛ وتاج العروس (نسي) ؛ وشرح أبيات المغني ٣٨/٧ ؛ ولسان العرب (نسا) ؛ والمنصف ٩٣/١ . وهو بلا نسبة في مغني اللبيب ٤٧٢/٢ .

(٢) هي رواية ابن الأنباري في شرح المفضليات ص٥٠٥ . وفي حاشية الطبعة السلفية ٣٣٧/١ يقول الميمني : "شرح المفضليات للأنباري القاسم بن بشار يرويه عنه ابنه الإمام أبو بكر محمد المعروف بابن الأنباري . راجع الشرح نفسه ، ومعجم الأدباء ١٩٧/٦ ؛ وقد تكرر هذا الغلط حينما وقع ذكر الشرح " .

فَلَمَّــا دَنَــوْتُ تَسَــدَّيْتُهــا فَثَــوْبٌ نَسِيــت ... إلــخ

قال ابن الأنباريّ في « شرح المفضليات » [١] : يقال تسديته : إذا تخطيت إليه، وقيل : علوته . وأنشد هذا البيت . وروى :

* فثوباً نسِيت وثوباً أجرُّ *

وعليه فهو مفعول لما بعده .

وهو من قصيدة لامرئ القيس ، عدَّتها اثنان وأربعون بيتاً . ومطلعها [٢] : (المتقارب)

لا وأبيْكِ ابْنَــةَ العَامِــرِ يِّ لا يَدَّعِي القَومُ أنِّي أفِرّ

وسيأتي شرحه إن شاء الله تعالى في حروف الزيادة في آخر الكتاب .

وأثبتَ هذه القصيدةَ له أبو عمرو الشيباني والمفضّل وغيرهما . وزعم الأصمعي في روايته عن أبي عمرو بن العَلاء أنها لرجل من أولاد النمرِ بن قاسط ، يقال له ربيعة ابن جُعشُم ، وأولها عنده :

أحَارِ بنَ عَمرٍو كَأنِّي خَمِــرْ ويَعْدُو عَلَى المَرْءِ ما يأتَمِرْ

وبه استشهد ابن أمّ قاسم [٣] في « شرح الألفية » لتنوين الغالي حيث لحق الرويّ

---

(١) هذا تجوز من البغدادي ، فشرح المفضليات للأنباري القاسم بن بشار ، يرويه عنه ابنه الإمام أبو بكر محمد المعروف بابن الأنباري .

(٢) الأبيات في ديوانه ص١٥٤-١٥٩ .

والأول هو الإنشاد العاشر بعد الأربعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهو في شرح أبيات المغني ٢٧/٥ ؛ وشرح شواهد المغني ٦٣٥/٢ ؛ والشعر والشعراء ١٢٨/١ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢٤٦ ؛ والمقاصد النحوية ٩٦/١ . وهو بلا نسبة في المحتسب ٢٧٣/٢ ؛ ومغني اللبيب ٢٤٩/١ . والثاني في الدرر ١٧٩/٥ ؛ ولسان العرب (أمر ، خمر ، نفس) ؛ والمقاصد النحوية ٩٥/١ ، ٢٦٤/٤ ؛ وللنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص٤٠٤ ؛ ولسان العرب (أمر) . وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (أمر) ؛ وشرح الأشموني ١٢/١ ؛ والمقتضب ٢٣٤/٤ ؛ وهمع الهوامع ١٤٣/٢ . والرابع في سر صناعة الإعراب ٦٦/١ ، ٥٦٠/٢ ؛ وشرح المفصل ٤٣/١٠ ؛ ولسان العرب (حنن ، هنا) ؛ والمقاصد النحوية ٢٦٤/٤ . وهو بلا نسبة في رصف المباني ص٤٠٠ .

(٣) في طبعة بولاق : " ابن قاسم " . وفي حاشية الطبعة السلفية ٣٣٨/١ : " التصحيح للعلامة أحمد تيمور باشا وكذلك في ش " . واسمه الحسن بن قاسم ، توفي سنة ٧٤٩هـ (بغية الوعاة ص٢٢٩) .

المقيّد ، رواه : « ماياْتمُرْنْ » بضم الراء . والهمزة للنداء ، و« حارِ » مرخّم حارث . قال في « الصحاح » : والخُمار : بقية السكر ، تقول منه رجل خَمِر بفتح فكسر ، أي : في عقب خمار . ويقال : هو الذي خامره الداء ، أي : خالطه. وعدا عليه : جارَ . و« الائتمار » : الامتثال ، أي : ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشَدٌ فربما كان هلاكه فيه . والواو عطفت جملة فعلية على جملة إسمية على قولين من ثلاثة أقوال: الجواز مطلقاً ، والمنع مطلقاً ، والجواز مع الواو فقط . وليست للاستئناف ، ولا للتعليل ، ولا زائدة ، كما زعمها العينيّ .

وبعد بيت الشاهد : (المتقارب)

وَلَمْ يَرَنَا كَالِئٌ كَاشِحٌ ... وَلَمْ يُفْشَ مِنّا لَدَى البيْتِ سِرّ

وَقَدْ رابَنِي قَولُهَا يا هَنَا ... هُ ، وَيْحَكَ ألحقْتَ شَرّاً بِشَرّ

و« الكالئ » بالهمز : الحارس والرقيب . و« الكاشح » : المبغِض . و« رابني »: أوقعني في الريبة . و« هناهُ » : كلمةُ يكنى بها عن النّكرات [١] ، كما يكنى بفلان عن الأعلام ، فمعنى يا هناه يا رجل ؛ ولا يستعملِ إلاّ في النداء عند الجفاء والغلظة. وقوله : « ألحقت شراً بشر » ، أي : كنت متّهماً فلما صرت إلينا ألحقتَ تُهمةً بعد تهمة. وهذه الضمائر المؤنثة راجعة إلى « هِرّ » بكسر الهاء وتشديد الراء ؛ وكنيتها أم الحُويرِث ، وهي التي كان يشبّب بها في أشعاره ، وكانت زوجة والده ، فلذلك كان طردَه وهمّ بقتله من أجلها . وفي هذه القصيدة بيتٌ في وصف فرسه ، يأتي شرحه إن شاء الله في أفعال القلوب .

وترجمة « امرئ القيس » تقدمت في الشاهد [التاسع و] الأربعين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون ، وهو من شواهد **س** [٢]: (الطويل)

٥٩- لَعَمْرُكَ مَا مَعْنٌ بِتَارِكِ حَقِّهِ
وَلا مُنْسِئٌ مَعْنٌ وَلا مُتَيَسِّرُ

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " المنكرات " . وفي طبعة هارون : " النكرات " .

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ص٣٨٤ ؛ وأمالي القالي ٧٣/٣ ؛ والدرر ١٢٩/٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٩٠/١ ؛ والكتاب ص٦٣ . وهو بلا نسبة في همع الهوامع ١٢٨/١ .

على أنَّ وضع الظاهر مقام الضمير إن لم يكن في معرِض التفخيم فعند س يجوز في الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول كهذا البيت .

وهو للفرزدق أول بيتين ثانيهما:

أَتطلُبُ يا عَـورانُ فَضْـلَ نَبيـذِهـمْ ... وَعِنْـدَكَ يـا عَـورانُ زِقٌّ مُـوَكَّـرُ

و« اللام » لام الابتداء . و« العَمْر » : الحياة . والمعنى أنه أقسم بحياة مخاطبه لعزّته عليه . و« العَمْر » فتحاً وضَمّاً واحد ، غير أنه متى اتصل بلام الابتداء مقسَماً به وجب فتح عينه ، وإلاّ جاز الأمران . وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره : قسمي ، وسيأتي الكلام عليه ، إن شاء الله ، في المفعول المطلق . وجملة « ما مَعنٌ ، إلخ » جواب القسم ، و« ما » نافية تميميّة [1] زيدت الباء في خبرها . و« معن » قال أبو علي القالي في ذيل أماليه [2] : قال أبو محلّم : هو رجل كان كلاّء بالبادية : يبيع بالكالئ ، أي : بالنسيئة، وكان يُضرب به المثل في شدة التقاضي . قال سيَّار بن هبيرة يعاتب خالداً وزياداً أخويه : (الطويل)

يُـؤَذِّنِـي هَـذا وَيَمْنَـعُ فَضْلَـهُ ... وَهَـذا كَمَعْـنٍ أَوْ أَشَـدُّ تَقَاضِيـا

« يؤذّني » : يحرمني ، مضارع أذّنه بتشديد الذال المعجمة . قال في «المصباح»: « وكلأ الدينُ يكلأ مهموز بفتحتين كلوءاً : تأخّر ، فهو كالئ بالهمز ؛ ويجوز تخفيفه فيصير كالقاضي . وقال الأصمعي : هو مثل القاضي ولا يجوز همزه . ونهي عن بيع الكالئ بالكالئ ، أي : بيع النسيئة بالنسيئة .

قال أبو عبيد : صورته أن يسلم الرجل الدراهمَ في طعام إلى أجل فإذا حل الأجل يقول الذي عليه الطعام : ليس عندي طعام ولكن بِعني إياه إلى أجل ؛ فهذه نسيئة انقلبت إلى نسيئة ، فلو قبض الطعامَ ثم باعه منه أو من غيره لم يكن كالئاً بكالئ . ويُعدّى بالهمزة والتضعيف » انتهى .

وقال شراح أبيات الكتاب : عنى بالبيت معن بن زائدة الشيباني ، وهو أحدُ أجواد العرب وسمحائهم . فوصفه ظلماً بسوء الاقتضاء وأخذ الغريم على عُسرة ، وأنه لا ينسئه بدينه . انتهى .

---

(١) وذلك لأن الفرزدق تميمي .

(٢) أمالي القالي ٣/٧٢-٧٤ .

وهذا غير صحيح ، فإن معن بن زائدة متأخر عن الفرزدق ، فإنه قد تُوفِّي الفرزدق في سنة عشر ومائة ، وتوفي معن بن زائدة في سنة ثمان وخمسين ومائة.

وقوله : « ولا منسئٍ » هو اسم فاعل من أنسأت الشيء : أخرته ، ويقال أيضاً نسَأته ، فعلت وأفعلت بمعنًى ، فالمفعول محذوف ، أي : حقه . قال الشارح : «الرواية بجرّ منسئ ، وإذا رفعته فهو خبر مقدم على المبتدأ » . أقول : الجر يكون بالعطف على مدخول الباء الزائدة ، ومعن فاعله أقيم مُقام الضمير ، فيكون من تتمة الجملة الأولى . وإذا رفع كان من جملة أخرى . وبالرفع أنشده سيبويه .

قال الأعلم : استشهد به سيبويه على أن تكرير الاسم مظهراً من جملتين أحسن من تكريره في جملة واحدة ، فلو حمل البيت على أن التكرير من جملة واحدة لقال : ولا منسئٍ معن عطف على قوله : بتارك حقّه ؛ ولكنه كرّره مظهراً ، ولما أمكنه أن يجعل الكلام جملتين استأنف الكلام فرفع الخبر » .

وقال : اعلمْ [١] أن الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرير ذكره في جملة واحدة كان الاختيار أن يُذكر ضميره ، لأن ذلك أخفُّ وأنفى للشبهة واللّبس ، كقولك : زيد ضربته ، ولو أعدت لفظه بعينه في موضع كنايته لجاز ولم يكن وجهَ الكلام [٢] كقولك : زيد ضربت زيداً – على معنى زيد ضربته – وإذا أعدت ذكره في غير تلك الجملة جاز إعادة ظاهره وحسُن كقولك: مررت بزيدٍ وزيدٌ رجل صالح ؛ قال تعالى[٣] : « وإذا جاءَتْهُمْ آيةٌ قالوا لَنْ نُؤْمِنَ حتّى نُؤتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أعلمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ» فأعاد الظاهر لأن قوله « الله أعلم » ابتداء وخبر ، وقد مرّت الجملة الأولى . فإذا قلت : ما زيد ذاهباً ولا محْسن زيد ، جاز الرفع والنصب ؛ فإذا نصبت فقلت : ولا محسناً زيد جعلت زيداً هذا الظاهر بمنزلة كنايته ، فكأنك قلت : ما زيد ذاهباً ولا محسناً ، كما تقول ولا محسناً أبوه ، فتعطف محسناً على ذاهباً وترفع زيداً بفعله وهو محسن ، فإذا رفعت جعلت زيداً كالأجنبي ورفعته بالابتداء وجعلت محسناً خبراً مقدّماً .

---

(١) في الطبعة السلفية والشنقيطية : " وقال الأعلم " . وفي طبعة بولاق وهارون : " وقال : اعلم " .

وفي حاشية طبعة هارون ٣٧٧/١ : " ش : وقال الأعلم ، صوابه ما أثبت من ط . والكلام التالي ليس للأعلم ، بل هو للسيرافي في شرحه لكتاب سيبويه . انظر السيرافي ١٧٢/١ مخطوطة دار الكتب المصرية " .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " وجه للكلام " . والتصويب من السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه .

(٣) سورة الأنعام : ١٢٤/٦ .

واختار سيبويه الرفعَ لأنَّ العرب لا تعيد لفظَ الظاهر إلا أن تكون الجملة [الأولى] غير الجملة الثانية [(١)] وتكون الثانية مستأنفة كما قلنا في : «رسلُ اللهِ اللهُ أعلم » . فإذا رفعته فهو مطابق لما ذكرناه وخرج عن باب العيب ، لأنك جعلته جملة مستأنفة. واستشهد سيبويه لجواز النصب وجعل الظاهر بمنزلة المضمر [(٢)] بقوله[(٣)] :

* لا أرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شيءٌ *

[فأعاد الإظهار ، وذلك أن قوله لا أرى الموتَ يسبق الموتَ شيءٌ ، الموت الأول هو المفعول الأول لأرى ، ويسبق الموت شيء [(٤)]] في موضع المفعول الثاني وهما في جملة واحدة ؛ وكان ينبغي أن يقول يسبقه شيء فيضمره .

واستشهد لاختيار الرفع فيما اختاره فيه بقول الفرزدق :

لعمرك ما معنٌ بتارك حقه .. (البيت)

ومعن الثاني هو الأوّل ، فهو بمنزلة قوله ما زيد ذاهباً ولا محسنٌ زيد . وللمعترض أن يقول : الفرزدق تميميّ وهو يرفع خبر ما على كل حال مكنّياً كان أو ظاهراً ، ألا ترى أنّ الفرزدق من لغته أن يقول : ما معن تارك حقه ولا منسئ هو . فالظاهر والمكّنى على لغته سواء » انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الستون ، وهو من شواهد **س** [(٥)] : (الخفيف)

٦٠- لا أرَى المَوتَ يَسْبِقُ المَوتَ شَيءٌ

---

(١) في حاشية طبعة هارون ١/٣٧٨ : " ش " خبر الجملة الثانية " ، صوابه في ط وشرح السيرافي على كتاب سيبويه . وكلمة " الأولى " ساقطة من السيرافي وساقطة من النسختين .

(٢) في السيرافي : " المضمر بقول سوادة بن عدي " .

(٣) انظر الشاهد التالي .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من السيرافي .

(٥) هو الإنشاد التاسع والثلاثون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيت لعدي بن زيد في ديوانه ص ٦٥ ؛ والأشباه والنظائر ٣٠/٨ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٣٦ ، ١١٨ ؛ ولسوادة بن عدي في شرح أبيات سيبويه ١٢٥/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧٧/٧ ؛ وشرح شواهد المغني ١٧٦/٢ ؛ والكتاب ٦٢/١ ؛ ولسوادة أولعدي في لسان العرب (نغص) . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١٥٣/١ ، ٢٨٦ ، ٨٢٩/٢ ؛ والخصائص ٥٣/٣ ؛ ومغني اللبيب ٥٠٠/٢ .

تمامه :

* نَغّصَ الموْتُ ذا الغِنَى والفَقِيرا *

لما تقدم في البيت قبله ، أي : لا أرى الموت يسبقه شيء ، أي : لا يفوته . وأنشده ثانياً في الإخبار بالذي وجعلَه من قبيل « الحاقّةُ ما الحاقّة » مما إظهاره يفيد التفخيم ، فخالف كلامه هنا . وتبع الشارحُ هنا **س** .

وخالفه المبرّد في هذا وفرقَ بينه وبين ما ذكر ، لأن الموت جنس . وإنما كره زيد قام زيد ، لئلا يتوهم أن الثاني خلاف الأول ، وهذا لا يتوهم في الأجناس ، قال تعالى[1]: « إذا زُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزَالَها . وأخرَجَتِ الأرضُ أثقالَها» . وكذا إذا اقترن بالاسم الثاني حرف الاستفهام بمعنى التعظيم والتعجب كان الباب الإظهارَ ، كقوله تعالى[2]: « القارعَةُ مَا القَارِعةُ » و[3]« الحاقةُ ما الحاقّةُ » . والإضمار جائز كما قال تعالى[4] : « فأُمُّهُ هاوِيَةٌ . ومَا أدْراكَ ما هِيَهْ » .

وكذلك لم يرتضه شرّاح أبياته . قال الأعلم - وتبعه ابن خلف ، ومثله لأبي جعفر النحّاس - : استشهد بهذا البيت سيبويه على إعادة الظاهر موضع المضمر ، وفيه قبح إذا كان تكريره في جملة واحدة ، لأنه يستغني بعضها عن بعض ، فلا يكاد يجوز إلاّ في ضرورة ، كقولك : زيد ضربت زيداً ، فإن كان إعادته في جملتين حسُن، كقولك : زيد شتمته وزيد أهنته ، لأنه قد يمكن أن تسكت عن الجملة الأولى ثم تستأنف الأخرى بعد ذكر رجل غير زيد . فلو قيل زيد ضربته وهو أهنته ، لجاز أن يُتوهّم الضميرُ لغير زيد ، فإذا أعيد مظهراً وزال التوهُّم . ومع إعادته مضمراً [5] في الجملة الواحدة ، كقولك : زيد ضربته ، لا يُتوهَّم الضمير لغيره ؛ لأنّك لا تقول [6] : زيد ضربت عمراً .

والإظهار في مثل هذا أحسن منه في هذا ونحوه ، لأن الموت اسم جنس ، فإذا

(١) سورة الزلزلة : ٩٩/١ .

(٢) سورة القارعة : ١٠١ / ١-٢ .

(٣) سورة الحاقة : ٦٩ / ١.

(٤) سورة القارعة : ١٠١/٩-١٠ .

(٥) كذا في طبعة بولاق . وفي الشنقيطية : " مظهراً " .

(٦) كذا في طبعة بولاق . وفي الشنقيطية : " لأنك تقول " .

أعيد مظهراً لم يتوهم أنه اسم لشيء آخر . فلذلك كان الإظهار في هـذا أمثَل ، لأنـه أشكل .

وقوله : « نغّص الموتُ .. إلخ » يريد : نغض عيشَ ذي الغِنى والفقـير . يعـني أن خوف الغنيّ من الموت ينغّص عليه الالتذاذ بالغنى والسـرورِ بـه ، وخـوفَ الفقـير مـن الموت ينغّص عليه السعي في التماس الغنى لأنه لا يعلم أنـه – إذا وصـل إليـه الغنـى – هل يبقى حتّى ينتفع به ، أو يقتطعه الموت عن الانتفاع ؟

وهذا البيتُ من قصيدة لعديّ بن زيد ، وقيل لابنه سَوادة بن عـديّ . والصحيح الأول . وأولها[1] :

طَـالَ لَيلِـي أُراقِــبُ التَنْـوِيْــرا ... أرْقُـبُ اللَّيْــلَ بـالصَّبـاحِ بَصِيْـرا

شَــطّ وَصْلُ الـذي تُـرِيْدِيـنَ مِنّـي ... وصَغِيـرُ الأُمـورِ يَجْنِـي الكَبِيْـرا

إنّ للـدَّهْـرِ صَولَـةً ، فـاحْذَرَنْـها ... لا تبيتَنَّ قـدْ أمِنْـتَ الـدُّهُـورا

قَـدْ يَبـاتُ الفَتَـى صَحِيحاً فيَرْدَى ... ولَـقَــدْ بــاتَ آمِنــاً مَسْـرُورا

لا أرَى الـمَوتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيْءٌ ... نَغّصَ الـموتُ ذا الغِنَى والفَقِيـرا

لِلمَنــايَـا مَــعَ الـغُــدُوِّ رَوَاحٌ ... كُـلَّ يَـوم تَـرَى لَـهُـنَّ عَقِيْـرا

كَـمْ تَـرَى اليَـومَ مِنْ صَحِيحٍ تمنّى ... وغَــدا حَشْـوَ رِيْطَـةٍ مَقْبُـورا

أيْـنَ أيـنَ الفِـرار مِـمَّـا سَيأْتِـي! ... لا أرى طَـائِـراً نـجَـا أنْ يَطِيْــرا

فامْـشِ قَصْـداً إذا مَشَيْتَ وأبْصِـرْ ... إنّ للقَـصْـدِ مَنـهَجـاً وجُـسُـورا

إنَّ في القَـصْـدِ لابـنِ آدمَ خَيْــراً ... وَسَبِيـلاً عَلَـى الضَّعِيـفِ يَسِيْـرا

و« **عديّ بن زيد** »[2] بن حماد بن زيد بن أيوب ، من بني امرئ القيس بـن زيـد مَناة بن تميم .

قال صاحب الأغاني [3] : « وكان أيوب هذا أوّل من سمّي من العـرب أيوبَ . وكان عديّ شاعراً فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، وكـذلـك أبوه وأمـه

(١) الأبيات في ديوان عدي بن زيد ص٦٣-٦٦ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧٧/٧ .
والثاني في جمهرة اللغة ص١٣٧ ؛ وفصل المقال ص٢٢١ ، ٢٣٢ .

(٢) انظر في ترجمته الأغاني ٩٧/٢ ؛ والشعـر والشعراء ص١٥٠ ؛ وطبقـات فحـول الشعراء ص١٣٧ ؛ ومعجـم الشعراء ص٢٤٩ .

(٣) الأغاني : ٩٧/٢ .

وأهله . وليس ممن يعدّ في الفحول . [و [١]] هو قرويّ قد أخذوا عليه أشياء عِيب فيها . وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان : عديّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سُهيل في النجوم : يُعارضها ولا يجري معها مَجراها . وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت . ومثلهما من الإسلاميينَ : الكميت ، والطِرمَّاح .

وكان سبب نزول آل عديّ [٢][بن زيد] الحيرة أن جدَّه أيوب [بن محروف] كان منزله اليمامة [في بني امرئ القيس بن زيد مناة ، بن تميم] ، فأصاب دماً في قومه ؛ فهرب إلى أوس بن قُلاّم : أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة ، وكان بينهما نسبٌ من قبل النساء ، فأكرمه وابتاع له موضع دار [هِ] بثلاثمائة أوقيّة من ذهب ، وأنفق عليها مائتي أوقيّة ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعاتها [٣] ، وفرساً، وقَينة . واتصل بملوك الحيرة فعرفوا حقّه وحقّ ابنه « زيد » بن أيوب ، فلم يكن منهم ملك يملَّك إلاّ و لِوَلَد أيوب منه جوائز . ثم إن زيداً [بن أيوب] نكح امرأة من آل قُلام فولدت له «حماداً». فخرج زيد بن أيوب يوماً للصيد ، فلقيه رجل من بني امرئ القيس الذين كان لهم الثأر فاغتال زيداً وهرب ، ومكث حمّاد في أخواله حتى أيفع وعلمته أمّه الكتابة ؛ فكان أوّل من كتب من بني أيوب ، فخرج من أكتب الناس [وطُلب] حتى صار كاتبَ [الملك] النعمان الأكبر ؛ فلبث كاتباً له حتى وُلد له ولد فسمّاه «زيداً» باسم أبيه .

وكان لحمّاد صديق من دهاقين الفرس اسمه فَرخ ماهان . فلما حضرت الوفاةُ حمّاداً أوصى بابنه زيد إلى الدِّهقان – وكان من المَرازبة[٤] – فأخذه إليه.. وكان زيد قد حذق الكتابة [والعربية قبل أن يأخذه الدهقان] ، وعلّمه الدِّهقان الفارسيّة . وكان لبيباً، فأشار الدّهقان إلى كسرى أن يجعله على البريد في حوائجه ، فولاّه وبقي زماناً . ثم إنّ النعمان [النّصْري] هلك ، فاختلفَ أهلُ الحيرة فيمن يملّكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر لرجل منهم [٥] ؛ فأشار المرزبان عليهم بزيد بن حمّاد ، فكان على الحيرة إلى أن مَلّك كِسرى المنذرَ بن ماء السماء .

(١) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني .

(٢) زيادات متتابعة يقتضيها السياق من الأغاني ؛ وشرح أبيات المغني ٤/٤٨-٥٢ .

(٣) في طبعة بولاق : " يرعاها " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني .

(٤) المرزبان : الفارس الشجاع المقدم على القوم . فارسي معرب .

(٥) في الأغاني : " لرجل ينصبه " .

ونكح زيد نعمة بنت ثعلَبة العدَويّة فولدت لـه «عدياً». وولـد للمرزُبـان وسمّـاه «شاهان مَرْد» . فلما أيفع عديٌّ أرسله المرزبان مع ابنه إلى كُتـاب الفارسيّة ، وتعلّـم الكتابة والكلامَ بالفارسية ، حتى خرج مِن أفهـم النـاس [بهـا] وأفصحهـم بالعربيـة ، وقال الشعرَ وتعلّم الرّميَ بالنُّشّاب [فخرج من الأساورة الرُّماة]، وتعلّم لَعِـب العجـم على الخيل بالصَّوالجة وغيرها .

ثم إنّ المرزبان لما اجتمع بكسرى قال له : إن عندي غلاماً مِن العرب هو أفصـحُ الناس وأكتبُهم بالعربية والفارسية ، والملك يحتاج إلى مثله. فأحضر المرزُبان عـديَّ بـن زيد ، وكان جميل الوجـه فـائق الحسـن – وكـانت الفُـرس تتبرّك بـالجميل الوجـه – فرغب فيه ؛ فكان عديٌّ أوّل من كتب بالعربية في ديوان كسرى . فرغب أهلُ الحـيرة إلى عدي ورهبوه . ولم يزل بالمدائن في ديوان كسرى معظماً . وأبوه زيد كان حيـاًّ ، إلا أن صيته قد خمل بذكر ابنه عديّ .ثم لما هلـك المنـذر اجتهـد عـديّ عنـد كسـرى حتى ملّك النعمان بن المنذر الحيرة .

ثم بعد مدّة افتروا على عديّ وقالوا للنعمان : إن عديّـاً يزعـم أنـك عاملُـه علـى الحيرة . فاغتاظ منه النعمان وأرسل إلى عديّ بأنه مشتاق إليه يستزيره[1]. فلما أتى إليه حبسه ، وبقي في الحبس إلى أن جاء رسول كسرى ليُخرجه[2] ؛ فخاف النعمـان مـن خلاصه فغَمَّه حتى مات ؛ وندم النعمان على قتله ، وعرَف أنّه غُلب على رأيه .

ثم إنه خرج يوما إلى الصيد فلقي ابناً لعديّ يقال له زيد ؛ فلما رآه عـرف شـبهه فقال له : من أنت ؟ قال : أنا زيد بن عديّ . فكلمه فإذا هو غلامٌ ظريف ؛ ففرح بـه فرحاً شديداً ، فقرَّبه واعتذر إليه من أمر أبيه ، ثم كتب إلى كسرى يربيـه ويشـفع لـه مكان أبيه . فولاّه كسرى . وكان يلِي الكتابة عنده إلى ملوك العـرب[3] وفي خـواصّ أمور الملك . وكانت لملوك العجم صِفة النسـاء مكتوبـة عندهـم ، وكـانوا يبعثـون في تلك الأرْضين تلك الصفة ؛ فـإذا وُجـدت حُملـت إلى الملـك ؛ غير أنهـم لم يكونـوا يطلبونها في أرض العرب .

---

(١) في طبعة بولاق : " ليستزيره " .

(٢) انظر قصة رسول كسرى في الأغاني ٢/١٢٠ ومابعدها .

(٣) في طبعة بولاق : " وكان يلي المكاتبة عند آل ملوك العرب " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني وشرح أبيات المغني للبغدادي .

فلما كتب كسرى في طلب تلك الصفة قال له زيد بن عديّ : أنا عارف بآل المنذر وعند عبدك النعمان - بين بناته وأخواته وبنات عمّه - أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ، فابعثني مع ثِقة من رجالك يفهم العربية حتّى أبلغ ما تحبُّه . فبعث معه رجلاً فطِناً وخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلطِفه حتى بلغ الحِيرة ؛ فلما دخل على النعمان قال له : إنّ كسرى قد احتاج إلى نساء لنفسه ولولده ، وأراد كرامتَك بصهره فبعث إليك .

فقال النعمان لزيد -والرسول يسمع-: أمَا في مَها السَّواد وعِينِ فارس ما يبلغ به كسرى حاجَته ؟! فقال الرسول لزيد ، بالفارسية : ما المها ؟ فقال له ، بالفارسية : كاوان ، أي البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان: إنّما أراد الملك أن يكرمك، ولو علم أنّ هذا يشقُّ عليك لم يكتب إليك به . فأنزلهما عنده يومين ، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلب الملك ليس عندي . وقال لزيد : اعذرني عنده . فلما رجع إلى كسرى قال زيد للرسول : اصدُق الملكَ عمَّا سمعتَ ، فإني سأحدثه بمثل حديثك ولا أخالفك فيه !

فلما دخلا على كسرى قال زيد : هذا كتابه . فقرأه عليه ، فقال له كسرى : وأين الذي كنتَ خبَّرتني به ؟ قال : قد كنت خبَّرتك ببخلهم بنسائهم على غيرهم ، وأنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُريَ على الشّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّموم على طِيب أرضك ، حتّى إنّهم ليسمُّونها السِّجن ، فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عما قال ، فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال . فقال للرسول : وما قال النعمان ؟ فقال له الرسول: إنه قال : أمَا كان في بقر السواد وفارس ما يكفيه ، حتّى يطلب ما عندنا ؟! فعرف الغضب في وجهه ؟ وسكت كسرى أشهراً - وسمع النعمان غضبَه - ثم كتب إليه كسرى : أن أقبل ، فإن لي حاجةً بك . فخافه النعمان وحمل سلاحَه وما قدر عليه ولجأ إلى قبائل العرب فلم يُجرهُ أحد ، وقالوا : لا طاقةَ لنا بكسرى .. حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرًّا ، فلقي هانئ بن قَبيصة ، فأجاره وقال : لزمني ذِمامُك ، وإني مانعُك مما أمنع منه نفسي وأهلي ، وإنّ ذلك مهلكي ومهلكك . وعندي رأيٌ لست أشير به لأدفعك عما تريده من مجاورتي ؛ ولكنه الصواب . فقال: هاته ! قال: إنّ كلَّ أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه ، إلا أن يكون بعد المُلْك سُوقة ؛ والموت نازلٌ بكلّ أحد؛ ولأنْ تموت كريماً خير من أن تتجرَّع الذلَّ أو تبقى سوقةً بعد المُلك.. امض إلى صاحبك واحمل إليه هدايا ومالاً ، والقِ نفسك

بين يديه ، فإما أن يصفح عنك فعدتَ ملكاً عزيزاً ، وإما أن يصيبك فالموتُ خير من أن تتلعَّب بك صعاليكُ العرب ويتخطَّفك ذئابها .. قال : فكيف بحُرمي وأهلي ؟ قال: هنَّ في ذمتي، لا يخلص إليهن حتّى يخلُص إلى بناتي . فقال : هذا - وأبيك - الرأي! ثم اختار خيلاً وحللاً من عَصْب اليمن ، وجواهر وطُرفا كانت عنده ، ووجّه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يعتذر ويعلمه أنه صائر إليه . فقبلها كسرى وأمره بالقدوم . فعاد إليه الرسول وأخبره بذلك وأنه لم يَرَ له عند كسرى سوءاً. فمضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عديّ فقال له: انج نُعَيم ، إن استطعتَ النَّجاء ! فقال له النعمان : أفعلتَها يا زيد ! أما والله لئن عشت لأقتلنك قِتلة لم يُقتلها عربيّ قطّ ! فقال له زيد : قد - والله - أخيّتُ لك آخيّة[1] لا يقطعها المهرُ الأرِن [2] فلما بلغ كسرى أنّه بالباب بعث إليه ، فقيّده وسجنه ، فلم يزل في السجن حتى هلك . وقيل : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات . وذلك قبيل الإسلام بمدّة ، وغضبت له العرب حينئذ ، فكان قتله سبب وقعة ذي قار » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والستون [3] : (الطويل)

٦١- إذا المَرءُ لَمْ يَغْشَ الكَرِيهَةَ أوْشَكَتْ
حِبَالُ الهُوَيْنَى بالفَتَى أنْ تَقَطَّعَا

على أن الاسم إن أعيد ثانياً و لم يكن بلفظ الأول لم يجز عند سيبويه ، ويجوز عند الأخفش سواء كان في شعرٍ أم في غيره ، كهذا البيت .

قال ابن جنّي في إعراب الحماسة ، عند قول أبي النّشناش[4] : (الطويل)

إذا المرْءُ لم يَسْرَحْ سَواماً وَلَمْ يُرِحْ   سَواماً وَلَمْ تعطِفْ عليهِ أقَارِبُه

---

(١) الأخيّة والآخيّة - بالمد والتشديد - واحدة الأواخي : عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة .

(٢) المهر الأرِن : النشيط .

(٣) البيت للكلحبة اليربوعي في تخليص الشواهد ص٣٢٢ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١٤٩ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٠٣ ؛ ولسان العرب (وشك) ؛ والمفضليات ص٣١ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٥٣ ؛ وله أو للأسود بن يعفر في المقاصد النحوية ٤٤٢/٣ ؛ وهو بلا نسبة في الخصائص ٥٣/٣ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٨١٧ .

(٤) البيتان في شرح الحماسة للأعلم ٦٣٢/٢ ؛ والحماسة برواية الجواليقي ص٩٩ .

فَلَلمَوتُ خيرٌ للفتَى مِنْ حَيَاتِهِ فَقِيراً وَمِنْ مَولًى تَدِبُّ عَقَارِبُه

كان يجب أن يقول : فللموت خير له ؛ فعدل عن المظهر والمضمر جميعاً إلى لفظ آخر ، كقوله :

إذا المرء لم يغش الكريهة .. (البيت)

وسبب ذلك أن هذا المُظهَر المخالف للفظ المظهر قبله ، قد أشبه عندهم المضمر ، من حيث كان مخالفاً للفظ المظهر قبله خلاف المضمر له .

وقال ابن رشيق في « العمدة »[1] : قوله « بالفتى » حشو ؛ وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد تقدَّم ؛ إلا أن يريد بالفتى معنى الزِّراية والأطنوزة [2]، فإنه محتمل » ا.هـ . وهذا تخيل دقيق .

و« الغِشيان » : الإتيان ، يقال غِشيته من باب تعب : أتيته . و« الكريهة» الحَرب ؛ وقيل : شدّتها ، وقيل : النازلة . وهذا هو المراد هنا . و« أوشكت »: قاربت ودنت . و« الحبال » : جمع حَبْل بمعنى السبَب ، استعير لكل شيء يتوصَّل به إلى أمر من الأمور . و« الهُوَينى » : الرفق والراحة ؛ وعَدّه ابن دريد في «الجمهرة » في الكلمات التي وردت مصغّرة لا غير ، قال : والهوينى السكون والخفْض . قال السَّمين ، في « عمدة الحفاظ » : يقال : فلان يمشي الهوينى وهو مصغّر الهُونى ، والهُونى تأنيث الأهون كالفضلى تأنيث الأفضل . و« بالفتى » الباء للمصاحبة فيكون حالاً ، أو بمعنى عَن فيتعلق بما بعدها ، وجاز لأنه ظرف، ومثله قوله تعالى[3] : «وتَقَطَّعتْ بِهِمُ الأسْبَابُ » .

قال السمين : في الباء أربعة أوجه : أحدها للحال أي : تقطّعت موصولةً بهم الأسباب . الثاني للتعدية ،أي : قطّعتهم الأسبابُ كقولهم : تفرّقت بهم الطرق ،أي: فرقتهم . الثالث للسببية، أي : تقطّعت بسبب كفرهم الأسباب التي كانوا يرجون بها النجاة . الرابع بمعنى عَن، أي : تقطّعت عنهم الأسباب الموصِلات بينهم » وهي مجاز؛ والسبب في الأصل الحبل ، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء ، عيناً كان أو

---

(١) العمدة : ٢/٧٠ .

(٢) يعني بذلك الطنز والسخرية . وهذه الكلمة لم ترد في المعاجم .

(٣) سورة البقرة : ٢/١٦٦ .

معنى . و« تَقطّعا » أصله تتقطّع بتاءين ، وفاعله ضمير حِبال .

وهذا البيت آخر أبيات للكلْحبَة العرِيني ، وهي[١] : (الطويل)

فَإنْ تَنْجُ مِنها يا حَزِيمُ بنُ طَارِق ... فَقَدْ تَركتْ ما خَلْفَ ظَهرِكَ بَلْقَعا
وَنَادَى مُنادِي الحيّ : أنْ قَدْ أُتِيتُمُ ... وَقَدْ شَرِبتْ مَاءَ المَزادَةِ أَجْمعَا
وَقُلتُ لكأْسٍ : أَلجميها فإنَّمَا ... نَزلْنا الكَثِيبَ مِنْ زَرْودَ لنفزَعا
فَأَدْرَك إبْقَاءَ العَرَادَةِ ظَلعُهَا ... وَقَدْ جَعلتْنِي مِنْ حَزِيْمَةَ إصْبَعَا
أَمَرْتكُمُ أَمْرِي بِمُنعَرَجِ اللِّوَى ... وَلا أَمرَ لِلمَعْصِيّ إلاَّ مُضَيَّعا
إذا المَرْءُ لَمْ يَغْشَ الكَرِيْهَةَ ... . (البيت)

وسبب هذه الأبيات أنَّ « الكَلحبة » كان نازلاً بزَرود - وهي أرض بني مالك ابن حنظلة ، وهو من بني يربوع - فأغارت بنو تغلب على بني مالك ، وكان رئيسهم حَزيمة بن طارق ، فاستاق إبلهم ، فأتى الصريخُ إلى بني يربوع فركبوا في إثره فهزموه واستنقذوا ما كان أخذه .

فقوله : « إن تنج منها » ، الضمير راجع إلى فرس الكلحبة . و« حَزيم » بفتح الحاء المهملة وكسر الزاي المعجمة : مرخّم حَزِيمة .

وهذا البيت يشهد بانفلاته ، وشعر جرير يشهد بأسره ، وهو[٢] : (الكامل)

* قُدْنا حَزِيمةَ قَدْ عَلمْتُمْ عَنْوةً *

ولا مانع منه ؛ بأن أدركه غيرُ الكلحبة وأسره لّما ظلَعت فرسه .

قيل : ولما أُسر اختصم فيه اثنان : أحدهما أُنيف بن جبلة الضبّيّ ، وهو أحد بني عبد مناة بن سعد بن ضبّة ، وكان أُنيف يومئذ نازلاً في بني يربوع وليس معه من قومه أحد . وثانيهما : أسيد بن حِنّاءة السَّليطيّ . فاختصما إلى الحارث بن قُراد فحكم :

---

(١) الأبيات من مفضلية له ص٣١-٣٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠٣/٧ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١٤١-١٥٠ ؛ ونقائض جرير والفرزدق ٩٣-٩٤ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٥٣ .

(٢) صدر بيت لجرير في ديوانه ٦٣/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠٤/٧ . وعجزه :

* وشتا الهذيلُ يمارسُ الأغلالا *

وهو البيت الخامس والأربعون من قصيدة يهجو بها الأخطل ، وهي الأولى في رواية ابن حبيب ومطلعها :

حيّ الغداة برامة الأطلال ... رسماً تحمل أهله فأحالا

أنّ جزّ ناصيته لأنيف ، وأنَّ لأسيد عنده مائة من الإبل. فرضيا بذلك .

والحارث بن قُراد من بني حِميريّ بن رياح بن يربوع . وأمّه من بني عبد مناة بن بكر بن سعد بن ضبّة .

وقوله[١] : « فقد تركت إلخ » ، العرب كثيراً ما تذكر أنّ الخيل فعلت كذا وكذا ، وإنما يراد به أصحابها ، لأنهم عليها فعلوا وأدركوا . يقول : إنْ تنج يا حَزيمة من فرسي لم تُفلت إلاّ بنفسك ؛ وقد استبيح مالُكَ وما كنتَ حويته وغنمته ، فلم تدع لك هذه الفرس شيئاً .

وقوله : « ونادي منادي الحي إلخ » كأنّ الكَلحبة يعتذر من انفلات حزيمة، يقول : أتى الصريخُ وقد شربت فرسي ملءَ الحوض ماءً .

وخيل العرب إذا علمت أنه يُغار عليها - وكانت عطاشاً - فمنها ما يشرب بعض الشرب ولا يَروى ، وبعضها لا يشرب البتة لما قد جرّبت من الشدّة التي تلقى إذا شربت الماء وحُورب عليها . وفاعل شربت ضمير الفرس . وجملة «قد شربت» حال، أي : أُتيتم في هذه الحال .

وقوله : « وقلت لكأس . البيت » كأس بنت الكلحبة ، وقيل جاريته ؛ والعرب لا تثق في خيلها إلاّ بأولادها ونسائها . وقوله : لنفزعا ، أي : لنغيث ؛ يقول : ما نزلنا في هذا الموضع إلاّ لنغيث من استغاث بنا . والفزع من الأضداد، بمعنى الإغاثة والاستغاثة .

وقوله : « فأدركَ إبقاءَ العَرادة .. إلخ » . « العرادة » بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الكلحبة ، كانت أنثى . و« الإبقاء » : ما تبقيه الفرس من العَدْوِ ، إذْ من عتاق الخيل ما لا تعطي ما عندها من العدْو بل تبقي منه شيئاً إلى وقت الحاجة؛ يقال : فرس مبقية : إذا كانت تأتي بجري عند انقطاع جريها ، وقتَ الحاجة[٢] . يريد أنها شربت الماء فقطعها عن إبقائها ففاته حزيمة .

---

(١) النقل بحرفيته من شرح أبيات المغني للبغدادي ٧/٣٠٣-٣٠٥ .

(٢) في نوادر أبي زيد جاءت العبارة ١٥٤ :" وهي التي يظن أنه لا جري معها، فإذا طلب منها وجد عندها " . وفي القاموس واللسان (بقي) : " وهي التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل " . وفي الأساس : " وهي الخيل التي لا يخرجن ماعندهن من الجري ، فهن أحرى أن لا يلغبن " . واللغوب : التعب .

وروى « أنقاء العرادة » بفتح الهمزة وبالنون : جمع نِقو بالكسر ، وهو كل عظم ذي مخّ ، يعني ظلْعها وصل إلى عظامها . وروى أيضاً : « إرقال العرادة» بكسر الهمزة وبالقاف ، وهو السَّير السريع، وهو مفعول ، و« الظلع » فاعل .

قال ابن الأنباريّ[1] : الظُّلُوع في الإبل بمنزلة الغمْز أي : العرج اليسير ، يقال ظلَعَ يظلَع بفتحهما ظلعاً وظلوعاً ؛ ولا يكون الظلوع في الحافر إلا استعارة . يقول : فاتني حزيمة وما بيني وبينه إلاّ قدر إصبع .

وأورد الشارح هذا البيت في باب الإضافة على أن فيه حذف ثلاثة مضافات ، أي : جعلتني ذا مقدار مسافة إصبع . والأوْلى تقدير مضافين ، أي : ذا مسافة إصبع ، كما قدّر ابنُ هشام في « مغني اللبيب » ؛ فإن المسافة معناها البعد ، والمقدارُ لا حاجة إليه . والمسافة وزنها مَفعَلَة ، أي : محل السّوف وهو الشمّ وكان الدليل إذا سلك الطرق القديمة المهجورة أخذ ترابها فشمَّه ليعلم أعلى قصدٍ هو أم على جَور ؟ وإنما يقصد بشمّ التراب رائحة الأبوال والأبعار ، فيعلم بذلك أنه مسلوك .

وكذلك أورده صاحب « الكشاف » عند قوله تعالى[2] : « فكانَ قابَ قَوْسَين» قال : فيه حذف مضافين ، كما في هذا البيت . لكن تقديره مقدار مسافة إصبع يحتاج إلى تأويل لصحة الحمل .

وقوله : « أمرتكم أمري .. إلخ » اللِّوى بالقصر هو لوى الرمل ، أي : منقطعه حيث ينقطع ويفضي إلى الجدَد ؛ ومنعرجه : حيث انثنى منه وانعطف . وإنما قال بمنعرج اللوى ليعلم أين كان أمرُه إياهم ، كما قال الآخر [3] : (الكامل)

وَلَقَدْ أمَرْتُ أخَاكَ عَمْراً أمْرَهُ   فأبَى وَضيَّعَهُ بِذاتِ العُجْرُمِ

وهذا البيت من شواهد سيبويه . أورده الشارح أيضاً في باب الاستثناء ، على أن نصب المستثنى في مثله قليل . وقال الخليل : مضيَّعاً : حال ، وجاز تنكير ذي الحال لكونه عاماً كأنه قال : للمعصيّ أمره مضيعاً . وبهذا يسقط قول الأعلم حيث قال :

(١) لم نجد هذا القول عند ابن الأنباري في شرح المفضليات عندما شرح البيت ص٢٣ منها .

(٢) سورة النجم : ٥٣/٩ .

(٣) البيت لبشر بن سلوة في أساس البلاغة (أمر) ؛ والاختيارين ص١٨٤ ؛ ومعجم البلدان (عجرم) . وهو لعمرو ابن الأسود في الأصمعيات ص٧٩ .

وأمرت فلاناً أمره أي : أمرته بما ينبغي له من الخير .

«الشاهد فيه نصب مضيَّع على الحال من الأمر ؛ وهو حال من نكـرة . وفيـه ضعف لأن أصل الحال أن تكون للمعرفة » ا.هـ .

أقول : إنْ جعل حالاً مـن الضمـير المستقرّ في قولـه « للمعصـيّ » فإنـه خـبر لا النافية، فلا يرد عليه ما ذكر .

وقال النحاس : « ويجـوز أن يكـون حـالاً للمضمـر ، التقديـر إلاّ أمـراً في حـال تضييعه ، فهو حال من نكرة » .

أقول : هذا التقدير من باب الاستثناء ، ومضيّعاً وصف للمضمر لا حال منه .

وقال الأعلم : « ويجوز نصبه على الاستثناء ، والتقدير إلاّ أمراً مضيعاً . وفيه قبح لوضع الصفة موضع الموصوف » .

أقول : لا قبح ، فإنّ الموصوف كثيراً ما يحذَف لقرينة .

وقال ابن الأنباريّ : « الاستثناء منقطع » . أقول : التفريغ لا يكون في المنقطع ؟ ثم قال : « ولو رفع في غير هذا الموضع لجاز بجعله خبراً لـ لا » .

أقـول : يجـب حينئـذ أن يقـال ولا أمـراً للمعصـيّ بـالتنوين ، إلاّ علـى مذهـب البغداديين .

وقد أورد أبو زيد في نوادره [1] هـذه الأبيـات علـى غـير هـذا الـترتيب ، وروى أولها:

أمرتهم أمري بمنعرَج اللوى .. (البيت)

و« **الكَلْحَبَة** »[2] لقب الشاعر ، وهو بفتح الكاف وسكون اللام وبعدهـا حـاء مهملة فباء موحدة . ومعناه في اللغة صَوت النار ولهبها ، كذا في « العبـاب » . وزاد في « القاموس » : « وكلحَبَهُ بالسيف : ضربه » . و« العَرِيني » نسبة إلى عرين بفتح العين وكسر الراء المهملتين ؛ والياء في فَعيل تثبت في النسب ؛ وهو جدّه القريـب[3] . ويقال له : « اليربوعي » أيضاً نسبة إلى جده البعيد . وقولهم : الكلحبـة عُرَنـيّ نسبة

---

(١) نوادر أبي زيد ص١٥٣-١٥٤ .

(٢) انظر في ترجمته شرح أبيات المغني ٣٠٥/٧ ؛ والكامل في اللغة ٣/١ .

(٣) انظر الاشتقاق ص٢٢٦ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠٥/٧ .

إلى عُرَينه كجُهنيّ نسبة إلى جُهينة ، تحريف ؛ فإن عُرينة بالتصغير بطن من بَجيلة، وليس من نسبه .

قال الآمدي في « المؤتلف والمختلف »[1] : « الكلحبة اليربوعي اسمه هُبيرة بن عبد مناف بن عَرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، أحد فرسان بني تميم وساداتها ، وشاعر ؛ وهو القائل :

فقلتُ لكأس ألجميها .. (البيت)

وكذا قال أبو زيد في نوادره : اسمه هبيرة بن عبد مناف ، عمّ واقد بن [عبد الله ابن [2]] عبد مناف . ومثلَه قال ابن الأنباري : الكَلحبة : اسمه هبيرة بن عبد مناف.

وقال الصاغاني في « العباب » : قال أبو عبيد : كلحبة : اسمه عبد الله بن كلحبة ، ويقال هبيرة بن كلحبة ، فارس العَرادة ، ويقال اسمه حُرَير . وأثبتُ من ذلك أنّ اسمه هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف .. إلى آخر نسبه . وقال صاحب القاموس : الكلحبة شاعر عُرنيّ ، ولقب هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرين العَرنيّ فارس العَرادة . ا.هـ . فتأمَّل ما فيه !

والظاهر أن حُريراً ابنه ، وهو بضم الحاء المهملة وفتح الراء الأولى ، كما يفهم من قوله[3] : (الطويل)

لَعَلَّ حُرَيْراً أَخْطَأَتْهُ مَنِيَّةٌ ... سَتَأْتِيكَ بالعِلمِ العَشِيَّةُ أَوْ غَدُ
تَقُولُ لَهُ إحْدَى بَلِيٍّ شَمَاتَةً : ... مَنِ الحَنظَلِيُّ الفَارِسُ المُتَفَقَّدُ !

فإنه كان أراد بعض ملوك الشام ، فسار حتى [إذا [4]] صار في موضع يقال له قَرن ظَبي رجَع ، وقال : (الوافر)

رَدَدْتُ ظَعَائِنِي مِنْ قَرن ظَبْيٍ ... وَهُنَّ عَلَى شَمَائِلِهِنَّ زُوْرُ

فجاور في بليّ بن عمرو بن الحافِ [5] بن قضاعة ، فأغار عليهم بنو جشم بن

---

(١) المؤتلف والمختلف ص٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من نوادر أبي زيد ص١٥٣ .

(٣) البيتان في نوادر أبي زيد ص١٥٥ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من شرح المفضليات ص٢٤ .

(٥) وكذلك في نوادر أبي زيد ص١٥٥ .

بكر من بني تغلب ؛ فقاتل مع بليّ هو وابنه ، وقد أخذ بنو جشم أموالهم ، حتى ردّها؛ وجُرح ابنه فمات من جراحته .

ومن شعر الكَلحبة يخاطب جاريته كأساً ؛ رواه أبو زيد في نوادره [١] : (البسيط)

يا كأسُ وَيلَكِ إنّي غالَني خُلُقِي عَلَى السَّماحَةِ صُعلوكاً وذا مَال
تَخيَّري بَيْنَ راعٍ حَافِظٍ بَرَمٍ عَبْدِ الرِّشَاءِ عَليكِ الدَّهْرَ عَمَّالِ [٢]
وَبينَ أرْوَعَ مَشْمُولٍ خَلائِقُهُ مُسْتَغرقَ المَال لِلذَّاتِ مِكْسَالِ
فَأيُّ ذَينكِ إنْ نَابَتْكِ نَائِبَةٌ ! والقَومُ لَيْسُوا وإنْ سُوُّوا بأمْثَالِ

قال أبو حاتم : فأيّ بالرفع . قال أبو علي : أضمر « اختاري » لأن ذكره قد جرى ، فهو منصوب .

وقال أخوه يردّ عليه [٣] : (الطويل)

أَلَمْ تَكُ قَدْ جَرَّبْتَ ما الفَقْرُ والغِنَى وَمَا يَعظ الضَّلِيلَ إلا أُلالِكَا
عُقوقاً وإفْسَاداً لِكُلِّ مَعِيشَةٍ فَكيْفَ تَرَى أمْسَتْ إضَاعَةُ مَالِكَا

قال أبو حاتم : « إضاعةَ » بالنصب . وقال أبو علي : ترى المتعدية لمفعولين ، ألغاها.

﴿ تتمة ﴾

قد أخذ البيت الشاهدَ شبيب بن البَرصاء ، وغير قافيته وقال [٤] : (الطويل)

دَعَانِي حُصَينٌ للفِرار فَسَاءني مَواطِنُ أنْ يُثنَى عَلَيَّ فأُشْتَما
فَقُلتُ لِحِصْنٍ : نَجِّ نَفْسَكَ ، إنما يَذُودُ الفَتَى عَنْ حَوْضِهِ أنْ يُهَدَّما
تَأخَّرْتُ أستبقِي الحياةَ فَلَمْ أجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أنْ أتقَدّما
سَيكفِيكَ أطْرافَ الأسِنَّةِ فَارِسٌ إذا رِيعَ نَادى بالجَوادِ وأَلْجَمَا
إذا المرءُ لَمْ يَغْشَ الكَرِيهَةَ أوشكَتْ حِبالُ الهُوينَى بالفَتَى أنْ تَجَذَّمَا

---

(١) النوادر ص١٥٤ .

(٢) في طبعة بولاق : " حافظ بدم " . وهو تصحيف صوابه من النوادر .

(٣) البيتان في نوادر أبي زيد ص١٥٤ .

(٤) الأبيات في الأغاني ١٢/٢٨٠-٢٨١ ؛ وفيها : " وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيب في بذل النفس عند اللقاء ويعجب به " .

في « القاموس » : و« جذَمه » بالجيم والذال المعجمة فانجذم وتجذّم : قطعه .

ومثله كثير بين الشعراء .وسيأتي إن شاء الله تعالى له نظائر كثيرة .

و« البرصاء » هي أم شَبيب . وأبوه اسمه يزيد . وتنتهي نسبته إلى قيس بن عَيلان. وهو ابن خالة عَقيل بن عُلَّفة .وكلٌّ منهما كان شريفاً سيداً في قومه . وكانا من شعراء الدولة الأموية . وترجمتها طويلة في « الأغاني »[1] ، قال صاحبها : «كان عبد الملك بن مروان يتمثّل بهذه الأبيات لشَبيب بن البرصاء ، في بذل النفس عند اللقاء ، ويعجب منه » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والستون [2] : (الطويل)

٦٢- فإنّ فُؤادِي عِنْدَكِ الدَّهْرَ أجْمَعُ

صدره :

* فَإنْ يَكُ جُثْمانِي بِأرْضٍ سِواكُمُ *

على أن الضمير انتقل من متعلّق الظرف إلى الظرف وهو « عندك » . ووجه الدلالة أنه ليس قبل « أجمع » ما يصح أن يحمل عليه ، إلا اسم إنّ والضمير الذي في الظرف والدهر ؛ فاسم إنّ والدهر منصوبان ، فبقي حمله على المضمر في عندك . قال ابن هشام : « هذا هو المختار ، بدليلين : أحدهما امتناع تقديم الحال في نحو : زيد في الدار جالساً ، ولو كان العامل الفعل لم يمتنع . ولقوله :

* فإن فؤادي عندكِ الدهرَ أجمَعُ *

فأكّد الضمير المستتر في الظرف ، والضمير لا يستتر إلا في عامله ؛ ولا يصح أن يكون توكيداً لضمير محذوف مع الاستقرار ، لأن التوكيد والحذف متنافيان ؛ ولا

(١) الأغاني ٢٨٠/١٢ ؛ وانظر في ترجمة شبيب الأغاني ٢٧١/١٢ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٧٢٧ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٤٨/٧ ؛ والمؤتلف ص٩٠ .

(٢) هو الإنشاد الخامس والثمانون بعد الستمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهو لجميل بثينة في ديوانه ص١١١ ؛ والدرر ١٩/٢ ؛ وسمط اللآلئ ص٥٠٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٣٨/٦ ؛ وشرح التصريح ١٦٦/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٤٦/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٥٢٥/١ ؛ وهو لكثير عزة في ديوانه ص٤٠٤ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٢٠١/١ ؛ وشرح الأشموني ٩٣/١ ؛ ومغني اللبيب ٤٤٢/٢ .

لاسم إنّ على محله من الرفع بالابتداء، لأن الطالب للمحلّ قد زال».

وقوله «بأرض سواكم» قال أبو عبيد البكري في شرح نوادر أبي علي القالي: «يروى بأرض سواكم على الإضافة، وهذا بيّن؛ ويروى بأرضٍ سواكم يريد بأرضٍ سِوى أرضكم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه» ا.هـ. وقوله «عندكِ» بكسر الكاف، فإنه خطابٌ لامرأة. فإن قلت: فكيف قال «سواكم»؟ قلت: قد تخاطب المرأة بخطاب جماعة الذكور مبالغة في سترها، ومنه قوله تعالى[1]: «فقالَ لأهلِهِ امكثُوا».

وهذا البيت من قصيدة لجميل بن مَعْمَر يتغزَّل فيها بمحبوبته بُثينة. وما قبله[2]:

ألا تتَّقينَ اللهَ فِيمَنْ قَتَلْتِهِ ... فأمْسَى إليكُمْ خاشِعاً يَتَضَرَّعُ

وبعده:

إذا قُلتُ هَذا حِيْنُ أسْلُو وأجْتَري ... علَى هَجْرِها ظَلّت لها النَّفْسُ تَشْفَعُ

ألا تتَّقِيْنَ الله في قَتْلِ عَاشِقٍ ... لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَليكِ تَقَطَّعُ

غَريبٍ مَشوق مُولَع بادِّكارِكُمْ ... وَكُلُّ غَرِيْبِ الدَّارِ بالشَّوق مُولَعُ

فأصْبَحْتُ مما أحْدَثَ الدَّهرُ مُوجَعا ... وكُنتُ لِريْبِ الدَّهْرِ لا أتَخشّعُ

فيارَبِّ، حبّبنِي إليها وأعْطِنِي الـ ... ـمودّةَ مِنْها، أنتَ تُعْطِي وتَمْنَعُ

ورأيت في تذكرة أبي حيان أن البيت لكثيِّر عَزّة[3]، وقال: بعده:

إذا قُلتُ هَذا حِينُ أسْلُو ذَكَرْتها ... فَظَلَّتْ لها نَفسِي تَتوقُ وتَنْزِعُ

والصواب ما قدّمناه.

و«**جميل**»[4] هو جميل بن عبد الله بن مَعْمَر، كذا قال ابن الكلبي وفي اسم أبيه فمن فوقَه خلاف ذكره الآمدي في «المؤتلف والمختلف»[5]. وصاحبته بثينة.

---

(١) سورة طه: ٢٠/١٠.

(٢) الأبيات في ديوان جميل بثينة ص١١١-١١٢؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٦/٣٣٨-٣٣٩. وشرح شواهد المغني ٢/٨٤٦؛ والمقاصد النحوية ١/٥٢٦.

(٣) انظر ديوان كثير عزة ص١١٦؛ وديوان جميل بثينة ص١١٢.

(٤) انظر ترجمته الأغاني ٨/٩٠؛ والشعراء ص٣٤٦؛ والسمط ٢٩؛ وطبقات فحول الشعراء ص٦٤٨.

(٥) المؤتلف والمختلف ص٩٦.

وهما من عُذرة . ويكنى أبا عمرو . وهو أحد عشّاق العرب المشهورين. وكانت بثينة تكنى أمَّ عبد الملك ؛ ولها يقول جميل [١]:

يا أمَّ عَبْـدِ الـمَلِكِ اصْـرِمِيِنـي وَبيِّنـي صَـرْمَـكِ أوْ صِلِيْنِـي

ويقال أيضاً : إنّه جميل بن معمر بن عبد الله . والجمال و العشق في عُذرة كثير. وعشق جميل بثينة وهوغلام صغير ، فلما كبر خطبها فرُدَّ عنها ، فقال فيها الشعر ؛ وكان يأتيها وتأتيه – ومنزلهما [٢] وادي القرى – فجمع له قومُها جمعاً ليأخذوه ، فحذّرته بثينة ، فاستخفى وقال[٣] : (الطويل)

وَلَوْ أنَّ ألفـاً دُونَ بَثْنَـةَ كُلُّهُـمْ غَيَارى وَكُـلٌّ مُزْمِعُونَ عَلَى قَتلِي
لحاوَلتُها ، إمَّا نَهاراً مُجاهِراً وإمَّا سُرَى لَيلٍ ، وَلو قَطَعُوا رِجْلِي

وهجا قومَها فاستعدوا عليه مروان بن الحكم – وهو على المدينة من قِبل معاوية – فنذر ليقطعنّ لسانه . فلحق بجُذام فقال[٤] :(الطويل)

أتَانِـيَ عَنْ مَـرْوانَ بالغَيْـبِ : أنَّـهُ مُقِيـدُ دَمِـي أوْ قَـاطِعٌ مِـنْ لِسانِيا
فَفِي العِيْسِ مَنْجاةٌ وفي الأرْضِ مَذْهَبٌ إذا نَحْـنُ رَفَعنـا لَـهنَّ الـمَثـانِيَـا

فأقام هناك إلى أن عُزل مرْوان ، ثم انصرف إلى بلده .

ومن شعره فيها[٥] :

عَلِقتُ الهَوَى مِنْها وَلِيداً فَلَمْ يَـزَلْ إلى اليَـومِ يَنْمِـي حبُّهَـا ويَـزِيـدُ
وأفْنَيتُ عُمْـري بانْتِظـارِ نَـوالِـهـا فَبادَ بِـذاكَ الدَّهْـرُ وَهْـو جَـدِيـدُ
فَـلا أنَـا مَـرْدُودٌ بِـما جِئتُ طَالِبـاً وَلاحبُّـهـا فِيمَـا يَبِيـدُ يَبِيـدُ

ويستجاد له قوله[٦] : (الطويل)

---

(١) البيت من قصيدة في بثينة في ديوانه ص٢١٠-٢١١ ؛ والأغاني ١٣٥/٨ ؛ والشعر والشعراء ص٣٤٦ .

(٢) في طبعة بولاق : " ومنزلها " . والتصويب من السلفية ٣٥٨/١ .

(٣) البيتان في ديوان جميل ص١٧١ . وسمط اللآلئ ص٦٦٠ ؛ والشعر والشعراء ص٣٤٧ .

(٤) البيتان في ملحق ديوانه ص٢٤٧ ؛ وتزيين الأسواق ص٦٢ ؛ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١٧٠/١ ؛ والشعر والشعراء ص٣٤٧ .

(٥) الأبيات في ديوانه ص٦٣-٦٥ ؛ والأغاني ١٠٤/٨ .

(٦) البيت في ديوانه ص١٧٦ ؛ والأغاني ٩٥/٨ .

خَلِيلَيَّ فِيما عِشْتُما هَلْ رَأيتما ... قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِه قَبْلِي

وقالت بثينة ، ولا يُعرف لها شعرٌ غيره[1] : (الطويل)

وَإنَّ سُلُوِّي عَنْ جَمِيْلٍ لِسَاعَةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ ماحانَتْ وَلا حَانَ حِينُها

سَواءٌ عَلَيْنَا يا جَمِيْلَ بْنَ مَعْمَرٍ ... إذا مِتَّ بَأْسَاءُ الحَيَاةِ وَلِيْنُها

وترجمة جميل في « الأغاني » طويلة جداً ، وما ذكرناه ملخّص من طبقات الشعراء لابن قتيبة .

وذكر الآمدي في « المؤتلف والمختلف »[2] ثلاثةً ممن اسمُه جميل : أحدهم هذا. والثاني: جميل بن المعلّى الفَزاري وهو شاعر فارس ، ومن شعره[3]: (الوافر)

فَلا وأبِيْكَ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ... وَلا الدُّنْيا إذا ذَهَبَ الحَيَاءُ

والثالث جميل بن سَيْدَان الأسديّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون [4] : (الوافر)

٦٣- ألا يا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ
عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ الله السَّلامُ

---

(١) البيتان لبثينة في الشعر والشعراء ص٣٥٣ ؛ وشرح أبيات المغني ١٣٤/١ .

والبيت الأول في تاج العروس (حين) ؛ ولسان العرب (حين) ؛ ومجمل اللغة ١٢٨/٢ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٢٥/٢ .

(٢) المؤتلف والمختلف ص٩٦-٩٧ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص٩٧ .

(٤) هو الإنشاد السابع والسبعون بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للأحوص في ديوانه ص١٩٠ (الهامش) ؛ والدرر ١٩/٣ ، ١٥٥ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٠٢/٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٧٧/٢ ؛ ولسان العرب (شيع) ؛ ومجالس ثعلب ص٢٣٩ ؛ والمقاصد النحوية ٥٢٧/١ . وهو بلا نسبة في الخصائص ٣٨٦/٢ ؛ والدرر ٧٩/٦ ، ١٥٦ ؛ وشرح التصريح ٣٤٤/١ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٨٠٥ ؛ ومغني اللبيب ٣٥٦/٢ ، ٦٥٩ ؛ وهمع الهوامع ١٧٣/١ ، ٢٢٠ ؛ ١٣٠/٢ ، ١٤٠ .

وسيكرر البغدادي هذا الشاهد في الرقم /١١٤/ ، وهو فيما يبدو سهو من البغدادي .

لِما تقدّم في البيت قبله ، بدليل العطف عليه . فإنّ قوله « ورحمة الله » عطف على الضمير المستكنّ في « عليك » الراجع إلى « السلام » ، لأنه في التقدير : السَّلام حصَلَ عليكِ ، فحذف حصَل ونقل ضميره إلى عليك واستتر فيه .ولو كان الفعل محذوفاً مع الضمير لزم العطف بدون المعطوف عليه .

وبهذا البيت سقط قول ابن خروف بأنّ الظرف إنما يتحمل الضمير إذا تأخر عن المبتدأ . قال ابن هشام في المغني : « قول ابن خروف مخالفٌ لإطلاقهم ولقول ابن جنّي في هذا البيت : إنّ الأولى حملُه على العطف على ضمير الظرف لا على تقديم المعطوف على المعطوف عليه . قد اعترض بأنه تخلّص من ضرورة بأخرى ، وهو العطف مع عدم الفصل ، ولم يُعترض بعدم الضمير . وجوابه : أن عدم الفصل أسهل لوروده في النثر ، كمررت برجلٍ سواءٍ والعدمُ ، حتى قيل : إنه قياس » ا.هـ .

وإنّما نسب الأولويّة إلى ابن جنّي لأنه ذهب - تبعاً لغيره - في حرف الواو من المغني إلى أنه من باب تقدم المعطوف على المعطوف عليه ، وأنه من خصائص الواو .

وما زعمه الدماميني في « الاختصاص » : بأن السعد قال في « شرح المفتاح» إنّ تقديم المعطوف جائز بشرط الضرورة ، وعدم التقديم على العامل ، وكون العاطف أحد حروف خمسةٍ : الواو ، و الفاء ، و ثمّ ، و أو ، و لا ، صرّح به المحققون . وقال ابن السيِّد في « شرح أبيات الجمل » : مذهب الأخفش أنّه أراد : عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورة ؛ لأن السلام عنده فاعلُ عليك . ولا يلزم هذا سيبويه لأن السَّلام عنده مبتدأ ، وعليك خبره ، ورحمة الله معطوف على الضمير المستتر .

وأنشد ثعلب في أماليه [1] هذا البيت هكذا : (الوافر)

ألا يا نَخْلَةً مِنْ ذاتِ عِرْقٍ بَرُودَ الظِّلِّ شاعَكُمُ السَّلامُ

« شاعكم » : تبعكم ، وعليه لا شاهد فيه .وأنشده صاحب الجمل في باب النداء . قال اللخمي : و« نخلة » : منادى منكر وهو الشاهد . وحكى الأعلم : أن كل نكرة تؤنث فلا تكون إلاّ منصوبة وإن كانت مقصودة معيّنة . و« نخلة » عنده منادى مقصود ولكن لما نوّنها نصبها . قال : و« ذات عرق » : موضع بالحجاز .

(١) مجالس ثعلب ص ٢٣٩ .

وسلّم علي النخلة لأنه معهد أحبابه وملعبُه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازلَ مقام سُكّانها فتُسلّم عليها وتكثر من الحنين إليها .

قال الشاعر[1] : (الخفيف)

وَكمِثْلِ الأَحْبابِ ، لَوْ يَعلَمُ العَا ذِلُ ، عِنْدِي مَنازِلُ الأَحْبَابِ

ويحتمل أن يكون كنّى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرَها ، وخوفاً من أهلها وأقاربها . وعلى هذا الأخير اقتصر ابن أبي الإصبع في « تحرير التحبير » في باب الكناية ، قال : ومن نخوة العرب وغَيرتهم كنايتهم عن حرائر النساء بالبَيض ؛ وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه[2] : « كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ » ، وقال امرؤ القيس[3] : (الطويل)

وبَيضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُها تَمتَّعتُ مِنْ لَهوٍ بِها غَير مُعْجَلِ

ومن مليح الكناية قول بعض العرب[4] : (الوافر)

ألا يا نَخْلَةً من ذاتِ عِرْقٍ عَلَيكِ ورحْمَةُ الله السَّلامُ
سَأَلتُ النّاسَ عَنْكِ فخبَّرُونِي هَناً مِنْ ذاكَ تكرهُهُ الكِرَامُ
وَلَيسَ بِمَا أَحَلَّ الله بَأسٌ إذا هُوَ لَمْ يُخالِطْهُ الحَرامُ

فإنّ هذا الشاعر كنّى عن المرأة بالنخلة ، وبالهناة عن الرفث . فأمّا الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف[5] الكناية وغريبها » ا.هـ .

وقال شرّاح أبيات الجمل وغيرهم : بيت الشاهد لا يُعرف قائله ، وقيل هو للأحوص[6] . والله أعلم .

---

(١) البيت في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٠٣/٦ .

(٢) سورة الصافات : ٤٩/٣٧ .

(٣) من معلقته المشهورة في ديوانه ص ١٣ .

(٤) الأبيات بلا نسبة في شرح أبيات المغني ١٠٣/٦ .

(٥) في تحرير التحبير : " طريف" . بالمهملة .

(٦) لم نجد البيت في طبعة ديوانه .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون ، وهو من شواهد **س** [1] : (الطويل)

٦٤- أحَقّاً بَنِي أبنَاءِ سَلْمَى بنِ جَنْدَلٍ
تَهَدُّدُكُمْ إيَّايَ وَسْطَ المَجَالِسِ

على أن « تهدّدكم » فاعل الظرف أعني قوله « حقاً » لاعتماده على الاستفهام؛ والتقدير : أفي حقٍّ تهدّدكم إياي ؟ كما قال الآخر[2] : (الطويل)

* أفِي الحَقِّ أنِّي مُغْرمٌ بِكِ هَائِمٌ *

وجاز وقوعه ظرفاً وهو مصدر في الأصل لما بين الفعل والزمان من المضارعة ، وكأنه على حذف الوقت وإقامة المصدر مقامه ، كما قالوا : أتيتك خُفوقَ النجم ، أي : وقت خفوق النجم ، فكأنّ تقديره : أفي وقت حق .

وقال ابن الشجري في أماليه : قالوا حقّاً إنّك ذاهب ، وأكْبَرَ ظنّي أنك مقيم ؛ يريدون : في حق ، وفي أكبر ظني .

ولك في أنّ مذهبان : فمذهب سيبويه والأخفش والكوفيين رفعُ أنّ بالظرف ؛ وكل اسمِ حدَثٍ يتقدّمه ظرف يرتفع عند سيبويه بالظرف ارتفاعَ الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله : غداً الرحيلُ ، وأحقّاً أنّك ذاهب ، قال : حملوه على أفي حقّ أنّك ذاهب [والحق أنّك ذاهب [3]] . والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع اسم الحدث بالابتداء ويخبر عنه بالظرف المتقدم . حكى ذلك عنه سيبويه في قوله : وزعم الخليل أنَّ التهدّد ها هنا بمنزلة الرحيلُ بعد غد وأنّ « أنّ » بمنزلته ا.هـ .

---

(١) البيت للأسود بن يعفر في ديوانه ص ٤٢ ؛ والأغاني ٢٤/١٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٧٨/٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٤٦/١ ؛ والكتاب ١٣٥/٣ .

(٢) صدر بيت لعائذ بن المنذر وتمامه :

* وأنّكِ لاخَلٌّ هَوَاكِ ولاخَمرُ *

وهو الإنشاد السادس والسبعون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لعائذ بن المنذر في شرح التصريح ٣٣٩/١؛ والمقاصد النحوية ٨١/٣ .وهو لعابد بن المنذر في شرح شواهد المغني ١٧٢/١ .

وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٢٣٢/٢ ؛ وتخليص الشواهد ص ١٧٧ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٥٦/١ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٢٦٧ ؛ ومغني اللبيب ٥٥/١ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ، أخذت من الطبعة السلفية نقلا عن النسخة الشنقيطية .

وقال ابن هشام في مغني اللبيب : أنّ وصلَتها مبتدأ والظرف خبره ؛ وقال المبرِّد : حقاً : مصدر لحقّ محذوفاً ، وأنّ وصلتها فاعل ا.هـ .

وقد استشكل النحّاس قول الخليل أنّ التهدّد هنا بمنزلة الرحيل بعد غد .. إلخ ، فقال : وهذا مشكل ، وسألت عنه أبا الحسن فقال : لأنك تقول أحقّاً أن تتهدّدوا ، وكذا أحقّاً أنك منطلق ، قال : فحقّاً عنده ظرف كأنه قال : أفي حقٍّ انطلاقك ؛ قال: وحقيقته أزمنَ حقّ أنك منطلق [1] ؟ مثل[2] « واسألِ القَرْيَةَ » .

قال محمد بن يزيد : لم يُجز الخليل كسر إنّ هنا ، لأنه يكون التقدير : إنك ذاهبٌ حقاً ، ثم تقدّم ؛ ومحال أن يعمل ما بعد إنّ فيما قبلها . ولو كان العامل فيها جاز فيه التقديم والتأخير نحو حقاً ضربت زيداً ؛ ولا يجوز حقاً زيد في الدار ، فلذلك اضطر إلى تقدير « في » . وإن قلت : أحقاً أنك ذاهب ، جاز لأن العامل معنى ا.هـ[3] . قال النحاس : وسمعت أبا الحسن يقول : نظرت في « أحقاً » فلم أجد يصحّ فيه إلاّ قولُ سيبويه : على حذف في ا.هـ . أراد بهذا الردَّ على الجرمي فإنه قال في هذا البيت ونحوه : هو على التقديم والتأخير، ولا يكون على ما قاله سيبويه : من أنه ظرف ؛ لأن الظرف لم يجيء مصدراً في غير هذا . وهذا الذي قاله قبيح من جهة أن ما ينتصب لدلالة الجملة عليه متقدم . قال أبو علي في التذكرة هذا ليس بالحسن ، على أن سيبويه قال : غيرَ ذي شكّ أنه خارج . وقولهم : غيرَ ذي شكّ ، فيه دلالة على جواز نصب حقاً على الظرف ؛ ألا ترى أنه إنما أجاز تقديمه حيث كان غير ذي شك بمنزلة حقاً وفي معناه ؛ فلولا أن حقاً في معنى الظرف عندهم لم يستعملوا تقديم ما كان في معناه ، إذ العامل إذا كان معنى لم يتقدّم عليه معموله ؛ فلولا أن حقّاً بمنزلة الظرف لما تقدّم على العامل فيه وهو معنى . ويؤكد ذلك أيضاً قولهم : أكبرَ ظنّي أنك منطلق ، فإجراؤهم إياه مجرى الظرف يدلّ على أن حقاً أيضاً قد أجريَ مجرى الظرف، إذْ كانا متقاربَي المعنى . وقد أجرى الجرميّ هذه الأبيات التي أنشدها سيبويه على أنّها محمولة على المصدر ، وأن ما بعد المصدر محمول على الفعل أو على المصدر،

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٦٣/١ : " كذا في الطبعة الأولى - بولاق - وفي الشنقيطية ."وحقيقية أن من حق أنك منطلق " .

(٢) سورة يوسف : ١٢ / ٨٢ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٣٦٣/١ : " كذا في الطبعة الأولى وفي الشنقيطية :" وإن شئت قلت أحق أنك ذاهب، جاز لأن العامل معنى أما ".

فإما أن يعمل فيه المصدر وإما أن يعمل فيه الفعل العامل في المصدر . وهذا الذي أجازه جائز غير ممتنع وهو ظاهر . وقد كنت سألت أبا بكر عنه فقلت : ما تنكر أن يكون محمولاً على الفعل ؟ فأجاز ذلك و لم يمتنع منه » ا.هـ .

و«بني» منادى مضاف لما بعده . و« سَلمى » بفتح السين . وروي «وعيدكم» بدل تهدّدكم . « وسْط » بسكون السين : ظرف بمعنى بَين .

وهذا البيت للأسود بن يَعفُر ، أول أبيات أربعة .وهذا ما بعده[1] : (الطويل)

فَهَلاّ جَعَلتُم نَحْوَه مِنْ وَعِيْدِكُم ... عَلَى رَهْطِ قَعقاعٍ وَرَهْطِ ابنِ حابسِ!
هُمُ مَنَعُوا مِنكُم تُراثَ أبيكُمْ ... فَصَارَ التُّراثُ للكِرامِ الأكايِسِ
وَهُمْ أورَدُوكُم ضَفّةَ البَحْرِ طَامِياً ... وَهُمْ تَركُوكُم بَين خازٍ وناكِسِ

« نحوه » : أي : مثله ، أي : مثل ما هدّدتموني به . و« الأكايس » : جمع أكيَس ، من الكِياسة وهي الظَّرافة . و« الضّفّة » بالفتح والكسر : جانب البحر والنهر والبئر . و«طامياً»: من طما الماءُ يطمو طُمواً ويَطمي طُميّاً فهو طامٍ : إذا ارتفع وملأ النهر ، وهو بالطاء المهملة . و« خازٍ » : من خزِيَ بالكسر يخزى خِزياً ؛ إذا ذلّ وهان . و« الناكس » : المطأطئ رأسَه .

والسبب في هذه الأبيات كما في « الأغاني »[2] : أن أبا جُعَل أخا بني عمرو ابن حنظلة من البراجم ، جمع من شُذّاذ أسد وتميم وغيرهم؛ فغزوا بني الحارث بن تَيم اللـه بن ثعلبة ، فَنذِروا[3] بهم وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى فَضّوا جَمعهم ؛ فلحق رجل من بني الحارث بن تيم اللـه بن ثعلبة جماعةً من بني نَهشل فيهم جرّاح بن الأسود بن يعفر ، وحُرير بن شمر بن هِزّان[4] بن زهير بن جَندل ، ورافع بن صُهَيب بن حارثة ابن جندل ، وعمرو والحارث ابنا حرير بن سَلمى ابن جندل ؛ فقال لهم الحارثي : هلمّ إلي يا طلقاء فقد أعجبني قتالكم ، وأنا خير لكم من العطش . قالوا : نعم . فنزل ليجزّ نواصيهم ، فنظر جرّاح بن الأسود إلى فرسه[5] فإذا هو أجْوَد فرس في الأرض

(١) الأبيات للأسود بن يعفر في الأغاني ١٣/٢٤ - ٢٥ .

(٢) الأغاني ١٣/٢٣-٢٤ .

(٣) نذروا بهم : علموا بهم فحذروهم .

(٤) في الأغاني ١٣/٢٣ : " الحرُّ بن هِزّان " .

(٥) في الأغاني ١٣/٢٣ :" إلى فرس من خيلهم " ؛ أي من خيل رهط الحارثي .

- يقال له العصماء - فوثب فركبها [وركضها][١] ونجا عليها . فقال الحارثي للذين بقوا معه : أتعرفون هذا ؟ قالوا: نعم ، نحن لك عليه خفراء . فلمّا أتى جرّاح أباه أمَرَه فهرب بها في بني سعد فابتطَنَها ثلاثةَ أبطُن - وكان يقال لها العصماء - فلما رجع النفر النهشليّون إلى قومهم قالوا : إنا خفراء فارس العَصماء ، فوالله لنأخذنّها . فأوعدُوه ، وقال حُرير ورافع : نحن الخفيران لها - وكان بنو جرول حلفاء بني سَلمى ابن جندل على بني حارثة بن جندل - [٢]فأعانه على ذلك التّيجان بن بَلْج بن جَرول ابن نهشل . فقال الأسود بن يعفر يهجوه[٣] : (الطويل)

أتاني وَلَمْ أخْشَ الذِي ابتُعِثَا بِهِ ... خَفِيْرا بَنِي سَلْمَى حُريرٌ وَرافِعُ
هُم خيّبونِي كُلَّ يَومٍ غَنِيمَةٍ ... وَأهلكتُهمْ لَوْ أنَّ ذَلِك نَافِعُ

وسيأتي إن شاء الله تعالى شرح هذا مع بقية الأبيات في آخر الكتاب في حروف الشرط .

قال : فلما رأى الأسود أنهم لا يقلعون عن الفرس أو يردّها أحلفَهم عليها، فحلفوا أنهم خفراء لها ، فردّ الفرس عليهم وأمسك أمْهارها ، فردُّوا الفرس إلى صاحبها ؛ ثم أظهر الأمهار بعد ذلك فأوعدوه فيها أن يأخذوها . فقال الأسود[٤] :

أحَقّاً بَني أبناءِ سَلْمَى بنِ جَنْدلِ . الأبيات الأربعة

و« **الأسود** »[٥] هو ابن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم .

قال السيوطي [٦] : وجعله محمد بن سلاّم في الطبقة الثانية مع خداش بن زهير والمخبَّل السعدي والنمر بن تولب [٧] . وكنيته أبو الجرّاح . وكان ممن يهجو قومه .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني .

(٢) في أصول جميع الطبعات : " فأعان " . والتصويب من الأغاني .

(٣) البيتان في ديوانه ص٤٥ ؛ والأغاني ٢٤/١٣ .

(٤) في طبعة بولاق : " أحقاً بني أسماء سلمى بن جندل " . والتصويب من الطبعة السلفية نقلاً عن الشنقيطية .

(٥) انظر في ترجمته الأغاني ١٥/١٣ ؛وشرح أبيات المغني ٢١٨/١؛وطبقات الفحول ص١٤٣ ؛ والمؤتلف ص١٦.

(٦) شواهد مغني اللبيب للسيوطي ص٥٢ ، ١٨٨ .

(٧) هذا خلط من السيوطي ؛ فابن سلام في طبقاته عدّ الأسود بن يعفر مع خداش بن زهير والمخبل في الطبقة الخامسة من الجاهليين . (طبقات فحول الشعراء ص١٤٣) . وأما النمر بن تولب العكلي فقد عدّه في الطبقة =

وترجمه الآمدي في « المؤتلف والمختلف »[1] فيمن لقب بالأعشى ، فقال : ومنهم أعشى بني نهشل وهو الأسود بن يعفر بن الأسود بن حارثة بن جندل بن نهشل بن دارم ، الشاعر المشهور ا.هـ .

وفي « الصحاح » « الأسود بن يعفر الشاعر إذا قلته بفتح الياء لم تصرفه لأنه مثل يقتل . وقال يونس : سمعت رؤبة يقول أسود بن يُعفر بضم الياء - أي : وبضم الفاء أيضاً - وهذا ينصرف لأنه قد زال عنه شبه الفعل » ا.هـ .

وهو شاعر مقدّم فصيح من شعراء الجاهلية . ليس بمكثر . وله القصيدة المشهورة التي أولها[2] : (الكامل)

نَامَ الخَلِيُّ وَمَا أُحِسُّ رُقَادِي ... والهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وَسَادِي

وفيها أبياتٌ شواهد في المغني لابن هشام تشرح هناك إن شاء الله تعالى ، وهي من مختار أشعار العرب ، وحكمُها مأثورة .

وكان ينادم النعمان بن المنذر . ولما أسنَّ كُفَّ بصره ، فكان يقاد إذا ذهب إلى موضع .

وابنه « الجرّاح » وأخوهُ حُطائط شاعران . ومن شعر حُطائط ، يقول لأمه وقد عاتبته على جوده[3] : (الطويل)

أرِينِي جَواداً مَات هُزَلاً لعلّني ... أرَى مَا تَرَيْنَ أوْ بَخِيلاً مُخلّدا

ذَرِينِي أكُنْ للمالِ ربّاً وَلا يَكُنْ ... لِيَ المَالُ ربّاً تَحْمدي غِبَّه غَدا

= الثامنة من الجاهليين . (طبقات فحول الشعراء ص١٦٠) .

(١) المؤتلف والمختلف ص١٦ .

(٢) هو الإنشاد التاسع عشر بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للأسود بن يعفر في ديوانه ص٢٥ ؛ وأساس البلاغة (حضر) ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٤٧ . وشرح أبيات المغني ٢٧٩/٥ ؛ والمفضليات ص٢١٦ .

(٣) الأبيات في الأغاني ٢٧/١٣-٢٨ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢١٩/١ .

والبيت الأول مختلف في نسبته ، فهو لحاتم الطائي في ديوانه ص٢١٨ ؛ ولحطائط بن يعفر في سمط اللآلئ ص٧١٤ ؛ وشرح أبيات المغني ٢١٩/١ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٧٣٣ ؛ وشرح المفصل ٧٨/٨ ؛ والشعر والشعراء ٢٥٤/١ ؛ وهو لحاتم أو لحطائط في شرح التصريح ١١١/١ ؛ والمقاصد النحوية ٣٦٩/١ ؛ ولحاتم أو لحطائط أو لدريد في لسان العرب (علل) .

ذَرِينـي يَكُنْ مَـالِـي لِعِرضِي وِقايَـةً يَقِي المالُ عِرضِي قَبْلَ أنْ يتبدّدا[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون ، وهو من شواهد **س** [2] :

٦٥- أكـلَّ عَـامٍ نَعَـمٌ تَحـوُونَـهْ

على أنه بتقدير « حِواية نَعَم » ليصح الإخبار عن اسم العين باسم الزمـان ، فـإن قوله « أكلّ عام » منصوب على الظرف في موضع خبر لقوله « نعمٌ » فوجب تقديـر مضاف . وقدّره الشارح المحقّق « حِواية » بدليل تحوونه ؛ وهو مصدر حويت الشيء أحويه : إذا ضممته واستوليت عليـه وملكتـه .وقـدّره ابـن النـاظم في شـرح الخلاصـة «إحرازُ نَعم » . وقدّره ابن هشام « نَهْبُ نَعَم » . وقدره ابن خلف « أخذ نعم » أو تحصيل نعم . وقال النحاس : كان المبرّد يذهب إلى أن المعنى : أكلَّ عام حدوث نَعَم! فيكون كلّ منصوباً بالحدوث كما تقول : الليلةُ الهلالُ . قال أبـو الحسـن ردّاً عليـه : ليس النعم شيئاً يحدُث لم يكـن ، كيـوم الجمعـة ومـا أشبهه ، ولكـن العـامل في كـلّ الاستقرارُ والخبرُ محذوف كأنه قال : نَعَمٌ تحوونه لكم ا.هـ .

أقول : المبرّد قـدَّر هـذا المضـاف لصحـة الإخبـار ، لا لأنـه عـامل في الظـرف . وكيف يكون العامل في كلّ الاستقرار مع كون الخبر محذوفاً مقدّراً بلَكم ! فتأمل .

وقدّر صاحب اللب المحذوفَ مثلَ المبرّد ، قال شارحه : « يحتمل أن يكون مراده أن المضاف هنا محذوف ، أي : أ حدوث نعم حصل في كلّ عام ، أو أ حصل في كلّ عام حدوث نعم ؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، فيكون المبتدأ أو العامل في التقدير حدثاً غير مستمرّ . وأن يكون مراده أنَّ للنعـم في نفسـه تجـدّداً وحدوثـاً في كلّ عام كما أن في نفس الهلال تجدّداً وحدوثاً في كل شهر » ا.هـ .

وفهم من كلامه شيئآن :

---

(١) في الطبعة السلفية ٣٦٧/١ : " في الطبعة الأولى " ففي المال " والتصحيح للعلامة الميمني وكذلك في ش " .

(٢) الرجز لقيس بن حصين في الكتاب ١٢٩/١ ؛ ولصبي من بني سعد قيل إنه قيس بن الحصين في المقاصد النحوية ٥٢٩/١ ؛ ولحصين بن زيد في شرح أبيات سيبويه ١١٩/١ . ولرجل طيئ في الأغاني ٢٥٦/١٦ . وهو بـلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٠٢/٣ ؛ والإنصاف ص٦٢ ؛ وتاج العروس (نعم) ؛ وتخليـص الشـواهد ص١٩١ ؛ وتهذيب اللغة ١٣/٣ ؛ والرد على النحاة ص١٢٠ ؛ والكامل في التـاريخ ٦٢٣/١ ؛ ولسـان العرب (أبل ، نعم) ؛ واللمع ص١١٣ ؛ والمخصص ١٩/١٧ .

الأول الردّ على أبي الحسن في قوله : « ليس النعم شيئاً يحدث » . والثاني : أنّ نعماً لا يتعين أن يكون مبتدأ ، بل يجوز أيضاً أن يكون فاعل الظرف . ومثله قال ابن هشام في « شرح الشواهد » : « الأحسن أن يكون نَعَمٌ فاعلاً بالظرف لاعتماده فلا مبتدأ ولا خبر ، ومع هذا فلا بد من التقدير أيضاً ، لأنه لأجل المعنى لا لأجل المبتدأ ؛ إذ الذي يحكم له [1] بالاستقرار هو الأفعال لا الذوات» ا.هـ .

وأورد **س** هذا البيت على أن جملة « تحْوونه » صفة لنعم . واستشهد به أيضاً صاحب الكشاف على تذكير الأنعام في قوله تعالى[2] : « وإنّ لَكم في الأنعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكم مِمَّا في بُطونِهِ » ، لأنه مذكّر ، كما ذكّر الشاعر الضمير المنصوب في تحوونه الراجع إلى النعم . لأنه « النَّعَم » اسم مفرد بمعنى الجمع ، قال الفرّاء : هو مفرد لا يؤنث ، يقال هذا نَعَمٌ وارد . وقال الهَرويّ : والنعم يذكّر ويؤنث وكذلك الأنعام تذكّر وتؤنث ؛ ولهذا قال : مما في بطونه ، وفي موضع آخر : مما في بطونها . قال الراغب في موضعٍ : النعم مختصّ بالإبل . قال : وتسميته بذلك لكون الإبل عندهم أعظم نعمة. ثم قال : لكن الأنعام يقال للإبل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون فيها إبل . وقال في قوله تعالى[3] « ممّا يأكلُ النّاسُ والأنْعامُ » : إن الأنعام ها هنا عامٌّ في الإبل وغيرها .

ورُوي أيضاً : « في كلّ عامٍ » بالجارّ بدل الهمزة ، والهمزة للاستفهام الإنكاري. وبعده[4] : (الرجز)

يُلقِحُه قَومٌ وتَنْتِجونَهْ أربَابُهُ نَوْكَى فَلا يَحمُونَهْ

ولا يُلاقُونَ طِعانَاً دُونَهْ أَنعَمَ الأبنَاءِ تَحسبُونَهْ

أيْهاتَ أيْهات لِما تَرْجُونَهْ

يقول : يحملون الفُحولة على النُّوق ، فإذا حملت أغرتم أنتم عليها فأخذتموها وهي حَوامل فتلِد عندكم . يقال : ألقح الفحل الناقة : إذا أحبلها . و« اللّقاح»

(١) في الطبعة السلفية : " كذا في ش . وفي الطبعة الأولى " عليه " " .

(٢) سورة النحل : ١٦/٦٦ .

(٣) سورة يونس : ١٠/٢٤ .

(٤) الرجز لقيس بن حصين ، قاله يوم الكلاب الثاني ، هو في الأغاني ١٦/٣٣٠ ؛ والكامل في التاريخ ١/٦٢٤ ؛ والنقائض ص١٥٠ .

كسحاب: ماءُ الفحل . وتنتِجونـه ، بتـاء الخطـاب ، يقـال : نتـجَ الناقـةَ أهلُهـا أي : استولدوها ، وأنتجتِ الفَرَسُ بالهمزة : حان نِتاجها .

قال صاحب « المصباح » : «النتاج بالكسر اسم يشمل وضع البهائم مـن الغنـم وغيرها . وإذا وليَ الإنسان ناقةً أو شاة ماخِضاً حتّى تضع قيل : نتجها نتْجاً من بـاب ضرب ، فالإنسان كالقابلة لأنه يتلقّى الولد ويصلح من شأنه ؛ فهـو نـاتج ، والبهيمـة منتوجة ، والولد نتيجة . والأصل في الفعل أن يتعدى إلى مفعولين فيقال نتجها ولداً ، لأنه بمعنى ولّدها ولداً . ويبني الفعل للمفعول فيحـذف الفـاعل ويقـام المفعـول الأول مُقامه . ويقال : نُتجت الناقةُ ولداً إذا وضعته ويجـوز حـذف المفعـول الثـاني اقتصـاراً لفهم المعنى ، فيقال : نُتجَتِ الشاةُ . ويجوز إقامة المفعول الثاني مقام الفـاعل وحـذف المفعول الأول لفهم المعنى فيقـال : نُتج الولـدُ ونُتجـت السـخلةُ أي : وُلـدت . وقـد يقـال: نَتجـت الناقـةُ ولـداً ، بالبنـاء للفـاعل علـى معنـى ولـدت أو حملـت . قـال السَّرَقُسْطيّ: نتج الرجلُ الحامل : وضعت عنده ، ونَتجت هـي أيضـاً : حملـت ، لغـة قليلة . وأنتجت الفرسُ وذو الحافر بالألف : استبان حملها فهي نتوج » ا.هـ .

وهذا التفصيل لا يوجد في غير هذا الكتاب ، ولهذا نقل برمّته .

و« نَوكى » بفتح النون : جمع أنْـوَك ،وهـو الأحمـق الضعيـف التدبـير والعمـل ؛ والاسم النَّوك بالضم والفتح ، نَوِك كفرح نَواكة ونَوكا محرّكة واستنوك ، وهو أنـوَك ومستنوِك، والجمع نوكى كسكرى ونُوك كهـوج ، وامـرأة نَوكـاء مـن نُـوك أيضـاً . وأنوَكه : صادفه أنوكَ وقوله : فلا يحمونه ، أي : لا يمنعـون مـن أراد الإغـارة عليـه . و«الأبناء » : كلّ بني سعد بن زَيد[1] إلاّ بني كعب بن سعد[2] . وتحسـبونه بالخطـاب أيضاً . و« أيهات » : لغة في هيهات . وقوله : لمـا ترجونـه ، بالخطـاب أيضـاً، أي : رَجوا أن يدوم لهم هذا الفعل في الناس فمنعناهم منه وحمينا ما ينبغي أن نحميه .

وهذه الأبيات قيلت في يوم الكلاب الثاني ، فإن للعرب فيه يومين عظيمين. وهو بضم الكاف وتخفيف اللام ، وهو ماء لبني تميم بين الكوفة والبصرة .

---

(١) في طبعة بولاق : " كل بني سعد وبني زيد " . وفي السلفية ١/٣٧٠ نقلاً عن الشنقيطية : " كل بـني سعد بـن مزيد " . والتصويب من جمهرة أنساب العرب ص٢١٥ ؛ والنقائض ص١٥٠ .

(٢) في جمهرة أنساب العرب ص٢١٥ : " ... ؛ كلهـم يدعـون الأبنـاء ، حاشـا كعـب وعمـرو ، فإنهمـا يُدْعَـون البطون " .

وكان من حديث هذا اليوم على ما في شرح المناقضات وفي الأغاني [١]: أنه لما أوقع كسرى ببني تميم - وذلك أنهم كانوا أغاروا على لَطيمته فلجئوا إلى الكُلاب ، وذلك في القَيظ ، وقد أمنوا أن تُقطع عليهم تلك الصّحارى ، فدلّ عليهم بنو الحارث ابن عبد المَدان فقَتلت المقاتلة وبقي الذراريّ والأموال - بلغ ذلك مَذحجاً فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : اغتنموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة ، فقالت مذحج للمأمور الحارثي الكاهن : ما ترى ؟ فأشار بالكفّ عن غزوهم .

وزعموا أنه اجتمع من مذحج ولفِّها اثنا عشر ألفاً - فكان رئيسَ مَذحج عبدُ يغوث بن وقّاص [٢] ، ورئيس همْدان رجلٌ يقال له مِشْرَح [٣] ، ورئيس كندة البَرّاء ابن قيس بن الحارث الملك - فأقبلوا إلى بني تميم فبلغ ذلك سعداً والرِّباب ، فانطلق ناسٌ من أشرافهم إلى أكثم بن صيفي فاستشاره .

فقال : « أقلّوا الخلافَ على أمرائكم ، واعلموا أنَّ كثرة الصياح من الفشل ، تثبّتوا فإنّ أحزم الفريقين الرَّكين ، وربّما عجلةٍ تهبُ رَيثاً ؛ وابرُزوا للحرب ، وادّرعوا الليل فإنه أخفى للويل » .

فلما انصرفوا من عند أكثم تهيؤوا للغزو واستعدّوا للحرب . وأقبل أهل اليمن في بني الحارث من أشرافهم : يزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المخرَّم ، ويزيد بن اليَكْسُم [٤] ابن المأمور ، ويزيد بن هَوْبر ، حتى إذا كانوا بتَيمَن - وهي ما بين نجران إلى بلاد بني تميم - نزلوا قريباً من الكُلاب ، ورجل من بني زيد بن رياح بن يربوع يقال له مشمّت بن زنباع في إبل له وهو عند خالٍ له من بني سعدٍ ، ومعه رجل من

---

(١) الأغاني ٣٢٩/١٦ ؛ والكامل في التاريخ ٦٢٢/١ ؛ والنقائض ص١٤٩ . وفي حاشية طبعة هارون قال : "النقائض ١٠٧٢ " . وبذلك يكون قد خلط بين يوم الكلاب الأول ، ويوم الكلاب الثاني .

(٢) في الأغاني ٣٢٩/١٦ : " عبد يغوث بن صلاءة " . وفي النقائض ص١٤٩ : " عبد يغوث بن وقاص بن صلاءة" . وفي ترجمته في الأغاني ٣٢٨/١٦ : " هو عبد يغوث بن صلاءة ، وقيل : بل هو عبد يغوث بن الحارث ابن وقاص بن صلاءة - وهو قول ابن الكلبي ..." وفي نسبه خلاف .

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية والنقائض : " مِشْرَح " . وفي الأغاني " مسرح " بالسين المهملة . وفي طبعة هارون: " ليشرح " .

(٤) في طبعة بولاق : " الطيسم " . بالمهملة . وفي الأغاني : " الطيثم " بالمعجمة . وفي طبعتي السلفية وهارون : "بن اليكسم " . وفي النقائض : " يزيد بن الكَيْشَم " .

بني سعد[١] يقال له زهير بن بوّ ، فلما أبصرهم المشمّت قال لزهير : دونك الإبل . وتنحَّى عن طريقهم [٢] حتّى أتى الحيّ فأنذرهم ، فأعدُّوا للقوم وصبّحوهم ، فأغاروا على النعم فأطرَدوه ، وجعل رجلٌ من أهل اليمن يقول[٣] : (الرجز)

فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمْ نَنْتَابُهْ عَلَى الكُلابِ غُيَّباً أرْبَابُهْ

فأجابه غلام من بني سعد كان في النَّعَم على فرس له ، فقال[٤] :

عما قليل يلحقن أربابه

وروى :

عما قليل ستُرى أربابه

صُلْبَ القَناةِ حَازِماً شَبابُهْ عَلَى جِيادٍ ضُمَّرٍ غِيابُهْ

وأقبل بنو سعد والرِّباب –ورئيس الرِّباب النعمان بن جِسَاس ، بكسر الجيم وتخفيف السين ، ورئيس بني سعد قيس بن عاصم .

وأجمع العلماء على أن قيس بن عاصم كان الرئيس يومئذ – فقال رجل من بني ضبّة حين دنا من القوم –وقال شراح أبيات سيبويه : هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثي –:

في كلِّ عام نعم تحوونه .... الأبيات

وتقدمت سعد والرِّباب فالتقوا في أوائل الناس فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النعم من قبل وجوهه فجعلوا يصرفونه بأرماحهم [٥] ، واختلط القوم فاقتتلوا قتالاً شديداً يومَهم ، حتّى إذا كان آخرُ النهار قُتل النعمان بن جساس ، وظنّ أهل اليمن أنَّ بني تميم ليسوا بكثير ، حتى قُتِل النعمان فلم يزدهم ذلك إلا جراءة ؛ فاقتتلوا حتّى حجز

(١) هذه الجملة ساقطة من الأغاني والنقائض .

(٢) في الأغاني والنقائض : " وتَنَحَّ عن طريقهم " .

(٣) الرجز في الأغاني ١٦/٣٣٠ ؛ والنقائض ص١٥٠ .

(٤) الخبر والرجز في الأغاني ١٦/٣٣٠ ؛ والنقائض ص١٥٠ .

(٥) في طبعة بولاق : " وجوهها فجعلوا يضربونها بأرماحهم " . وفي طبعتي السلفية وهارون : " فجعلوا يصوفونه بأرماحهم " . وكذلك في النقائض . أما في الأغاني : " فجعلوا يصرفونها ..."

بينهم الليل . فلما صبحوا غـدَوا على القتـال (١) . فنـادى قيس بـن عـاصم : يـا آل مُقاعس – وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد منـاة بـن تميـم – فسـمع الصوتَ وعلةُ بن عبد الله بن الجَرميّ وكان صـاحب اللـواء يومئـذ فطرحـه ، وكـان أوّلَ من انهزم منهم ، وحملت عليهـم سـعد والرِّبـاب فهزموهـم وجعـل رجـل منهـم يقول(٢): (الرجز)

يـا قَـومُ لا يُفلِتْـكُـمُ اليَـزيْـدانْ يَـزيْـدُ حَـزْنٍ وَيَـزِيْـدُ الرَّيـانْ
مُـخَـرِّم أعْنِـي بِـهِ والَـدّيـانْ

« مُخرِّم » هو ابن شُريح بن المخرِّم بن حَزن بن زياد بن الحارث بـن مـالك بـن ربيعة بن كعب بن الحارث . وهو صاحب المخرِّم ببغداد (٣) .

وجعل قيس ينادي : يالَ تميم ، لا تقتلوا إلاّ فارساً فإنّ الرجالة لكـم(٤) ! وجعـل يأخذ الأسرى فما زالوا في آثار القوم يقتلون ويأسِرون حتى أسروا عبد يغوث بـن وقّاص . وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في باب المنادى عنـد شـرح قولـه(٥) : (الطويل)

(١) في الأغاني ٣٣١/١٦ ؛ والنقائض ص١٥١ : " فلما أصبحوا غدوا على القتال ، فنادى قيس بـن عـاصم يـا لـ سعدٍ ، ونادى عبد يغوث يا لـ سعدٍ قيسٌ يدعو سعدَ بنَ زيد مناة ، وعبد يغوث يدعـو سـعد العشيرة ، فلمـا سمع ذلك قيس نادى يالـ كعبٍ ، ونادى عبد يغوث يالـ كعب ، قيسٌ يدعو بني كعب بن سعد ، وعبد يغوث يدعو بني كعب بن عمرو ..." .

(٢) الرجز في الأغاني ٣٣١/١٦ ؛ والنقائض ص١٥١ .

(٣) جاء النسب في النقائض ص١٥١ : " مخرم بن شريح بن المخرم بن جرم بن زياد بن مالك بن الحرث بن مـالك ابن ربيعة بن كعب بن الحارث ، وهو صاحب المخرم الذي ببغداد " . وكذا في معجم البلدان (المخرم) .

(٤) في الأغاني ٣٣٢/١٦ ؛ والنقائض ص١٥٢ : " .... إلا فارساً فإن الرجالة لكم ، وجعل يرتجز ، ويقول :

لـما تـولـوا عصباً شـوازبـا أقسـمت لا أطعـن إلا راكبـا
إني وجـدت فيـهـم صـائبـا

(٥) البيت لعبد يغوث بن وقاص في الأشباه والنظائر ٢٤٣/٦ ؛ وشرح أبيـات المغـني للبغـدادي ١٣٧/٥ ؛ وشـرح اختيـارات المفضـل ص٧٦٧ ؛ وشـرح التصريح ١٦٧/٢ ؛ وشرح المفصـل ١٢٨/١ ؛ والعقـد الفريـد ٢٢٩/٥ ؛ والكتـاب ٢٠٠/٢ ؛ ولسـان العـرب (عرض) ؛ والمقـاصد النحوية ٢٠٦/٤ . وهـو بـلا نسبة في رصـف المبـاني ص١٣٧؛ وشرح الأشموني ٤٤٥/٢ ؛ وشرح شذور الذهب ص١٤٥ ؛ وشرح ابن عقيل ص٥١٥ ؛ وشرح قطر الندى ص٢٠٣ ؛ والمقتضب ٢٠٤/٤ .

فيـا راكِبـاً إمّـا عَـرضـتَ فبلّغَـنْ نَـدامـايَ مِنْ نَـجْران أنْ لا تَلاقِيَـا

وأما وَعلة فإنّه لحق رجلاً من بني نَهد يقال له سَليط بـن قَتـب فقـال لـه وعلـة: «أردفني خلفك ! فإنني أتخوّف القتل » . فأبى أن يُردفه ، فطرحه عن قَرَبوسه وركب عليها [١] . وأدركت بنو سعد النهديَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة لما أتى أهله[٢] : (الطويل)

لَـمّـا سمِعْتُ الـخَيْلَ تَدْعُو مُقاعِسـاً تَطَلَّـع مِـنّـي ثُغْـرَةَ النَّحْـرِ جَائِـرُ

يعني القلب .

نَـجـوتُ نَـجَـاءً لَيـسَ فِيـهِ وَتِيرةٌ كأنّي عُـقَـابٌ دُونَ تَيْمَنَ كاسِـرُ
وَقَدْ قُلتُ للنَّهْديِّ هَلْ أنتَ مُردِفي وَكَيفَ رِدافُ الفَـلِّ أُمُّك عَـابِرُ !

من العبْرة يقول : عَبرتْ أمُّك ، كيف تُردفني وإنك فَلٌّ منهزم ؟!

أُنـاشِـدُهُ والـرِّحْـمُ بَـينِـي وبَـيـنَـهُ وَقَـدْ كـانَ في نَهْـدٍ وجَرْم تـدابُرُ

أي : تقاطع وتباغض .

فَمَنْ يَكُ يَـرجُـو فِـي تَـمِيـمٍ هَوادَةً فَلَيـسَ لِـجَرمٍ في تَـمِيـمٍ أواصِـرُ

أي : قرابات .

فِدًى لكُمـا رِجْلَيَّ أمِّـي وخَالَـتِي غَـدَاةَ الكُـلابِ إذ تُجَزّ الدَّوابِـرُ

وذلك أن قيس بن عاصم لما أكثر قومُه القتل في اليمن أمَرهم بـالكفّ عـن القتـل وأن يجزّوا عراقيبهم .

* * *

---

(١) في النسخة الشنقيطية :" فأبى أن يردفه ، فنجا يحضر وأدركت بنوسعد " .

(٢) الخبر والأبيات في الأغاني ٣٣٧/١٦ ؛ والنقائض ص١٥٥؛ والأبيات في اللسان (عبر ، دبر) .
والبيت الثاني في التنبيه والإيضاح ١٥٩/٢ ؛ وهو للحـارث بـن وعلـة في مقـاييس اللغـة ٢٠٨/٤ ؛ وتـاج العـروس (عبر) .وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (عبر) .والبيت الثالث لوعلة في كتـاب الجيـم ٢٦٧/١ .أمـا البيـت الخـامس فهو لوعلة في تاج العروس (دبر) ؛ وتهذيب اللغة ١١١/١٤ ؛ والمعاني الكبير ص ٩٦٧ ؛ ولـه أوللحـارث ابنـه في شرح اختيارات المفضل ص ٧٧٤ ؛ وهوبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٩٦ ؛ ومقاييس اللغة ٤٩٣/٤ .
الجائر : حرّ يؤذي الجوف عند الجوع والعابر : كمـا جـاء في الاشـتقاق ص٤٩٦ عنـد إنشـاده البيـت . وفي طبعـة بولاق :" عاثر" .وفي طبعة بولاق :"رحلي" بالمهملة .صوابـه مـن المفضليـات ص ١٦٥ وشـرح اختيـارات المفضـل ص٧٧٤ .

وأنشد بعده، وهو الشاهد السادس والستون [١] : (الطويل)

٦٦- إلاّ جَبْرئيلُ أمامُها

وهو قطعة من بيت وهو :

شَهِدنا فَما نَلْقَى لَنا مِنْ كَتيبةٍ يَدَ الدَّهْرِ إلاّ جَبرئيلُ أمَامُها

على أن الظرف الواقع خبراً إذا كان معرفة يجوز رفعه بمرجوحية، والراجح نصبه؛ وهذا لا يختص بالشعر خلافاً للجرمي والكوفيّين .

و« جبرئيل » مبتدأ . و«أمامها » بالرفع : خبره ، والجملة صفة للكتيبة . وقد أورد هذا البيت ابن هشام في شرح بانت سعاد عند قوله[٢] : (البسيط)

* غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلكُومٌ مُذكَّرة *

وروى « نصرنا [٣] » بدل شهدنا . ثم قال : « قوافي هذا الشعر مرفوعة ، وإنما استشهدتُ على جواز رفع الإمام ، لأنّ بعض العصريّين وهِم فيه فزعم أنه لا يتصرّف[٤] » ا.هـ .

وقوله « يدَ الدهر » بمعنى مدى الدهر ، ظرف متعلق بقوله نلقى .و« من» زائدة. و« كتيبة » مفعول لنلقى . و« لنا » كان في الأصل صفة لكتيبة فلما قدّم صارَ حالاً منه . و« الكتيبة » : طائفة من الجيش مجتمعة ، من الكَتْب وهو الجمع . و«نلقى» بالنون وبالقاف الفوقية من اللُّقى ، يقال : لقِيته ألقاه من باب تعب لُقِيًّا ، والأصل على فُعول، وكل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه . و« شهدنا » من شهدت المجلس مثلاً : إذا حضرته ، فالمفعول محذوف ، أي : شهدنا غزوات النبي صلى الله عليه وسلم فما لقينا كتيبة . وعبّر بالمستقبل لحكاية الحال الماضية .

وهذا البيت لم أر من ذكره ابتداء إلاّ أبا إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجّاج في

---

(١) البيت لكعب بن مالك في ديوانه ص ٢٧١ ؛ ولسان العرب (جبر) .

(٢) صدر بيت لكعب بن زهير في ديوان ص ١٠ (الحاشية) وتمامه :

* في دفها سعة قدامها ميل *

والبيت في تاج العروس (غلب ،علكم) ؛ ولسان العرب (غلب ، علكم) .وهوبلا نسبة في لسان العرب (وجن) .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٣٧٤/١ :" كذا في ش . وكانت في الطبعة الأولى " فصرنا " .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ٣٧٥/١ :" في الطبعة الأولى لا ينصرف " ، بالنون .والتصحيح من ش ".

تفسيره ، أورده عند قوله تعالى[١] : « قُلْ مَنْ كانَ عدُوًّا لجبريلَ » قال: « جبريل : في اسمه لغات قد قرئ ببعضها ، ومنها ما لم يقرأ به ؛ فأجود اللغات جَبرَئيل بفتح الجيم والهمز ، لأن الذي يُروَى عن النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب الصُّور : «جَبْرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره » .

هذا الذي ضبطه أصحاب الحديث . ويقال جَبْريل بفتح الجيم وكسرها ؛ ويقال جَبْرَئل بحذف الياء وإثبات الهمزة ؛ ويقال جُبرين بالنون ، وهذا لا يجوز في القرآن لأنه خلاف المصحف قال الشاعر :

شهدنا فما نلقى لنا من كتيبة .. (البيت)

وهذا على لفظ ما في الحديث وما عليه كثير من القرّاء ، وقد جاء في الشعر جبريل ، قال الشاعر[٢] : (الوافر)

وجِبريلٌ رَسُولُ الله فِينَا وَرُوْحُ القُدْسِ لَيسَ لَهُ كِفَاءُ ا.هـ

و لم يبيّن قائلَ البيتين . وقد بيّنهما الصّاغاني في « العباب » قال : وجبرئيل اسم يقال : هو جبر أضيف إلى إيل ، وجَبر هو العبد وإيل هو الله تعالى وفيه لغات : جَبرَئيل كجبرعيل ، وجَبْرَييل بغير همز .. وأنشد الأخفش لكعب بن مالك الأنصاري:

شهدنا فما نلقى لنا من كتيبة .. (البيت)

ويقال جِبْريل كحزقيل وأنشد لحسّان بن ثابت .

وجبريل رسولُ الله فينا .. (البيت)

ثم ذكر بقية اللغات .

ونسْبة ابن هشام في « شرح بانت سعاد » ، وابن عادل في تفسيره هذا البيتَ إلى حسّان غير صحيحة ، لأنه غير موجود في ديوانه .

---

(١) سورة البقرة : ٢/٩٧ .

(٢) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص٧٥ ؛ وأساس البلاغة (كفأ) ؛ وتاج العروس (كفأ ، جبر) ؛ والتنبيه والإيضاح ٢/٩٦ ؛ وتهذيب اللغة ١٠/٣٨٩ ؛ وكتاب العين ٥/٤١٤ ؛ ولسان العرب (كفأ ، جبر) وفي طبعة بولاق : " الله منّا ...." .

و« **كعب بن مالك** »[١] هو أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردُّون الأذى عنه . وكان مجوِّداً مطبوعاً قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر ، وعُرف به ، ثم أسلم وشهد العَقَبة – ولم يشهد بدراً – والمشاهدَ كلّها حاشا تَبُوك فإنّه تخلّف عنها . وقد قيل إنه شهد بدراً . وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين قال الله فيهم[٢] : « وعلى الثلاثة الذينَ خُلِّفوا حتّى إذا ضاقَتْ عليهمُ الأرضُ » . الآية . والثاني والثالث : هلال بن أميّة ، ومُرارة بن الربيع ، تخلفوا عن غزوة تبوك، فتاب الله عليهم وعَذَرهم وغفر لهم ، ونزل القرآن المتلوّ في شأنهم .

وتُوُفي كعب بن مالك في مدّة معاوية سنة خمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة .

ولبس كعبٌ يوم أُحد لأمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت صفراء ، ولبس النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ؛ فجرح كعب أحد عشر جرحاً . ولما قال كعب[٣]: (الكامل)

جَاءَتْ سَخِينةُ كَي تُغَالِبَ ربَّها فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاّبِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«لقد شكرك الله ياكعب على قولك هذا»

وله أشعار حِسان جدّاً في المغازي وغيرها ؛ كذا في الاستيعاب .

وأورد له ابن هشام في سيرته مما قاله يوم بدر[٤] : (الطويل)

---

(١) انظر في ترجمته الأغاني ١٦/٢٢٦ ؛ وشرح أبيات المغني ١/٣٧٧ ، ٢/٣٨٠ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٢١٥ ؛ والكامل في اللغة ٢/١٠٤ .

(٢) سورة التوبة : ٩/١١٨ .

(٣) البيت لكعب بن مالك في ديوانه ص١٨٢ ؛ وأساس البلاغة (سخن) ؛ وتاج العروس (سخن ، غلب ، لفف)؛ وتهذيب اللغة ٧/١٧٧ ، ٨/١٣٨ ؛ وجمهرة اللغة ص٥٨٣ ، ٦٠٠ ، ٨١٦ ؛ وديوان الأدب ٢/٣٨٢ ؛ والسيرة النبوية ٢/٢٦١ ؛ وشرح أبيات المغني ٢/٣٨٠ ؛ وطبقات فحول الشعراء ٢٢٢ ؛ ولسان العرب (سخن) .

سخينة : أراد قريش ؛ والسخينة لغة : حساء عملته قريش في قحط فنبزوا به . انظر الأساس (سخن) .

(٤) الأبيات في السيرة النبوية ٢/٢٥ . والأبيات قالها .

والقسي : جمع قوس . الزعيم : الرئيس والضامن ؛ وأراد الرسول الكريم . وهذبتها : أخلصتها . والأروم : جمع أرومة ، وهي الأصل . والكليم : الجريح . ودسناهم : وطئناهم . والصوارم : السيوف القواطع . وحلفها ، أي : من كان حليفاً فيهم وليس منهم . والصميم : الخالص من القوم .

ألا هَلْ أتَى غسّانَ في نَأي دارِها وأخبرُ شَيء بالأمُورِ عَليمُها
بأنْ قَدْ رَمَتْنا عَن قِسِيٍّ عَداوةٍ مَعَدٌّ مَعاً جُهّالُها وَحَلِيمُها
لأنّا عَبَدْنا الله لَمْ نرجُ غَيرَه رَجاءَ الجنان إذْ أتانا زَعِيمُها
نَبيٌّ لَهُ في قَومِهِ إرثُ عِزّةٍ وأعْراقُ صِدْقٍ هذّبَتها أرومُها
فَسَارُوا وَسِرْنا فالتَقينا كأنّنا أسُودُ لِقاء لا يُرجّى كَلِيمُها
ضَرَبْناهُم حتّى هَوَى في مَكرّنا لِمَنْخر سَوْء مِنْ لُؤَيٍّ عَظِيمُها
فَولّوا وَدُسناهُمْ ببيضٍ صَوارمٍ سَواءٌ عَلَينا حِلْفُها وَصَمِيمُها

ا.هـ . وفي نسخة « نَفيتَة [١] » . وسخينة : لقب قريش ، قال في «الصحاح»: والسَّخينة [٢] : طعامٌ يُتّخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقّة وفوق الحَسَاء . وإنما يأكلون السخينة في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال، وكانت قريش تعيَّر بها»ا.هـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون ، وهو من شواهد **س**[٣] : (الكامل)

٦٧ - فَوَرَدْنَ والعَيُّوقُ مَقْعَدَ رابِئِ الـ ـضُّرَباءِ خَلْفَ النَّجْمِ لا يَتَتَلَّعُ

على أن « مقعد » ظرف منصوب وقع خبراً عن اسم عين ، وهو العيّوق .

واستشهد به **س** على نصب المقعد على الظرفية مع اختصاصه به ، تشبيهاً له بالمكان ؛ لأن مقعد الرابئ مكانٌ من الأماكن المخصوصة ؛ وجاز عمل الفعل في مثله ولم يجز في « الدار » ونحوه ، لأنهم أرادوا به التشبيه والمثَل ، فكأنهم قالوا : والعيوق من الثريا مكان قعود الرابئ من الضرباء ، فحذفوا اختصاراً وجعلوا المقعد ظرفاً لذلك؛ ولا تقع الدار ونحوها هذا الموقع ، فلذلك اختلف حكمهما . كذا قال الأعلم.

---

(١) أي بدل كلمة " سخينة " . والنفيتة : طعام أغلظ من السخينة .

(٢) في طبعة بولاق : " وسخينة " بدون " ال " . والتصويب من الصحاح .

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في تاج العروس (رقب ، ضرب ، تلع ، عوق ، نظم)؛ وديوان الهذليين ٨/١ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١٧٠٢ ؛ وشرح أشعار الهذليين ١٩/١ ؛ والكتاب ٤١٣/١ ؛ ولسان العرب (رقب ، ضرب، تلع ، عوق ، نجم ، نظم) ؛ والمحتسب ٢٤٧/٢ ؛ والمعاني الكبير ص١١٤٨ ؛ وهو للهذلي في شرح المفصل ٤١/١؛ والمقتضب ٣٤٤/٤ .

وقال الإمام المرزوقي : « ومَقعَد – وإن كان مختصاً في الأمكنة – جائزٌ أن يكون ظرفاً ؛ لانتقاله عن بابه إلى معنى القرب ، كما أن مقعِدَ الإزار ومقعَد القابلة منقولان إليه وجعلا ظرفين ، وكما أن مناط الثريّا ومزجرَ الكلب نقلا إلى معنى البعد والإهانة وجعلا ظرفين » .

وقال السيرافي : « اعلم أن هذا الباب ينقسم قسمين : أحدهما يراد به تعيين المنزلة من بَعد أو قرب ، والآخر يراد به تقدير القرب والبعد . فأما ما كان من ذلك يراد به تعيين الموضع وذكر المحلّ من قرب أو بعد فإنه يجوز فيه النصب على الظرف والرفعُ على خبر الأول تشبيهاً ؛ والأكثر فيه النصب . ويدلّك على ذلك أنه تدخل الباء عليه فتقول : هو منّي بمنزلة ، كأنه قال : هو مني استقرَّ بمنزلة – والباء وفي بمعنى واحد – و : هو منّي بمزجر الكلب : إذا أردت هو مُهان مباعَد . فإذا نصبت فالناصب استقر ، وإذا رفعت فقلت : هو مني مقعدُ القابلة جعلته بمنزلة قولك : هو قريب كمقعد القابلة ، فإن قلت : هو مني مَناطُ الثريّا فكأنك قلت : هو بعيد . وجاز أن تكون هذه الأشياء ظروفاً ، لأنّهم قد اتسعوا فيما هو من الأماكن أخصُّ من هذه فجعلوه ظرفاً ونصبوه – كقولهم : ذهبت الشامَ ، ودخلت البيتَ – تشبيهاً بالأماكن المحيطة كخلفَ وقدّام . قال سيبويه : إنما يجوز هذا فيما تستعمله العرب ظرفاً من هذه الأماكن ، ولا يجوز القياس عليها » ا.هـ .

وهذا البيت من قصيدة مشهورة لأبي ذؤيب الهذَليّ يرثي بها أولاده ، عدتها اثنان وستون بيتاً ، مطلعها[1] : (الكامل)

أمِنَ المَنونِ ورَيْبِها تَتَوجَّعُ ... والدَّهرُ لَيسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

ومنها :

أوْدَى بَنِيَّ وأعْقَبُونِي غُصَّةً ... بَعْدَ الرُّقادِ وعَبْرةً لا تُقْلِعُ
فغَبَرتُ بَعْدَهُمْ بعَيْشٍ ناصبٍ ... وإخَالُ أنِّي لاحِقٌ مسْتَتْبَعُ
ولقد حَرَصتُ بأن أدافِعَ عَنْهُمُ ... فإذا المَنيَّةُ أقْبلَتْ لا تُدفَعُ
وإذا المَنيَّةُ أنْشَبَتْ أظفَارَها ... ألفَيْتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ

---

(١) الأبيات من قصيدة مطولة قالها في رثاء أولاده هي في جمهرة أشعار العرب ؛ وديوان الهذليين ١/١-٢١ ؛ وشرح أبيات المغني ٢/٢٠٧ -٢٠٨ ؛ وشرح شواهد المغني ١/٢٦٢ ؛ والمفضليات ص٤٢١-٤٢٩ ؛ والمقاصد النحوية ٣/٣٩٣-٣٩٨ .

وَتجَلُّدِي للشَّامتِينَ أُريهِمُ ... أنّي لِرَيبِ الدّهرِ لا أتضَعْضَعُ
والنَّفسُ راغِبَةٌ إذا رغَّبْتَها ... وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ
والدّهرُ لا يَبْقَى عَلَى حِدْثانِهِ ... جَونُ السَّراةِ لَهُ جَدائِدُ أربَعُ

على بمعنى مع . و« الحِدثان » بمعنى الحادثة . و« السَّراة » بفتح السين : أعلى الظهر ، وسراة كل شيء : أعلاه . و« الجون » بفتح الجيم : الأسود المائل إلى الحمرة؛ وأراد بجون السّراة الحمارَ الوحشيّ . و« الجدائد » : الأُتن التي لا ألبان لها واحدها جَدود بفتح الجيم .

أخذ يسلّي نفسه ويقول : إنْ أُصبتُ بَنِيّ فتكدّر بموتهم عيشي فإنّ الدّهر لا يسلم على نوائبه عَيرٌ أسود الظهر له أتن أربع قد خفّت ألبانها . والمعنى : أن الوحش في تباعدها عن كثير من الآفات التي يقاربها الإنس ، وفي انصرافها بطبعها وحدَسها عن جُلّ مَراصد الدهر ، وعلى نفارها الشديد وحذارها الكثير وبُعد مراتعها من الصيّاد – ليست تتخلص بجهدها من حوادث الدهر ، بل لا بد من هلاكها .

وبعد هذا البيت وصفها بطِيب العيش في عشرين بيتاً ، إلى أن قال [1] :

فوردن والعيّوق مقعد ... . (البيت)

و« العيّوق » : كوكب أحمر يطلُع حِيال الثريّا وفوقَ الجوزاء . و« المقعد» بفتح الميم : مكان القعود ، ويأتي مصدراً أيضاً . « والرابئ » مهموز الآخر : اسم فاعل من ربأهم ، من باب منع ، بمعنى علا وارتفع ورفع وأشرف ، كارتبأ . و« رابئ الضرباء » هو الذي يقعد خلف ضارب قِداح الميسر ، يرتبئ لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ، ويعتمدون على قوله فيه ؛ وهو مأخوذ من ربيئة القوم وهو طليعتهم . و« الضرباء » : جمع ضريب ، ككريم وكرماء ، وهو الذي يضرب بالقداح وهو الموكّل بها ، ويقال له الضارب أيضاً . و«النجم» : الثريا. ويروى «فوق النظم » يعني نظم الجوزاء [2] . و« يتتلع » يتقدم ويرتفع ، مأخوذ من التلعة. فقوله : « والعيوق مقعد » ، جملة اسمية حال من نون وردنَ ، يقول : وردت الأتن

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١/٣٨٠ : " قول المصنف " إلى أن قال " يوهم أن قبل قول أبي ذؤيب : " فوردن... إلخ " عشرين بيتاً يصف فيها طيب عيش العير . وليس الأمر كذلك ، فإن قبله عشرة أبيات ، وبعده تسعة فيكون جميعها عشرين بيتاً خصت بصفة ماذكره . ففي عبارته شيء من التسامح " .

(٢) النظم : ثلاثة كواكب من الجوزاء .

الماءَ والعيوقُ من النجم مقعد رابئ الضرباء من الضرباء ، أي : خلفه لا يتقدَّم . وهذا إنما يكون في صميم الحرّ عند الإسحار . وإنما قال : خلف النجم لأنّك في الصيف ترى المجرّة عند الإسحار كأنها ملويّة [١] فترى العيّوق متخلفاً عن الثريا . وهذا الوقت الذي أشار إليه هو وقت ورود الوحش الماء ، ولذلك يكمنُ الصيَّادون فيه عند المشارع ونواحيها .

ومقعد وخلف : منصوبان على الظرف ، وقع الأول خبراً لقوله : والعيّوق، والثاني بدلاً منه ؛ كأنه أراد : والعيّوق من خلف النجم مقعدَ رابئ الضُّرباء من الضَّرباء ؛ فحذف من خلف ، لأن البدل وهو قوله : خلف النجم، يدل عليه كما حذف من الضرباء لأن جملة الكلام يدلّ عليه .

ويجوز أن يكون خلف النجم في موضع الحال ، كأنه قال : والعيّوق من النجم قريبٌ متخلّفاً عنه . ويجوز العكس فيكون خلف النجم خبر المبتدأ ، و« مقعد » حالاً، والعامل فيه الظرف ، كأنه قال : والعيوق مستقرٌّ خلف النجم قريباً . وجملة «لا يتتلّع » ، إمّا خبر بعد خبر وإمّا حال بعد حال .

قال أبو سعيد الضَّرير : إنما اشترط التتلّع لأن العيّوق ما دام متقدماً على الثريا ففي الزمان بقية من الأبارد - والأبارد : برد أطراف النهار - فإذا استوى العيّوق معها فقد بقي من الأبارد شيءٌ قليل ، فإذا استأخر عنها استحكم الحَرّ .

ثم ذكر أبو ذؤيب ، فيما بعد هذا من أبيات ، أن الصياد كمن لهن فأهلكها جميعاً .

و« **أبو ذؤيب** »[٢] اسمه خويلد بن خالد بن محرِّث بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهلة ابن كاهل ، أخو بني مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن إلياس ابن مضر . ومحرِّث بتشديد الراء المكسورة . وزبيد تصغير الزّبْد وهو العطية ، وقيل براء مهملة .

وكان هلك لأبي ذؤيب بنونَ خمسة في عام واحد ، أصابهم الطاعون وكانوا

(١) في النسخة الشنقيطية : " كأنها مستوى " ، وفيها أثر إصلاح .

(٢) انظرفي ترجمته الأغاني ٢٤٦/٦ ؛ والشعر والشعراء ص٥٤٧ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٢٣ ؛ والمؤتلف ص١٧٣ .

هاجروا إلى مصر [١] . وهلك هو في زمن عثمان رضي الله عنه في طريق مصر ، ودفنَهُ ابن الزبير . وقال أبو عمرو الشيباني : مات في طريق إفريقية .

وهو شاعر فحل مخضرَم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو أشعر هذيل من غير مدافَعَة . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته فمات النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه بليلة، أدركه وهو مسجًّى ، وصلّى عليه وشهد دفنه صلى الله عليه وسلم .

وحَكى عن نفسه قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل ، وأوجسَ أهل الحي خِيفة واستشعرتُ حرباً [٢] ، فبتُّ بليلة طويلة حتى إذا كان وقت السحر هتف الهاتف يقول[٣] : (الكامل)

خَطْبٌ أجَلُّ أنَاخَ بالإسْلامِ ... بَينَ النُّخَيلِ ومَقْعَدِ الآطَامِ
قُبِضَ النَّبيُّ مُحمدٌ فَعُيونُنا ... تَذري الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بالتَّسْجَامِ

فوثبتُ من نومي فزعاً فنظرت إلى السماء فلم أر إلاّ سعد الذابح ، فتفاءلت به ذَبحا يقع في الإسلام ، وعلمت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد قُبض .

وسيأتي له أخبار في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون ، وهو من شواهد **س** [٤] :

٦٨- هُمُ دَرَجَ السُّيُولِ

هو قطعة من بيت وهو : (الوافر)

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٨١/١ : " وفي التيجان قتلوا بذات الهجال ، وكانوا عشرة في خبر طويل . وهو يخالف المعروف " .

(٢) كذا في جميع طبعات الخزانة والشنقيطية ؛ وفي الإصابة أيضاً . أما الروض الآنف ٣٧٨/٢ ؛ والاستيعاب ٦٥/٤: " حزناً " . ويبدو أنه الصواب .

(٣) البيتان في الإصابة ٦٤/٧ .

النخيل : بالتصغير : عين قرب المدينة كما في معجم البلدان (نخل) .

(٤) البيت لابن هرمة في ديوانه ص١٨١ ؛ والأزمنة والأمكنة ٣٠٧/١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٨٤/١ ؛ والكتاب ٤١٥/١ ، ٤١٦ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (درج) .

أُنُصْبٌ للمَنِيَّةِ يَعْتَرِيهِم رِجَالِي أَمْ هُمُ دَرَجَ السُّيولِ

على أنّ « دَرَجاً » ظرف منصوب وقع خبراً لقوله : هم .

وتقدم الكلام على نظيره قبله .

وهذا البيت لإبراهيم بن هَرْمة يبكي به قومه لكثرة من فقد منهم .

و« النُّصب » بالضم : الشيء المنصوب ، والشر والبلاء أيضاً ؛ ومنه قوله تعالى[١] : « مَسَّنِيَ الشَّيطانُ بنُصْبٍ وعَذاب » .

و« دَرَجَ السُّيول » : الموضع الذي يمرّ به السيل فينزل من موضع إلى موضع حتّى يستقرّ . والدَّرَج بفتحتين : الطريق ، ورجع أدراجه [و [٢]] يُكسَر ، أي : في الطريق الذي جاء منه .

يقول : قومي كانوا غرضاً للمنيّة فأهلكتهم أم كانوا في ممرّ السيل فاجترفهم ؟ فـ «رجالي» مبتدأ و« نُصْبٌ » خبره ؛ وجملة « يعتريهم » بالياء التحتية : صفة لنُصْب ، وبالتاء الفوقية : حال من المنيّة ، أي : تنزل بهم .

و« **إبراهيم** »[٣] ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن هَرْمة - بفتح الهاء وسكون الراء المهملة - ابن علي بن سَلَمَة بن عامر بن هرمة .

قال ابن قتيبة في الطبقات[٤] : « هو من الخُلج ، من قيس عيلان ؛ ويقال : إنّهم من قريش » .

وفي« الأغاني »[٥] : أنّ نسبه ينتهي إلى قيس بن الحارث . وقيس هم الخُلُج وكانوا في عَدْوان ثم انتقلوا إلى بني نصر بن معاوية بن بكر ؛ فلما استُخلِف عمرُ أَتوه ليفرِض لهم فأنكر نسبهم ، فلما تولّى عثمان أثبتهم في بني الحارث بن فهر وجعل لهم ديواناً فسمُّوا الخُلُج ؟ لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان؛ وقيل لأنهم نزلوا

---

(١) سورة ص : ٤١/٣٨ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق - المراد منها كسر الهمزة ، كما ورد في لسان العرب (درج) : " ويقال رجع فلان على حافرته وإدراجه بكسر الألف " .

(٣) انظر في ترجمته الأغاني ٣٦٧/٤ ؛ والسمط ص٣٩٨ ؛ وطبقات الشعراء ص٢٠ .

(٤) الشعر والشعراء ص٦٣٩ .

(٥) الأغاني ٣٦٧/٤ .

بالمدينة خلف بَطِحان [١] ، يدفع عليهم إذا جاء السيل ثلاثة خُلُج : جمع خليج .

وابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، قال ابن قتيبة[٢] : « حدثني عبد الرحمن عن عمه الأصمعي أنه قال : ساقةُ الشعراء : ابن ميادة ، وابنُ هَرْمة، ورؤبة ، وحكَم الخُضْرِيّ ، حيّ من محارب ، وقد رأيتهم أجمعين » .

وكان من مخضرمي الدولتين ، مدح الوليد بن يزيد ، ثم أبا جعفر المنصور. وكان منقطعاً إلى الطّالبيّين . وكان مولده سنة سبعين ، ووفاته في خلافة الرشيد بعد الخمسين ومائة تقريباً .

وله في آل البيت أشعار لطيفةٌ منها قوله[٣] : (المتقارب)

وَمَهْمَا أُلامُ عَلَى حُبِّهِمْ فَإنِّي أُحِبُّ بَنِي فَاطِمَهْ
بَنِي بِنْتِ مَنْ جَاءَ بالمُحْكَمَا تِ والدِّينِ والسُّنَّةِ القَائِمَهْ

قال ابن قتيبة : « وكان ابن هَرْمة مولَعاً بالشراب ، وأخذه صاحب شرطة زياد على المدينة فجلده في الخمر ، وهو زياد بن عبيد الله الحارثي ، وكان والياً عليها في ولاية أبي العباس .

فلما ولي المنصور شخص إليه فامتدحه فاستحسن شعره وقال : سَلْ حاجَتك . قال : تكتب إلى عامل المدينة لا يحدّني في الخمر . قال : هذا حدٌّ من حدود الله ، وما كنتُ لأعطّله . قال : فاحتلْ لي فيه يا أمير المؤمنين . فكتب إلى عامله : من أتاكَ بابن هَرْمة سكرانَ فاجلده مائة جلدة واجلد ابن هرمة ثمانين .

فكان الناس يمرُّون به وهو سكران ، فيقولون : من يشتري ثمانين بمائة . وترجمته

(١) بَطحان - بالفتح - هذا ضبط اللغويين ، وضبطه المحدثون - بالضم - وشاهد الفتح قول ابن مقبل :

عفا بَطِحان من سليمى فيثرب فملقى الرحال من مِنًى فالمحصب

وشاهد الضم قوله :

سقياً لسلع وساحاتها والعيش في أكناف بُطحان

والبيتان أنشدهما ياقوت في معجم البلدان (بطحان) . وفيه أيضاً ذكر ياقوت أن بطحان أحد أودية المدينة الثلاثة : العقيق ، وبطحان ، وقناة .

(٢) الشعر والشعراء ٦٣٩ .

(٣) البيتان في ديوانه ص٢١٤ ؛ والأغاني ٣٨٧/٤ ؛ وطبقات الشعراء ص٢٠-٢١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٥٢/٥ .

في «الأغاني» طويلة [١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون [٢] : (الوافر)

٦٩- فَسَاغَ لِيَ الشَّرابُ وَكُنْتُ قَبْلاً

على أن أصله « قبل هذا » ، فحذف المضاف إليه و لم ينو لفظه ولا معناه ولهذا نكّر فنوَّن . وتتمته :

* أغَصُّ بنُقْطَةِ المَاءِ الحَمِيْمِ *

وهذا آخر أبيات خمسة ليزيدَ بن الصَّعِق وهي :

ألا أبْلِغْ لَدَيكَ أبا حُرَيثٍ وَعَاقِبَةُ المَلامَةِ للمُلِيْمِ
فكَيْفَ تَرَى مُعاقَبتِي وَسَعْيِي بِأذْوادِ القُصَيْبَةِ والقَصِيْمِ[٣]
ومَا بَرِحَتْ قَلوصِي كُلَّ يَومٍ تَكرُّ على المخَالِفِ والمُقِيمِ
فَنمْتُ اللَّيْلَ إذْ أوقَعْتُ فِيكُمْ قَبائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمِ
وَسَاغَ لِيَ الشَّرابُ وكُنتُ قَبلاً أغَصُّ بنقْطَةِ المَاءِ الحَمِيمِ

« أبو حريث » : كنية [٤] الربيع بن زياد العَبسيّ . و« المليم » : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه . و« المعاقبة » : المناوبة ، من العُقبة بالضم وهي النَّوبة . والذَّود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر ، لا واحدَ لها من لفظها ، والكثير أذواد . و«القُصيبة» : على لفظ مصغر القصَبة . و« القَصيم » بفتح القاف وكسر الصاد : موضعان. و« المخالف » : من الخُلوف ، وهم المقيمون في الحيّ حين تذهب الرجال

---

(١) الأغاني ٣٦٧/٤ ومابعدها ؛ والشعر والشعراء ص٦٣٩ . وكلمة " طويلة " . ساقطة من طبعة بولاق .

(٢) البيت لعبد الله بن يعرب في الدرر ١١٢/٣ ؛ والمقاصد النحوية ٤٣٥/٣ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١٥٦/٣ ؛ وتاج العروس (حمم) ؛ وتذكرة النحاة ص٥٢٧ ؛ وشرح الأشموني ٣٢٢/٢ ؛ وشرح التصريح ٥٠/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص٣٩٧ ؛ وشرح قطر الندى ص٢١ ؛ وشرح المفصل ٨٨/٤ ؛ ولسان العرب (حمم) ؛ وهمع الهوامع ٢١٠/١ .

(٣) كذا في جميع طبعات الخزانة : " وسعيي " . وفي النسخة الشنقيطية : " وتسعى " .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ٣٨٥/١ : " كانت في الطبعة الأولى (كنيته الربيع) والتصحيح للأستاذ الميمني ومن ش مع أثر إصلاح "

للغزو [١] . وقوله : « وساغ .. إلى آخره » ، معطوف على قوله فنمت . وروي «فساغ » بالفاء ، وهو خطأ . و« الحميم » : الماء الحارّ ، وليس بمرادٍ وإنما أورده للقافية ؛ هو من الأضداد يطلق على الماء البارد أيضاً . وساغ من باب قال : إذا سهل مدخلُه في الحلق ؛ و« أسغته » : جعلته سائغاً ، ويتعدّى بنفسه في لغة ، ومن هنا قيل: ساغ فعلُ الشيء وسوّغته : إذا أبحته . و« الشَّراب » : ما يشرب من المائعات . و«أغصُّ»: مضارع غَصِصت بالطعام غَصَصاً من باب تعب ، ومن باب قتل لغة ؛ والغُصَّة : ما غَصّ به الإنسان من طعام أو غَيْظٍ على التشبيه . ويتعدّى بالهمزة ، وهو هنا مستعمل مكانَ الشَّرَق ، لأنه مخصوص بالماء ، يقال: شرق بالماء وبريقه : إذا لم يبلعهما . والشَّجى بالقَصر يكون في العَظْم ، يقال شَجِي بالعظمْ من باب فرح ، إذا وقف في حلقه . والجَرَض بإعجام الطرفين ، يكون من الهمّ والحزن ؛ يقال جرِض بريقه ، وهو أن يبتلع ريقه على همّ وحزن بالجهد ، وهو من باب فرح ، والاسم الجرض بفتحتين.

وما أحسنَ قول بعضهم : (البسيط)

ذلُّ السُّؤال شَجًى في الحلْقِ مُعْتَرِضٌ   مِنْ دُونِهِ شَرَقٌ مِنْ بَعدِهِ جَرَضُ

والسبب في هذه الأبيات هو ما حكاه أبو عبيدة قال : كانت بلاد بني غطفان مخصِبة ، فرعَت بنو عامر بن صعصعة ناحيةً منها ، فأغار الربيع بن زياد العبسي على يزيدَ بن الصعِق وكان في كرش الناس - أي : في جماعتهم - فلم يستطعه الربيع ، فاستفاء سُروحَ بني جعفر والوحيدِ ابني كلاب « واستفاء من الفيء وهي الغنيمة ، أي: ردّها معه ، والمعنى فاستاقَ سروحهم ، والسَّرح : الإبل التي ترعى » ، فقال في ذلك الربيع[٢]: (الوافر)

فَإذْ أخْطَأْتُ قَوْمَكَ يَا يَزِيْدَا   فأنْعَى جَعْفَراً لكَ والوَحِيْدَا

فَحرّم على نفسه يزيدُ بن الصَّعِق الطيبَ والنساء حتّى يغير عليه ؛ فجمع قبائل شتّى ثم أغار فاستاق نَعَماً لهم ، وأصابَ عصافير النعمان بن المنذر - وهي إبل معروفةٌ يقال لها العصافير - فقال يزيد في ذلك هذه الأبيات .

(١) كذا في جميع طبعات الخزانة : " لما تذهب " ولما هنا حينية ، وهي تدخل على الفعل الماضي ، فصواب الكلام: " حين تذهب الرجال للغزو " .

(٢) الخبر والرجز في ديوان لبيد ص٣٢٨ . وفي الشنقيطية : " أخطاك قومك ، وهوتصحيف صوابه ديوان لبيد .

وقال لَبيد بن ربيعة أيضاً يردّ على الربيع بن زياد حين ذكر جعفراً والوحيد[1] : (الوافر)

لَسْتُ بِغَافِرٍ لِبَنِي بَغِيضٍ سَفَاهَتَهُم ولا خَطَلَ اللِّسانِ
سَآخذُ مِنْ سَراتِهِمُ بعِرضِي وليسُوا بالوفَاءِ ولا المُدانِي
فَإنَّ بَقِيَّةَ الأحْسَابِ مِنّا وأصْحَابِ الحَمَالةِ والطِّعَانِ
جَراثِيمٌ مَنَعْنَ بَياضَ نَجْدٍ وأنْتَ تُعَدّ في الزَّمَعِ الدَّوانِي

وأجابه النابغة الذبياني وقال[2] : (الوافر)

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي لَبيداً أبَا الدَّرْداءِ جَحْفَلَةَ الأتَانِ
فَقَدْ أزْجَى مطيّتَهُ إلينا بِمنطِقِ جَاهِلٍ خَطِلِ اللِّسَانِ[3]

وقول لبيد : « خطل اللسان » ، يريد طول اللسان . وسمّي الأخطل لطول لسانه. ويقال شاة خطلاء ، إذا كانت طويلة الأذنين . و« السَّراة » : الأشراف . وقوله : «وليسوا بالوفاء ... إلخ» ، أي : سأنتقم من أشرافهم بسبب عرضي وإن لم يوفوا بعرضي ولا يدانوه . و« الحَمالة » بالفتح : تحمُّل الدية . والجرثومة : التراب المجتمع تجمعه الريح في أصول الشجر فيتلبّد حتى يصير كأنه خِلقة . و« الزَّمع » : جمع زَمعة بالتحريك ، وهي هَنة زائدة في قوائم الشاة .

وقول النابغة : « جحفلة الأتان » ، بدل من قوله لبيداً ، وهو بتقديم الجيم على المهملة . و« الأتان » : الحمارة ، وهي كلمة ذمّ . و« أزجى » [4] : ساق .

﴿ تتمة ﴾

المشهور في رواية هذا البيت :

فساغ ليَ الشّرابُ وكُنْتُ قبلاً أكاد أغَصُّ بالماءِ الحَميمِ

قال العيني : « قائله عبد الله بن يعرب بن معاوية بن عُبادة بن البكّاء بن عامر ، وكان له ثأر فأدركه فأنشده » . انتهى . ورواه الثعالبيّ والزمخشريّ :

(١) الأبيات في ديوان لبيد ص٣٢٨

(٢) البيتان في ديوان النابغة الذبياني ص١٧٢ .

(٣) في طبعة بولاق : " أرخى " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه ص١٧٢ .

(٤) في طبعة بولاق : " أرخى " . وهو تصحيف ، صوابه من الطبعة السلفية .

* أكـــاد أغـــصُّ بالـمـــاء الفُـــرات *

ولعله من شعر آخر ، وكذلك ما رواه أبو حيّان في تذكرته عن الكسائي :

* أكـــاد أغـص بالـمــاء الـمعيـــنِ *

لكنه رواه عنه « وكنت قبلٌ » بالرفع والتنوين .ثم قال : قال الفرّاء : هذا التنوين نظير تنوين المنادى المفرد إذا لحقه التنوين في ضرورة الشعر ، كما قال[1] : (الرمل)

قَدِّمُوا ؛ إذْ قِيلَ قَيْسٌ قَدِّمُـــوا وارْفَعُوا الـمَجْدَ بأطْرافِ الأسَلْ

أراد : يا قيسُ ، فنوّنه ضرورة ؛ والأجود النصب كما قال الآخر[2] : (الطويل)

فَطِرْ خالداً إنْ كُنتَ تَسْتَطِيعُ طيرةً وَلا تـقَعَـنْ إلاَّ وقَلْبُكَ طَـائِـرُ

قال أبو حيّان : « وهذا الذي اختاره الفراء من نصب المنادى المفرد في الضرورة هو مذهب أبي عمرو وأصحابه ؛ والمذهب الأول – وهو رفعه منوناً – مذهب الخليل وسيبويه وأصحابهما . ومذهبُ أبي عمرو أقيس » ا.هـ .

ووجه كونه أقيس أنَّ المنادى مفعول ، والقياس إذا نوّن في الضرورة أن يرجع إلى أصله وهو النصب ، فإنَّ الضرائر تُرجع الأشياء إلى أصولها . وأما رفع قبلٌ مع التنوين فوجهه : أنّ أصله كان مبنياً على ضمة لحذف المضاف إليه وإرادة معناه ، فنوّن ضرورة كتنوين العلَم المنادى .

و« **يزيد** »[3] هو يزيد بن عمرو بن خويلد بن نُفيل بن عمرو بن كلاب الكلابي. وخويلد يقال له « الصَّعِق » قال أبو عمرو وابن الكلبي : ابن الصّعق إنّما سمي الصعِق لأنه عمل طعاماً لقوم بعُكاظ ، فجاءتْ ريح بغبار فسبّها ولعنها، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته .

وقال ابن دريد : الصَّعق : أن يسمعَ الإنسان الهدَّة الشديدة فيصعق لذلك ويذهب عقله . والصَّعق الكلابي أحد فرسانهم ، سمّي الصَّعِق لأن بني تميم ضربوه

(١) البيت للبيد في ديوانه ص١٩٢ ؛ وتاج العروس (قدم) ؛ ولسان العرب (قدم) .

(٢) في طبعة بولاق : " ولا تقفن ". وهو تصحيف .

(٣) انظر في أخباره وترجمته الكامل في اللغة والأدب ١/١٠٠ .

ضربة على رأسه فأمَّته [١] فكان إذا سمع الصوت الشديد صَعِقَ فذهب عقله [٢] . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السبعون ، وهو من شواهد س [٣] : (البسيط)

٧٠- تَرتَعُ مَا رتَعَتْ حَتَّى إذا ادّكَرَتْ
فإنَّمَا هِيَ إقْبَالٌ وإدْبَارُ

على أن اسم المعنى يصح وقوعه خبراً عن اسم العين إذا لزم ذلك المعنى لتلك العين حتى صار كأنه هي . هذا من قبيل زيد عدْل .

وفيه ثلاثة توجيهات : أحدها : كونه مجازاً عقلياً بحمله على الظاهر ، وهو جعلُ المعنى نفس العَين مبالغة .

والثاني : أنَّ المصدر في تأويل اسم الفاعل في نحوه وتأويل اسم المفعول في نحو زيد خَلْق أي : مخلوق .

والثالث : أنه على تقدير مضاف محذوف أي : ذات إقبال .

وهذا البيت للخنساء . قال سيبويه : « جعلتْها الإقبالَ والإدبار مجازاً على سعة الكلام ، كقولك : نهارك صائم وليلك قائم » .

واستشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى[٤] : « ولكِنَّ البرَّ من اتّقى » على أن الإسناد مجازيٌّ ، بدعوى أن المتَّقى هو عين البِرّ ، بجعل المؤمن كأنه تجسّد من البر . وكان الزجّاج يأبى غير هذا .

---

(١) في طبعة بولاق : " فأدمته " . وهوتصحيف صوابه من الطبعة السلفية نقلاً عن النسخة الشنقيطية .
أمّه أمّاً : أصاب أم رأسه .

(٢) انظر ذلك في الاشتقاق ص٢٩٧ ؛ في عمرو بن خويلد .

(٣) البيت للخنساء في ديوانها ص٤٨ ؛ والأشباه والنظائر ١/١٩٨ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٢٨٢ ؛ والشعر والشعراء ١/٣٥٤ ؛ والكتاب ١/٣٣٧ ؛ ولسان العرب (رهط ، قبل ، سوا) ؛ والمقتضب ٤/٣٠٥ ؛ والمنصف ١/١٩٧ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/٣٨٧ ، ٤/٦٨ ؛ وشرح الأشموني ١/٢١٣ ؛ وشرح المفصل ١/١١٥ ؛ والمحتسب ٢/٤٣ .

(٤) سورة البقرة : ٢/١٨٩ .

قال عبد القاهر : [لم] تردْ [(١)] بالإقبال والإدبار غير معناهما حتى يكون المجاز في الكلمة ، وإنما المجاز في أنْ جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر ، كأنها تجسّمت من الإقبال والإدبار . وليس أيضاً على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه - وإن كانوا يذكرونه منه - إذ لو قلنا : أريدَ إنما هي ذات إقبال وإدبار أفسدْنا الشعر على أنفسنا، وخرجنا إلى شيء مغسول [(٢)] ، وكلام عاميّ مرذول ، لا مساغ له عند مَن هو صحيح الذوق والمعرفة ، نسّابة للمعاني. ومعنى تقدير المضاف فيه : أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره و لم تُقصد لمبالغة لكل حقّه أن يُجاء بلفظ الذات ، لا أنه مراد» ا.هـ .

وروى الأخفش في « شرح ديوان الخنساء » عن ابن الأعرابي أنه روى « فإنما هو» أراد : فإنما فعلُها .

وهذا البيت من قصيدةٍ لها ترثي بها أخاها صخراً تنيف على ثلاثين بيتاً في رواية الأخفش ؛ وقبله[(٣)] :

فَمَا عَجُولٌ على بَوٍّ تُطِيفُ بهِ ... قَدْ سَاعَدَتْها عَلَى التَّحْنانِ أظآرُ

وبعده[(٤)] :

لا تَسمَنُ الدَّهرَفي أرضٍ وإنْ رَتَعتْ ... وإنّما هيَ تَحْنَانٌ وتَسْجَارُ
يَوماً بِأَوْجَدَ منّي يَومَ فَارَقَني ... صَخْرٌ ، وَللدَّهْرِ إحْلاءٌ وإمْرارُ

« العَجول » : الثّكول ، أراد به الناقة . وروى : « ما أمُّ سَقْب » وهو الذكر من ولد الناقة ؛ ولا يقال للأنثى سَقْبة ، ولكن : حائل . و« البوّ » : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلد أمّه ، يُحشى تبناً وهي لا تراه ، ويُدنى منها فتشمّه وترأمُه فتدرّ

(١) في طبعة بولاق : " تريد " . وفي ش : " ترد " بغير لم . والتصويب من كتاب الجرجاني دلائل الإعجاز ؛ والنص مقتبس منه بتصرف يسير .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٣٨٩/١ : " كانت في الطبعة الأولى (مفسول) بالفاء . والذي في ش وفي النسخ المطبوعة من دلائل الإعجاز " مغسول " بالغين المعجمة . وكتب الأستاذ الإمام : مغسول : عار عن طلاوة الجدة ، وقد يلفظ بالفاء ؛ ولكنه لا يقال إلا في الناس ، بمعنى مرذول " .

(٣) الأبيات في ديوانها ص٤٧-٥٠ .

(٤) في طبعة بولاق - الأولى - : " وتجسار " . وفي حاشية الطبعة السلفية : " والتصحيح للعلامة تيمور باشا والمرحوم الشنقيطي في نسخته وسيأتي تفسيرها بعد قليل " .

عليه اللبن . و« ساعدتها » : وافقتها . و« التحنان » : الحنين . و« الأظآر » : جمع ظئر ، وهي التي تعطف على ولد غيرها .

يقال « رتعت » الإبل إذا رعت ، وأرتعتها : تركتها ترعى . وروى « ترتع ما غفلت » . و« ادّكرت » أي : تذكرت ولدها ، وأصله اذتكرت . وزعم ابن خلف عن بعضهم : أنه في وصف بقرة أخِذ ولدُها .

وقولها : لا تسمن الدهر إلخ ، يقال حنّت الناقة ، إذا طرَّبت في إثر ولدها ، فإذا مدَّت الحنين وطرَّبت قيل سَجرت بالجيم. وقولها : بأوجدَ منّي ، أي : بأشدّ منّي وجدا . وللدهر إحلاء وإمرار ، أي : سرور وحزن، يقال ما أحلى ولا أمرَّ ، أي : ما أتى بحلوة ولا مرّة .

ومن هذه القصيدة :

وإنَّ صَخْراً لَمَولانا وَسَيِّدُنا ... وإنَّ صَخْراً إذا نَشْتُو لنَحَّارُ
وإنَّ صَخْراً لَتأتمُّ الهُداةُ بِهِ ... كأنَّهُ علَمٌ فِي رأسِهِ نارُ

قيل إذا اجتمع المولى والسيد قدّم المولى كما هنا . وروى :

* وإن صخراً لَحامينا وسيّدنا *

وإنما قالت : « إذا نشتو لنحَّار » ، لأن النحر في الشتاء ، لأن الإطعام فيه أشد مُؤنة . وقولها : « لتأتمُّ الهداة به » ، أي : تجعله الأدلاء إماماً . و« العَلم » : الجبل ، وكلُّ مُشْرِف ، شبّه بالجبل ، وفي رأسه نارٌ أشدُّ للدلالة والهداية ، وأشهر في الشرف. وهذا « إيغال » وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها فإن قولها : « كأنه علم »، يتم المعنى به ، وهو للتشبيه بما هو معروف بالهداية ، فإنّها جعلت أخاها جبلاً مشهوراً يُتوجَّه إليه ولا يخفى أمره على قاصٍ ودان ، ثم لما أرادت المبالغة لم تقنع بذلك وأردفته بقولها : في رأسه نار ، فجعلته بعد أن كان علماً يشار إليه ، معلَماً بعلامة يعرفه كل من يراه .

و« **الخنساء** » هي بنت عمرو بن الشَّريد بن رياح بن يَقظة بن عُصيّة بن خُفاف ابن امرئ القيس بن بُهْثة [1] بن سُلَيم .

---

(١) في طبعة بولاق : " .. بن بهشه " . وهو تصحيف .

انظر في ترجمتها الأغاني ١٥/٧٧ وما بعدها ؛ والشعر والشعراء ص٢٦٠ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٢٠٣ .

واسمها تُماضِر ، بضم التاء المثناة فوق وكسر الضاد المعجمة . قال ابن خلف : قد قالوا للبياض تماضر ، وأكثر ما يكون للنساء ، ومنه قيل اشتقّت المضيرة لبياضها . والخنساء : مؤنث الأخنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة . ويقال لها خُناس أيضاً ، بضم الخاء غير منصرف للعدل والتأنيث .

وهي صحابية ، رضي الله عنها ، قدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سُلَيم وأسلمت معهم . وهي أمُّ العباسِ بن مِرداس ، وهي أم إخوته الثلاثة ، وكلهم شاعر . ولم تلد الخنساء إلا شاعراً ، ومن ولدها أبو شَجَرة السُّلميّ[1] . وقال الكلبيّ : أم ولد مرداس جميعاً الخنساء ، إلاّ العباس ، فإنها ليست أمّه . ولم يذكر مَنْ أمّه . وذكر صاحب « الأغاني » أن الخنساء أمّه .

وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يعجبه شِعرُها ويستنشدها ويقول : هِيهِ يا خُناسُ ، ويومئ بيدهِ صلى الله عليه وسلم .

ولما قدِم عديّ بن حاتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحادثَه فقال: يا رسولَ الله ، إن فينا أشعرَ الناس وأسخى الناس وأفرَسَ الناس ، قال : سَمِّهِمْ . قال : أمَّا أشعر الناس فامرؤ القيس بن حُجر ، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد – يعني أباه – وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس كما قلتَ يا عديّ ، أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو ، وأما أسخى الناس فمحمد – يعني نفسه صلى الله عليه وسلم–وأما أفرس الناس فعليّ بن أبي طالب».

واتفق أهل العلم بالشعر أنّه لم تكن امرأةٌ قبلها ولا بعدها أشعر منها .

وقيل لجرير[2] : من أشعر الناس ؟ قال : أنا لولا الخنساء . قيل : بم فضلتْك؟ قال : بقولها: (البسيط)

إنَّ الزَّمَانَ وَما يَفنَى لَهُ عَجَبٌ ... أبْقَى لَنا ذَنَباً واسْتُؤْصِلَ الرَّاسُ
إنَّ الجَدِيْدَينِ في طُول اختِلافِهِما ... لا يَفْسُدانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

وكانت في أوائل أمرها تقول البيتين والثلاثة حتى قتل أخوها معاوية ، ثم أخوها صخر ، فأكثرتْ من الشعر وأجادت ، وكان أحبَّهما إليها لأنه كان حليماً جواداً

(١) جمهرة أنساب العرب ص٢٦١ .

(٢) الأبيات وخبرها في ديوان الخنساء ص٨٨ .

محبوباً في العشيرة ، شريفاً في قومه . وكان أبوهـا يـأخذ بيـدي ابنيـه صخـر ومعاوية ويقول : أنا أبو خيرَي مضر . فتعترف له العرب بذلك .

وما زالت ترثي صخراً وتبكيه حتّى عميت ، وكانت تقول بعد إسلامها : كنت أبكي لصخر من القتل ، فأنا اليوم أبكي له من النار .

ودخلتْ على عائشة رضي اللـه عنهما وعليها صِدار من شعر [١] فقالت لها : ما هذا ؟! فو اللـه لقد مات رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فلم ألبـس صـداراً عليـه ! قالت : إن له حديثاً . قالت : وما هو؟ قالت : زوّجني أبي سيّداً مـن سـادات قومـي مِتلافاً مِعطاءً ، فأنفد ماله وقـال لي : إلى أيـن يـا خنسـاء ؟ قلـت: إلى أخـي صخـر . فأتيناه فقاسَمنا مالَه وأعطانا خير النّصفين ، فأقبل زوجي يعطي ويَهب ويحمِل ، حتّـى أنفده ، ثم قال لي : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخي صخر . فأتيناه وقاسَمنا مالـه وأعطانا خير النّصفين ، إلى الثالثة، فقالت لـه امرأتـه : أمـا ترضـى أن تقـاسمهم مـالَك حتى تعطيهم خير النّصفين ؟ فقال[٢] : (الرجز)

والله لا أمْنَحهـا شِـرارَهـا ... وَلو هَلَكْتُ قَدَّدَتْ خِمَارَهـا

* واتّخَـذَتْ مِـنْ شَـعَرٍ صِدارِهـا *

فذاك الذي دعاني إلى لبس الصدار .

وكان من حديث قتله : أنه جمع جمعاً وأغار على بني أسد بن خُزيمة ؛ فطعنه ابـن ربيعة بن ثور الأسديّ فأدخل في جوفه حَلَقاً من الـدرع فـاندمل عليـه فأضنـاه وطـال مرضُهُ وملّه أهله ، فكانوا إذا سألوا امرأته سليمى عنه قالت : لا هو حـيّ فيُرجى ولا هو ميْت فيُنعَى [٣] - وصخر يسمع كلامَها فيشقّ ذلك عليه - وإذا سألوا أمَّه قـالت: أصبحَ صالحاً بنعمة اللـه .

فلما أفـاق بعض الإفاقـة عمَد إلى امرأتـه فعلّقهـا بعمـود الفُسطاط حتّى ماتت .

---

(١) الصدار ككتاب ، ثوب رأسه كالمقنعة ؛ وأسفله يغشي الصدر . والمقنعة : ما تقنع به المرأة رأسها .

(٢) الرجز لصخر بن عمرو السلمي في الشعر والشعراء ص٣٥٣ ؛ والكامل ص١٣٩٧ . وهو بلا نسـبة في جمهـرة اللغة ص٦٢٩ .

(٣) كذا في الأصول . وفي النسخة الشنقيطية : " فينعى " . والتصويب من شرح أبيات المغني للبغـدادي ١١٧/٧ . والنسخة الشنقيطية .

وقيل : بل قال : ناولوني سيفي لأنظر كيف قوّتي - وأراد قتلها - وناولوه فلم يُطق السيف ، ففي ذلك يقول [١]: (الطويل)

أرَى أمَّ صَخْرٍ مـا تَمـلُّ عِيـادَتِي ... ومَلَّتْ سُلَيمى مَضْجَعِي ومَكـانِي
وَما كُنْتُ أخْشَى أنْ أكونَ جنازَةً ... عَلَيكِ وَمَـنْ يَغْتَرُّ بالـحَـدَثـان
أهُـمُّ بأمـرِ الـحَزْمِ لَو أستطيعُهُ ... وَقَدْ حِيْلَ بَيـن العَيـرِ والـنَّزوَانَ
لَعَمري ، لَقَدْ نَبَّهتُ مَنْ كانَ نائِماً ... وَأسمعتُ مَن كـانَتْ لَـه أذنـانَ
ولَلمَوتُ خَيْرٌ مِنْ حَيـاةٍ كأنَّهـا ... مُعَـرَّسُ يَعْسُـوبٍ بِرأسِ سِـنـانَ
وأيُّ امْرِئٍ سَـاوَى بـأمٍّ حَلِيْلَـةً ... فَـلا عَـاشَ إلاَّ فِـي شَـقـاً وَهَـوَانَ

وقيل : إن التي قالت ذلك بُديلة الأسـديّة ، كـان قـد سباها مـن أسـد واتخذهـا لنفسه.

وأنشدوا مكان البيت الأول[٢] :(الطويل)

ألا تلكُم عِرْسِـي بُـدَيلَـةُ أوْجَسَتْ ... فِراقِي وَملَّتْ مَضْجَعِي وَمَكَـانِي

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء وقد نتـأت قطعـةٌ مثـل اللِّبْـدِ [٣] في موضـع الطَّعنة واسترخت ؛ قالوا له : لو قطعتَها لرجونا أن تبرأ ، قال : شأنَكم، الموت أهـونُ عليّ مما أنا فيه . فقطعها ، فيئس من نفسه ومات .

وروي أن امرأتـه هـذه كـانت ذات كَفَـل وأوراك ، وكـانت قـد ملّتـه ، وكـان يكرمها ويقدّمها على أهله ؛ فمرّ بها رجلٌ وهي قائمة فقال لها : أيباع هذا الكفَـل ؟ فقالت : عما قليل - وصخر يسمع - فقال : لئن استطعت لأقدِّمنّكِ أمامي . ثم قال

(١) الأبيات وخبرها في الأغاني ١٥/٧٨-٧٩ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧/١١٧ .
والبيت الثالث هو الإنشاد الثامن والخمسون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي . وأغلـب أبيـات القطعـة من الشواهد النحوية . فالبيت الثاني في تهذيب اللغة ١٠/٦٢٢ ؛ ولسان العـرب (جنز) ؛ وكتـاب العين ٦/٧٠ ؛ ومقاييس اللغة ١/٤٥٨ . والثالث في الأصمعيات ص١٤٦ ؛ والشعر والشـعراء ١/٣٥٢ ؛ ولسـان العرب (نزا) . وهو بلا نسبة في مغني اللبيب ٢/٥١٦ ؛ والبيت الرابع بلا نسبة في كتاب العين ٤/٦٠ . والخامس بـلا نسـبة في تهذيب اللغة ١٤/٣٨٠ ؛ وكتاب العين ٨/١٦١ ؛ ولسان العرب (ظلف) .
(٢) البيت في الأغاني ١٥/٧٨ .
وفي طبعة بولاق : " أوحشت " بالمعجمة ، وهو تصحيف .
(٣) في طبعتي بولاق والسلفية : " مثل اليد " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني .

لها : ناوليني السيفَ أنظر هل تُقلّه يدي ! فدفعته إليه فإذا هو لا يقلّه . فعندها أنشد الأبيات المذكورة .

ذكر ياقوت في « معجم الأدباء »[١] في ترجمة أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري وقد ترجمناه نحن أيضاً في الشاهد الثامن والعشرين[٢] - أن الصاحب بن عبّاد كان يودّ الاجتماع به ويكاتبه ويستمِيلُ قلبه ، فيعتلّ عليه بالشيخوخة والكبر ، فلما يئس منه احتال في جذْب السلطان إلى ذلك الصَّوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مُكْرَم[٣] كتاباً يتضمن علوماً نظماً ونثراً ، ومنه قوله[٤] : (الطويل)

ولـمّـا أَبَـيتُـم أن تَزورُوا وقُلتُـمُ: ضَعُفْنـا فَما نَقْـوَى عَلَى الوَخَدانِ
أتينَـاكُمُ مِـنْ بُعد أرْضٍ نَـزُورُكم عَلَـى مَنْـزِلٍ بكـرٍ لَـنَـا وَعَـوانِ
نُسائِلكم : هَلْ مِن قِرًى لِنَزيْـلِكُمْ بِـمِـلءِ جُفُـونٍ لاَ بـملءِ جفَـانِ ؟

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب : عن النثر نثراً، وعن النظم نظماً ، وهو[٥] :

أرُومُ نُـهُوضـاً ثُـمَّ يَـثْنِـي عَزِيـمَتـي تَعَوُّصُ أعْضَـائِـي مِنَ الـرَّجَفَـانِ
فَضَمَّنْتُ بَيْتَ ابنِ الشَّرِيْدِ كَأنَّـمـا تَعَمَّـدَ تَشْبيهـي بـهِ وَعَنَـانِي :
أهُـمُّ بِأمْـرِ الـحَـزْمِ لَـو أسْـتَـطِيْعُهُ وَقَدْ حِيـلَ بَيْنَ العَيْـرِ والـنَّـزَوانِ

فلما بلغت الصاحبَ استحسنها ووقعت منه موقعاً عظيماً ، وقال : لو عرفت أن هذا المصراع يقع في هذه القافية لم أتعرض لها .

وبقية الحكاية هناك مسطورة .

وفي « الاستيعاب » : أن الخنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنُوها : أربعة رجال : فقالت لهم : يا بنيّ أنتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ؛ ووالله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خُنت أباكم ، ولا

(١) معجم الأدباء ٢٤٩/٨ . وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٢٠/٧-١٢١ .

(٢) ديوان الصاحب بن عباد ص٢٩٣-٢٩٤ .

(٣) عسكر مكرم : بلد مشهور من نواحي خوزستان .

(٤) الأبيات والخبر في ديوان الصاحب بن عباد ص٢٩٤ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٢١/٧ .

(٥) الأبيات في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٢١/٧ . ولم نجد الأبيات في مجموع ديوان العسكري .

فضحت خالكم ، ولا هجّنت حسبكم ، ولا غيّرت نَسبكم . وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ؛ يقول الله عزوجل[1] : « يَا أَيُّها الَّذينَ آمنُوا اصبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا واتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

فإذا أصبحتم غداً فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم فتقدَّموا واحداً بعد واحد ، ينشدون الأراجيز ؛ فقاتلوا حتى استشهدوا جميعاً . فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم ، وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ رحمته. فكان عمر رضي الله عنه يعطيها أرزاقَ أولادها الأربعة ، لكلِّ واحد منهم مائة درهم ، حتّى قبض وماتت الخنساء .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والسبعون [2] : (الرجز)

٧١- أنا أبُو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي

على أن عدم مغايرة الخبر للمبتدأ إنّما هو للدلالة على الشهرة ، أي : شعري الآن هو شعري المشهور المعروف بنفسه لا شيء آخر .

استشهد به صاحب الكشاف عند قوله تعالى[3] : « والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » . على أن المراد السابقون مَنْ عَرفتَ حالهم وبلَغك وصفُهم ، كما في شعري شعري ، أي : شعري ما بلغك وصفه وسمعتَ ببراعته وفصاحته .وصحَّ إيقاع أبي النجم خبراً لتضمّنه نوع وصفيّة ، واشتهاره بالكمال ، والمعنى : أنا ذلك المعروف الموصوف بالكمال ، وشعري هو الموصوف بالفصاحة .

---

(١) سورة آل عمران : ٣/ ٢٠٠ .

(٢) هو الإنشاد الخامس والثلاثون بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

الرجز لأبي النجم في أمالي المرتضى ١/ ٣٥٠ ؛ والخصائص ٣/ ٣٣٧ ؛ والدرر ١/ ١٨٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٥/ ٣٤٠ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٦١٠ ؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٤٧ ؛ وشرح المفصل ١/ ٩٨ ، ٩/ ٨٣ ؛ والمنصف ١/ ١٠ ؛ وهمع الهوامع ١/ ٦٠ . وهو بلا نسبة في الدرر ٥/ ٧٩ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٠٣ ، ٢٠٩ ؛ ومغني اللبيب ١/ ٣٢٩ ، ٢/ ٤٣٥ ، ٤٣٧ ؛ وهمع الهوامع ٢/ ٥٩ .

(٣) سورة الواقعة : ٥٦/ ١٠ .

وهذا البيت من أرجوزة لأبي النجم العِجْليّ ، وبعده(١) : (الرجز)

لله دَرِّي مَــــا أجَـــنَّ صَـدْرِي   مِنْ كَلِمـاتٍ بَـاقِيَـاتِ الـحَـرِّ
تَنَــامُ عَـيْنِـي وَفُـؤادِي يَـسْرِي   مَـعَ العَـفَـارِيْـتِ بِـأرْضٍ قَـفْـرِ

« الدَّرُّ » في الأصل اللبن ، يقال في المدح لله درّه أي : عمله . وقد شرحه الشارح في باب التمييز بما لا مزيد عليه . وقوله « ما أجنّ صدري » ، هو صيغة تعجب من الجنون ، قال في « الصحاح » : وقوله ما أجنّه - في المجنون - شاذّ لا يقاس عليه . و«من كلمات » متعلق به ، و« من » ابتدائية أو تعليلية .

وأبو النجم تقدمت ترجمته في الشاهد السابع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والسبعون (٢) : (الطويل)

٧٢- رَفَوْنِي وَقَالُوا يا خُوَيلِدُ لا تُـرَعْ
فَقُلْتُ - وأنْكَرْتُ الوُجُوهَ- هُمُ هُمُ

لِما تقدم في البيت قبله ، أي : هم الذين يطردونني ويطلبون دمي .

وهذا البيت لأبي خِراش الهذَليّ ، مطلع قصيدة ، وهي ستة عشر بيتاً ، ذكر فيها تفلّته من أعدائه حين صادفهم في الطريق كامنين له ، وسرعة عدْوه حتّى نجا منهم .

روى السكّريّ في « شرح أشعار الهذليّين »(٣) عن الأخفش قال : « خرج أبوخِراش وأمّ خراش يريدان بعضَ أهلهما ، فمرّا بخزاعة ، فلما رأتهما خزاعة قالوا : هذا أبو خِراش وامرأته فلا تهِيجوهما حتّى يدنوا مِنّا (٤) . فقال أبو خراش لأمّ خراش:

---

(١) الرجز في شرح أبيات المغني ٣٤٠/٥ .

(٢) البيت لأبي خراش الهذلي في الأغاني ٢٠٧/٢١ ؛ وديوان الهذليين ١٤٤/٢ ؛ وشرح أشعار الهذليين ٣٣٧/٣ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص١٨٣ ؛ ولسان العرب (رفأ ، روع، رفا ، ها) ؛ والمعاني الكبير ص٩٠٢ ؛ وللهذلي دون تحديد في إصلاح المنطق ص١٥٣ ؛ وأمالي المرتضى ٣٥٠/١ ؛ وتذكرة النحاة ص٥٧١ ؛ والخصائص ٢٤٧/١ ، ٣٣٧/٣ . وهو بلا نسبة في الاشتقاق ص٤٨٨ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٨٨ .

(٣) انظر في ذلك الخصائص ٢٤٧/١ ؛ وشرح أشعار الهذليين ٣٣٧/٣ ؛ وديوان الهذليين ١٤٤/٢ .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية : " في الطبعة الأولى " حتى يدنو منهـا " والتصحيح للعلامة تيمور باشا والمرحوم الشنقيطي في نسخته " .

فإن سألوك فقولي : تخلّف كأنه يقضي حاجة ، وهو مارٌّ بكم . فمضت حتى إذا علم أبو خراش أنها قد جاوزت الثّنيّة وأمِنهم جاء يمشي رُويداً حتى مرّ في وسطهم ، فسلّم فردّوا عليه السلام ، فقال : ممن أنتم ؟ قالوا : إخوتك وبنو عمك فتباعدَ منهم، فهمّوا به فعدا وعَدوا على إثره ، فأعجزهم وجعلوا ينظرون إليه ويرمونه ، ونجا منهم» ا.هـ.

وفي « الأغاني » بسنده[1] : « أن أبا خراش الهذلي خرج من أهله هذيل [2] ، يريد مكة ، فقال لزوجته أمّ خراش : ويْحك إني أريد مكة لبعض الحاجة ، وإنّ بني الدِّيل يطلبونني بِترات ، فإياك أن تذكريني ؟ فخرج بها وكمن لحاجته ، وخرجت إلى السوق لتشتريَ عطراً وما تحتاجه النساء [3] فمرّ بها فتيانِ من بني الدِّيل فقال أحدهما لصاحبه : أمُّ خِراش وربِّ الكعبة ؟ فسلّما عليها فقالت : بأبي أنتما مَن أنتما؟! فقالا: رجلان من أهلِك هذيل . قالت : فإن أبا خراش معي فلا تذكراه لأحد، ونحن رائحون العشية . فجمع الرجلان جماعة وكمنوا في طريقه ، فلما نظر إليهم قال لها : قتلتِني . قالت : ما ذكرتك وربِّ الكعبة إلاّ لفتَيين من هذيل . فقال : والله ما هما من هذيل ولكنهما من بني الدِّيل ، وقد جلسا لي وجمعا جماعة من قومهما ، فإذا جزتِ عليهم فإنّهم لن يعرِضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم ، فاركضي بَعيرَك وضعي عليه العصا . فكانت على قَعود يسابق الريح . فلما دنا منهم وقد تلثّموا ووضعوا تَمراً على طريقه على كساء فوقف قليلاً كأنه يصلح شيئاً - وجازتهم أم خراش ووضعت العصا على قعودها - وتوثبوا إليه ، فوثب يعدو ، وسبقهم ولم يلحقوه . وقال أبو خراش في ذلك هذه القصيدة » ا.هـ .

و« رفَوني » قال المفضل بن سلمة في « الفاخر » ، والمرزوقي في « شرح الفصيح» : رَفَوت الرجل : إذا سكّنته - وأنشد هذا البيت - ثم قالا : ويقال رافيت فلاناً أي : وافقته . قال الشاعر[4] : (الوافر)

وَلَمَّـا أنْ رَأيْـتُ أبَـا رُوَيـم ... يُـرافِـنِـي وَيَكْـرَهُ أنْ يُـلامَـا

(١) الأغاني ٢١/٢٠٥ .

(٢) في طبعة بولاق : " من أهل هذيل " . وهو تصحيف صوابه من الشنقيطية .

(٣) في الأغاني : " أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن " .

(٤) البيت بلا نسبة في تاج العروس (رفا) ؛ وتهذيب اللغة ١١٣/١٥ ؛ وكتاب العين ٢٨١/٨ ؛ ولسان العرب (رفا) ؛ ومجمل اللغة ٤٠٢/٢ ؛ ومقاييس اللغة ٤٢٠/٢ .

وأما رفأت الثوب إذا أصلحت خرقه أرفؤه رفئاً فبالهمز ، ومنه : بالرِّفاء والبنين ، إذا دعى للمتزوج .

وفي « المقصور والممدود » للقالي : الرفاء بالمدّ : الاتفاق والالتئام ، ومنه قولهم : بالرِّفاء والبنين –ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال : بالرِّفاء والبنين[١].

وقال أبو عبيد قال الأصمعي : الرفاء يكون على معنيين : يكون من الاتفاق وحسن الاجتماع ، قال : ومنه أُخذ رفء الثوب ، لأنه يُرفأ فيضمّ بعضه إلى بعض ويلأم ، ويكون الرِّفاء من الهدوّ والسكون ، قال :

رفَوني وقالوا يا خويلد .. (البيت)

وحدثني أبو بكر بن دريد قال : قال الأصمعي في بيت أبي خراش : أراد رفئوني بالهمز . والدليل على صحّة ما روى أبو بكر قول الأصمعي في كتاب الهمز : ويقال رفأت الرجل ، إذا سكّنته حتى يسكن . وكذلك : المرافأة مهموز ، والدليل على ذلك قول أبي زيد في كتاب الهمز : رفأت الثوب أرفؤه رفئاً ، ورفّأت المملّك ترفئة[٢] إذا دعوت له ، ورافأني الرجل في البيع مرافأة ا.هـ فجعله مهموزاً لا غير .

وكذلك قال العسكري في « كتاب التصحيف » : « أخبرنا ابن أبي سعيد أخبرني طابع [٣] سمعت قعنب بن مُحرز [٤] يسأل الأصمعي عن قول الشاعر: رفوني وقالوا يا خويلد .. البيت ، فقال قعنب : رقوني بالقاف ، فقال الأصمعي : ما معنى رقوني ؟ قال : رقوه بالكلام . قال يصحّف ويفسر التصحيف : إنما هو رفَوني بالفاء، وأصله رفئوني من رفأت ، فأزال الهمزةَ الشاعرُ » ا.هـ .

و« خويلد » : اسم الشاعر . و« لا تُرع » نَهيٌ بالبناء للمفعول ، أي : لا يحصللك رَوع وخوف . وجملة أنكرتُ حال من ضمير قلت ، بتقدير قد وجملة « هُم هم » مقول القول [٥] .

(١) في اللسان (رفا) : " وإنما نهى عنه كراهية ؛ لأنه كان من عادتهم ، ولهذا سن فيه غيره " .

(٢) في طبعة بولاق : " رفأت المملك ترفؤه " . وهو خطأ صوابه من نوادر أبي زيد ص١٩٣ .

(٣) كذا في جميع طبعات الخزانة . وفي التصحيف ص٣٧ : " طائع " .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية : " قعنب بن محرر " بالراء المهملة ؛ وصوابه من التصحيف ص٣٧ .

(٥) في طبعة بولاق : " مفعول القول " . وهو تصحيف .

و« **أبو خراش** »[١] قال ابن قتيبة في « الطبقات »[٢] : « هو خويلد بن مرّة ، أحد بني قِرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هُذَيل . أحد فرسان العرب وفُتّاكهم . أسلم وهو شيخ كبير وحسن إسلامه » .

وفي تاريخ الذهبي[٣] ما يدل على أن إسلامه كان يوم حنين .

وذكره ابن حجر في القسم الثالث من الإصابة ، وهم المخضرمون الذين لم يرد في خبرٍ قطّ أنهم اجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وفي « الأغاني » [٤] عن الأصمعي قال : « دخل أبو خِراش مكة في الجاهلية – وكان ممن يعدو على رجليه فيسبق الخيل – فرأى الوليدَ بن المغيرة له فرسان يريد أن يرسلهما [في الحلبة [٥]] فقال : ما تجعل لي إن سبقتُهما عدْواً ؟ قال: إن فعلتَ فهما لك .. فسبقهما » .

وقال الكلبي والأصمعي : « مر على أبي خراش نفر من اليمن حجاجاً فنزلوا عليه فقال : ما أمسى عندي ماء ، ولكن هذه بُرمة وشاة وقِربة ، فرِدوا الماء فإنه غير بعيد ، ثم اطبخوا الشاة وذَرُوا البرمة والقربة عند الماء نأخذهما . فامتنعوا وقالوا : لا نَبرح . فأخذ أبو خراش القربةَ وسعى نحو الماء تحت الَليل فاستقى، ثم أقبل فنهشته حيّة فأقبل مسرعاً حتّى أعطاهم الماء و لم يعلمهم بما أصابه . فباتوا يأكلون ؛ فلما أصبحوا وجَدوه في الموت ؛ فأقاموا حتى دفنوه . فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله

(١) انظر في ترجمته الأغاني ٢٠٥/٢١ ؛ والشعر والشعراء ص٥٥٤ ؛ والسمط ص٢١٦ ؛ والكامل في اللغة ٣١٣/٢ .

(٢) الشعر والشعراء ص٥٥٤

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية : " للنهي " . وفي حاشية الطبعة السلفية ٤٠٠/١ : " وفي ش (النهي) وفيه أثر تصحيح . قال العلامة الميمني . وللنهي ثلاثة تواريخ : تاريخ الإسلام ، والعبر ، دول الإسلام . ولكن الظاهر (وفي تاريخ النهي) ، أي كما صححه الشنقيطي " .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ٤٠٠/١ ، يقول الميمني : " هذا النقل عن الأغاني يوجد في ٣٩/٢١ . وهذا دليل على أن الجزء الحادي والعشرين منه الذي كان طبع أولاً بليدن مجموع عن عدة نسخ من الأغاني من زياداتها على طبعة بولاق ، وإنما نبهنا على ذلك لأن دار الكتب المصرية أنكرت هذا الجزء (انظر مقدمتها على الجزء الأول من طبعتها) . وفي حفظي أني وجدت في اللآلئ أيضاً نقلاً عن الأغاني وجدته في هذا الجزء " .
والنص منقول عن الأغاني ٢٠٨/٢١ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني ٢٠٨/٢١ .

عنه خبره فقال : واللـه لولا أن تكون سنّة لأمرت أن لا يضاف يَمانيّ بعدها ثم كتب إلى عامله أن يأخذ النفر الذين نزلوا به فيغرِّمهم ديته » ..

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون [1] : (الطويل)

٧٣- بنُونَـا بَنُـو أبْنائِنَـا ، وَبَنـاتُنـا
بنُوهُنَّ أبْنَـاءُ الـرِّجَـالِ الأبَـاعِـدِ

على أن المبتدأ والخبر إذا تساويا تعريفاً وتخصيصاً يجوز تأخير المبتدأ إذا كان هناك قرينة معنوية على تعيين المبتدأ، فإنه قدم الخبر هنا على المبتدأ لوجود القرينة من حيث المعنى ، فإنك عرفت أن الخبر هو محطّ الفائدة ، فما يكون فيه التشبيه الذي تذكر الجملة لأجله فهو الخبر ، وهو قوله بنونا ، إذ المعنى : أن بني أبنائنا مثل بَنينا ، لا أن بنينا مثل بني أبنائنا .

قال ابن هشام في « شرح شواهد ابن الناظم» : « وقد يقال : إن هذا البيت لا تقديم فيه ولا تأخير ، وإنه جاء على عكس التشبيه كقول ذي الرمّة[2] : (الطويل)

* وَرَمْـلٍ كَـأَوْراكِ العَـذَارَى قَطَعْتُـهُ *

فكان ينبغي للشارح – يعني ابن الناظم – أن يستدلّ بما أنشده والده في « شرح التسهيل » من قول حسّان بن ثابت رضي اللـه عنه[3] : (البسيط)

قَبِيلَـةٌ ألأمُ الأحْيَـاءِ أكْـرَمُـهـا   وأغْـدَرُ النَّاسِ بالـجِيرانِ وافِيْـهَـا

---

(١) هو الإنشاد التسعون بعد الستمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .
البيت للفرزدق في ديوانه ٢١٧/١ نقلاً عن كتب النحو . وهو بلا نسبة في الإنصاف ٦٦/١ ، وأوضح المسالك ١٠٦/١ ؛ وتخليص الشواهد ص١٩٨ ؛ والحيوان ٣٤٦/١ ؛ والدرر ٢٤/٢ ؛ وشرح الأشموني ٩٩/١ ؛ وشرح التصريح ١٧٣/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٤٤/٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٤٨/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص١١٩ ؛ وشرح المفصل ٩٩/١ ، ١٣٢/٩ ؛ ومغني اللبيب ٤٥٢/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٠٢/١ .
(٢) صدر بيت لذي الرمة في ديوانه ص١١٣١
وتمامه :
* إذا ألبسته المظلمات الحنادس *
وهو في تاج العروس (ورك) ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٤٤/٦ ؛ ولسان العرب (ورك ، جمل) .
(٣) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص٢٥٦ . من أبيات قالها في هجاء قبيلة هوازن .

إذ المراد : الإخبار عن أكرمها بأنه ألأم الأحياء ، وعن وافيها بأنه أغدر الناس ، لا العكس » . انتهى المراد منه .

وقد منع الكوفيون تأخير المبتدأ ، قال ابن الأنباري في « الإنصاف »: ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه ، مفرداً كان أو جملة ؛ فالأوّل نحو ، قائم زيد ، والثاني نحو : أبوه قائم زيد . وأجازه البصريون لمجيئه في كلام العرب نظماً ونثراً ، ومن النظم قوله : « بنونا بنو أبنائنا .. البيت » . وأطال الكلام فيه .

وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم ؛ قال العيني: «وهذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر ،والفرضيّون على دخول أبناء الأبناء في الميراث ، وأنّ الانتساب إلى الآباء ، والفقهاء كذلك في الوصية ، وأهل المعاني والبيان في التشبيه . و لم أر أحداً منهم عزاه إلى قائله » ا.هـ .

ورأيت في شرح الكرماني في « شرح شواهد الكافية » للخبيصي أنه قال : هذا البيت قائله أبو فراس همّام الفرزدق بن غالب ، ثم ترجَمه . والله أعلم بحقيقة الحال.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون ، قول أبي تمام [1] : (الطويل)

٧٤- لُعابُ الأفاعِي القَاتِلاتِ لُعَابُهُ
وأرْيُ الجَنَى اشْتَارَتْهُ أيْدٍ عَواسِلُ

لِما تقدم في البيت قبله . أي : لعابه مثل لعاب الأفاعي .

وهذا البيت أحد أبيات عشرة في وصف القلم ، من قصيدة لأبي تمام ، مدح بها محمد بن عبد الملك الزيات .

وأبيات القلم هي هذه ، وهي أحسن وأفخم من جميع ما قيل في القلم [2] :

لكَ القَلَمُ الأعلَى الذِي بشَباتِهِ ... يُنالُ مِنَ الأمرِ الكُلى والمَفاصِلُ
لهُ الخَلواتُ اللاء لَولا نَجيُّها ... لما احْتَفلتْ للمُلكِ تلكَ المَحافِلُ
لُعابُ الأفاعِي القَاتِلاتِ لعَابه ... . البيت

(١) البيت في ديوانه ص٢٥٧ .

(٢) الأبيات في أمالي المرتضى ١/٥٣٦ ؛ والحيوان ١/٦٧ .

لَـهُ رِيْقَـةٌ طَـلٌّ ، ولكِـنَّ وَقـعَـهـا ... بـآثارِهِ فِـي الشَّرْق والغَرْبِ وابِـلُ
فَصِيْـحٌ ، إذا اسْتنطَقْتهُ وهْوَ راكبٌ ... وأعْجَمُ، إنْ نـاطَقْـته وَهْوَ رَاجِــلُ
إذاماامتطَى الخمسَ اللِّطافَ وأفرغَتْ ... عَلَيـهِ شِعابُ الفِكْرِ وَهْي حَـوافِـلُ
أطاعَتـه أطْـرَافُ الرِّمـاحِ وقُـوِّضَتْ ... لِنجْواهُ تَقْوِيضَ الـخِيام الـجَحَافِـلُ
إذا اسْتَغْزَرَ الـذِّهْنَ الـخلِيَّ وأقبَلَتْ ... أعَالِيهِ فِـي القِرطاسِ وَهْيَ أسَـافِـلُ
وَقَـد رَفَـدَتْـهُ الـخِنصِـران وَسَدَّدتْ ... ثَـلاثَ نَواحِيـهِ الثَّلاثُ الأنَـامِـلُ
رأيْـتَ جَـلِيلاً شَـأْنـه وهو مُـرهَفٌ ... ضَنًـى ، وَسَميناً خَطبُه وَهو نَاحِـلُ

« الشَّبا » بفتح الشين والقصر : حدّ كلّ شيء . وقوله : « ينال مـن الأمـر » ، روى أيضاً « يصاب من الأمـر » . و« الكلى » : جمع كُليـة وكُلْـوة ، جـاء باليـاء والواو . و« المفاصل » : جمع مَفصِل ، وهو ملتقى كلّ عظمين ، أراد أن القلم يطبّـق المفصل ويصادف المحزَّ ، وبه يُنال مقاصد الأمور ، فإنه ينال بالأقلام ، مـا يعجـز عنـه مجالدة الحُسام .

وقوله : « له الخلوات إلخ » ، يعني أن أصحاب القلم هم أهل المشـورة وموضـع السرّ يُخلي لهم الملـوك المجـالسَ للمشـورة ، وبهـم يحصـل نظـام الملـك . و«النجـيّ»: المسارُّ[1] و« التناجي » المسارّة ؛ وأراد به المشـير ، فـإنّ المشـورة تكـون سـرًّا غالبـاً . و«الاحتفال» حسن القيام بالأمور . والمحافل : جمع محفـلٍ كمجلـس ومقعـد ، وهـو المجتمع .

و« اللُّعاب » : ما يسيل من الفم . و« القـاتلات » : صفـة كاشـفة للأفـاعي ، ذكرها تهويلاً. و« الأرْي » ، بفتح الهمـزة وسـكون الـراء : مـا لـزق مـن العسـل في جوف الخليّة . و« الجنى » بفتح الجيم والقصر : العسل ، والإضافة للتخصيص ؛ فـإن الأري يأتي أيضاً بمعنى ما لزق بأسفل القِـدر مـن الطبيـخ ، وإنْ جعلـتَ الأري بمعنـى العسل والجنى بمعنى كلّ ما يجنى : من ثمرةٍ ونحوها ، يلزم إضافة الموصوف إلى الصفة. و« اشـتارته » : اسـتخرجته ، يقـال شـار فـلانٌ العسـلَ شَـوراً وشِـيارا وشِـيارة : إذا استخرجه ، وكذلك أشاره واشتاره . وأيدٍ جمع يد . و«العواسل» : جمع عاسلة أي : مستخرجة العسل ، والعاسل : مشتار العسل من موضعـه . والمصـراع الأوّل بالنسـبة إلى الأعداء والثاني بالنسبة إلى الأولياء ، يعني أن لعاب قلمه بالنسـبة إلى الأعـداء سـمٌّ

(١) في طبعة بولاق : " المسارر " بفك الإدغام .

قاتل ، وبالنسبة إلى الأولياء شفاء عاجل . فقوله : «لعابه» ، مبتدأ مؤخر و«لعاب الأفاعي» خبر مقدّم ، و« أري » معطوف على الخبر ، وجاز هذا مع تعرّف الطرفين لأن المعنى دالّ عليه ، فإن اللعاب القاتل إنما هو لعاب الأفاعي ، فلعاب القلم مشبّه به في التأثير . وعُلم من هذا أنه ليس من التشبيه المقلوب [1] فإن لعاب القلم قد شبّه بشيئين وهما [2] السمّ والعسل باعتبارين . وإن جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل ، والخبر في المعطوف محذوف . وفيه تكلّف.

وقوله : « له ريقة طلٌّ » ريقة مبتدأ ، وطلّ وصفه ، والظرف قبله خبره و«الطّلّ»: المطر الضعيف ، و«الوابل» وكذا الوَبل : المطر الشديدُ الضخم القَطْرِ . إنّ ما يجري من القلم حقير تافهِ في ظاهر الأمر ، ولكن له أثر خيرٍ عمّ المشارق والمغارب.

وأراد بـ« الخمس اللطاف » الأصابع الخمس . و« الشِّعاب » : جمع شِعب بكسرهما : الطريق في الجبل . و« الحوافل » : جمع حافلة ؛ يقال حفَل اللبن وغيره حَفلاً وحُفولاً : اجتمع ، واحتفل الوادي : امتلأ وسال .

وقوله : « أطاعته أطراف إلخ » ، هو جواب « إذا » . وروى : « أطاعته أطراف القنا وتقوّضت » ، يقال تقوّضت الصفوف : إذا انتقضت ، وأصله من تقويض البناء وهو نقضُه من غير هدم . والنجوى : السرّ . وتقويضَ أي : كتقويض الخيام . و«الجحافل» : فاعل قوّضت ، وهو جمع جحفل بتقديم الجيم على المهملة كجعفر : الجيش .

و«استغزر الذهنَ» : وجده غزيراً . وفاعله ضمير القلم . و«الخليّ» : الخالي . وروى بدله « الذكيّ » أي : المتوقد . وإنما تكون أعالي القلم أسافلَ حين الكتابة.

و«رفدَته» : أعانته . و«رأيت» : جواب إذا . و«شأنه» : فاعل جليلاً . وجملة « وهو مرهف » حال ، وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوَه إذا رقّقت شَفرتيه ، ويقال أيضاً رهَفته رهفاً ، فهو رهيف ومرهوف . وضنى تمييز ، وهو مصدر ضنِيَ من باب تعب ، إذا مرض مرضاً ملازماً . وسميناً معطوف على جليلاً . و«ناحل» : من نَحَل الجسم ينحَل بفتحهما نُحولاً : سقِم ، ومن باب تعب لغة .

---

(١) انظر كلام ابن هشام الذي مضى قريباً .

(٢) في طبعتي بولاق والسلفية : " وهو " . وهو تصحيف صوابه من طبعة هارون .

وأبو تمام الطائي مضت ترجمته في الشاهد الرابع والخمسين [١] ولم يورد الشارح المحقق بيته هنا شاهداً ، وإنّما أورده نظيراً لما قبله .

وأما « ابن الزيات » الذي مدحه أبو تمام بهذه القصيدة فهو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ، كان جدّه أبان من قرية يقال لها الدَّسكَرة يَجْلِب الزيت . وكان محمدٌ من أهل الأدب فاضلاً عالماً بالنحو واللغة .

ولما قدم المازنيُّ بغداد في أيام المعتصم كان أصحابه وجلساؤه يحضرون بين يديه في علم النحو، فإذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم المازنيّ : ابعثوا إلى هذا الفتى الكاتب – يعني محمد بن عبد الملك – فاسألوه واعرفوا جوابه . وكان يصوّب جوابه، فعَلا شأنه بذلك .

وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وكان أحمد بن عمّار البصريّ وزيرَ المعتصم ، فورد على المعتصم كتابٌ من بعض الأعمال فقرأه الوزير عليه فإذا في الكتاب ذكر « الكَلأ » ، فقال له المعتصم : ما الكلأ ؟ فقال : لا أعلم . فقال المعتصم: خليفةٌ أمي ووزير عاميّ ؟! ثم قال : أبصروا مَن بالباب من الكتاب . فوجدوا محمد بن عبد الملك ، فقال له : ما الكلأ ؟ فقال : هو العُشب على الإطلاق، فإن كان رطباً فهو الخلا ، وإذا يبس فهو الحشيش – وشرع في تقسيم أنواع النبات – فعلم المعتصم فضله ، فاستوزره وحكّمه وبسط يده .

ومدحه أبو تمام بقصائد . ومدحه البحتريّ بقصيدته الدالية وأحسن في وصف خَطّه وبلاغته [٢] .

وكان ابن الزيات هجا القاضيَ ابنَ أبي دُؤاد الإياديّ بتسعين بيتاً، فعمل القاضي فيه بيتين وقال[٣] : (السريع)

---

(١) في طبعة بولاق : " الثاني والخمسين " . وهو خطأ .

(٢) وذلك في قطعة من أحد عشر بيتاً ، مطلعها :

بعض هذا العتاب والتفنيد ... ليس ذم الوفاء بالمحمود

(٣) في الأغاني ٥٦/٢٣ :

أحسن من خمسين بيتاً سدى ... جمعك إياهن في بيت

ما أحوج الناس إلى مطرة ... تذهب عنهم وضر الزيت

والقصة في وفيات الأعيان ٨٨/١ تخالف هذه الرواية ، فإنه قال :"وهجا بعض الشعراء الوزير ابن الزيات بقصيدة =

أحْسَـنُ مِنْ تِسْعينَ بَيْتاً سُدًى جَمْعُكَ مَعْناهُـنَّ فِـي بَيْـتِ
مَـا أحْوَجَ المـلْكَ إلى مَطْرَةٍ تَغْسِـلُ عَنْهُ وَضَـرَ الـزَّيْتِ

وقيل : هما لعليّ بن الجهم .

وبعد المعتصم وزَر لابنه الواثق هارون ، فقال ابن الزيات : (المنسرح)

قَـدْ قُلْتُ إذْ غَيّبُوهُ وانْصَرَفُوا مِنْ خَيْرِ قَبْرٍ لِخيرِ مَدْفُونِ
لَـنْ يَجبُـرَ الله أمَّـةً فَقَدَتْ مِثْلَكَ إلا بِمِثْـلِ «هارونِ»

وبعد الواثق وزَر للمتوكل . وكان ابن الزيات يدخل عليه المتوكل أيامَ المعتصم والواثق ، فكان يتجهّمه ويحتقره ويستهزئ به ، فحَقد عليه المتوكل ، وبعد أربعين يوماً من ولايته قبض عليه واستصفى أمواله .

وكان ابن الزيات قد اتّخذ تنّوراً من حديد ، وأطراف مساميره المحدودة إلى داخله، وهي قائمة مثل رؤوس المسالّ ، وكان يعذّب فيه أيام وزارته فكيفما انقلب المعذَّب أو تحرّك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه ، وإذا قال له أحد ارحمني أيها الوزير ، فيقول له : الرحمة خَور في الطبيعة ! فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التّنور ، وقيّده بخمسة عشر رطلاً من الحديد . فقال له : يا أمير المؤمنين ارحمني . فقال له : الرحمة خَور في الطبيعة !! كما كان يقول للناس . وكان ذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . وكانت مدة تعذيبه في التّنور أربعين يوماً إلى أن مات فيه. ووجد مكتوباً بالفحم في جانب التنور : (مجزوء الرمل)

مَـنْ لَـهُ عَهْـدٌ بِنَـوم يَـرشُـدُ الصَّبَّ إلَيْـهِ
رَحِـمَ الله رَحِيْمـاً دَلَّ عَيْنـيَّ عَلَيْـهِ
سَـهِرتْ عَيْنِـي وَنَامَتْ عَيْـنُ مَنْ هُنْـتُ عَلَيْـهِ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون [١] : (المتقارب)

= عدد أبياتها سبعون بيتاً ، فبلغ خبرها القاضي أحمد - يعني ابن أبي دؤاد ،فقال: أحسن من سبعين ..... والرواية كرواية الخزانة .

(١) البيت بلا نسبة في الإنصاف ٤٦٩/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣١/٤ ؛ وشرح قطر الندى ص٢٩٥ .

٧٥- إلى المَلِكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمَامِ
وَلَيْثِ الكَتِيْبَةِ فِي المُزْدَحَمْ

على أنه يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر كما يجوز عطف بعض الأوصاف على بعضها كما هنا . قال ابن الهُمام : وليث الكتيبة وصفان للملك، وقد عطفا على الصفة الأولى ، وهي القرم .

واستشهد به الفرّاء في معاني القرآن وصاحب الكشّاف أيضاً لهذا الأمر . وبعده بيت أورده ابن الأنباريّ في « الإنصاف »[1] وهو :

وَذا الـرَّأْيِ حِيْـنَ تُغَـمُّ الأمُـورُ بِـذاتِ الصَّلِيـلِ وَذاتِ اللُّجُـمْ

وقال : « نصب ذا الرأي على المدح ». و«القَرْم» بفتح القاف : السيّد . و«الهُمام» : الملك العظيم الهمّة ، والسيد الشجاع السخيّ . و«الكتيبة» : الجيش ، وقيل جماعة الخيل إذا [أ] غارتْ ، من المائة إلى الألف . و«المزدحم» : محلّ الازدحام، يقال ازدحم القوم وتزاحموا أي : تضايقوا ؛ وأراد به المعركة . و«الغمّ» في الأصل : ستر كلّ شيء ، ومنه الغمام لأنه يستر الضوء والشمس ، ومنه أيضاً الغم الذي يغم القلب أي : يستره ويغشّيه. وقوله : «بذات الصليل» ، متعلق بالرأي، وهو البيضة . يقال : صلّ البيض يصلّ صليلاً : سُمع له طنين عند القراع . و«ذات اللجم» : الخيل، وهو جمع لجام . أراد أنه يمدهم بالسلاح والرجال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون [2] : (الطويل)

٧٦- فأمَّا القِتَالُ لا قِتَالَ لَدَيْكُمُ

---

(١) الإنصاف ٤٦٩/٢ ؛ والكشاف ٢٦/٤ .

(٢) هو الإنشاد التاسع والسبعون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للحارث بن خالد المخزومي في ديوانه ص٤٥ ؛ والدرر ١١٠/٥ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٦٩/١ . والبيت بلا نسبة في أسرار العربية ص١٠٦ ؛ والأشباه والنظائر ١٥٣/٢ ؛ وأوضح المسالك ٢٣٤/٤ ؛ والجنى الداني ص٥٢٤ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٢٦٥ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٠٧ ؛ وشرح شواهد المغني ص١٧٧ ؛ وشرح ابن عقيل ص٥٩٧ ؛ وشرح المفصل ١٣٤/٧ ، ٤١٢/٩ ؛ والمنصف ١١٨/٣ ؛ ومغني اللبيب ص٥٦ ؛ والمقاصد النحوية ٥٧٧/١ ، ٤٧٤/٤ ؛ والمقتضب ٧١/٢ ؛ وهمع الهوامع ٦٧/٢ .

على أن حذف الفاء الداخلة على خبر المبتدأ الواقع بعد « أما » ضرورة ، فإن القتال مبتدأ وجملة لا قتال لديكم خبره ، والرابط العموم الذي في اسم لا . قاله ابن إياز[1] في « شرح الفصول » . ومثله بيت الكتاب لابن ميّادة[2] : (الطويل)

ألا لَيْتَ شِعرِي هَلْ إلى أُمِّ مَعْمَرٍ سَبِيلٌ فأمَّا الصَّبرُ عَنْها فَلا صَبْرَا

قال ابن جنّي في « إعراب الحماسة » : هو بمنزلة قولهم نعم الرجل زيد ، وذلك أن الصّبر عنها في بعض الصبر لا جميعه ؛ وقوله : فلا صبر نفي للجنس أجمع فدخل الصبر عنها وهو البعض ، في جملة ما نفي من الجنس ، كما أنّ زيداً بعض الرجال . فأما البيت الآخر[3] : (الطويل)

فأمّا الصُّدُورُ لا صُدُورَ لِجَعْفَرٍ ولكِنَّ أعْجَازاً شَدِيْداً ضَرِيرُها

فالثاني هو الأول سواء ، وكذلك قول الآخر :

فأما القتال لا قتال لديكم ..... (البيت)

فالثاني هو الأول ، وكلاهما جنس . انتهى .

وهذا المصراع صدر ، وعجزه :

وَلكِنَّ سَيْراً في عِراضِ المَواكِبِ

---

(١) هو الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله ، أبو محمد العلامة جمال الدين (... -٦٨١هـ) كان أوحد زمانه في النحو والتصريف ، ولي مشيخة النحو بالمستنصرية ، وكان دمث الأخلاق ، قرأ على التاج الأرموي ، وقرأ عليه التاج ابن السباك من تصانيفه : قواعد المطارحة ، والإسعاف في الخلاف ، وشرح فصول ابن معط (بغية الوعاة ٥٣٢/١) .

(٢) هو الإنشاد الأربعون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لابن ميادة في ديوانه ص١٣٤ ؛ والأغاني ٢٣٧/٢ ، ٢٥١ ، والحماسة البصرية ١١١/٢ ؛ والدرر ١٦/٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٦٩/١ ، ٢٧١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٧٨/٧ ؛ وشرح التصريح ١٦٥/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٧٦/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٥٢٣/١ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢٨/٧ ؛ وأوضح المسالك ١٩٩/١ ؛ والكتاب ٣٨٦/١ ؛ ومغني اللبيب ٥٠١/٢ ؛ وهمع الهوامع ٩٨/١ .

(٣) البيت لرجل من ضباب في شرح شواهد الإيضاح ص١٠٢ ؛ وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص١٠٦ ؛ وسر صناعة الإعراب ٢٦٥/١ ؛ وشرح المفصل ١٣٤/٧ ، ١٢/٩ ؛ ولسان العرب (ضرر) .

وفي طبعة بولاق : " فأما الصدود لا صدود " .

« لكنّ » اسمها محذوف ، و« سيراً » مفعول مطلق عامله محذوف وهو خبر لكنّ، أي : ولكنكم تسيرون سيراً . ويجوز أن يكون سيراً اسم لكنّ والخبر محذوفاً أي: ولكنّ لكم سيراً . و« في عراض » متعلق بتسيرون المحذوف ، وهو جمع عُرض بضم العين وسكون الراء وآخره ضاد معجمة ، بمعنى الناحية . و« المواكب » : الجماعة ركباناً أو مشاة ، وقيل ركاب الإبل للزينة ، من وَكَب يكِبُ وكوباً : مشى في دَرَجان . وقبل هذا البيت بيت ، وهو [1]:

فَضَحْتُمْ قُرَيْشاً بالفرارِ وَأَنْتُمُ قُمُدُّونَ سُوْدانٌ عِظَامُ المَناكِبِ

و« القُمُدّ » بضم القاف وتشديد الدال : الطويل ، وقيل الطويل العنق الضخمُهُ، من القَمَد بفتحتين وهو الطُّول ، وقيل ضخامة العنق في طول . والوصف أقمد وقُمُدّ، والأنثى قمداء وقَمُدّة وقمدّانية . و« السُّودان » أراد به الأشراف ، جمع سُود وهو جمع أسود ، أفعل تفضيل من السيادة .

والبيتان للحارث بن خالد المخزومي ، كذا قال ابن خلف وقال صاحب «الأغاني »[2] : هما مما هجا بهما قديماً بني أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ا.هـ.

و« **الحارث** »[3] هو ابن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .

قال الزُّبير بن بكار في أنساب قريش : كان الحارث شاعراً كثير الشعر ، وهو الذي يقول[4] : (البسيط)

---

(١) البيت في الأغاني ٤٩/١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٦٩/١ . وفي طبعة بولاق : " عظام المراكب " . وصوابه من النسخة الشنقيطية .

(٢) الأغاني ٥١/١ .

(٣) انظر في ترجمته الأغاني ٢٢٧/٩ ؛ وجمهرة أنساب العرب ص١٤٦ .

(٤) البيتان في الأغاني ٣٢٠/٣ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٧٠/١ ؛ وكتاب حذف من نسب قريش ص٧٠؛ وكتاب نسب قريش للزبيري ص٣١٣ ؛ ومعجم البلدان (أقحوانة) .
والأول ينسب لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص٢٨١ ؛ وللحارث بن خالد المخزومي في أساس البلاغة (قمن) . وتاج العروس (قمن) ؛ ولسان العرب (قمن) . وهوبلا نسبة في تاج العروس (قطط) ؛ وتهذيب اللغة ١٢٥/٥ ؛ وكتاب العين ١٨١/٥ ؛ ولسان العرب (قطط / قحا) .

مَنْ كانَ يَسألُ عَنّا أيْنَ مَنْزِلُنا فالأُقْحُوانَةُ مِنّا مَنْزِلٌ قَمِنُ
إذْ نَلْبَسُ العَيْشَ غَضّاً لا يُكَدِّرُهُ خَوْفُ الوُشاةِ ولا يَنْبو بِنا الزَّمنُ

و« الأقحوانة » : ماء بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام وكان يزيد استعمله على مكة وابنُ الزبير يومئذ بها ، فمنعه ابن الزبير ، فلم يزل في داره معتزلاً لابن الزبير حتّى ولي عبد الملك بن مروان فولاّه مكة ثم عزله ، فقدم عليه دمشق فلم ير له عنده ما يحبّ ، فانصرف عنه وقال[1] : (الطويل)

عَطَفتُ عَليكَ النفْسَ حَتّى كَأنَّما بكفَّيْكَ بُؤْسِي أوْ لَديْكَ نَعِيمُها
فَما بِيَ إنْ أقْصَيْتَني مِنْ ضَراعَةٍ وَلا افْتَقَرتْ نَفسِي إلى مَنْ يَضِيْمُها

انتهى . ومن شعره [2]: (الكامل)

أظَلُومُ إنَّ مُصابَكُمْ رَجُلاً أهْدَى السَّلامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون ، وهو من شواهد **س** [3] : (الطويل)

---

(١) البيتان في الأغاني ٣/٣١٣ ؛ وشرح أبيات المغني ١/٣٧١ . ورواية طبعة بولاق : " يضيرها " .

(٢) البيت للحارث بن خالد المخزومي في ديوانه ص٩١ ؛ والاشتقاق ص٩٩ ، ١٥١ ؛ والأغاني ٩/٢٢٥ ؛ وحذف من نسب قريش ص٦٩ ؛ والدرر ٥/٢٥٨ ؛ وشرح أبيات المغني ١/٣٧١ ؛ ومعجم ماستعجم ص٥٠٤ ؛ وهو للعرجي في ديوانه ص١٩٣ ؛ ودرة الغواص ص٩٦ ؛ ومغني اللبيب ٢/٥٣٨ ؛ وللحارث أو للعرجي في إنباه الرواة ١/٢٨٤ ؛ وشرح التصريح ٢/٦٤ ؛ وشرح شواهد المغني ٢/٨٩٢ ؛ والمقاصد النحوية ٣/٥٠٢ ؛ ولأبي دهبل في ديوانه ص٦٦ . وهوبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦/٢٢٦ ؛ وأوضح المسالك ٣/٢١٠ ؛ وشرح الأشموني ٢/٣٣٦ ؛ وشرح شذور الذهب ص٥٢٧ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٧٣١ ؛ ومجالس ثعلب ص٢٧٠ ؛ ومراتب النحويين ص١٢٧ ؛ وهمع الهوامع ٢/٩٤ . وروايته المشهورة : " أظليم إن ...." .

(٣) هو الإنشاد السبعون بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت بلا نسبة في الأزهية ص٢٤٣ ؛ وأوضح المسالك ٢/١٦٣ ؛ والجنى الداني ص٧١ ؛ والدرر ٢/٣٦ ؛ والرد على النحاة ص١٠٤ ؛ ورصف المباني ص٣٨٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٤١٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٤/٣٧ ؛ وشرح الأشموني ١/١٨٩ ؛ وشرح التصريح ١/٢٩٩ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٨٦ ؛ وشرح شواهد المغني ١/٤٦٨ ، ٢/٨٧٣ ؛ وشرح المفصل ١/١٠٠ ، ٨/٩٥ ؛ والكتاب ١/١٣٩ ، ١٤٣ ؛ ولسان العرب (خلا) ؛ ومغني اللبيب ١/١٦٥ ؛ والمقاصد النحوية ٢/٥٢٩ ؛ وهمع الهوامع ١/١١٠ .

٧٧- وَقَائِلَةٍ خَوْلانُ فَانْكِحْ فَتَاتَهُمْ

عجزه :

* وأكرُومَةُ الحَيَّينِ خِلْوٌ كما هِيَا *

على أن الفاء في « فانكح » زائدة عند الأخفش . و« خولان » مبتدأ ، و«انكح» خبره . وعند سيبويه غير زائدة ، والأصل : هذه خولان فانكح فتاتهم .

قال ابن خلف : قال أبو علي : من جعل الفاء زائدة أجاز في « خولان » الرفع والنصب . كقولك : زيداً فاضربه . فإن قلت زيداً فاضربْ جاز عند الجميع . قال تعالى[1] : « وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» .

ونقل أبو جعفر النحاس عن المبرِّد أنّه قال : لو قلت هذا زيداً فاضربه ، جاز أن تجعل زيداً عطف بيان أو بدلاً ، فلو رفعت خولان بالابتداء لم يجز من أجل الفاء ، وإنما جاز مع هذا لأن فيها معنى التنبيه والإشارة . وقال أبو الحسن: ويجوز النصب على الذم . انتهى .

والظاهر أن يقول : ويجوز النصب على المدح كما قال غيره . فإن المرغّب لا يذمّ.

وعلى قول س : فالفاء إما لعطف الإنشاء على الخبر وهو جائز فيما له محل من الإعراب ، وإما لربط جواب شرط محذوف ، أي : إذا كان كذلك فانكح . قال سيبويه: قد يحسن ويستقيم أن تقول عبد الله فاضربه ، إذا كان الخبر مبنياً على مبتدأ مظهر أو مضمر ، نحو هذا زيد فاضربه والهلال والله فانظر إليه . وقال السيرافي : الجمل كلُّها يجوز أن تكون أجوبتها بالفاء نحو زيد أبوك فقم إليه ، فإنّ كونه أباه سببٌ وعلّة للقيام إليه ، وكذلك الفاء في فانكح يدلّ على أن وجود هذه القبيلة علة لأن يُتزوّج منهم ويتقرّب إليهم ، لحسن نسائها وشرفها . وفيه إشارة إلى ترتب الحكم على الوصف .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى[2] : « ربُّ السَّموات والأرضِ وما بَيْنَهُما فاعْبُدْهُ » ، قال إنّ ربّ خبر مبتدأ ، أي : هو رب السماوات كما في خولان

---

(١) سورة المدثر ٧٤/٤ .

(٢) سورة مريم ١٩/٦٥ .

بالرفع ، أي : هؤلاء خولان . وخولان : حيّ باليمن . وروى : « فانكح فتاتها » لأنه أراد القبيلة . وجملتا [١] « هذه خولان فانكح فتاتهم » ، في محل نصب على أنها مقول القول، وإنما عمل فيها النصب وهو قائلة لاعتماده على الموصوف المقدر ، أي: رب امرأة قائلة. وبه يدفع ما يردُ عليه من أنَّ مجرور ربّ غير موصوف بشيء مع أن وصفه واجب ، فإن المجرور هو الوصف ، والموصوف محذوف . أو تقول : الصفة محذوفة ، أي : رب قائلة قالت لي . لكن يردُ عليه أنّ ما بعد ربّ يلزمه المُضي ، والوصف هنا مستقبل بدليل إعماله . ويدفع أيضاً بأنه أراد حكاية الحال الماضية ، بدليل أن المعنى : قد قيل لي ذلك فيما مضى ، وليس المراد أنه يقال لي هذا فيما يستقبل . أو أنه ماض وعمل على مذهب الكسائي .

قال ابن هشام في المغني : وسُمع أعرابيٌّ يقول بعد انقضاء رمضان : « رُبَّ صائمه لن يصومه ، ويارب قائمه لن يقومه» : وهو مما تمسَّك به الكسائي على إعمال اسم الفاعل المجرد بمعنى الماضي . وربَّ هنا للتكثير ، وهي حرف جر لا يتعلّق بشيء ، والفعل المعدَّى محذوف ، أي : رب قائلة هذا القولَ أدركتها ورأيتها ، فمجرور ربّ جاء في محل رفع على الابتداء، أو في محل نصب على المفعولية على شريطة التفسير . وإن قدَّرت أدركت فمحلُّه نصب لا غير . وقوله «وأكرومة الحيين خِلو » الأكرومة : فعل الكرم ، مصدر بمعنى اسم المفعول أي : ومُكرَمة الحيين . وأراد بالحيين حيّ أبيها وحيّ أمها. والخِلو بكسر الخاء المعجمة : التي لا زوج لها . وهذه الجملة الظاهر أنها في محل نصب على الحال ، والمعنى : ربّ قائلة قالت لي هؤلاء خولان فانكح فتاتها . فقلت : كيف أنكحها وأكرومة الحيين خاليةٌ عن الزوج؟ قيل : ويجوز أن الجملة من تمام قول القائلة . ولا يخفى أنه لو كان كذلك لكان الوجه أن يقال فأكرومة الحيين ، بالفاء . فتأمل . وقوله « كما هيا » صفة لخِلو، وفيه فعل محذوف أي : كما كانت خلواً ، فلما حذفت كان برز الضمير ، وما مصدرية في الجميع ، ويجوز أيضاً أن يكون هي مبتدأ وخبره محذوف وما موصولة، أي: كالحالة التي هي عليها فيما عهدته . والكاف بمعنى على، ويحتمل أن ما زائدة فيكون ضمير الرفع قد استعير في موضع الضمير المجرور . والمعنى أنّها خلو الآنَ كهي فيما مضى ، والكاف للتشبيه . ويحتمل أيضاً أنها كافّة وهي مبتدأ خبره محذوف، أي:

(١) في طبعة بولاق : " وجملتان خولان ..." . وفي الشنقيطية : " وجملتا خولان ..." . وفي الطبعة السلفية وهارون: " وجملة خولان ..." . وكلهم تصحيف ؛ صوابه من شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٨/٤ .

هي عليه . وقد جوّزوا هذه الوجوه إلاّ المصدرية في قولهم : كن كما أنت ، نقلها ابن هشام في المغني في الكاف وزاد عليها .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها ناظم[١] . والله أعلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون ،وهو من شواهد جمل الزجّاجي[٢]: (الخفيف)

٧٨- إنّ مَـنْ يَـدْخُـلِ الكَنِيسَـةَ يَـومَـاً
يَـلْـقَ فِيْـهَـا جَـآذِراً وظِـبَـاءَ

على أن اسم « إنّ » ضمير شأن ، والجملة الشرطية بعدها خبرها ؛ وإنما لم يجعل « مَن » اسمها لأنها شرطية ، بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر في جملته فلا يعمل فيه ما قبله [٣] .

قال ابن السيد في شرح أبيات الجمل : « هذا البيت للأخطل وكان نصرانياً ، فلذلك ذكر الكنيسة » .

وقال ابن هشام اللخميّ في شرحها : « لم أجده في ديوان الأخطل » .

« أقول » : قد فتّشت ديوان الأخطل من رواية السُّكريّ [٤] فلم أظفر به فيه ؛

(١) انظر أسطورة الأبيات الخمسين في مجلة المجمع بدمشق العدد ٢ ص٦١ سنة ١٩٧٤ .

(٢) هو الإنشاد السابع والأربعون في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٨٥ ؛ وشرح شواهد المغني ٢/٩١٨ . وهو ليس في ديوانه . والبيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/٤٦ ؛ وأمالي ابن الحاجب ١/١٥٨ ؛ ورصف المباني ص١١٩ ؛ وشرح المفصل ٣/١١٥ ؛ ومغني اللبيب ١/٣٧ ؛ وهمع الهوامع ١/١٣٦ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ١/٤١٣ : " وعبارة الرضي ١/٩٢ : وأما كلمات الشرط الجازمة ، الثابتة الأقدام في الشرطية ، فلا يدخلها شيء من نواسخ الابتداء إلا في الضرورة ، فيضمر مع ذلك بعدها ضمير الشأن حتى لا تخرج كلمات الشرط في التقدير عن التصدر في جملتها ، وذلك نحو قوله : إن من يدخل ... إلخ . وتمتاز عن عبارة المصنف بأنها أعمّ وأوضح " . .

(٤) لم نجد هذه الأبيات في شعر الأخطل رواية السكري ، تحقيق فخر الدين قباوة .

ولعله ثابتٌ في رواية أخرى . ونسبه السيوطي في شواهد المغني إلى الأخطل وقال : وبعده [١]:

مَالَتِ النَّفْسُ بَعْدَهَا إذْ رأتْهَا   فَهْيَ رِيْحٌ وَصَارَ جِسْمِي هَبَاءَ
لَيتَ كَانَتْ كَنِيْسَةُ الرُّومِ إذْ ذا   ك عَلَيْنَا قَطِيْفَةً وَخِبَاءَ

« الكنيسة » هنا : متعبَّد النصارى ، وأصله متعبَّد اليهود ، معرّب كُنِشْت بالفارسية [٢] . و« الجآذر » : جمع جُؤذُر ، وهو ولد البقرة بضم الذال المعجمة ؛ وحكى الكوفيون فتحها أيضاً ، وسردوا ألفاظاً كثيرة على فُعلَل بضم الأول وفتح الثالث ، منها جُؤذَر وبُرقَع وطُحلَب وجُخْدَب وضُفدَع ، والبصريون لا يعرفون فيها إلاّ ضم الثالث . و « الظباء » : الغِزلان ، الواحد ظبية . يقول : مَن يدخل الكنيسة يَلقَ فيها أشباه الجآذر من أولاد النصارى ، وأشباهَ الظباء من نسائهم . فكنى عن الصبيان بالجآذر ، وعن النساء بالظباء .

وقال اللخميّ : ويحتمل أن يريد الصور التي يصوّرونها فيها ، لأنّ كنائس الروم قلّ أن تخلوَ من الصور شبيهة بالجآذر والغزلان . قال عمر بن أبي ربيعة[٣] : (الخفيف)

دُمْيَةٌ عندَ راهِبٍ ذِي اجْتِهَاد   صَوَّرُوهَا بِجَانِبِ المِحْرَابِ

ويعني بـ « الدمية » : الصورة . و« الهباء » : الغبار الرقيق . و« القَطيفة » : كساء ذو خمل.

و«**الأخطل** » هذا هو التَّغلبيّ الشاعر المشهور ، من الأراقم ، واسمه غياث بن غوث [٤] بن الصَّلت بن طارقة .

وأنهى نسبته الآمديُّ في « المؤتلف والمختلف » إلى تغلب.

(١) البيت الأول في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٨٥ .

(٢) في حاشية طبعة هارون ١/٤٥٨ :" هذا الضبط من معجم استينجاس ص١٠٥٥ ، ومعناه في الفارسية " معبد النار " . وانظر كلام الخفاجي في شفاء الغليل كنيسة " .

(٣) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص٤٣١ .

(٤) في طبعة بولاق : " غياث من غوث " . وهو تصحيف صوابه من ديوان شعره وطبقات فحول الشعراء .
وفي حاشية الطبعة السلفية ١/٤١٤ : " ... والتصحيح من ش ومن تصحيحات الأستاذ تيمور باشا . قال الأستاذ الميمني : ورأيت في المخطوطات هذا التصحيف -أي تصحيف بن ، بمن وبالعكس - كثيراً جداً " .

قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « وسمي الأخطل من الخطل ، وهو استرخاء الأذنين ومنه قيل لكلاب الصيد [١] خُطْل » . قال شارحه ابن السيد[٢] : « لا أعلم أحداً ذكر أنّ الأخطل كان طويلَ الأذنين مسترخيهما ؛ والمعروف أنه لقّب الأخطل لبذاءته وسلاطة لسانه ، وذلك أن ابنيْ جعيل احتكما إليه مع أمّهما فقال[٣]: (الوافر)

لَعَمْـرُكَ إنَّنِـي وابْنَـيْ جُـعَيْـلٍ وَأُمَّهُمَـا لإسْـتَـارٌ لَـئِيْـمُ

فقيل : إنّه لأخطل ! فلزمه هذا اللقب - والإسنار معرب جهار ، وهو أربعة من العدد بالفارسية [٤] .

وقال بعض الرواة ، وحكى نحو ذلك أبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » : إنّ السبب في تلقيبه بالأخطل أن كعب بن جُعَيل كان شاعر تغلب في وقته ، وكان لا يلمّ برهط منهم إلاّ أكرموه وأعطَوه، فنزل على رهط الأخطل فأكرموه ، وجمعوا له غنَما وحظروا عليها حظيرة ؛ فجاء الأخطل فأخرجها من الحظيرة وفرّقها ، فخرج كعبٌ وشتمه ، واستعان بقومٍ من تغلب فجمعوها له وردّوها إلى الحظيرة ، فارتقب الأخطل غفلته ففرّقها ثانية ، فغضب كعب وقال : كفّوا عنّي هذا الغلام وإلاّ هجوتكم ! فقال له الأخطل : إن هجوتنا هجوناك - وكان الأخطل يومئذ يقرزم . والقرزمة [٥] : أن يقول الشعر في أول أمره قبل أن يستحكم طبعه وتقوى قريحته - فقال كعب : ومن يهجوني ؟ فقال : أنا ! فقال كعب[٦] :

* وَيلٌ لِهـذا الوَجْـهِ غِبَّ الـحُمَّـه *

---

(١) في طبعة بولاق : " كلاب الصيد " .. بإسقاط اللام وهو خطأ صوابه من أدب الكاتب والاقتضاب ص١٢٤ .

(٢) شرح أدب الكاتب ص١٢٤ -١٢٥ ؛ وساق معه خبرالأغاني .

(٣) الخبر والبيت في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٨٧ . والبيت للأخطل في ص٥٥٧ ؛ وتاج العروس (خطل)؛ ولسان العرب (ستر ، خطل) ؛ ومقاييس اللغة ٣/١٣٢ ؛ ومجمل اللغة ٣/١١٧ . وانظر خبره في الأغاني ٧/١٧٠ ؛ وأمالي القالي ٢/١٣١ ؛ والشعر والشعراء ص٥٤٣ .

(٤) في شعر الأخطل ص٥٥٧ : " والاستار : الأربعة ".وفي الاقتضاب ص١٢٤ : " الأستار : أربعة من العدد " .

(٥) في طبعة بولاق والشنقيطية : " يغرزم " بالغين المعجمة وفي القاموس واللسان (قرزم) : " القرزام " : الشاعر الدون ، وهو يقرزم شعره " .

وفي شرح أبيات المغني : " يفرزم " بالفاء . وهي رواية صحيحة أيضاً .

(٦) الشعر وخبره في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٨٧ .

فقال الأخطلُ :

* فَنَـاك كَعْـبُ بـنُ جُـعَيـل أمَّـهْ *

فقال كعب : إنّ غلامكم هذا لأخطل . ولجَّ الهجاء بينهما فقال الأخطل[1] : (المتقارب)

سُـمِّيـتَ كَـعْبـاً بشَـرِّ العِظَـامِ ... وَكَـانَ أبُـوكَ يُسمَّى الجُعَـلْ
وأنْـتَ مَكـانُـكَ مِـنْ وائِـلٍ ... مَكانُ القُرادِ مِن اسْتِ الجَمَلْ

ففزع كعب وقال : والله لقد هجوتُ نفسي بهذين البيتين ، وعلمتُ أنْ سأهجى بهما . وقيل : بل قال : هجوت نفسي بالبيت الأول من هذين البيتين.

وقيل إنّ الأخطل اسمه غويث ، ويكنى أبا مالك ، ويلقب دَوْبلا أيضاً ، والدَّوبل: الحمار القصير الذنَب ؛ ويقال : إنَّ جريراً هو الذي لقّبه بذلك بقوله[2] : (الطويل)

بَكَى دَوْبَلٌ لا يُرقِئ الله دَمْعَهُ ... ألاَ إنَّما يَبْكِي مِنَ الذُّلِّ دَوْبَلُ

ومات على نصرانيته ، وكان مقدّماً عند خلفاء بني أمية ، لمدحه لهم وانقطاعه إليهم . ومدح معاوية وابنه يزيد ؛ وهجا الأنصار رضي الله عنهم بسببه، فلعنه الله وأخزاه وخذله .

وعُمِّر عمراً طويلا إلى أن ذهب إلى النار وبئس القرار .

قال ابن رشيق في« العمدة »[3] : « ومن الفحول المتأخرين الأخطل . . وبلغت به الحال في الشعر إلى أن نادم عبدَ الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير بن عطية الشاعر وهو مسلمٌ تقيّ ، [وقيل :] أمره بذلك عبد الملك بسبب شعر [فاخره][4] فيه

(١) البيتان في الأغاني ٢٨/٨ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٨٧/١ . ولم أقع عليهما في ديوانه .
والجعل : ضرب من الخنافس .

(٢) البيت لجرير في ديوانه ص١٤١ ؛ وأساس البلاغة (رقأ) ؛ وتاج العروس (دبل) ؛ وجمهرة اللغة ص٣٠١ ، ١١٧٥ ؛ ولسان العرب (دبل) .

(٣) العمدة ٤٤/١ . وزيادات المقطع كلها من العمدة .

(٤) في جميع طبعات الخزانة : " خايره" . وهو تصحيف لا معنى له . والتصويب من العمدة .

بين يديه. وطوّل لسانه حتىّ قال مجاهراً لعنة الله عليه - لا يستتر في الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين -[١] : (الوافر)

وَلَسْتُ بصَائمٍ رَمضَانَ طَوعاً ... وَلستُ بآكلٍ لَحْمَ الأضاحِي
وَلَسْتُ بزاجرٍ عَنْساً بُكوراً ... إلى بَطْحاءِ مَكَّةَ للنَّجَاحِ
وَلَسْتُ مُنَادِياً أبداً بلَيْلٍ ... كَمثلِ العَيرِ : حَيَّ على الفَلاحِ
وَلكِنِّي سأشْرَبُها شَمُولاً ... وأسجُدُ عِنْدَ مُنبلَجِ الصَّبَاحِ

وقد ردّ على جرير أقبح ردّ ، وتناول من أعراض المسلمين وقبائل العرب وأشرافهم ما لا ينجو من مثله علويّ فضلاً عن نصرانيّ.

وعدّ الآمدي في « المؤتلف والمختلف » [٢] : مَن لقب الأخطل أربعة : أحدهم هذا . والثاني الأخطل الضُّبَعي ، كان شاعراً وادّعى النبوّة ، وكان يقول : لمضر صدر النبوة ولنا عجزها . فأخذه ابن هبيرة في دولة الأمويّين فقال: ألستَ القائل[٣] : (الطويل)

لنا شَطْرُ هَذا الأمْرِ قِسْمَةَ عَادِلٍ ... متَى جَعَلَ الله الرسالةَ تُرْتُبَا

أي : راتبة دائمة في واحد . قال : وأنا القائل[٤] : (الطويل)

وَمِنْ عَجَبِ الأيَّام أنّكَ حَاكِمٌ ... عَلَيَّ وأنِّي فِي يَدَيكَ أسِيْرُ

قال : أنشدني شعرك[٥] [في الدجال] ، قال : اغْرُبْ ويلك ! فأمر به فضربت عنقه . والثالث الأخطل المجاشعي وهو الأخطل بن غالب أخو الفرزدق ، وكان شاعراً، وإنما كسفه الفرزدق فذهب شعره . والرابع الأخطل بن حمّاد بن الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب .

* * *

(١) الأبيات في ديوانه ص٧٥٥-٧٥٦ . وانظر فيها الأشربة ص٧٣ ؛ وثمرات الأوراق ٩٧/١ ؛ ورسالة الغفران ص٣٥٠ ؛ والعقد ٢٨٤/١-٢٨٦ .

(٢) المؤتلف والمختلف ص٢١ .

(٣) البيت في شرح أبيات المغني ١٨٨/١ ؛ والمؤتلف ص٢٢ . وترتبا ؛ أي : مراتبة دائمة .

(٤) البيت في شرح أبيات المغني ١٨٨/١ ؛ والمؤتلف ص٢٢ .

(٥) زيادة من المؤتلف ص٢٢ يقتضيها السياق .

وأنشد بعده :

(ولو أنّ ما أسعى لأدنى مَعيشةٍ)

تقدّم شرحه في الشاهد التاسع والأربعين.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون (١) : (البسيط)

٧٩- قَالتْ أُمَامَةُ لمّا جِئْتُ زَائِرَهَا
هَلاّ رَمَيْتَ ببعْضِ الأسْهُم السُّودِ
لا دَرّ دَرُّكِ إنّي قَدْ رَمَيتُهُمُ
لَولا حُدِدْتُ وَلا عُذْرَى لِمحدُودِ

على أنه ربما دخلت « لولا » على الفعلية كما هنا ، أي : لولا الحدّ وهو الحرمان. وهذا البيت يردّ مذهب الفرّاء القائل بأنّ ما بعد لولا مرفوع بها ؛ فلو كانت عاملة للرفع لذكر بعدها هنا مرفوع ، فوجب كونها غير عاملة لعدم مرفوع .

وهذا الذي نسبه الشارح المحقّق إلى الفرّاء نسبه ابنُ الأنباريّ في «الإنصاف» وابن الشجري في أماليه إلى الكوفيين . وذهب ابن الأنباري إلى صحة مذهبهم وقال : الصحيح ما ذهب إليه الكوفيون من أنّ « لولا » نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم ، فإن التقدير في لولا زيد لأكرمتك : لو لم يمنعني زيد من إكرامك لأكرمتك ، إلاّ أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا « لا » على « لو » فصارا بمنزلة حرف واحد . وأجاب عن البيت بأن لولا هنا هي «لو » الامتناعية و« لا » معها بمعنى « لم » ، لأن لا مع الماضي بمنزلة لم مع المستقبل ، فكأنه قال : قد رميتهم لو لم أُحَدّ ، وهذا كقوله تعالى(٢) : « فلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ » ، أي : لم يقتحمها ا.هـ .

وقال يوسف بن السيرافي في « شرح شواهد الغريب المصنّف » لأبي عُبيد

---

(١) البيتان للجموح الظفري في أمالي ابن الشجري ٢/٢١١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٥/١٢٨ ؛ وشرح المفصل ١/٩٥ ؛ ولسان العرب (عذر) .

وهما بلا نسبة في الأزهية ص١٧٠ ؛ والإنصاف ١/٧٣-٧٤ ؛ وتذكرة النحاة ص٧٩ ، ٣٨٧ ؛ وجمهرة اللغة ص٦٩٢ ، ١٢٣٠ .

(٢) سورة البلد : ٩٠/١١ .

القاسم بن سلاّم : لولا لا يقع بعدها إلا الأسماء ، وتكون مبتدأة وتحذف أخبارها وجوباً ، وتقع بعدها أنّ المفتوحة المشدّدة ، وهي واسمها وخبرها في تقدير اسم واحد. فلما اضطرّ الشاعرُ حَذَفَ أنّ واسمها ، أي : لولا أني حُدِدت، يقول : لولا أنّي حددت لقتلت القوم . وهذا قبيح لأنه يجري مجرى حذف الموصول وإبقاء الصلة . ويجوز أن يكون شبّه لولا بلوْ فأوْلاهَا الفعل ، أو شبّه أنّ الشديدة بأنْ الخفيفة ، فأن الخفيفة قد تحذف كقوله[1] : (الطويل)

* ألا أيُّهذا الزَّاجري أحْضُرَ الوَغَى *

فلما استجازُوا حذفها ، حذفوا الثقيلة ، لأنهما حرفا مصدر .

وهذا الشعر للجَموح ، أحد بني ظَفَر من سُلَيم بن منصور . وبعدهما بيتان آخران وهما : (البسيط)

إذْ هُمْ كرجْلِ الدَّبى لا دَرَّ دَرُّهُم ... يَغْزُون كُلَّ طُوال المشْي مَمْدُودِ
فَما تَرَكْتُ أَبا بِشْرٍ وَصَاحِبَه ... حَتّى أَحَاطَ صَرِيْحُ الموتِ بالجِيْدِ

وروى هذه الأبيات الأربعة أبو تمّام في كتابه مختار أشعار القبائل لراشد بن عبد الله السُّلميّ[2] ، ونسبها ابن السيرافي وابن الشجريّ للجَموح كما ذكرنا .

وقال ابن السيرافي : كان من خبر الجموح الظَفَريّ أنه بيّت بني لِحْيان وبني سَهم ابن هذيل ، بوادٍ يقال له ذات البَشام ، وكان الجموح قد جمع جمعاً من بني سُليم

(١) هو الإنشاد الخامس عشر بعد الستمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

صدر بيت لطرفة بن العبد ؛ وتمامه :

* وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي *

والبيت في ديوان طرفة ص٣٢ ؛ والإنصاف ٥٦٠/٢ ؛ والدرر ٧٤/١ ؛ وسر صناعة الإعراب ٢٨٥/١ ؛ وشرح أبيات المغني ١٨١/٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٠٠/٢ ؛ والكتاب ٩٩/٣ ، ١٠٠ ؛ ولسان العرب (أنن) ؛ والمقاصد النحوية ٤٠٢/٤ ؛ والمقتضب ٨٥/٢ . وهو بلا نسبة في الدرر ٣٣/٣ ، ٩٤/٩ ؛ ورصف المباني ص١١٣ ؛ وشرح شذور الذهب ص١٩٨ ؛ وشرح ابن عقيل ص٥٩٧ ؛ وشرح المفصل ٧/٢ ، ٢٨/٤ ، ٥٢/٧ ؛ ومجالس ثعلب ص٣٨٣ ؛ ومغني اللبيب ٣٨٣/٢ ، ٦٤١ ؛ وهمع الهوامع ١٧/٢ .

(٢) هو راشد بن عبد ربه السلمي الصحابي ، كان يدعى غوياً ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم راشد ابن عبد الله . وقيل كان يسمى ظالماً ، وقيل غاوياً ، وقيل غاوي بن ظالم . (الإصابة ٤٩٥/١ ، والاستيعاب ٥٣٨/١).

وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبي بشر ، فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت ، وكان في كنانةِ الجموح نَبْل مُعلَمة بسواد ، حَلف ليرمينّ بها جُمَع قبل رجعته في عدوِه . فقُتل أبو بشر وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة ، وأعجز الجموح.

فقالت له امرأته وهي تلومُه : هلاّ رميتُ تلك النَّبْل التي كنتَ آليت لترمينّ بها !

وأمامة : زوجته . وروى : « لما جئت طارقها » . وروى : « هلاّ رميتَ بباقي الأسهم الأسود » .

قال أبو حنيفة الدِّينَوَريّ في « كتاب النبات » : وتتخذ السهام من القنا ، وقلّما يرغب فيها أهل البوادي ، لأنّها خِفاف وإن كان مداها أبعد ؛ وقداح أهل البوادي غِلاظ ثِقال عِراض الحدائد فهي قويّة ، إذا نَشِبت في الصَّيد فعضّها لم تنكسر وكانت جراحاتها واسعة ، لأنهم أصحابُ صيد وحروب . وسهام القنا سود الألوان ، وإياها عنى الشاعر بقوله :

* هَلاّ رَمَيْتَ بِبعضِ الأسْهمِ السُّودِ * ا.هـ .

وقوله « لا درَّ درُّكِ » أي : فقلت لها : لا كان فيك خير ولا أتيتِ بخير ، يدعو عليها ؛ والكاف مكسورة . و« حُدِدتُ » بالبناء للمفعول حرمت ومنعت .

قال ابن الأنباري في « شرح المفضليات » : يقال حددته حدّاً : إذا منعته . وقد حُدّ الرجل عن الرزق إذا مُنع منه ، وهو محدود . وأنشد هذا البيت . يقول : قد رميتُ واجتهدت في قتالهم ولكنّي حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . وروى «لا درّ كسبك » .

وروى أبو تمّام : « لله درّك » فيكون دعاءً لها . و« العُذرى » بضم العين والقصر : اسم بمعنى المعذرة ، قال في « الصحاح » : « عذرته فيما صنع أعذِره عُذْراً وعُذُراً ، والاسم المعذِرة والعُذرَى» . وأنشد هذا البيت .

والرِّجْل بكسر الراء وسكون الجيم : القطعة العظيمة من الجراد . والدَّبى بفتح الدال وبالموحدة وبالقصر : أصغر الجراد . والطُّوال كغراب : الطويل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون ، وهو من شواهد سيبويه [1] : (الطويل)

٨٠- وَمـا لَـيْـلُ الـمَطِـيِّ بِـنَـائِـمِ

أصله :

لَقَدْ لمتنا يا أمَّ غَيْلان بالسُّرَى ونِمْتِ ، وَمَا لَيْلُ المَطِيِّ بِنائِمِ

على أنّ الزمان يسند إليه كثيراً ما يقع فيه ، فإن النوم يقع في الليل ، وقد أسند إليه مجازاً عقلياً ، كقول رؤبة[2] : (الرجز)

* فَنَامَ لَيْلِي وَتَجلَّى هَمِّي *

فإن قلت : إنّ الشاعر قد نفى النوم عن الليل ، فكيف ذلك مع قول الشارح بأن النّوم قد أسند إلى الليل ؟ قلتُ : النفي فرع الإثبات .

وقد أورده سيبويه على أن وصف الليل بأنه غير نائم على طريق الاتساع ، والليل لا ينام ولا يوصف بأنه غير نائم ؛ لأنه ليس من الحيوان ، وكان حقه بمنوم فيه. وأراد: وما ليل أصحاب المطيّ ، فحذف . وأراد بأصحاب المطيّ من يركب ويسافر، فلا ينبغي أن ينام من أول الليل إلى آخره .

و« أم غيلان » قال ابن خلف : هي بنت جرير . يقول : لُمْتِنا في تركنا النوم واشتغالنا بالسرى . و« المطيّ » : جمع مطيّة ، وهي الراحلة التي يُمتطى ظهرها أي : يُركب . و« السُّرى » : سير الليل .

وهذا البيت من قصيدة لجرير يردُّ بها على الفرزدق . مطلعها[3] : (الطويل)

لا خَيْرَ في مُسْتَعْجلاتِ المَلاوم وَلا فِي حَبيبٍ وَصْلُهُ غَيرُ دائِمِ
تَرَكْتُ الصِّبا مِنْ رَهْبَةٍ أَنْ يَهيجَني بتُوضِحَ رسْمُ المَنزِلِ المُتقَادِمِ

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ص٩٩٣ ؛ والكتاب ١/١٦٠ ؛ ولسان العرب (ربح) . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/٦٠ ؛ والإنصاف ١/٢٤٣ ؛ وتخليص الشواهد ص٤٣٩ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢٢٢ ؛ والمحتسب ٢/١٨٤؛ والمقتضب ٣/١٠٥ ، ٤/٣٣١ .

(٢) الرجز لرؤبة في ديوانه ث١٤٢ ؛ والمحتسب ٢/١٨٤ . وهو بلا نسبة في المقتضب ٣/١٠٥ .

(٣) القصيدة قالها جرير في الرد على الفرزدق وهي في ديوانه ص٩٩٣ ؛ والنقائض ص٧٥٣ . وفي طبعة بولاق جاء رواية البيت الثاني : " بتوضيح " . وهو تصحيف .

وَقال صِحابي : مالَهُ ؟ قُلتُ:حَاجَةٌ تَهيج صُدُوعَ القَلْبِ بَين الحَيَازِمِ
تَقُولُ لنا سَلْمَى: مَنْ القومُ أنْ رأتْ وُجُوهاً عِتاقاً لُوِّحَتْ بالسَّمائِمِ
لَقَدْ لمتِنا يا أمَّ غيلان بالسُّرى . . . .(البيت)

و« المَلاوم » : جمع مَلامة . و« المستعجلات » بكسر الجيم . و« الحيازم » : جمع حَيزوم وهو وسط الصدر . وقوله : « مَن القوم » ، بالاستفهام . و« أن رأت»، بفتح همزة أن . و« لُوِّحت »، بالبناء للمفعول : مبالغة لاحهُ السفرُ أي : غيّره . و«السمائم» : جمع سَموم ، وهي الريح الحارّة ، مؤنثة . وقوله « لقد لمتنا ... إلخ » أي : قلتِ لنا [1] .

وترجمة جرير قد تقدمت في الشاهد الرابع .

* * *

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " أي : قلتُ لها " .
وفي الشنقيطية وطبعة هارون : " أي : قلتِ لنا " . والروايتان صحيحتان .

اسم ما ولا المشبهين بليس

أنشد فيه ، وهو الشاهد الحادي والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه [١] :(مجزوء الكامل)

٨١- مَـــنْ صَــــدَّ عَـــنْ نِـيْــرانِـهَــــا
فَــأنـــا ابْــنُ قَـيْــسٍ لا بَـــــراحُ

على أنّ « لا » تعمل عمل ليس شذوذاً .

وأنشده سيبويه أيضاً على إجراء « لا » مُجرى ليـس في بعـض اللغـات . فبراح اسمها والخبر محذوف أي : لي . قال ابن خلف : ويجوز رفع « براح » بالابتداء ، على أن الأحسن حينئذ تكرير «لا» كقوله تعالى[٢]:« لا خَوفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحزَنُون».

وقال المبرِّد ، كما نقله النحاس : لا أرى بأساً أن تقـول «لا رجـلٌ في الـدار» في غير ضرورة ، وكذا « لا زيد في الدار » ، في جواب « هل زيد في الدار»؟

وقوله « فأنا ابن قيس» ، أي : أنا المشـهور في النَّجـدة كمـا سمعـتَ . وأضـاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به . وجملة « لا براح لي » حال مؤكدة لقوله : أنا ابن قيس، كأنه قـال : أنا ابن قيس ثابتاً في الحرب . وإتيان الحال بعد أنا ابـن فلان كثير ،

---

(١) هو الإنشاد الواحد والتسعون بعد الثلاثمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي والبيت لسعد بـن مـالك في الأشباه والنظائر ١٠٩/٨ ، ١٣٠ ؛ والدرر ١١٢/٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٨/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٧٦/٤؛ وشرح التصريح ١٩٩/١ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٥٠٩ ؛ وشرح ديوان الحماسـة للأعلـم ص١٧٢ ؛ وشرح شـواهد المغني ص٥٨٢ ،٦١٢ ؛ وشـرح المفصـل ١٠٩/١ ؛ والكتـاب ٥٨/١ ؛ ولسـان العـرب (بـرح) ؛ والمؤتلـف والمختلـف ص١٣٥ ؛ والمقـاصد النحوية ١٥٠/٢ ؛ وهـو بـلا نسبة في أمـالي ابـن الحـاجب ص٣٢٦ ؛ الإنصاف ص٣٦٧ ؛ وأوضح المسالك ٢٨٥/١ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٩٣ ؛ ورصف المباني ص٢٦٦ ؛ وشـرح الأشمونـي ص١٢٥ ؛ وشـرح المفصـل ١٠٨/١ ؛ وكتـاب اللامـات ص١٠٥ ؛ ومغـني اللبيـب ص٢٣٩ ، ٦٣١ ؛ والمقتضب ٣٦٠/٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢٦٢/٢ .

كقوله[1] : (البسيط)

* أنَـا ابْنُ دَارةَ مَشْـهُوراً بها نَسَبِـي *

وقيل : الجملة في محل رفع خبر بعد خبر . وقيل تقرير للجملة التي قبلها . ويجوز نصب « ابن قيس » على الاختصاص فيتعيّن جملة لا براح لي كونها خبراً لأنا وهو أفخر وأمدح . قال الإمام المرزوقي في قوله[2] : (البسيط)

* إنّـا بَنِـي نَهْشَلٍ لا نَدَّعِـي لأبٍ *

« الفرق بين أن تنصبَ « بـني نهشـل » على الاختصاص وبين أن ترفعَ على الخبرية ، هو أنه لو جعله خبراً لكان قصدُه إلى تعريف نفسه عند المخاطب ، وكان فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم ، وجهل من المخاطب بشأنهم ؛ وإذا نصبَ أمِن من ذلك . فقال مفتخراً : أنا أذكرُ مَن لا يخفى شأنه ، لأنه يفعل كذا وكذا ! » اهـ.

و« البراح » بفتح الموحّدة : مصدر برِح الشيء براحاً من باب تعب : إذا زال من مكانه .

وهذا البيت من قصيدة مذكورة في الحماسة هي خمسة عشر بيتاً لسعد بن مالك، وأولها [3]: (مجزوء الكامل)

---

(١) صدر بيت لسالم بن دارة ؛ وتمامه :

* وهل بدارة يا للناس من عار *

وهو في الخصائص ٢/٢٦٨ ، ٣١٧ ، ٣٤٠ ، ٣/٦٠ ؛ والدرر ٤/١١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٥٤٧ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٤/٣٧٦ ؛ وشرح المفصل ٢/٦٤ ؛ والكتاب ٢/٧٩ ؛ والمقاصد النحوية ٣/١٨٦ ؛ وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ١/٢٥٥ ؛ وشرح شذور الذهب ص٣٢٠ ؛ وشرح ابن عقيل ص٣٣٨ ؛ وهمع الهوامع ١/٢٤٥ .

والرواية المشهورة : " معروفاً بها ..."

(٢) صدر بيت لبشامة بن حزن النهشلي وتمامه :

* عنه ولا هو بالأبناء يشرينا *

وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٠٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٤/٣٧٧ ؛ وعيون الأخبار ١/٢٨٧ ؛ والمقاصد النحوية ٣/٣٧٠ . وهو لنهشل بن حري في الشعر والشعراء ٢/٦٤٢ ؛ وهو بلا نسبة في شرح شذور الذهب ص٢٨٤ .

(٣) هو الإنشاد التاسع والخمسون بعد الثلاثمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

يــا بــُـؤْسَ لـلحَــرْبِ التِـــي وَضَعَـتْ أراهِـطَ فـاسْـتَـراحُـوا

وهو من أبيات مُغني اللبيب ، أورده على أن الأصل : يا بؤسَ الحربِ ، فأقحمت اللام بين المتضايفين تقوية للاختصاص ؛ ثـم قـال : « وهـل انجـرار مـا بعدهـا بهـا أو بالمضاف ؟ قولان : أرجحهما الأول ، لأن الجارّ أقرب ولأنه لا يعلّق » .

وفي أمالي ابن الشجري : قال المبرِّد : من قال يا بؤساً لزيـد جعـل النـداء بمعنـى الدعاء على المذكـور ؛ ومثلـه : « يـا بـؤس للحـرب .. البيـت» ، كأنـه دعـاء علـى الحرب، وأراد يا بؤس الحرب فزاد اللام .

ويجوز عندي أن يكون من قبيل الشبيه بالمضاف نحو: لا مانعَ لما أعطيت ؛ ولم أر مَن جوّزه فيه . ويجوز أن يكون المنادى محذوفاً و«بـؤسَ» منصوبـاً علـى الـذم والـلام مقحمة ، أو حذف التنوين للضرورة ، أي: يا قوم أذمّ شدّة الحرب .

ومعنى « وضعت أراهط » : حطّتهم وأسقطتهم ، فلم يكن لهم ذكـر شـرف في هذه الحرب ، فاستراحوا من مكابدتها كالنساء ؛ وفيه حذف مضاف أي : وضعت ذِكر أراهط ، وهو جمع أرهُط جمع رَهط : وهو النفر من ثلاثة إلى عشرة ، وقد جـاء أرهُط مستعملاً ، قال رؤبة[1] : (الرجز)

* وَهْــوَ الـذَّلِيْـــلُ نَفَـراً فـي أرهُـطِـــهْ *

وزعم أكثر النحويين أن أراهط جمع رَهـط علـى خـلاف القيـاس . وروى برفـع أراهط فالمفعول محذوف ، أي : وضعتها أراهـطُ ؛ والأول أنسـب ، فـإن هـذا الشـعر قاله «سعد» في حرب البسوس حين هاجت الحرب بين بكـر وتغلـب لقتـل كليـب ،

= وهو مطلع قصيدة لسعد بن مالك في الأغاني ٤٦/٥ ؛ وشرح أبيات المغني للبغـدادي ٣١١/٤ ؛ وشرح شـواهد المغني ص٥٨٢ ، ٦٥٧ ، وشرح ديوان الحماسة للأعلم ص١٧٠ ؛ والحماسة برواية الجواليقي ص١٤٤ ؛ والكتـاب ٢٠٧/٢ ؛ والمؤتلف والمختلف ص١٤٣ .

وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٠٧/٤ ؛ وأمـالي ابـن الحـاجب ص٣٢٦ ؛ والجنـى الداني ص١٠٧ ؛ وجواهـر الأدب ص٢٤٣ ؛ والخصـائص ١٠٢/٣ ؛ ورصـف المباني ص٢٤٤ ؛ وشـرح شـذور الذهـب ص٣٨٩ ؛ وشـرح المفصـل ١٠/٢ ، ١٠٥ ، ٣٦/٤ ، ٧٢/٥ ؛ وكتـاب اللامات ص١٠٨ ؛ ولسـان العـرب (رهـط) ؛ والمحتسـب ٩٣/٢؛ ومغني اللبيب ٢١٦/١ .

(١) الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ص١٧٧ ؛ وتاج العروس (رهط) ؛ وشرح أبيات المغني ٣١٢/٤ ؛ ولسان العرب (رهط) .

واعتزل الحارث بن عُباد وقال : هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل [(١)] ! فعرّض سعد في هذا الشعر بقُعود الحارث بن عُباد عن الحرب ، كما يأتي بيانه . وزعم الدّماميني في الحاشية الهندية : أن الوضع هنا معناه الإهلاك؛ وذلك لعدم وقوفه على منشأ هذا الشعر .

وبعد هذا البيت[(٢)] :

والحَرْبُ لا يَبْقَى لِجَا حِمِها التَّخَيُّلُ والمِراحُ
إلا الفتى الصبّارُ في النَّجَدات والفرسُ الوَقاحُ

وهما من أبيات سيبويه ، أوردهما على أن الفتى وما بعده بدلٌ من التخيّل والمراح على الاتساع والمجاز . ولذلك أوردهما الشارح أيضاً في باب المستثنى ، وذلك أنه استثناءٌ منقطع كقولك : ما فيها أحد إلاّ حمارٌ ، فرفع على لغة بني تميم . ولا يخفى أن هذا البدل ليس بدل بعض كما هو شأنه ، ولهذا قال سيبويه : على الاتساع والمجاز.

ثم أقول : هذا بناء على الظاهر ، وإن اعتُبر حذف مُضاف أي : ذو التخيّل فالاستثناء متصل ، ويختار فيه الإبدال .

و« الجاحم » بتقديم الجيم على الحاء المهملة : المكان الشديد الحرّ ، مِن جَحمت النار فهي جاحمة : إذا اضطرمت ، ومنه الجحيم . و« التخيّل » : التكبّر ، من الخُيلاء. يقول : إنها تزيل نَخوة المنخوّ ، وذلك أن أولي الغَناء [(٣)] يتكرّمون عن الخيلاء، ويختال المتشبّع فإذا جرب فلم يحمد افتضح وسقط . و« المِراح » بكسر الميم: النشاط، أي : إنها تكِفّ حِدّة البطِر النشيطِ . وهذا تعريض بالحارث بن عُبَاد بأنه صاحب خيلاء ومراح. و«الصبّار» : مبالغة صابر . و« النجدة » : الشدة والبأس في الحرب. و«الوقاح » بفتح الواو : الفرس الذي حافرُه صُلب شديد ؛ ومنه الوقاحة .

وقال بعدهما بأبيات :

---

(١) في طبعة بولاق : " لا ناقة فيها ولا جملي " . وهو تصحيف صوابه من شرح أبيات المغني للبغدادي . والخبر فيه ٣١٢/٤ .

(٢) الأبيات في الأغاني ٤٦/٥ ؛ وشرح ديوان الحماسة للأعلم ص١٧٠ ؛ وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٧٣/٢؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٠٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣١٢/٤-٣١٣ .

(٣) في طبعة بولاق : " أولى الغنى " .

بئْسَ الخَلائِفُ بَعْدَنا أوْلادُ يَشْكُرَ واللِّقاحُ
مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرانِها .... البيت
المَوْتُ غايَتُنا فَلا قَصْرٌ ولا عَنْهُ جِماحُ
وَكأنَّما وِرْدُ المَنِيَّـةِ عِنْدَنا ماءٌ وراحُ

وهذا آخر القصيدة . أي : إذا ذهبنا وبقيتْ يشكر وحنيفة فبئس الخلائف هم منا: لا يحمون حريماً ، ولا يأبَوْن ضيماً . وكانت حنيفة تلقب : اللَّقاح ، لأنهم لم يدينوا لملكٍ ، يقال حيّ لَقاح بفتح اللام ، إذا لم يكن في طاعة ملك . وقال بعض شراح الحماسة : إنه بكسر اللام ، جمع لَقْحة ، أي : إذا خلفنا من لا دفاع به من الرجال والأموال فبئس الخلائف بعدنا – جعلَ أولاد يشكر كاللِّقاح ، وهي الإبل التي بها لبن، في احتياجها إلى من يذبّ عنها – وهذا ليس بالوجه ، وإنما مراده ذمّ الحيّين لقعودهما عن بكر في حربهم . و« القَصْر » بسكون الصاد : الحبس . و«الجماح» بكسر الجيم : مصدر جمح إذا انفلت وهرب . يريد : لا يمكن حبس نفس عن الموت، ولا مهربَ عنه . و« الورد » [١] : الورود ، وهو دخول الماء ، وقيل حضوره وإن لم تدخله .

وهذه القصيدة قالها « سعد » يعرِّض بالحارث بن عُباد لقعوده عن الحرب ، وذلك : أن جسّاساً البكري لما قتل كُليباً التغلبيّ هاجت الحرب بين بكر وتغلب ابنيْ وائل .وهي حرب البسوس[٢] : واعتزلهما الحارث بن عُبَاد عن هذه الحرب فعرّض به سعد كما قلنا .

قال أبو رياش في « شرح الحماسة » : كان الحارث بن عُباد بن ضُبيعة بن قيس ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفُرسانها المعدودين . وكان اعتزل حرب بني وائل وتنحَّى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ؛ وحلّ وتر قوسه ونزع سنان رمحه ، ولم يزل معتزلاً حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بُجير بن عمرو بن عُباد في أثر إبل له ندّت يطلبها ، فعرَض له مهلهل في جماعةٍ يطلبون غِرّةَ بكر بن وائل ؛ فقال لمهلهل امرؤُ القيس بنُ أبان بنِ كعب بن زهير بن جُشَم ، وكان من أشراف بني تغلب وكان

(١) في طبعة بولاق : " والمورد " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية نقلاً عن الشنقيطية .

(٢) انظر في خبر حرب البسوس الأغاني ٣٤/٥ ومابعدها ؛ والكامل في التاريخ ٥٢٣/١ ؛ وأمالي القالي ١٢٩/٢-١٣٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٣١٢/٤-٣١٣ ؛ والتعازي والمراثي ص٢٩٧-٣٠٠ .

على مقدّمتهم زماناً طويلاً : لا تفعل ! فو الله لئن قتلته ليقتلنّ به منكم كبشٌ لا يُسأل عن خاله : مَن هو ؟ وإياك أن تحقِر البغْي فإنّ عاقبته وخيمة ؛ وقد اعتزلنا عمّه وأبوه وأهلُ بيته وقومه .

فأبى مهلهل إلاّ قتله ، فطعنه بالرمح وقتله وقال : « بُؤْ بشسعِ نعل كليب» ! - يقال : أبأت فلاناً بفلان فباء به : إذا قتلته به ، ولا يكاد يستعمل هذا إلاّ والثاني كفء للأوّل - فبلغ فعلُ مهلهل عمَّ بجير وكان من أحلم أهل زمانه وأشدّهم بأساً ، فقال الحارث : نِعمَ القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل ! فقيل له : إنما قتل بشِسْع نعل كليب . فلم يقبل ذلك ، وأرسل الحارث إلى مهلهل : إن كنت قتلت بجيراً بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسي بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلته بشسع نعل كليب ! فغضب الحارث ودعا بفرسه - وكانت تسمّى النعامة - فجزّ ناصيتها وهلَب ذنبها [1] ، وهو أول من فعل ذلك بالخيل ، وقال[2] :

قَرِّبَا مَرْبطَ النَّعامَةِ مِنِّي ... لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عَنْ حِيالِ
لا بُجَيْرٌ أغْنَى قَتِيلاً وَلا رَهْـ ... ـطُ كليبٍ تزاجَروا عَنْ ضَلالِ
لَمْ أكُنْ مِنْ جُناتِها ، عَلِمَ اللـ ... ـه وإنّي لِجَمْرِها اليَومَ صَالِي[3]
قَرِّبا مَربطَ النَّعامَةِ مِنّي ... إنَّ قَتْلَ الغُلامِ بالشِسْعِ غالي

و« لقحت » : حملت . و« الحِيال » : أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل . وهذا مثلٌ ضربه ؛ لأن الناقة إذا حالت وضربها الفحل كان أسرع للقاحها ، وإنما يعظّم أمر الحرب لما تولّد منها من الأمور التي لم تكن تحتَسب .

ثم ارتحل الحارث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم يومئذ

---

(١) هلب ذنبه ، أي : استأصله جزاً .

(٢) من قصيدة طويلة للحارث بن عباد في كتاب بكر ص٦١ ؛ والتعازي والمراثي ص٢٩٨-٢٩٩ ؛ والأول في أساس البلاغة (زجر) ؛ والثاني له في الأزهية ص١٨٠ ؛ وتاج العروس (نعم،عنن) ؛ والحيوان ٤٤/١ ، ٢٨٤/٣ ، ٣٦١/٤ ؛ وسمط اللآلئ ص٧٥٧ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢٠٨ ؛ ولسان العرب (قلص ، نعم ، عنن) . وهو بلا نسبة في أدب الكاتب ص٥١٣ ؛ والمنصف ٥٩/٣ .

وفي حاشية الطبعة السلفية ٤٢٦/١ : " وكذا في كتاب بكر (٦١) حيث القصيدة في مائة بيت ، ولكني أرى الصواب (فتيلا) بالفاء " .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٤٢٦/١ : " الصواب (بجمرها) . وفي كتاب بكر (بحرها) " .

الحارث بن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، فقال الحارث بن عباد له : إن القوم مستقلّون قومك ، وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقاتِلْهم بالنساء ! قال له الحارث بن همّام : وكيف قتال النساء ؟ قال: قلّدْ كلّ امرأة إداوة من ماء ، وأعطِها هِراوة ؛ واجعلْ جمعهنّ مِن ورائكم فإن ذلكم يزيدكم اجتهاداً ؛ وعلّموا بعلامات يعرفْنها : فإذا مرّت امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته فسقته من الماء ونَعشته ، وإذا مرّت على رجل من غيركم ضربته بالهِرواة فقتلته وأتت عليه. فأطاعوه ؛ وحلقت بنو بكر يومئذ رؤوسها استبسالاً للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم ؛ واقتتل الفُرسان قتالاً شديداً ، وانهزمت بنو تغلب ولحقت بالظّعُن بقيّة يومها وليلتها ، واتّبعهم سَرَعانُ بكر بن وائل [1] ، وتخلّف الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن مالك القائل :

يا بُؤْسَ لِلحَرْبِ التِي   وَضَعَتْ أراهِطَ فاسْتَراحُوا:

أتراني ممن وضَعَته ؟ قال : لا ، ولكن لا مَخبأ لعِطر بعد عَروس . ومعناه : إن لم تنصر قومك الآن فلن تدّخر نصرك ؟!

و« **سعد** »[2] هو سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . قال الآمدي في « المؤتلف والمختلف »[3] : كان سعد هذا أحدَ سادات بكر بن وائل وفرسانِها في الجاهلية . وكان شاعراً . وله أشعار جياد في كتاب بني قيس بن ثعلبة .

قال : وشاعر آخر اسمه سعد بن مالك بن الأقيصِر القُريعي أحد بني قُريع بن سَلامان بن مُفْرج . وكان فارساً شاعراً .

آخر الجزء الأول
والحمد لله وحده

(١) سرعان الناس محركة : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، ويسكن . ومن الخيل : أوائلها ، وقد يسكن .

(٢) انظر في ترجمته الأغاني ٤٦/٥ ، ٥٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٧٧/٤ ؛والمؤتلف والمختلف ص١٩٨.

(٣) المؤتلف والمختلف ص١٩٨ .

فهرس التراجم

فهرس المحتويات